

منتدى سور الأزبكية

www.books4all.net

جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بالقاهرة

قسم التاريخ والمضامير

رسالة دكتوراه

مبادئ فاس

البلد

عصر المرابطين والموحدين

إعداد

علي محمود عبد اللطيف الجندي

إشراف

د. محمد عبد الوهاب فضل

أستاذ التاريخ الإسلامي بالكلية

١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

منتدی سور الازبکیہ

WWW.BOOKS4ALL.NET

[*https://twitter.com/SourAlAzbakya*](https://twitter.com/SourAlAzbakya)

<https://www.facebook.com/books4all.net>

أهلاً

الباحث

إلى روح جدي
اسكنه الله فسيح جناته

وإلى والدي ووالدي
أطال الله في عمرهما

وإلى نروجتى وأخى يحيى
وأخى عبد اللطيف وأختى
الفالية

منتدی سور الازبکیہ

WWW.BOOKS4ALL.NET

[*https://twitter.com/SourAlAzbakya*](https://twitter.com/SourAlAzbakya)

<https://www.facebook.com/books4all.net>

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين
سيدنا محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين
وبعد

فإن دراسة تاريخ ونشأة المدن الإسلامية لشيء مهم ،
حيث إن المسلمين كانوا يبادرون في معظم المناطق التي يفتحونها
بإقامة المسجد شعار الإسلام والمدينة شعار الإقامة والاستقرار والسيادة .
ولا شك أن كثرة إقامة المدن الإسلامية جعل منها مدناً مختلفة الأهمية
من حيث الدور التي تطلع به في المنطقة التي أنشئت بها ، فنجد مثلاً أن مدينة
القيروان أنشئت لتكون مركزاً للجيش يريح فيها ويستعد وتجمع له فيها أقواته
ومؤنّه ، كما أنشئت مدينة بغداد لتكون مركزاً للحكم وعاصمة
للدولة العباسية ، فهي تمثل بداية لحكم جديد وأسرة جديدة
لم تلبث أن أصبحت كما يقول اليعقوبي سرّة الدنيا وأديرت منها بلاد
الخلافة وانصبت إليها الثروة ، وصارت مركز الفكر والعلم ، أما مدينة فاس
فعلى الرغم من البعد الجغرافي بينها وبين بغداد إلا أن ثمة عوامل
مشتركة بينهما :-

- ١- القرابة التي تربط بين مؤسسي المدينتين "المنصور" مؤسس بغداد
و"إدريس" مؤسس مدينة فاس "أولاد عمومة"
- ٢- المدينتان جديدتان في النشأة .
- ٣- بغداد يشقها نهر "دجلة" وفاس يشقها نهر "سبو" .

- ٤- بغداد عاصمة الإسلام في المشرق ، وفاس عاصمة الإسلام في المغرب .
 ٥- بغداد للعرب والعجم ، وفاس للعرب والبربر .
 ٦- الفترة الزمنية بين نشأتهم صغيرة "بغداد ١٤٥هـ" "فاس ١٧٢هـ"
 ٧- الدور الديني والثقافي والحضاري يكاد يكون متشابهاً .

وقد لعبت مدينة فاس منذ إنشائها وحتى قبيل عصر المرابطين دوراً سياسياً واضحاً حيث أرسيت قواعد الحكم الإسلامي ، إلى جانب توحيد القبائل البربرية في منطقة المغرب الأقصى ، هذه القبائل مارست دورها في حكم مدينة فاس بعد غياب دولة الأدارسة ، كما ساعد إنشاء المدينة على نشر اللغة العربية **ومبادئ** الدين الصحيح .
 وفي عصر المرابطين والموحدين وعلى الرغم من نقل مركز الحكم السياسي إلى مدينة مراكش في منتصف القرن الخامس الهجري تقريباً لم تفقد مدينة فاس مكانتها ، بل ظلت تمارس نشاطها الاقتصادي والاجتماعي والعسكري وقد وصفها الإدريسي بأنها حاضرة المغرب الأقصى الكبرى ومقصدها الأشهر ، وإليها تشد الركائب وتقصدها القوافل ويجلب إليها كل غريب من الثياب والبضائع والأمتعة الحسنة .

ويرجع سبب اختياري للموضوع الآتي :-

- ١- أن مدينة فاس لم تحظ بإلقاء الضوء المناسب عليها وعلى دورها في منطقة المغرب بشكل واضح .
 ٢- تباين الآراء حول تاريخ النشأة واختيار اسمها .
 ٣- نقل المرابطين والموحدين عاصمة دولتهم إلى مدينة جديدة "مراكش" .

٤- استكمال بعض الفترات الزمنية التي لم تبرزها وتوضحها المصادر حتى يكون الموضوع متكاملًا .
٥- اختيار عصر المرابطين والموحدين لتوضيح أعمال الطرفين في المدينة والمقارنة بينهما .

وقد صادفني أثناء جمع مادة البحث العلمية عدة معوقات وصعوبات تمثلت في أن أغلب المصادر التاريخية التي تناولت فترة البحث كتبت على يد أندلسيين ومن كتب من المغاربة إما كتب خارج بلاده ومن كتب داخله إما أحرق أو فقد وما عثر عليه فسيذكر ولكنه قليل ومكتوب بعد فترة البحث .

أيضاً كثرة المادة العلمية في بعض الفترات وقتها في الأخرى واتجاه معظم المصادر إلى الناحية السياسية مما ألقى عبء إضافي على الباحث في جمع المادة العلمية الخاصة بالنواحي الاقتصادية والاجتماعية أما الناحية العلمية فلم نعثر على نظام تعليمي يمكن أن يعتمد عليه في المغرب فتم الاستعانة بنظام تعليم أندلسي حيث إن المغرب والأندلس في عصر المرابطين والموحدين تعتبر كتلة سياسية موحدة ، أما مؤلفات العلماء الواردة في البحث فكثير منها لم يبق إلا الاسم فقط وما وجد منها من مخطوط أو مطبوع فهو قليل، كذلك نقص التراجم الخاصة ببعض خطباء وشخصيات عامة بمدينة فاس بالإضافة إلى عدم وجود تاريخ وفاة لبعض المؤلفين.

وقد قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد وخمسة فصول وخاتمة :

تناولت في المقدمة سبب اختياري للموضوع مع بيان الخطة التي سرت عليها

أما التمهيد .. فقد تناولت فيه التعريف بجغرافية المغرب الأقصى ،
وحالة المغرب السياسية قبل وصول مؤسس مدينة فاس
"إدريس بن عبد الله" .

أما الفصل الأول وعنوانه "تأسيس مدينة فاس" .. فقد تحدثت فيه عن قيام
دولة الأدارسة ، وقتل إدريس بن عبد الله ثم عن تأسيس مدينة فاس
ووقت الإنشاء والموقع الجغرافي واختيار المكان والاسم ، وتخطيط المدينة ،
ثم عن الأدلة "المادية والنظرية" التي تؤكد أن تأسيس مدينة فاس كان
سنة ١٧٢هـ ، ثم تحدثت عن الحركة العمرانية لمدينة فاس وأبواب المدينة
والاختلاف حول عدد أبوابها مدعماً ذلك بخرائط توضيحية ،
ثم تناولت عمران مدينة فاس في عصر الأدارسة وبنى أمية والبربر .

أما الفصل الثاني وعنوانه "الحالة السياسية لمدينة فاس منذ النشأة وحتى قيام
دولة المرابطين" .. وتناولت فيه خلفاء إدريس الثاني على حكم مدينة فاس
أولهم محمد بن إدريس الذي توفي سنة ٢٢١هـ ، ثم علي بن محمد الذي
توفي سنة ٢٣٤هـ ، ثم يحيى بن محمد الذي توفي سنة ٢٤٥هـ ،
ثم يحيى بن يحيى وعلي بن عمر هذان الأميران غفلت المصادر عن ذكر وفاتهما
ثم تناولت ثورة عبد الرازق الفهري على نظام الحكم في مدينة فاس ،
ثم يحيى بن القاسم الذي يسيطر مرة أخرى على مدينة فاس ٢٩٢هـ ثم
ينتهي دور الأدارسة في مدينة فاس على يد يحيى بن إدريس سنة ٣٠٩هـ ثم
تناولت الصراع على مدينة فاس بين أطراف عديدة بين
موسى بن أبي العافية والحجام ، والفاطميين والمنصور بن أبي عامر ،
ثم سيطرة البربر على مدينة فاس .

أما الفصل الثالث وعنوانه "سيطرة المرابطين والموحدين على مدينة فاس" .. أتيت بببذة عن المرابطين وفتوحاتهم فى المغرب ودور أبى بكر بن عمر اللمتونى فى قيام دولة المرابطين ، ثم تحدثت عن بناء مدينة مراكش ثم ناقشت المصادر التى تناولت دخول المرابطين مدينة فاس ، ثم عرضت لأعمال المرابطين بمدينة فاس ، ثم تحولت إلى الموحدين بببذة عنهم وعن محمد بن تومرت "المهدى" ودخولهم مدينة فاس وأهم المصادر التى تناولت هذا الفتح ، ثم أعمالهم بمدينة فاس ثم وضحت أعمال كل من المرابطين والموحدين ثم أنهيت الفصل بقائمة خلفاء المرابطين والموحدين .

أما الفصل الرابع وعنوانه "الحياة الاقتصادية والاجتماعية لمدينة فاس منذ إنشائها وحتى نهاية عصر الموحدين" .. فقد قسمته إلى قسمين الأول الحياة الاقتصادية والثانى الحياة الاجتماعية :

أولاً: الحياة الاقتصادية .. فقد تناولت فيها نظام ملكية الأراضى وأوضاع الفلاحين ، وأنواع هذه الأراضى ، وطريقة الزراعة المتبعة والحاصلات الزراعية الموجودة بالمدينة ، ثم تناولت حرفة الرعى والضرائب ، ونظام الرى ومصادره ، ثم أوضحت دور حرفة الصناعة ومظاهر تقدمها على سكان مدينة فاس ، كما تناولت النشاط التجارى والمكانة التجارية لمدينة فاس والتجارة الداخلية والخارجية .

ثانياً: الحياة الاجتماعية .. تناولت فيها ازدهار العمران ، وعناصر السكان من بربر ، وعرب ، ويهود ، ونصارى ، ثم تناولت الحمامات والفنادق ومناطق الاستشفاء والمساجد ومشاريع المياه ، والأسواق والعملية ، والمنازل ، واللباس ، ثم وضع الأسرة ، كما تناولت العادات والتقاليد التى يتبعها السكان .

أما الفصل الخامس وعنوانه "الحياة العلمية والنظام الإدارى فى مدينة فاس" .. فقد تناولت فيه دور المدينة فى الإسلام ثم عوامل ازدهار الحياة العلمية فى المغرب من انتشار الإسلام وانتشار اللغة العربية ووجود البيوت والأسر العلمية وإقبال أهل المغرب على العلم وجهود العرب فى نشره واهتمام أهل المغرب بمذهب الإمام مالك وظهور العلماء وتقدير المجتمع للعلم والعلماء وتدوين العلوم والرحلات العلمية ثم تحدثت أيضاً عن التعليم فى المغرب فى عصر المرابطين والموحدين والتعليم فى مدينة فاس ثم العلاقات العلمية بمدينة فاس .

أما النظام الإدارى فقد تناولت فيه درجات السلطة ومهام كل درجة بدأ بالإمام ثم الوالى والقاضى والمحاسب والكاتب والحاجب والشرطة. أما الخاتمة .. فقد أتيت فيها ببعض النتائج التى استخلصتها من خلال دراستى ، ثم أهيتها بتثبيت للمصادر والمراجع وفهرس للموضوعات .

دراسة للمصادر

وقد اعتمدت فى دراستى لهذا الموضوع على كل ما أمكن الحصول عليه من المخطوطات والمصادر والمراجع .

المصادر التاريخية

البيان المغربى فى أخبار المغرب لابن عذارى المراكشى المتوفى فى أواخر القرن السابع الهجرى وهو مكون من أربعة أجزاء استفدت من الجزء الأول فى الحديث عن دولة الأدارسة والجزء الرابع فى الحديث عن قيام

دولة المرابطين ، وقيمة كتاب ابن عذارى تكمن في أن معظم المصادر التي اعتمد عليها في كتابه ما زالت مفقودة مما يزيد في أهميته .

الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب

وتاريخ مدينة فاس لابن أبي زرع المتوفى فيما بين سنتي ٧١٠ ، ٧٢٠ هـ

اهتم الكتاب بأخبار مدينة فاس منذ إنشائها والأداسة الأوائل وجمع ابن أبي زرع عدداً كبيراً من المعلومات عن قيام الأداسة وبناء مدينة فاس من مصادر وصل بعضها إلينا بينما البعض الآخر لا يزال مفقوداً ، وبفضل هذه المصادر والمادة الغزيرة والفريدة أصبح كتاب روض القرطاس أهم مصدر للبحث والباحث بعد كتاب المغرب للبكري ، وعن ابن أبي زرع نقل كل من الجزنائي (القرن الثامن الهجري) زهرة الآس في بناء مدينة فاس ، وابن القاضي (القرن العاشر الهجري) جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام بمدينة فاس .

كتاب الكامل لابن الأثير المتوفى ٦٣٠ هـ فهو ليس فقط مهماً

للقرون المتأخرة بل بالنسبة للعصور الأولى الإسلامية ، وليس بالنسبة للمشرق فحسب كما هو الحال بالنسبة لكتاب الطبري ، بل بالنسبة لبلاد المغرب والأندلس أيضاً ، وقد اعتمد ابن الأثير على أهل الثقة من المغاربة مع أنه أهمل الإشارة إليهم .

كتاب نهاية الأرب في فنون العرب للنويري المتوفى سنة ٧٣٣ هـ

فهو عبارة عن موسوعة عامة كبرى خصص الجزء الرابع والعشرين منه لتاريخ المغرب والأندلس منذ الفتح العربي إلى أيامه وكان لا يهتم كثيراً بإيراد اختلافات الرواه بل يختار الرواية التي يفضلها .

كتاب أعمال الأعلام القسم الثالث لابن الخطيب المتوفى سنة ٧٧٦هـ.

كتاب نظم الجمان لابن القطان المتوفى سنة ٦٢٨هـ .

كتاب أخبار المهدي للبيذق المتوفى في القرن السادس الهجري.

كتاب الجلل الموشية مؤلفه مجهول .

كتاب المعجب في تلبيص أخبار المغرب

للمراكشي المتوفى سنة ٦٦٩هـ .

هذه المجموعة من المصادر قد احتوت على إفادات مهمة للبحث وخاصة في عصر المرابطين والموحدين .

العبر لابن خلدون المتوفى ٨٠٨هـ وتعتبر مقدمته شرحاً وتمهيداً يفهم من خلالها التاريخ واستفاد منها الباحث في الحديث عن الناحية العلمية لمدينة فاس ، أما كتاب العبر فهو من أهم مصادر تاريخ المغرب العربي .

المصادر الجغرافية

وهي قسمان الأول كتب المشاركة وموقفها من المغرب مثل:-
كتاب الطبري في التاريخ من حيث توجهها إلى معظم تاريخ المشرق وينطبق هذا على كتب ابن خرداذبه وابن رسته وابن الفقيه واليعقوبي والاصطخري والمسعودي والمقدسي وأبو الفدا وغيرهم وهذا لا يمنع وجود قطع مفيدة عن المغرب في كل كتب هؤلاء .

١- انفراد صاحب كتاب **صورة الأرض** لابن حوقل المتوفى سنة ٣٦٧هـ بموقف خاص وذلك أنه قام بنفسه برحلة إلى بلاد المغرب والأندلس وصقلية ووصف أحوالها وصف شاهد عيان وأمدنا بمعلومات ثمينة

عن هذه البلاد على أيامه ويعتبر ابن حوقل أول وأقدم مصدر تناول ذكر مدينة فاس ولكنه بشيء مقتضب أعطى فكرة بسيطة عن هذه المدينة .
الثاني كتب المغاربة وأهمهم :

٢- **المغرب فى ذكر بلاد إفريقيا والمغرب** وهو جزء من كتاب **المسالك والممالك** للبكرى المتوفى ٤٨٧هـ ، والبكرى جغرافى مغربى أورد معلومات دقيقة عن الطرق والمسالك ، ونظراً للمعلومات الهامة التى يحتويها جعلت منه مرجعاً لمن أتى بعده ويعد كتاب البكرى المصدر الرئيسى الذى تناول مدينة فاس بالتفصيل منذ النشأة وحتى منتصف القرن الخامس الهجرى أى قبل استيلاء المرابطين على مدينة فاس ، وقد اعتمد عليه كثير من المؤرخين فى النقل منه .

٣- **كتاب نزوة المشتاق فى اختراق الآفاق للإدريسى** المتوفى سنة ٥٥٨هـ ويتضمن معلومات قيمة خاصة بالقرنين الخامس والسادس الهجريين .

٤- **كتاب الاستبصار فى عجائب الأمصار** بجهول المؤلف فهو يحتوى على وصف مكة والمدينة ومصر والمغرب والسودان ، وهو ينقل كثيراً عن البكرى والإدريسى يضيف معلومات قيمة ، تاريخية ، وجغرافية وعمرانية خاصة بعصره "عصر الموحدين" .

كتب الطبقات

كتاب الحلة السيرة ، و**كتاب التكملة لكتاب الصلة** لابن الآبار المتوفى سنة ٦٥٨هـ . و**كتاب الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس** لابن بشكوال المتوفى سنة ٤٧٨هـ . و**رياض النفوس**

للمالكي المتوفى في منتصف القرن الخامس الهجري ... إلخ هذه المجموعة من كتب الطبقات تكمل بعضها البعض وهي مهمة جداً للبحث والباحث لأن بها إشارات متنوعة للمترجم له تفيد حسب نوع المعلومة .

كما اعتمدت على كتب الحسبة التي تفيد في دراسة أحوال الأسواق ومراقبتها والمسئول عنها مثل كتاب **النظر والأحكام في جميع أحوال السوق** ليحيى بن عمر المتوفى سنة ٢٨٩هـ ، هذا إلى جانب كتاب **الحسبة للسقطي** ، وابن عبدون **ورسالة** عمر بن عثمان الجرسقي في **الحسبة** ، وهؤلاء الثلاثة من علماء القرن السادس الهجري ، كما اعتمدت على كتب **الفرق بين الفرق** للبغدادى المتوفى سنة ٤٢٩هـ ، و**الملل والنحل** للشهرستاني المتوفى سنة ٥٤٨هـ ، هذه الكتب تناولت جميع المذاهب الدينية ومنها الخوارج في بلاد المغرب وغيرها من النحل الأخرى كما اعتمدت على بعض المخطوطات التي أفادت في الناحية الزراعية مثل **الفلاحة للغزى** ، و**الفلاحة الرومية** لغسطوس ... إلخ .

كذلك اعتمدت على كتب الحديث مثل **البخارى وصحيح مسلم** و**مسند الإمام أحمد بن حنبل** لتوثيق بعض العادات السيئة المنتشرة في المجتمع المغربي . كما استفدت كثيراً من بعض المراجع الحديثة التي اطلعت عليها مثل **تاريخ المغرب الكبير** للدكتور السيد عبد العزيز سالم ، **الحضارة الإسلامية في المغرب** للأستاذ الحسن السائح ، وكتاب **المغرب للصديق بن عربي** ، و**النبوغ المغربي في الأدب العربي** لعبد الله كنون ،

والنشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي لعز الدين موسى،
والتربية الإسلامية في المغرب للدكتور محمد عادل عبد العزيز .

وفي النهاية أتوجه بعظيم التقدير والاحترام إلى أستاذي المشرف

أ.د / محمد عبد الوهاب فضل

أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة الأزهر الذي مهما حاولت
أن أوفيه حقه من الشكر والثناء والاعتراف بالجميل
الذي يطوق عنقي ما دمت حياً فلن أستطيع وذلك
للجهد الكبير الذي بذله معي في مناقشة كل كبيرة
وصغيرة بين كل ورقة وكل سطر وقد اتسع صدره
ومكتبته ومنزله للبحث والباحث وقد استفدت كثيراً
بكل الملاحظات والتوجيهات وكان له الفضل في ظهور
هذا البحث أمام سيادتكم فله جزيل الشكر والامتنان .

كما لا يفوتني أن أتوجه إلى كل من ساهم معي في
إخراج هذا البحث وخاصة المستشار الثقافي في
السفارة المغربية الأستاذ / محمد القادري وموظفو دار
الكتب القومية وفضيلة الأستاذ علي الدريني فتوح
خضر شيخ معهد فتيا الجعفرية الديني بالأزهر كما
أشكر كل من قام بإعداد هذا البحث كتابة وتصويراً
وتجليداً.

وحسبي أني اجتهدت

وما توفيقى إلا بالله

الباحث

التمهيد

١- التعريف بالمغرب وجغرافيته :

إن دراسة المدن بصفة عامة تحتاج إلى نظرة دقيقة إلى مكان المدينة وموقعها حيث تتوفر لها مقومات الحياة من مياه وطرق منها وإليها وحماية طبيعية أو صناعية للحدود ومدى إمكانية المدينة للتوسع في المستقبل وإلى المناطق والمدن المحيطة بها ، هذا إلى جانب عناصر المجتمع السكاني فكان حتماً إلقاء الضوء على جغرافية المغرب بصفة عامة والمغرب الأقصى بصفة خاصة حيث كان مولد ونشأة مدينة فاس بالمغرب الأقصى .

مدلول كلمة إفريقيا :

اسم إفريقيا كان يطلق في البداية على مدينة قرطاجنة^(١) ثم أطلقه العرب منذ بداية الفتح على مدينة تونس^(٢) التي نعرفها اليوم اسم إفريقيا^(٣)

١- قرطاجنة : بالفتح ثم السكون وجيم ونون مشددة ، قيل إن اسم هذه المدينة عبارة عن جزئين الأول قرطا وأضيف إليها جنة لطيبها وحسنها وهي عبارة عن مدينة فينيقية من نواحي إفريقيا ، كانت عظمة البناء وأسوارها من الرخام الأبيض لها من الأعمدة المتنوعة الألوان ما لا يحصى ، بنى المسلمون من رخامها عدة مدن ، تقع على ساحل البحر بينها وبين مدينة تونس التي عمرت من أنقاضها اثني عشر ميلاً **انظر** ياقوت الحموي : معجم البلدان ، تحقيق فريد عبد الحميد ، بيروت ١٤١٠هـ — ٣٦٨/٢ ، د. كوثر عبد الرسول : إفريقيا ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٦٦م ص ٣١٠ .

٢- تونس : بضم التاء بعدها واو وبضم النون أو فتحها أو كسرهما على بعد ثلاثة أيام من مدينة قابس ، بينها وبين القيروان مائة ميل كان يطلق عليها "ترشيش" يزرع بها غلات مثل القمح وبها أسواق ومتاجر وحمامات وفنادق وبها جامع رفيع البناء ومطل على البحر ودار للصناعة اشتهرت المدينة بدور العلم **انظر** ابن حوقل : صورة الأرض ، بيروت ص ٧٥ ، البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب ، الجزائر ، ١٩١١م ص ٣٧:٤٠ . ياقوت الحموي : معجم البلدان ٧٠:٧١ .

٣- غويته : ماضي شمال إفريقيا ، طرابلس ، ليبيا ، ١٩٧٠م ص ٨٩ .

وإفريقيا لها عدة معان منها :

- ١- أنها صاحبة السماء^(١) .
- ٢- أنها ترجع إلى كلمة إفري الفينيقية ثم حرفت إلى إفريقيا وأخذها العرب عنهم^(٢) .
- ٣- ومن يرى أنها نسبت إلى إفريتش بن صيفى الحميرى أو إفريتش بن أبرهة الرأس^(٣) .
- ٤- ومن يرى أنها سميت بذلك نسبة إلى الأفارقة قوم فاروق بن مصصر قوم فاروق بن مصر بن حام بن نوح وهو أول من نزلها^(٤) .

مدلول كلمة "المغرب"

المغرب عبارة عن إقليم مستعرض يسير من الشرق إلى الغرب دون أن يكون له عمق عمرانى كبير ، والمغرب اسم إضافى يدل على مكان ما بإضافته إلى جهة الشرق ، ويعتبر المغرب منطقة جغرافية متصلة بعضها ببعض تمتد من مدينة برقة^(٥) شرقاً إلى البحر المحيط "الأطلسى"

١- الأنصارى : نخبة الدهر ، مطبعة الأكاديمية الامبراطورية ١٢٨١ هـ / ١٨٦٥ م ص ٢٣٤ .

٢- د. السيد سالم : تاريخ المسلمين وأثارهم فى الأندلس ، الإسكندرية ص ١٧ .

٣- ابن الفقيه : مختصر البلدان ، طبعة ليدن ، ١٨٨٥ م ص ٧٨ .

٤- الأنصارى : نخبة الدهر ص ٢٦٧، ٢٦٨ . ابن الفقيه : مختصر البلدان

ص ٧٨ ، ابن خلدون : العبر ، دار الكتاب اللبنانى ١٧٥/٦ .

٥- برقة : بفتح الباء وسكون الراء وفتح القاف بين الإسكندرية وإفريقيا "القيروان" كانت تسمى قبل الإسلام بنطابلس أو انطابلس ومعناها بالإغريقية المدن الخمس "قورنية" ، سوسة ، برقة ، طوكرد ، برنيق" ومدينة برقة برية بحرية بها سوق وعدة محارس ، كثيرة الثمار كالجوز والسفرجل وبها الفواكه كالعرعر وتعتبر أول منزل للقادم من مصر إلى =

غرباً والبحر الرومي "المتوسط" الذي ينتهي إلى سواحل بلاد الشام شمالاً والصحراء الكبرى جنوباً هذا في الغالب^(١).
هذا ويختلف مفهوم المغرب سياسياً من عصر إلى آخر فمثلاً :
في عصر المرابطين والموحدين أطلقوا كلمة المغرب على ولاية " فاس و سبتة " في تنظيماتهم الإدارية^(٢).

حدود المغرب

والمغرب له حدود متباينة ويرجع هذا التباين إلى اختلاف وجهات النظر في الزمان الذي يعتمدون عليه في تعريف لفظ المغرب ..

١- نجد من يختار الحواجز الطبيعية أساساً للتعريف كنهر النيل الذي يعتبر الحد الفاصل بين المشرق والمغرب^(٣).

ويقول ابن خلدون أن الحد في عرف أهل الجغرافيا هو بحر القلزم^(٤).

٢- اختيار الأوضاع الإدارية والظروف السياسية لتجسيد مفهوم المغرب فعند استقلال الأندلس عن الخلافة العباسية وأصبح الشمال الإفريقي موضع نزاع بين الأمويين في الأندلس والفاطميين

= إفريقيا بها كثير من التجار وحولها قبائل لواته *نظر* ابن حوقل: صورة الأرض ص ٦٩، البكري : المغرب ص ٥٤، الإدريسي : صفة المغرب ، ليدن ١٨٩٤م ص ٣١١ .

١- ياقوت الحموي : معجم البلدان ٥/٥٣ .

٢- البيهقي : أخبار المهدي ، تحقيق بروفنسال ، باريس ، ١٩٢٨م ص ٦٥ ، ٧٩ ، ٩٠ ، ٩٨ . المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، ١٩٤٩م ص ٢٥٦ . ابن عذاري : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق د. إحسان عباس ، بيروت ، ١٩٨٣م ٤/٩٨ ، ٩٩ .

٣- ابن حوقل : صورة الأرض ص ٦٤ ، ٦٥ .

٤- العبر ٦/١٠١ .

بإفريقية فقسم المغرب قسمين إفريقي وأندلسي^(١)

٣ - اختيار الجنس البشري لتحديد مفهوم المغرب "في القديم ديار البربر ومواطنهم" فعلى هذا الرأى فالمغرب يمتد من طرابلس^(٢) إلى البحر المحيط ويخرج منه الأندلس^(٣).

وعلى ضوء ذلك نستطيع أن نقول أن المغرب لم تكن له حدود ثابتة ومحددة منذ بداية الفتح الإسلامى وحتى نهاية عصر المرابطين والموحدين فكان معظم الاضطراب والاختلاف فى الحد الشرقى للمغرب فمنهم من اختار الفواصل الطبيعية للاعتماد عليها كنهـر النيل ومنهم من اختار مدينة طرابلس الواقعة غرب مصر لتكون البداية أما الحد الغربى فينتهى إلى البحر المحيط ومنهم من يدخل بلاد الأندلس ضمن حدود المغرب^(٤)

أما بقية الحدود فلا خلاف عليها فى الشمال بحر الروم ومن الجنوب الصحراء الكبرى^(٥).

أقسام المغرب

ينقسم المغرب إلى ثلاثة أقسام :

الأول : المغرب الأدنى وهو أقرب بلاد المغرب إلى مقر الخلافة وسمى أدنى لأنه أدنى إلى بلاد العرب وعاصمة الخلافة الإسلامية بالمشرق وقاعدته

- ١- الاصطخرى : المسالك والممالك ، القاهرة ، ١٩٦١م ص ٢٣ .
- ٢- طرابلس أو اطرابلس : كانت تسمى قبل الإسلام طرابلسية مدينة فينيقية معناها بالإغريقية ثلاث مدن ، عليها سور وهى على شاطئ البحر بها جامع وأسواق حافلة وحمامات ، كثيرة الثمار والبساتين بها جليلة تقع فى شرقها . انظر ابن حوقل : صورة الأرض ص ٧١ . البكرى : المغرب ص ٨ ، ٩ ياقوت الحموى : معجم البلدان ٢٨/٤ .
- ٣- ابن خلدون : العبر ١٠١/٦ .
- ٤- ياقوت الحموى : معجم البلدان ٥٣/٥ .
- ٥ - السلاوى : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، الدار البيضاء ، ١٩٥٤م ٣٥/١ .

مدينة القيروان^(١) ويمتد من مدينة برقة حتى مدينة تاهرت ويشتمل على مدن برقة وطرابلس وتونس وقسنطينة^(٢).

القسم الثاني : المغرب الأوسط وقاعدته مدينة تلمسان^(٣) ويمتد من تاهرت حتى ملوية^(٤) وبلاد تازا^(٥).

القسم الثالث : المغرب الأقصى وسمى أقصى لأنه أبعد أقسام المغرب السياسية عن مقر الخلافة وقاعدته مدينة فاس ويمتد من وادي ملوية شرقاً

١- القيروان : معناها معسكر أو مدينة وقيل موضع اجتماع الجيش والناس وقيل محط أثقال الجيش أو الجيش نفسه ..

والقيروان : بنتح القاف وسكون الياء وفتح الراء مدينة من مدن إفريقيا وهي بعيدة عن الساحل على مسافة ستة وثلاثين ميلاً عن البحر وحوالي مائة ميل عن مدينة تونس ووصفت مدينة القيروان بأنها أكثر مدن المغرب تجارة وأسواقاً وأحسنها منازل كان فيها ديوان جميع أعمال المغرب وإليها تجبى الأموال وبها دار السلطان وهي مدينة مسورة هدمت عدة مرات وأعيد تشييدها *انظر* ابن حوقل : صورة الأرض ص ٩٤ ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ٤/٤٧٦ ، الباجي : الخلاصة النقية في أمراء إفريقيا و تونس ، ١٢٨٣هـ ص ٥ .

٢- قسنطينة : تنسب إلى الامبراطور البيزنطي قسطنطين وتقع على صخرة مرتفعة وتطل على ثلاث جهات منها الهاوية بينما تتصل الرابعة بالأرض وهي مدينة كبيرة أهلها ذات حصانة ومنعة يسكنها قبائل شتى وخاصة نفاوذة وكثامة *انظر* البكري : المغرب ص ٦٣ .

٣- تلمسان : بكسر التاء واللام وسكون الميم وفتح السين ويقال تنمسان بالنون عوضاً عن اللام وهي عبارة عن مدينتين متجاورتين مسورتين بينهما رمية حجر إحداهما مدينة قديمة تسمى أقادير والأخرى حديثة تسمى تافزرت وتعتبر مدينة تلمسان قاعدة المغرب الأوسط ودار مملكة قبيلة زناتة لها خمسة أبواب فيها أنهار جارية ومزارع كثيرة تشتهر بأجود أنواع الخيول *انظر* ابن حوقل : صورة الأرض ص ٨٨ . البكري : المغرب ص ٧٦، ٧٧ ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ٢/٥١، ٥٢ .

٤- ملوية : بفتح الميم وسكون اللام وكسر الواو هو من أعظم أنهار إفريقيا ووادي ملوية هو الحد الفاصل بين دولة الجزائر ودولة المغرب *انظر* البكري : المغرب ص ٨٩ ، الصديق بن عربي : المغرب ، دار الغرب الإسلامي ص ٧٢ .

٥- بلاد تازا "تازة" : معناها بالبربرية الصخرة تقع في شرق مدينة فاس بنحو ١٢٧ كم تمتاز بموقعها الهام الذي جعلها منذ أقدم العصور مركزاً حربياً مؤثراً وذلك لأنها تقع فوق هضبة مرتفعة بين الأطلس المتوسط وجبال الريف *انظر* البكري : المغرب ص ١١٨ ، الصديق بن عربي : المغرب ص ٤٤ ، ٤٥ .

إلى البحر المحيط غرباً ومن البحر الرومي شمالاً إلى جبال درن جنوباً^(١)

تضاريس المغرب الأقصى

إن طبيعة الأرض (جبال - هضاب - سهول - منخفضات) تؤثر بشكل مباشر على تحديد نوع المناخ (الحرارة - الأمطار - الرياح) وهذه الظروف تؤدي إلى التحكم في مناطق الاستقرار والطرق التي تربط مناطق التجمع البشري بعضها ببعض ، وقد لعبت الجغرافية دوراً ما في وحدة المغرب سياسياً واقتصادياً واجتماعياً .

ويتكون المغرب الأقصى من سلاسل جبلية تتخللها هضاب ووديان وتمتد هذه السلاسل من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي تكون موازية للساحل تقريباً وأهم جبال المغرب جبال أطلس التي شكلت معظم مظاهر السطح فيه والذي ينقسم إلى :

أولاً : تنقسم الجبال في المغرب الأقصى إلى قسمين :-

الأول ساحلي ويقع على بحر الروم وهي على شكل هلال يسمى سلسلة جبال الريق . الثاني داخلي ويقع في الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي وهي جبال أطلس بأقسامها الثلاثة الكبرى والوسطى والصغرى

وتبلغ نحو ١٠٠٠ كم طولاً^(٢) وهي على النحو التالي:-

١- جبال درن تسمى اليوم جبال أطلس انظر الصديق بن عربي : المغرب ص ١١١ .
٢- د. محمد رياض : إفريقيا ، بيروت ، ١٩٧٣م ص ٢٧٠ . الصديق بن عربي : المغرب ص ٧ .

أطلس الكبرى : وهى أكبر هذه السلاسل وقد يصل ارتفاعه إلى حوالى ٤١٠٠م وقد تزيد عن ذلك فى بعض قممها^(١) .

أطلس الوسطى : تقع فى شمال أطلس الكبرى وعبرها يتصل المغرب الأدى بالمغربيين وإلى الشمال من سلاسل جبال أطلس الوسطى .
أطلس الصغرى : تقع موازية لسلسلة الأطلس الكبرى وتشكل جداراً يفصل الإقليم الصحراوى عن بلاد المغرب ويمتد من البحر المحيط متصل بالصحراء حتى جبل نفوسه^(٢) .

ثانياً : السهول الساحلية :-

للمغرب الأقصى سهول ساحلية شمالية على بحر الروم وغربية على البحر المحيط ، السهول الشمالية ضيقة وبها صخور تصل إلى البحر فتقطع السهل إلى أحواض معزولة مثل سهول منطقة الريف الواقعة بين مدينة سبتة^(٣) ومدينة مليلة^(٤) هذه السهول تربتها فقيرة يغلب عليها الجير والحصى ، وبها بعض الأنهار الصغيرة التى تنبع من جبال الريف ، وقد حالت الكثبان الرملية من اندفاع مياهها إلى البحر فتجمعت فى منخفضات مكونة من مناقع أشهرها مناقع بنى حسان^(٥)

١- الصديق بن عربى : المغرب ص ٨ .

٢- البكرى : المغرب ، ص ١٥٥ . مجهول : الاستبصار فى عجائب الأمصار ، اسكندرية ١٩٥٨م ص ١٦٣ ، ١٩٥ .

٣- سبتة : بكسر السين أو فتحها وسكون الباء تقع على المحيط الأطلنطى وعند نهاية البحر المتوسط وهى مدينة مسورة بسور صخر محكم البناء بها مرسى تحط به السفن وهى داخلة فى البحر يسكن بها من قبيلة مصمودة /نظر ابن حوقل : صورة الأرض ص ٧٩ ، ياقوت الحموى : معجم البلدان ١٥٩/٣ .

٤- مليلة : تقع على شاطئ البحر المتوسط بين وهران وسبتة /نظر الصديق بن عربى : المغرب ص ١٨٦ .

٥- د. محمد سعودى : معالم جغرافية الوطن العربى ، بيروت ١٩٩٠م ص ١٨٨ .

أما سهول البحر المحيط فتقع بين الهضبة المغربية ومياه المحيط يبلغ عرضها في سهل الشاوية الواقع بين مدينة الرباط والدار البيضاء حوالي ٥٥ كم أما المنطقة بين مدينة فاس والساحل الشمالي فيسمى سهل الغرب وبه واديان هما وادي لوكوس ووادي مرتفعات شفشاون ووزان حتى يصل إلى السهل الساحلي^(١).

السهول الداخلية : أهمها سهل مدينة فاس - مكناس الذي يحتل الحوض الأوسط بنهر سبو الذي يعد أخصب أراضي المغرب الأقصى ويبلغ متوسط ارتفاع السهل في المدينة حوالي ٤٠٠م^(٢) وقد ساعد وادي سبو على تكوين هذا السهل الكبير والضخم من حيث امتداده واتساعه وتعمقه في الداخل^(٣).

هذا وتشكل السهول في المغرب الأقصى نحو الثلثين من مجموع مساحته ولا يتجاوز ارتفاعه عن سطح البحر أكثر من ٥٠٠م^(٤).

ثالثاً : الهضاب :-

بين السهول والجبال تمتد الهضاب والتي يتراوح ارتفاعها ٥٠٠ : ١٠٠٠م فوق سطح البحر ، ويضم المغرب الأقصى عدة هضاب

١- محمد سعودي: معالم جغرافية الوطن العربي ص ١٩٥ ، ١٩٦ .

٢- المرجع السابق محمد سعودي: ص ١٩٥ ، ١٩٦ .

٣- د. محمد رياض : إفريقيا ص ٣٧٤ .

٤- الصديق بن عربي : المغرب ص ٨ .

في عدة مدن أهمها هضبة "الميزينا" الواقعة في شمال مدينة فاس ومكناس^(١).

مناخ المغرب : يتأثر المغرب الأقصى بمناخ حوض البحر المتوسط "حار جاف صيفاً - دافئ ممطر شتاءً" هذا إلى جانب وقوع الجهة الغربية على ساحل البحر المحيط وارتفاع التضاريس نسبياً جعل المنطقة تتمتع بنسبة لا بأس بها من المطر وهذا جعل للمغرب الأقصى ظروفًا مناخية في أرجائه عن بقية جيرانه^(٢).

المياه : يعتمد المغرب على مياه الأمطار والأنهار بصفة رئيسية

١- **الأمطار :** تعتبر الأمطار المصدر الرئيسي للمياه في المغرب فهي التي تغذي الأنهار ، ومن المياه الجوفية تخرج العيون وموسم الأمطار في المغرب يسقط في فصل الشتاء ويمتاز الساحل بكثرة الأمطار وتقل تدريجياً في الجنوب ، وقمة سقوط المطر في شهر ديسمبر وتعتبر مدينة فاس من أعلى مدن المغرب أمطاراً حيث تبلغ ٦٣٥م^(٣).

٢- **الأنهار :** بالمغرب الأقصى عدة أنهار تنبع من الأطلس الكبير والمتوسط وتصب في البحر المحيط من أهمها :-

أ- **نهر سبو :** يبلغ طوله ٤٦٠ كم وينبع من السفوح الغربية لجبال الأطلس الوسطى جنوب شرق مدينة فاس ويتجه شمالاً ثم غرباً حتى يصب في البحر المحيط ولنهر سبو روافد أهمها وادي مدينة فاس الذي يخترق المدينة^(٤).

١- الصديق بن عربي : المغرب ص ٧ . د. محمد رياض : إفريقيا ص ٣٧٥ .

٢- د. محمد رياض : المرجع السابق ص ٣٧٥ .

٣- المرجع السابق ص ٣٧٦ .

٤- الصديق بن عربي : المغرب ص ٩ . د. محمد رياض : إفريقيا ص ٣٧٦ .

ويذكر ابن زرع هذا النهر "ويخرج نهر مدينة فاس فيسقى جناحها
وبحائرها إلى أن يصب بوادي فاس على مقدار المليون منها ... فيجرى في
بسيط من الأرض ... من منبعه حتى ينحدر على المدينة في مرج أخضر ...
وينقسم في داخلها على جداول كثيرة ونهر مدينة فاس يفوق
مياه المغرب في العذوبة والخفة وكثرة المنفعة"
ب- نهر أم الربيع : ويبلغ طوله حوالي ٥٦٠ كم ويلى نهر سبو في الأهمية
ويستقى سهول دكالة^(١) .

ج- نهر ملوية : وهو قليل الأهمية على الرغم أن طوله حوالي ٥٤٠ كم وهو
النهر الوحيد في المغرب الذى يجرى من الجنوب إلى الشمال
ليصب في بحر الروم^(٢) .

بالإضافة إلى وجود عدة أنهار ثانوية تصب في البحر المحيط
وهى من الشمال إلى الجنوب نهر لوكوس ويبلغ طوله ١٠٠ كم ،
نهر أبي رقراق ويبلغ طوله ١٧٩ كم ، نهر تانسيفت ويبلغ طوله ٢٧٠ كم ،
نهر سوس ويبلغ طوله حوالي ٢٠٠ كم^(٣) .

١- الصديق بن عربى : المغرب ص ٩ .

٢- المرجع السابق .

٣- المرجع السابق .

٢- المغرب الأقصى تحت السيادة العباسية

تمهيد :

انتهى القرن الأول الهجري على بلاد المغرب بصفة عامة وعلى المغرب الأقصى بصفة خاصة بسيطرة المسلمين على تلك الجهات بعد أن أتمت فتحها وضمها إلى رقعة الدولة الإسلامية واندماج سكانها مع المسلمين وانضمامهم إلى قوات المسلمين وكان لهم دور بارز في فتح ونشر الإسلام في الأندلس . هذا وقد أطل القرن الثاني الهجري بوجهه الحسن على بلاد المغرب وتمثلت هذه الإطلاقة بتولية الخليفة عمر بن عبد العزيز الخلافة الأموية ، فقد حرص على اختيار الأمراء القادرين على النهوض بالأقاليم الإسلامية وأمدتهم بما يساعدهم على نشر الإسلام وتعليم سكان البلاد أصول الدين ففى المغرب تم إرسال عشرة من التابعين^(١) أضافوا نشاطاً كبيراً لتأكيد سيادة الإسلام .

ظل المغرب ينعم بالاستقرار والهدوء حتى بدأت وفود الخوارج تتجه إلى بلاد المغرب ، وقد وجدت آراء فرقة الخوارج^(٢) التي نشروها باسم

١- المالكي : رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقيا وزهادهم وعبادهم

ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، القاهرة ، ١٩٥١م /١/ ٦٤ .

التابعون : ١- أبو عبد الرحمن الحبلى

٢- أبو مسعود التجيبى الكندى

٣- إسماعيل بن عبيد الله الأنصارى

٤- أبو الجهم بن نافع التنوحي

٥- موهب بن حى المعافرى

٦- حيان بن أبى جبلة القرشى

٧- أبو ثمامة بكر بن سوادة الجذامى

٨- أبو سعيد جعتل بن هاعان بن عمير البتور

٩- أبو عبد الحميد إسماعيل بن أبى المهاجر

١٠- طلق بن جابان الفارسى *انظر* أبو العرب : طبقات علماء إفريقيا وتونس ،

تونس ، ١٩٦٨م ص ٥٨ ، ٧٩ . المالكي : رياض النفوس /١/ ٦٤ : ٧٦ .

٢- الخوارج : هم طائفة دينية وسياسية ظهرت فى أواخر عصر الخلفاء الراشدين ونواة

هذه الفرقة بعض شيعة الخليفة على بن أبى طالب ممن خرجوا عليه بعد موقعة صفين عام

٣٨هـ ولكنهم خرجوا عليه لقبوله مبدأ التحكيم وعن فرقتهم ومبادئهم *انظر* الشهرستانى :

الملسل والنحل ، مكتبة ومطبعة محمد على صبيح ، =

الإصلاح والدعوة إلى العمل بالكتاب والسنة صدى واسعاً بين السكان فقاموا بمعارضة القوات العربية في المغرب وفشل الأمير عبيد الله بن الحبحاب^(١) في المحافظة على بلاد المغرب كوحدة متماسكة ، وقد حاول الخليفة هشام بن عبد الملك^(٢) تدارك الموقف بعد الهزيمة التي حلت بقواته في المغرب الأقصى في موضع يعرف باسم "بقدورة"^(٣) .

فقد استطاع الأمير حنظلة بن صفوان^(٤) أن يسيطر على الموقف في بلاد المغرب وكان عند حسن ظن الخليفة هشام به حيث قضى على التمرد وسادت مرة أخرى الطمأنينة والاستقرار وذلك سنة ١٢٥هـ^(٥) .

انشغل الأمويون بنشاط الدعوة العباسية مما أثر كثيراً على مختلف الولايات التابعة لهم وخاصة في بلاد المغرب التي أصبحت علاقتها بمدينة دمشق^(٦) شبه مقطوعة مما أعطى الفرصة للخارجين على الدولة والمغامرين أن يثوروا في الولايات ويطردوا ولاية الخليفة .

= القاهرة ١/١٨١:١٨٤، البغدادي : الفرق بين الفرق ، مكتبة محمد علي صبيح ، مصر ص ٧٠ : ٧٢ ، ابن خلدون : العبر ٦/١٢٠، ١٢١ .

١- عبيد الله بن الحبحاب : تولى إفريقيًا سنة ١١٦هـ وعزل سنة ١٢٢هـ توفي سنة ١٢٣هـ فشل في مهمته لسوء السيرة *انظر* المالكي : رياض النفوس ١/٦٩ ، الرفيق القيرواني : تاريخ إفريقيًا والمغرب ، تونس ، ١٩٦٨م ص ١٠٧ : ١١١ ، ابن عذاري : البيان ١/٥١ .

٢- أحد ساسة بني أمية تولى الخلافة سنة ١٠٥هـ وتوفي سنة ١٢٥هـ *انظر* الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٧٩م ٧/٢٥٠، ٢٠٠ .

٣- مجهول : أخبار مجموعة ، مكتبة المثني ، بغداد ص ٣٢ بقدورة تقع بجنوب طنجة *انظر* ابن عذاري : البيان ، ١/٥٥ .

٤- حنظلة بن صفوان : تولى إفريقيًا سنة ١٢٤هـ ورحل إلى الشام حيث توفي بها سنة ١٢٩هـ *انظر* ابن الأثير : الكامل ، دار صادر ، بيروت ٤/٢٧١ .

٥- ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، مكتبة الثقافة الدينية ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م ص ٢٥١ .

٦- دمشق : قاعدة الشام ودار ملك بني أمية بناها دمشق بن قاني بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام بينها وبين بعلبك يومان وكل من طرابلس وبيروت وصيدا ثلاثة أيام ، وإلى القدس سنة أيام وإلى مصر ثمانية عشر يوماً *انظر* =

عبد الرحمن بن حبيب ونهاية الدولة الأموية وبداية الدولة العباسية

هذا ويعتبر عبد الرحمن بن حبيب^(١) من الخارجين عن السلطة والمتطلعين إليها فقدم من الأندلس إلى مدينة تونس وبقى بها إلى أن اضطرت أمور الخلافة بعد مقتل الخليفة الوليد بن يزيد سنة ١٢٦هـ بالإضافة إلى رحيل بعض أهل الشام بإفريقيا إلى المشرق^(٢) ثم بدأ يدعو في مدينة تونس لنفسه فأجابه الناس لذلك سنة ١٢٧^(٣)

فكر حنظلة في الخروج إليه ولكنه كان لا يرى السيف إلا في أهل الكفر فوجه إليه وهدأ مكوئاً من خمسين رجلاً ليراجعوه ويطلبوا منه الدخول في الطاعة ولكنه انتهز الفرصة وألقى القبض عليهم ووضعهم في الحديد ثم توجه بهم إلى مدينة القيروان سنة ١٢٧هـ^(٤).

سيطر عبد الرحمن بن حبيب على مدينة القيروان بعد رحيل حنظلة منها واستطاع أن يفرض سلطانه عليها ويدخل تحت ظل الخلافة العباسية

١- إياقوت الحموي : معجم البلدان ٤٦٣/٢ : ٤٧٠، الحميري :
الروض المعطار ص ٢٣٧.

٢- عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع ، فشل في السيطرة على الأندلس استقر بمدينة تونس ثم زحف إلى القيروان واستولى عليها سنة ١٢٧هـ فاستقل بها وكتب للخليفة مروان بن محمد بولايتها قتل سنة ١٣٧هـ *انظر الرقيق القيرواني* : تاريخ إفريقيا المغرب ص ١٢٣ : ١٣٧ ، ابن الأثير : الكامل ٣١١/٥ ، ابن عذاري : البيان ٦٠/١ .

٣- ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ص ٢٥١ .

٤- الرقيق القيرواني : تاريخ إفريقيا والمغرب ص ١٢٣ ،
ابن عذاري : البيان ٦٠/١ .

٥- ابن الأثير : الكامل ٣١١/٥ ، ابن عذاري : البيان ٦٠/١ .

بعد أن أقرته على إفريقية ولكن سرعان ما دب الخلاف بينهما وخلع طاعة العباسيين وأعلن عدم التبعية لهم^(١).

كانت النتيجة سيئة لعبد الرحمن فقد تآمر عليه بنو أهله وقتل سنة ١٣٧هـ^(٢) وبمقتل الأمير عبد الرحمن سقط آخر الأمراء العرب الأقوياء الذين كانت لهم السيطرة على معظم بلاد المغرب ، وفتح الباب للصراعات على مصراعيه وأصبح كل طامع لأن يستقل بمنطقته ، ففى طرابلس انتهز أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافى الفرصة في السيطرة على نواحي طرابلس وأعلن نفسه إماماً عليها في سنة ١٤٠هـ^(٣).

موقف الدولة العباسية من هذه الأحداث

١- محمد بن الأشعث الخزاعي ١٤٢ : ١٤٨ هـ

اضطرب الأمر في المغرب الأقصى بعد تغلب عبد الأعلى على إفريقية فوفد على المنصور^(٤) وفد من المغرب يستصرخون لإنقاذ إفريقية من سيطرة الخوارج والبربر الخارجين على السلطة الشرعية فوجه إليهم المنصور محمد بن الأشعث الخزاعي^(٥) فاشتبك عبد الأعلى مع

١- ابن الأثير : الكامل ، ٣١١/٥ . ابن عذاري : البيان ٦٧/١ ، النويري : نهاية الأرب في فنون العرب ، إصدار المجلس الأعلى للثقافة بالاشتراك مع الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ٦٦/٢٤ .

٢- الرقيق القيرواني : تاريخ إفريقية والمغرب ص ١٣٩ ، ابن عذاري : البيان ٦٧/١ ، ٦٨ .

٣- د. عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، الدار القومية للطبع والنشر ، ١٩٦٩م ٣٣٩/٢ .

٤- المنصور "أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ١٣٦ : ١٥٨هـ" انظر الطبري : تاريخ الرسل والملوك ٥٥٢/٧ : ٥٧٢ .

٥- محمد بن الأشعث بن عقبة الخزاعي : ولاء الخليفة أبو جعفر المنصور ولاية مصر ثم سيره إلى إفريقية لاستعادتها وضمها إلى الدولة العباسية فتمكن من ذلك ولكنه في سنة ١٤٨هـ أجبر على الخروج منها بعد ثورة الجنود عليه انظر ابن الأثير : الكامل ٣١٧/٥ : ٣١٩ ، ابن عذاري : البيان ٧٢/١ ، ٧٣ ، =

القوات العباسية وهزمهم في سنة ١٤٢هـ^(١).
استعد محمد بن الأشعث الخزاعي للخروج بنفسه إلى المغرب
واستطاع أن يهزم قوات عبد الأعلى سنة ١٤٤هـ^(٢) تتبع
ابن الأشعث فلول الهاربين ولم يمكنهم من الاتحاد عليه مرة أخرى^(٣).
اتجه ابن الأشعث إلى مدينة القيروان في نفس السنة وقام ببناء سور
للمدينة وعمل على استتباب الأمن وفي سنة ١٤٨هـ ثار الجند عليه وسأله
الخروج فخرج^(٣).

٣ - الأغلِب بن سالم بن عقال بن خفاجة التميمي ١٤٨ : ١٥٠ هـ

اختار أبو جعفر المنصور الأمير الأغلِب بن سالم^(٤) لولاية إفريقيا
وأوصاه بتحسين مدينة القيروان وأن ينوب عنه فيها إذا ما استلزم الأمر جليلة
الأعداء^(٥).

في سنة ١٥٠هـ استغل الحسن بن حرب الكندي^(٦) خروج الأمير
الأغلِب بن سالم للقتال في المغرب الأوسط فاستولى على مدينة القيروان مما

=النويري : نهاية الأرب ، ٧٦، ٧٣/٢٤ ، ابن الأبار : الحلة السيرة ،
دار المعارف ، مصر ، ١٩٨٥م ٦٩/١ .

١- ابن عذاري : البيان ٨٣/١ .

٢- المصدر السابق ٧٢/١ .

٣- ابن الأثير : الكامل ٣١٩/٥ ، ابن عذاري : البيان ٧٣/١ ، النويري :
نهاية الأرب ٧٦ / ٢٤ .

٤- الأغلِب بن سالم : ولاة الخليفة المنصور مصر سنة ١٤٤هـ تولى طنبة إلى
وقت خروج ابن الأشعث من القيروان سنة ١٤٨هـ ولاة الخليفة مدينة القيروان قتل
سنة ١٥٠هـ انظر ابن عذاري : البيان ٦٩/١ ، ٧١ ، ابن الأبار :
الحلة السيرة ٦٩/١ ، ٧٠ .

٥- ابن عذاري : البيان ٧٤/١ .

٦- الحسن بن حرب الكندي : كان يشرف على إدارة مدينة تونس ، استولى على
مدينة القيروان ثم قتل أميرها الأغلِب ويقال انهم أتوا بالحسن مقتولا
في سنة ١٥٠هـ انظر ابن الأبار : الحلة السيرة ٧٣/١ .

جعل الأمير الأغلب أن يقطع خروجه بعد أن عزم على أن يرحل إلى مدينة تلمسان و طنجة فتوجه إليه الأمير الأغلب فاقتتلوا قتالاً اهزم الحسن بن حرب الكندي وفر إلى تونس ولكنه عاود الكرة وفي هذه المرة قتل فيها الأمير الأغلب بن سالم بسهم في سنة ١٥٠هـ فكانت ولايته سنة واحدة وثمانية أشهر^(١).

٣- عمر بن حفص بن عثمان بن قبيضة بن

أبي صفرة ١٥١ : ١٥٥هـ

ولى الخليفة المنصور الأمير عمر بن حفص^(٢) سنة ١٥١هـ فعمل على تسكين الفتن وأحسن إلى السكان فهدأت الأحوال واستقامت له الأمور خلال معظم ولايته ، وكان الأمير عمر قد توجه إلى مدينة طنبة^(٣) بالمغرب الأوسط لتحصينها حتى تكون قاعدة تنطلق منها الحملات للمغربين الأوسط والأقصى والقضاء على البربر والخوارج الذين أحسوا بالخطر من توجه الأمير عمر بن حفص فاجتمع لدى زعيمهم^(٤) حوالى أربعين ألفاً من الخوارج الصفرية^(٥) بالإضافة إلى خمسة عشر ألفاً من

١- ابن عذارى : البيان ٧٥/١ . ابن الأبار : الحلة السيرة ٧١،٧٠/١ .

٢- عمر بن حفص "هزارمرد" معناها بالفارسية ألف رجل ، ابن أخى المهلب يذكره ابن عذارى "عمرو" كان الخليفة المنصور معجباً به ، ولاء ولاية إفريقية بعد مقتل الأمير الأغلب فوصلها سنة ١٥١هـ انظر البلاذرى : فتوح البلدان ، مطبعة لجنة البيان العربى ، لاطوغلى ص ٢٤١ ، ابن عذارى : البيان ٧٥/١ ، النويرى : نهاية الأرب ٧٥/٢٤ .

٣- طنبة : تقع فى طرف إفريقية على نهر الزاب وهى مدينة مسورة من الطوب بها كثير من الرياض وليس بين القيروان إلى سجلماسة مدينة أكبر منها وبها أسواق كثيرة ولها بساتين يسيرة انظر البكرى : المغرب ص ٥٠ ، ياقوت : معجم البلدان ٢١/٤ .

٤- زعيم بربر الخوارج الصفرية يدعى "أبو قره الصفرى" انظر ابن عذارى : البيان ٧٥/١ ، النويرى : نهاية الأرب ٧٥/٢٤ .

٥- الخوارج الصفرية : تنسب إلى زياد بن الأصفر أو عبد الله بن صفار =

الخوارج الإباضية^(١) مع عبد الرحمن بن رستم^(٢) الذين تمكنوا من محاصرة مدينة القيروان^(٣)

٤- يزيد بن حاتم بن قبيض بن المهلب ١٥٥ : ١٧٠هـ

أرسل الخليفة المنصور جيشاً بقيادة يزيد بن حاتم^(٤) قوامه ستون ألف مقاتل لفك الحصار عن مدينة القيروان وبالفعل استطاع الأمير يزيد بن حاتم دخول مدينة القيروان في سنة ١٥٥هـ^(٥).

= أهم مبادئهم :

أ- لا يكفرون القاعدين عن القتال ما داموا متفقين في الدين والاعتقاد
ب- لم يحكموا بقتل أطفال المشركين ولا بتكفيرهم أو تخليدهم في النار

ج- قالوا أن التقية جائزة في القول دون العمل
د- لم يكفروا مرتكب الكبيرة الأولى وإنما كفروا مرتكب الكبيرة الثانية .
وتعتبر فرقة الصفرية أكثر تطرفاً من فرقة الإباضية
وقد انتشر هذا المذهب في المغرب الأقصى وجزء من المغرب الأوسط . انظر الشهرستاني : الملل والنحل ١/١٨١:١٨٤ . البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٧٠ ، ٧١ .

١- الخوارج الإباضية : جماعة من المسلمين متفرقة في مذهبهم ولكنهم بصفة عامة من الفرع المعتدل بالنسبة لمعظم فرقة الخوارج وأهم مبادئهم :

أ- لم يقسوا في الحكم على مخالفيهم من أهل القبلة واعتبروهم كفاراً غير مشركين
ب- لا يحل قتال غير الخوارج غيلة ولا سبيهم إلا بعد الدعوة وإقامة الحجة .

ج- قالوا إن ديار مخالفيهم من أهل الإسلام ديار توحيد إلا معسكر السلطان .

د- قالوا إن مرتكبي الكبائر موحدون لا مؤمنون انظر الشهرستاني : الملل والنحل ١/١٨١:١٨٤ . البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٧٠ : ٧١ .

٢- عبد الرحمن بن رستم : من أصل فارسي وفد إلى بلاد المغرب في أواخر حكم الدولة الأموية ، سكن مدينة القيروان وتعلم بها اعتنق مذهب الخوارج الإباضية توفى سنة ١٦٨هـ انظر البكري : المغرب ص ٦٦ ، ٦٧ . مجهول : الاستبصار ص ١٧٨ ، ابن عذاري : البيان ١/١٩٦ .

٣- ابن عذاري : البيان ١/٧٦ ، النويري : نهاية الأرب ٢٤ / ٨٢ .

٤- يزيد بن حاتم : تولى ولاية مصر سنة ١٤٤ : ١٥٢هـ كان مقرباً إلى نفس الخليفة المنصور حسن السيرة قدم إفريقيا فأصلحها ورتب أسواق القيروان توفى سنة ١٧٠هـ انظر البلاذري : فتوح البلدان ص ٢٤١ ، الرقيق القيرواني :

تاريخ إفريقيا والمغرب ص ١٦٢ ، النويري : نهاية الأرب ٢٤ / ٨٥ : ٨٧ .

٥- ابن الأثير : الكامل ٥/٦١ ، ابن عذاري : البيان ١/٧٩ .

نعمت بلاد إفريقيا والمغرب فترة الأمير يزيد بالهدوء واطمأن سكان البلاد
على حياتهم حوالى خمس عشرة سنة وتوفى سنة ١٧٠^(١).

١- الرقيق القيروانى : تاريخ إفريقيا والمغرب ص ١٦٢ ، ابن عذارى : البيان ٨١/١ .

قيام دولة الأدارسة

استقرت الأمور وساد الهدوء في بلاد المغرب في ظل ولاية الأمير يزيد بن حاتم التي استمرت حوالي خمسة عشر عاماً وهذا بفضل الدعم القادم إليه من الخلافة العباسية^(١) بالإضافة إلى حكمة الأمير يزيد بن حاتم الذي خرج يوماً للبتزه في مدينة القيروان "فنظر إلى غنم كثيرة كانت لابنه فزجره عليها وأمر بذبحها وأن تباع للناس"^(٢).

هذا الموقف وإن كان يبدو بسيطاً ولكنه يجد صدى كبيراً لدى عامة الناس والقاعدة العريضة منهم فكان هذا الأمير عند حسن ظن قيادة الخلافة العباسية بصفة عامة وأبو جعفر المنصور المؤسس الحقيقي للدولة العباسية بصفة خاصة والذي أخذ على عاتقه التصدي للمعارضة والقضاء على جميع الحركات المناوئة للخلافة والتي تعمل على تهديد كيان الدولة وتقويض نظمها وأمنها فتصدى لها في كل مكان وكان مما تصدى له الخليفة أبو جعفر المنصور "ثورة العلويين" الذين تحملوا عبء الكفاح الطويل والشاق في سبيل الوصول إلى الخلافة وقد بلغت قسوة العباسيين تجاه العلويين ربما أكبر من قسوة الأمويين ولم يجد العلويون طريقاً آخر حتى يستردوا ما فقدوه "الخلافة" إلا بالقيام بالثورة فقامت عدة ثورات علوية منها :-

١- تنسب الخلافة العباسية إلى العباس بن عبد المطلب عم النبي (ﷺ)

فالمؤسس لآركان الدولة هما :-

أ - أبو العباس عبد الله بن محمد علي بن عبد الله بن العباس توفي عام ١٣٦هـ .

ب- المنصور سبق تعريفه ص ١٥ .

انظر الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ٥٥٢/٧ : ٥٧٢ .

٢- ابن عذاري : البيان ٨٢/١ .

١- ثورة محمد بن عبد الله بن الحسن بن

علي بن أبي طالب سنة ١٤٥هـ

كان محمد بن عبد الله يتمتع بين بني هاشم بمكانة خاصة حتى لقبوه "بالنفس الزكية"^(١) وقد اتفق بنو هاشم على أن تؤول الخلافة إليه إذا ما سقطت الدولة الأموية وكان أبو العباس السفاح وأبو جعفر المنصور ضمن من رشحوه للخلافة^(٢).

وعندما آلت الخلافة إلى العباسيين تداولوها بينهم فتولاها أبو العباس السفاح ثم أبو جعفر المنصور فساء ذلك العلويين فامتنع محمد "النفس الزكية" عن مبايعة أبي العباس واختفى مع أخيه إبراهيم ونشط بنو العباس في البحث عنهم دون جدوى فاضطر إلى القبض على جميع آله وحبسهم فدفن ذلك محمد إلى الظهور وإعلان ثورته في شهر رجب عام ١٤٥هـ ودخول المدينة^(٣) والاستيلاء عليها وانتزاعها من أيدي العباسيين ، لكن موقف محمد بن عبد الله في المدينة لم يكن بالموقف القوي الذي يستطيع به أن يدافع عنها ويحميها من رد فعل العباسيين وقد نُصح محمد بالخروج إلى مصر وقيل له ألسنت تعلم أنك في أقل بلاد الله فرساً وطعاماً وسلاحاً

١- لقب محمد بن عبد الله بالنفس الزكية لفضله وورعه وزهده وكثرة عبادته ونسكه *انظر*

ابن أبي زرع : روض القرطاس ٧/١ .

٢- جاء ترشيح محمد النفس الزكية للخلافة نظراً لتقدمه على بني هاشم لما له من الفضل عليهم وذلك راجع عندما اختل أمر الأمويين أجمع أهل البيت بالمدينة وبايعوه بالخلافة سرا *انظر* الطبري : تاريخ الرسل والملوك ٥٥٢/٧ : ٥٧٢ .

ابن خلدون : العبر ٦/٣ .

٣- المدينة لها أسماء كثيرة "جابرة ، طابة ، طيبة ، العذراء ، غلبة ، القاصمة المجبورة ، المحبة ، يثرب" بها قبر الرسول (ﷺ) جبل أحد في شمالها على بعد فرسخين حولها نخل كثير : تمره حسن ليس لهم زرع ولا ضرع *انظر* ياقوت : معجم البلدان ٨٢/٥ . الحميري : الروض المعطار ر في خبر الأقطار ص ٤٠١ : ٤٠٢ .

وأضعفها رجلاً ؟ وأمام إصرار محمد "النفس الزكية" على البقاء في المدينة فقد تمكنت القوات العباسية من هزيمته وقلته في سنة ١٤٥هـ^(١) .

٢- ثورة إبراهيم بن عبد الله "شقيق محمد النفس الزكية" سنة ١٤٥هـ

هذا وقد تمكن الخليفة المنصور من القضاء على أخطر ثورات العلويين ولكنها لم تنته بصورة كاملة حيث استطاع إبراهيم بن عبد الله أن يستولى على مدينة البصرة^(٢) في أول رمضان سنة ١٤٥هـ أى بعد شهرين من سيطرة أخيه على الحجاز^(٣) ، ومع أن إبراهيم قد جاء إلى مدينة البصرة ليدعو لأخيه محمد في وقت ظهوره إلا أن مقتل أخيه قد جعل مهمته شاقة رغم أنه أصبح بعده هو المطالب بالخلافة للعلويين ورغم أن أهل الكوفة^(٤) لم يبايعوا لأخيه ولآله إلا أنه لم يقدر ذلك الموقف مما أدى إلى مقتله يوم الاثنين ٢٤ من ذى الحجة سنة ١٤٥هـ^(٥) .

٣- ثورة الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب سنة ١٦٩هـ

-
- ١- الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ١٩٢/٨ ، ٢٠٤ ، ٦٠٩ .
 - ٢- البصرة : بجنوب العراق بنيت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) اختطها عتبة بن غزوان سنة ١٤هـ /نظر الحميرى : الروض المعطار ص ١٠٥ .
 - ٣- الحجاز : يقع في غرب المملكة العربية السعودية ويضم الأماكن المقدسة مكة والمدينة المنورة /نظر ناجى الأنصارى : عمارة وتوسع المسجد النبوى الشريف عبر التاريخ ، إصدارات نادى المدينة المنورة الأدبى ١٩٩٦م ص ١٩ .
 - ٤- الكوفة : اختطها المسلمون سنة ١٧هـ وهى على نهر الفرات ومن بغداد إلى الكوفة ثلاثون فرسخاً /نظر الحميرى : الروض المعطار ص ٥٠١ .
 - ٥- الطبرى : تاريخ الرسل ١٩٢/٨ : ٢٠٣ . السلاوى : الاستقصا ١/١٣٦ .

فقد خرج الحسين على الخليفة العباسي الهادي^(١) "١٦٩-١٧٠هـ" على رأس جماعة من العلويين في ذى القعدة سنة ١٦٩هـ وقصدوا الإمارة بالمدينة واستولى عليها ، فسير إليه الخليفة الهادي جيشاً بقيادة عمه العباس بن محمد فالتقوا بالقرب من مكة وعلى بعد ثلاثة أميال في وادٍ يقال له "فخ" في ١٨ من ذى الحجة سنة ١٦٩هـ واشتبك معه في قتال عنيف حتى قتل الحسين بسهم^(٢) .

فرار إدريس بن عبد الله ❁ إلى المغرب

وكان من نتائج موقعة فخ فرار العلوي إدريس بن عبد الله ونجاته من أيدي العباسيين فتوجه إلى بلاد المغرب فكان له دور كبير في إقامة دولة للعلويين بعد أن أفلت إدريس بن عبد الله من يد العباسيين توجه إلى بلاد المغرب وكان بصحبته مولى يدعى "راشد"^(٣) فالبكري يذكر "فخرج به راشد .. بعد أن غير زيّه وألبسه مدرعة وعمامة غليظة وصيره كالغلام يخدمه وإن أمره ونهاه أسرع في ذلك فسلما حتى دخلا مصر ليلاً"^(٤) .

أما ابن أبي زرع فيذكر بعد أن عدد صفات راشد "وكان راشد من أهل النجدة .. فعمد إلى إدريس حين خرج به من القيروان

١- الهادي: موسى بن محمد بن عبد الله تولى الخلافة العباسية (١٦٩ - ١٧٠ هـ) انظر الطبري تاريخ الرسل والملوك ٣٩٥/٨، د . شاكر مصطفى: دولة بني العباس، الطبعة الأولى ١٩٧٣م الكويت ٤٤٧/١ .

٢- الطبري : تاريخ الرسل والملوك ١٩٢/٨ : ٢٠٤ .

٥ إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم انظر ابن أبي زرع : روض القرطاس ١٦/١ .

٣- راشد بن منصفه الأوربي : اختلف في أصله فقيل إنه من المولدين وقيل إنه حبشي وقيل إنه من البربر من قبيلة أوربة التي كان موطنها في صدر الإسلام بجبل زرهون . سبى مع أبيه منصفه في غزو الأمير موسى بن نصير ونقل معه إلى المشرق وهو الذي قام بأمر الدولة بعد وفاة إدريس بن عبد الله وكفل ابنه الإمام إدريس بن إدريس إلى أن شب وترعرع . استطاع إدارة شئون دولة الأدارسة وهي ما زالت في مهدها إلى أن قتل سنة ١٨٦هـ ودفن بجبل زرهون انظر البكري : المغرب ص ١٣٢ ، ابن أبي زرع : روض القرطاس ٣٢/١ ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام على مدينة فاس ، الرباط ، ١٩٧٢م ، ١٨/١ .

٤- المغرب : ص ١١٨ .

فألْبسه مدرعة صوف خشنة وعمامة غليظة وسيره
كالخادم له يأمره وينهاه كل ذلك خوفاً عليه وحيطة له^(١) .

أوجه الاتفاق والاختلاف في الروايتين :-

- ١- وجه الاتفاق على صحة راشد للإمام إدريس
والفرار من العباسيين والاتجاه به إلى بلاد المغرب .
- ٢- تمكن راشد من إجراء عملية تمويه وخداع للإمام إدريس حتى لا يلتفت
النظر إليه حيث ألبسه راشد بعض الملابس وغير من
وضعه حتى يصير كالغلام يأمره وينهاه .

وجه الاختلاف :-

يذكر البكري الملابس التي ارتداها الإمام إدريس ليلاً وقبل دخول ولاية مصر ،
أما ابن زرع فيفهم منها أن الإمام إدريس ارتدى هذه الملابس حين خرج به
راشد من مدينة القيروان ويبدو أن الرواية الأخيرة قد جانبها الصواب لأن راشداً
مولى الإمام إدريس يوصف بالعقل والحكمة وما كان لشخصية يمثل هذه
الأوصاف أن ينتظر حتى يخرج به من مصر ثم يجرى عملية التمويه هذه للإمام
إدريس لأن معظم الخطر عليه يقع في ولاية مصر هذا إلى جانب أن
ابن الآبار يؤيد رواية البكري فيذكر أن راشداً أخفى الإمام إدريس "وانغمس
به في حجاج أهل مصر وغير زيه وألبسه مدرعة وعمامة غليظة وصيره
كالغلام يخدمه وإن أمره ونهاه أسرع في ذلك وتخلص إلى إفريقيا"^(٢) أي بعد
دخول راشد والإمام إدريس ضمن وفد حجاج ولاية مصر ثم غير ملابس
إدريس قبل دخول ولاية مصر هذا وقد دخل إدريس مصر وعليها

١- روض القرطاس : ١٣/١ .

٢- الحلة السيرة ٩٨/١ .

"علي بن سليمان الهاشمي"^(١) من قبل الخليفة الهادي ، فمرا بدار مشيدة جميلة فرآهما صاحب الدار وعرف أنهما من بلاد الحجاز .. من مكة عند صاحب روض القرطاس ومن أهل المدينة عند البكري فبعد أن توسم فيه راشد الخير^(٢) اطمأن إليه وأخذ منه ميثاقاً إن لم يستطع مساعدتهما لم يسئ إليهما ولا يفش سرهما فقال له راشد هذا إدريس بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب خرج لقتال العباسيين مع الحسين بن علي فنجا من القتل وقد جئت به أريد بلاد البربر فإنها بلادنا لعله يأمن فيها ويعجز من يطلبه فقال لهما الرجل : لتطمئن نفوسكما فإن من شيعة أهل البيت وأولى من يكتم سره وستر أمرهما ثم أدخلهما إلى منزله فأقاما عنده مدة حتى استعدا للخروج من مصر والذهاب إلى إفريقية فاشترى المؤن وأعد الزاد وقال لراشد : أخرج أنت مع القافلة ، وأخرج أنا مع إدريس للذهاب من طريق غير معروف بعيداً عن أعين الحراسة ، ثم تواعدا على اللقاء في مدينة برقة حيث يكون الأمان بها أوفر وأكثر ، وخرج إدريس مع صاحبه حتى وصلا إلى مدينة برقة فانتظرا بها حتى لحق بهما راشد فجدد لهما الرجل المصري^(٣) التزود بالمؤن والزاد وانصرف راجعاً إلى مصر وتوجه الإمام إدريس مع مولاه راشد إلى إفريقية حتى بلغا مدينة القيروان هذا ما ذكره كل من البكري وابن أبي زرع^(٤) لكن ابن عذارى وآخرين يتفقون على أن راشداً وإدريس بعد فرارهما من

١- علي بن سليمان الهاشمي : تولى شئون مصر سنة ١٦٩هـ من الخليفة الهادي لا المهدي كما يذكر ابن أبي زرع : روض القرطاس ١١/١ . القلقشندي : صبح الأعشى ٤٢٦/٣ . بينما تروى مصادر أخرى أن المقصود هنا هو عامل البريد في مصر واسمه واضح ومعروف بالسكك وكان متشيعاً لآل البيت وقد عاقبه الخليفة الرشيد بالقتل والصلب انظر البكري : المغرب ص ١٢١ ، ١٢٢ ، السلاوي : الاستقصا ١٥٢/١ : ١٥٣ .

٢- الحديث عن البكري : المغرب ص ١١٩ على لسان راشد .

أما عند ابن أبي زرع : روض القرطاس ١١/١ فالحديث على لسانهما "إدريس وراشد" .

٣- لم تذكر المصادر اسم هذا الرجل .

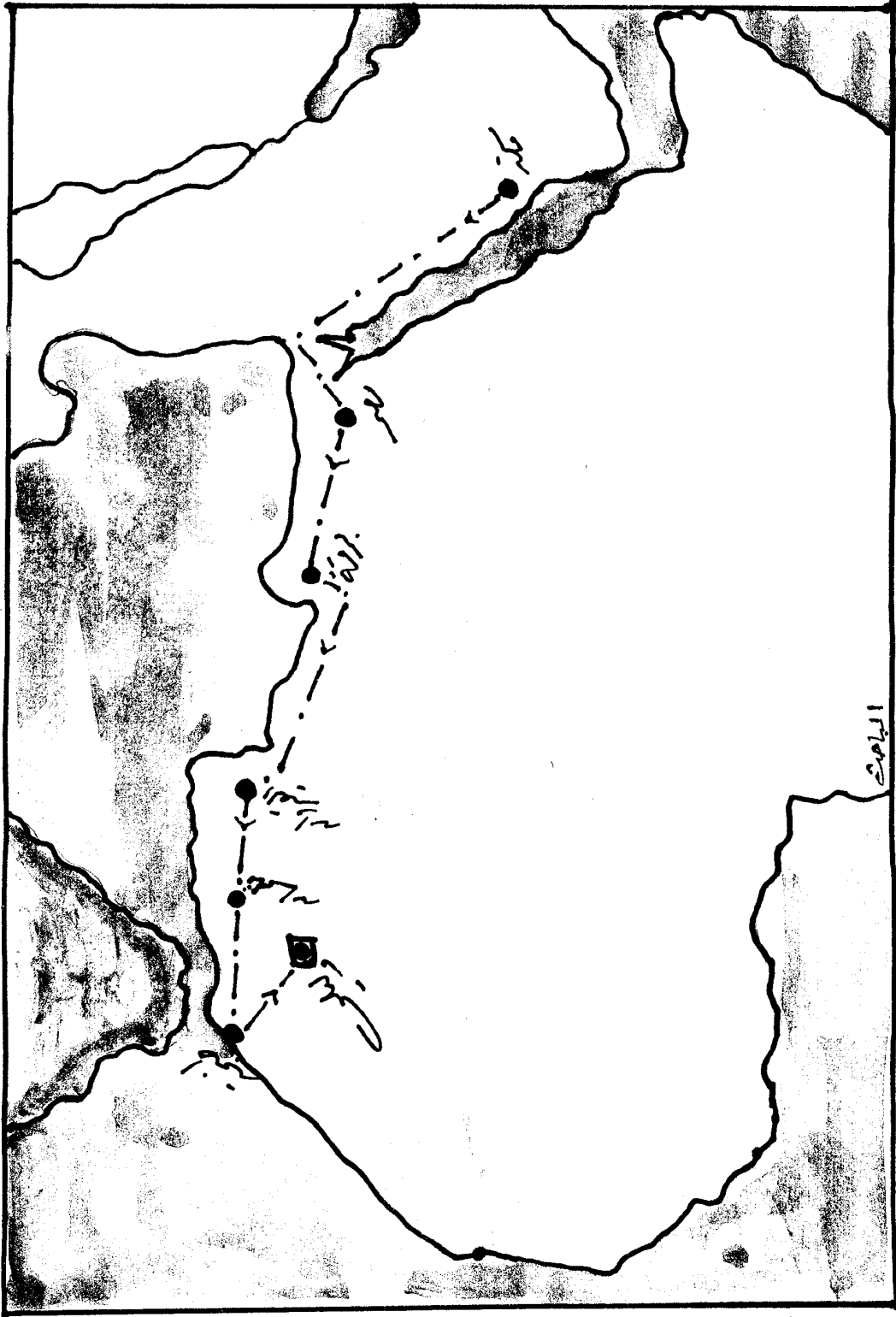
٤- المغرب ص ١١٩ . روض القرطاس ١٢/١ : ١٣ .

موقعة فخ توجهها إلى ولاية مصر " وكان على بريدها واضح مولى صالح بن منصور وكان رافضياً فحمله على البريد إلى أن صار إلى المغرب" (١) وأيضاً "وأما إدريس فإنه لحق بمصر وعلى بريدها يومئذ واضح مولى صالح بن منصور ويعرف بالمسكين وكان واضح يتشيع لآل البيت فعلم شأن إدريس وأتاه إلى الموضع الذى كان مستخفياً به ولم ير شيئاً أخلص له من أن يحمله على البريد إلى المغرب ففعل ولحق إدريس بالمغرب هو ومولاه راشد" (٢) .

ويبدو أن رواية البكرى بها من التفاصيل ما يرجحها على غيرها هذا وقد تمكن الإمام إدريس بن عبد الله ومولاه راشد من عبور ولاية مصر حتى وصلا مدينة القيروان فاستراحا بها قليلاً ثم دخلا مدينة تلمسان التى كانت بمثابة الباب الرئيسى للدخول إلى المغرب الأقصى ثم واصلا سيرهما حتى عبرا وادى ملوية ومنه إلى مدينة طنجة قاعدة بلاد المغرب فأقام بها أياماً فلم يجد فيها مراده وهدفه فرجع مع مولاه راشد حتى نزلا مدينة وليلى (٣) قاعدة جبل زرهون (٤) على صاحبها عبد الحميد الأوربي (٥) فأظهر له الإمام إدريس نفسه وعرفه بأمره فأكرمه عبد الحميد وبالغ في بره وجمع إخوانه وقبيلة أوربة (٦) فعرفهم بالإمام إدريس وقرابته من رسول الله (ﷺ) فقالوا : سمعاً وطاعة من منا

- ١- الرقيق القيروانى : تاريخ إفريقيا والمغرب ص ٢١٥، البيان ١/٢١٠ .
- ٢- ابن زرع : روض القرطاس ١/١٣ ، السلاوى : الاستقصا ١/١٣٨ .
- ٣- وليلى : ترجع إلى العصر الرومانى تقع بالقرب من جبل زرهون انظر الصديق بن عربى ص ٢٤٨ .
- ٤- جبل زرهون : يقع بالقرب من مدينة مكناس يبلغ ارتفاعه ١١١٩م تحف به غابة من الزيتون وبوسطه زاوية الإمام إدريس انظر الصديق بن عربى : المغرب ص ١٥٩ .
- ٥- عبد الحميد الأوربي : اسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوربي ينسب إلى قبيلة أوربة وهى من بربر البرانس كان لهم زعيم يطلق عليه "كسيلة" استطاع أن يقتل الأمير عقبة بن نافع فى مدينة تهوذه انظر البكرى : المغرب ص ١١٨، ابن زرع : روض القرطاس ١/١٥ ، السلاوى : الاستقصا ١/١٣٨ .
- ٦- أوربة : بطن من بطون البربر البرانس كانت تحتل المنطقة الواقعة بين زرهون ومنطقة تازا انظر الصديق بن عربى : المغرب ص ٦٣ . انظر شكل رقم (١)

خط سير اريس بن عبد الله
بعد فراره من موقعة فتح بالقرب من مكة
مارا بصرى و بقرية والقيروان و تلمسان و طنجة الى وليلى



نقله عن البكري في المغرب ص ١١٩ (١١٨)، ابن أبي زرع: روضة القرطاس ١/ ١٤: ١٤

يتوقف عن بيعته ؟ فكانت البيعة بالإجماع وخلع الطاعة العباسية^(١) في شهر رمضان سنة ١٧٢هـ — وكانت قبيلة أوربة أول قبائل البربر التي بايعت الإمام إدريس وأكثرها عدداً وأشدها قوة وبأساً ثم توالى مبايعة القبائل الأخرى للإمام إدريس^(٢) فعظم شأنه وقوى سلطانه وأقبلت عليه الوفود فاستقام له الأمر بالمغرب.

فتوح إدريس بن عبد الله في المغرب

بعد أن استقر الأمر لإدريس وقوى شأنه فكر في إنشاء جيش قوى يستطيع به أن يحقق أهدافه ويوسع مساحة نفوذه في المنطقة فاختار من عدة قبائل^(٣) أفضل ما لديها من الشباب القوى فخرج به غازياً إلى بلاد تامسنا^(٤) ثم توجه إلى بلاد تادلا^(٥) ففتحها وكان معظم سكان هذه المناطق على دين النصرانية واليهودية أما الإسلام فهو قليل فأسلم سكان هذه المناطق على يديه^(٦).

-
- ١- ابن زرع : روض القرطاس ١٥/١ ، السلاوى : الاستقصا ١٣٨/١ .
 - ٢- من هذه القبائل قبيلة زواغة وزداوة ولماية وصدراته وغيثاته ونفزة ومكناسة وغمارة **انظر** ابن أبي زرع : روض القرطاس ١٧/١ : ١٨ .
 - ٣- هذه القبائل هي : زناتة وأوربة وصنهاجة وهوارة وغيرهم . **انظر** ابن أبي زرع : روض القرطاس ١٩/١ : ٢٠ .
 - ٤- تامسنا : تطلق على الأراضى الواقعة بشاطئ المحيط من نهر أبى رقرق إلى نهر أم الربيع وكانت مركزاً لدولة برغواطة منذ القرن الثانى الهجرى حاربها الأدارسة والزناطيون والمرابطون سقطت وقضى عليها فى عهد الموحدين الذين استقدموا إلى هذه المنطقة أعراباً من بنى هلال القادمين من الشرق فاندمجوا مع السكان وأصبحت تعرف منذ ذلك الحين "بالشاوية" **انظر** الصديق بن عربى : المغرب ص ٩٧ .
 - ٥- تادلا : "تادله" تقع هذه المدينة على بعد ٢٠٠ كم جنوب شرق مدينة الدار البيضاء ترتفع عن سطح البحر حوالى ٥٠٠م على الضفة اليمنى لوادى أم الربيع ويعرف هذا الإقليم قديماً باسم فازاز **انظر** الصديق بن عربى : المغرب ص ٩١ .
 - ٦- ابن أبي زرع : روض القرطاس ٢١/١ .

أراد الإمام إدريس أن يطمئن على ولاء هذه المناطق له فتابع المتحصنين بالمعاقل والجبال حتى استطاع أن يجتذبهم إلى الإسلام وخاصة حصون فندلاوة^(١) وبلاد فازاز^(٢) وعندما انتهى الإمام إدريس واطمئن إلى حال هذه المنطقة عاد إلى مدينة ولىلى حتى استراح جيشه ثم توجه به إلى المغرب الأوسط بعد أن رسم خطة يستطيع من خلالها التحرك إلى أى المناطق فوق اختياره على مدينة تلمسان^(٣) ونزل بخارجها فأتاه أميرها محمد بن خزر بن صولات المغراوي^(٤) حيث طلب منه الأمان والدخول فى طاعته فأجاب الإمام إدريس إلى ذلك ومن معه بمدينة تلمسان فدخّلها الإمام إدريس صلحاً وأمن أهلها وبنى بها مسجداً وأتقنه وصنع فيه منبراً وكتب عليه "بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أمر به إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضى الله عنهم وذلك فى شهر صفر سنة أربع وسبعين ومائة"^(٥). انظر شكل رقم (٢)

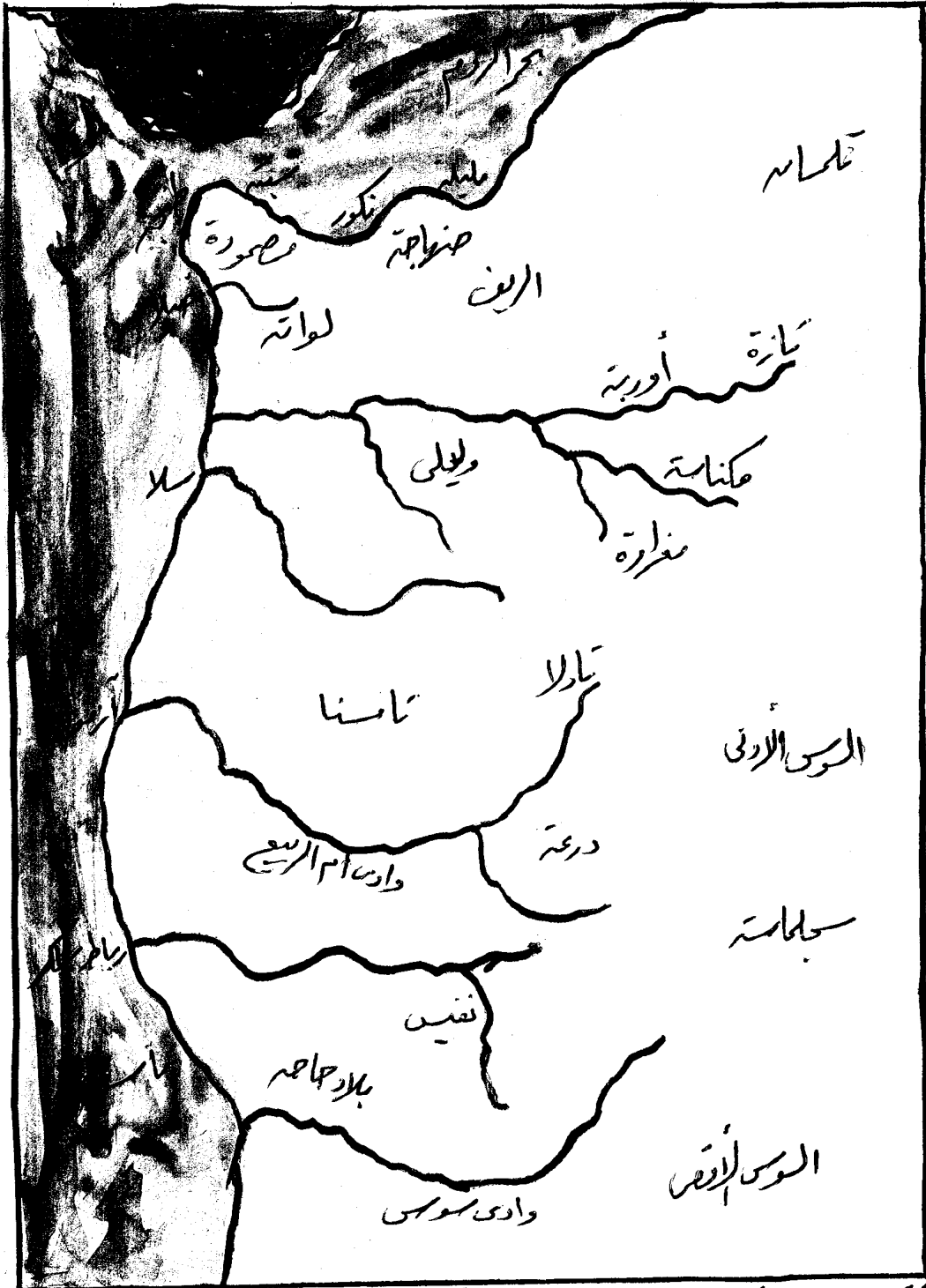
١- فندلاوة: لعها فندلاو التى بالقرب من مدينة فاس بنواحي صفرو وينسب إليها أبو الحجاج بن دوناس الفندلاوى الفقيه المالكى الذى استوطن دمشق وخرج مع أهلها لمحاربة الصليبيين سنة ٥٤٣هـ توفى فى ميدان القتال
انظر ابن زرع : روض القرطاس ٢١/١ .

٢- المصدر السابق .

٣- اختار إدريس مدينة تلمسان لقربها من مدينة ولىلى وبها قبائل لم يتابعه مثل قبائل مغراوة وبنى يفرن انظر ابن زرع : روض القرطاس ٢٢/١ ، السلاوى : الاستقصا ١٤٢/١ .

٤- محمد بن خزر المغراوي "الخزرى" أحد شيوخ قبيلة مغراوة بمدينة تلمسان انضم إلى الإمام إدريس بن عبد الله وبايعه هو وقبيلته وذلك فى عام ١٧٣هـ انظر ابن زرع : روض القرطاس ٢٢/١ . السلاوى : الاستقصا ١٤٢/١ .

٥- المصدران السابقان .



أماكن قبائل البربر في المغرب الأقصى قبل إنشاء مدينة فاس
إعداد وتنفيذ الباحث نقلا عنه د. عبد العزيز سالم، المغرب الكبير ٩٤٢/٢

خطة مقتل إدريس بن عبد الله

كان من الطبيعي أن يوسع إدريس دائرة نفوذه ويستولى على مدن من إفريقيا الواحدة تلو الأخرى وهذا ما كان يحشاه الخليفة العباسي "الرشيد"^(١) فخشى أن تنتزع منه إفريقيا فما كان من الخليفة إلا أن فكر في إرسال جيش ضخم لقتال إدريس ولكن منعه طول المسافة وبُعد المغرب عن المشرق وأن جيوش الخلافة لا طاقة لها بالوصول إلى هذه المناطق وإلا هلكت في الطريق إذ المواجهة العسكرية صعبة التنفيذ عملياً فأشير إليه أن يبعث برجل له من المواصفات الخاصة التي تمكنه من قتل الإمام إدريس ، مثل الحزم والجرأة والمكر والدهاء فيقتله بحيلة وبدون مشقة وبالفعل تم اختيار رجلاً يدعى "سليمان بن جرير"^(٢) وقدم على الإمام إدريس بمدينة ويلي فطلب منه الإمام التعرف عليه فذكر له أنه من بعض موالى أبيه وعندما سمع بخبره ما تردد في القدوم إليه محبته فيه ولآل البيت فأنس به الإمام إدريس وسر به سروراً عظيماً لأنه وجد نفسه بين سكان المغرب باختلاف طباعهم^(٣) .

١- هارون الرشيد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس (١٧٠ : ١٩٣هـ) **انظر** الطبري : تاريخ الرسل والملوك ٢٣٠/٨ .

٢- ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، الدار البيضاء ١٩٦٤م ١٩٣/٣ .
سليمان بن جرير ويعرف "بالشماخ" ويسمى سليمان بن جرير الجزري أيضاً يوصف بأنه كان رجلاً من ربيعة حلواً شجاعاً أحد شياطين الإنس اختاره وزير الرشيد "خالد بن يحيى البرمكي" ليقوم بقتل الإمام إدريس ووعدته بالرفق والمنزلة العالية وزوده بما يحتاجه من مال وغيره والتقى بإدريس واستخدم مواهبه في الخداع والتمويه واستغل طلاقته في الكلام وصناعة الجدل والظرف فأعجب به إدريس وقربه منه حتى صار من ملازميه ولا يأكل إلا معه وعندما سنحت الفرصة استطاع قتله **انظر** البكري : المغرب ص ١١٩ : ١٢١ . ابن أبي زرع : روض القرطاس ٢٤/١ : ٢٥ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ١٩٠/٣ : ١٩٢ .

٣- اتسمت طباع بعض سكان المغرب في هذه الفترة بالجفاء والغلظة **انظر** ابن الخطيب : أعمال الأعلام ١٩٣/٣ .

في هذا الوقت كان راشد مولى الإمام إدريس لا يفارقه فاستغل سليمان بن جرير الفرصة ووجد الإمام إدريس في خلوة وراشد مولاه غائب عنه لبعض أموره فقال له سليمان "جعلني الله فداك في هذه القارورة غالية حملتها معي وليس ببلدك من الطيب ما يتخذ هذا منه فجئتك بها لتطيب بما فيها ووضعها بين يديه ففتحتها إدريس وتغلف منها وشمها"^(١).

وعندما تأكد سليمان بن جرير أن الإمام إدريس قد فتح القارورة وشمها شعر أن هدفه القادم إليه قد تم ، وبجيلة ذكية وبذكاء أيضاً تظاهر أنه يريد قضاء حاجته وذهب إلى منزله وركب فرساً مميزاً أعده للهرب به وخرج من مدينة ولى حتى يمكن له النجاة وبالفعل قطع مسافة من الأرض وبعد عن ولى ، علم راشد بخبر مولاه إدريس فدخل عليه وهو في لحظاته الأخيرة لا يستطيع الكلام حيث أن القارورة التي شمها الإمام إدريس بها سم وعندما استنشق الإمام إدريس الطيب صعد السم إلى رأسه فأغمى عليه ثم سقط على الأرض لا يعلم أحد ما به ولا ما أصابه من أذى فما كان من راشد إلا أن بحث عن سليمان فلم يجده وعلم أنه هرب من المدينة فعلم أنه هو الذي سم الإمام فتبعه راشد في جموع من البربر واستطاع اللحاق به بعد بحث طويل وأدركه عند نهر ملوية^(٢).

لقاء راشد مولى إدريس وسليمان قاتله

- ١- البكري : المغرب ص ١٢١ . يذكر ابن أبي زرع هذا النص كالاتي "فقال يا سيدي جعلت فداك إني جئت من المشرق بقارورة طيب أتطيب بها . ثم إني رأيت هذه البلاد ليس بها طيب فرأيت أن الإمام أولى بها مني فخذها تطيب بها فقد أثرتك على نفسي وهو من بعض ما يجب لك على ذلك ثم أخذ القارورة ففتحتها وشمها" انظر روض القرطاس ٢٥/١ . أرى أن رواية البكري أعم وأشمل لأن رواية الروض ترى أنه أخرج قارورة الطيب من وعاء وهذا الوعاء يجعل الشك فيه أكبر وهو ينتهز الفرصة لإتمام مهمته فليس من المعقول أن يخرج بالوعاء من منزله إلى منزل الإمام إدريس ولا يثير الشك به من قبل راشد الذي نادراً ما كان يفارقه .
- ٢- ابن أبي زرع : روض القرطاس ٢٦/١ . لم يذكر البكري المكان الذي التقيا فيه .

حدثت مواجهة بين راشد وسليمان ذكرها كل من البكري وابن أبي زرع كالآتي : يذكر البكري بعد بحث راشد عن سليمان "لحق راشد فانحرف إليه سليمان ليمنعه من نفسه فخبطه راشد بالسيف فكتع يده وضربه بالسيف على وجهه ورأسه ثلاث ضربات كل ذلك لا يصيب مقتلاً"^(١) .
ويذكر ابن أبي زرع هذا المشهد كالتالي عندما وجد راشد سليمان "فصاح راشد وشد عليه بالسيف فقطع اليمنى وشجه في رأسه ثلاث شجات وجرحه في جسده كل ذلك لا يصيب له مقتلاً"^(٢) .

المعنى في الروايتين واحد ولكن طريقة الحوار مختلفة فنجد أن رواية البكري أقوى من الثانية لأن البكري ذكر أن سليمان حاول الدفاع عن نفسه وهذا شئ طبيعي ويبدو أن هذا الدفاع هو سبب نجاة سليمان من يد راشد .

ولى ملاحظات على الروايتين :-

- ١- كيف لإنسان أن تقطع يده ويُضرب عدة ضربات في جسده ورأسه ويكون بهذه القوة للمقاومة والإصرار على الهرب والوصول إلى المشرق؟
- ٢- يجمع كل من البكري وابن أبي زرع على خروج راشد للبحث عن سليمان ليس بمفرده "ركب في طلبه جماعة من أصحابه"^(٣) أما الثاني فيذكر "فركب في جموع من البربر"^(٤)

هل هذه الصحبة أو الجموع لم تستطع الوصول إليه ؟

وأين كانت وقت المواجهة بين الطرفين ؟

أم أنها لم تكن موجودة أصلاً وتختلفت عن راشد من كثرة البحث والإرهاق عن سليمان ؟

١- المغرب ص ١٢١ .

٢- روض القرطاس ٢٦/١ .

٣- المغرب ص ١٢١ .

٤- روض القرطاس ٢٦/١٠ .

أم إنها وجدت لإعطاء نوع من البطولة لراشد مولى إدريس ؟
 هذا ونجد ابن أبي زرع يذكر أنه "لم يلحق به أحد من القوم إلا راشد
 وحده أدركه"^(١) هذا يدل على التشكك في قصة ضرب راشد لسليمان إلى
 جانب أن البكري ذكر أن سليمان لم يكن بمفرده بل كان معه صاحب
 وقطع سليمان وصاحبه على فرسيهما بلاداً .. ونجا سليمان بمحاشاة
 نفسه وصاحبه قد خذله فلم يغن عنه شيئاً ولم يكن عنده إلا الهرب"^(٢)
 لم نعرف ولم يذكر أن سليمان عندما كلف بمهمة قتل إدريس وجود
 صاحب أو رفيق له في هذه المهمة ولم يذكر إلا عندما وقع سليمان في الخطر .
 كان سليمان يتمتع بمواصفات رشحته للقيام بهذه المهمة فلا بد أن يكون
 صاحبه على الأقل به معظم صفات سليمان وإلا فشلت المهمة . يؤكد هذا
 نفس رواية البكري "لم يكن عنده إلا الهرب" العبارة بصفة الأفراد ولم يذكر ما
 يدل على وجود هذا الصاحب .

لذلك أرجح عدم وجود مواجهة بين راشد وسليمان كما ذكر
 ابن أبي زرع كما لا نتصور وجود صاحب لسليمان كما ذكر البكري ونعلل
 وجودهما بإعطاء راشد مولى إدريس نوعاً من البطولة الغير حقيقية والتي لا
 تتمشى مع سير الأحداث الطبيعية .

وفاة إدريس بن عبد الله ١٧٥هـ

توفي إدريس على أثر استنشاقه لقارورة بها سم على أنها طيب
 والبكري يذكر أكثر من طريقة لإعطاء الإمام إدريس هذا السم فيذكر :

١- روض القرطاس ٢٦/١ .

٢- المغرب ص ١٢١ .

١- فوجه إليه الرشيد رجلاً من مواليه .. فى هيئة المتطيب وكان بإدريس وجع بجنده فى أسنانه فوضع "الشماخ فى ذلك الموضع ذروراً مسموماً وخرج من ساعته فقتل السم إدريس"^(١) و يعتبر مرض الأسنان شائع بين الناس وسهل المعالجة ولكن من الصعب مراقبة إدريس بهذه الدقة حتى يعرف أن أسنانه مريضة ويبحث له الخليفة طبيياً يتظاهر فى هذه المهمة .

٢- ذكر أن الإمام إدريس قد تم "سمه فى دلاعة"^(٢) قطعها بسكين قد سم أحد جانبيه فلما قطعها ناوله الذى باشر السم وأكل هو الآخر"^(٣) .

قرب راشد من إدريس لا يجعل له فرصة بأن يدخل مكان إعداد الطعام أو حتى يستخدم السكين فى تقطيع الدلاع فى حضرة المجلس الموجود به الإمام إدريس وسليمان ليس بهذه البلاهة لأن يستخدم هذه الطريقة وخاصة فى حضور عليّة القوم مع الإمام .

٣- قيل أيضاً أن الإمام إدريس تناول السم فى الحوت الشابل^(٤) .

٤- وقيل أيضاً فى حبة عنب أهداها إليه فى غير إبانه^(٥) .

ومن الجدير بالذكر أن الإمام إدريس قد وجد ترحيباً كبيراً بين قبائل

الزبر بسبب صلة القرابة التى تربطه بالرسول الأعظم (ﷺ) وكان من العسير

١- المغرب ص ١٢١ . يؤيد الرقيق القيروانى : تاريخ إفريقيا والمغرب ص ٢١٥ البكرى فى طريقة سم إدريس .

٢- الدلاع : فاكهة معناه البطيخ السندى كما عند أهل الأندلس "رجى" عند أهل العراق و"جبس" عند أهل الشام و"حبب" عند أهل الحجاز و "بطيخ" عند المصريين وعند المغاربة "دلاح أو دلاع" *انظر* ابن الأبار : الحلة السراء ١/٩٩ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ٣/١٩٤، ١٩٥ .

٣- المغرب : ص ١٢١ .

٤- السلاوى : الاستقصا ١/١٤٤ .

الحوت الشابل : أى السمك الشابل يطلق المغاربة لفظ الحوت على السمك .

٥- السلاوى : الاستقصا ١/١٤٤ .

على سليمان وجود من يتعاون معه لتنفيذ هذه المهمة أو يثق في أحد لا يفشى له هذا السر وكان لابد له من القيام بهذه المهمة بنفسه .

من استعراض ما تذكره المصادر السابقة يتضح أن الإمام إدريس قد قتل بالسم وأن القاتل هو سليمان بن جرير "الشماخ" لكن كثرة الآراء في طريقة تناوله لمادة السم تدل على عدم وجود أحد أثناء تنفيذ هذه المهمة لفترة قليلة تسمح باستخدامه لزجاجة الطيب مما يرجح رواية البكرى التي يفهم منها هذا .

توفي الإمام إدريس بن عبد الله في سنة ١٧٥هـ^(١) فرجع راشد بعدما فشل في القبض على سليمان بن جرير ، فقام بدفن الإمام الذي مات دون أن يترك أولاداً إلا أن أم ولده تركها حبلية تسمى "كثرة"^(٢) في الشهر السابع من حملها وعندما فرغ من دفن الإمام إدريس جمع راشد مشايخ القبائل ووجوه الناس فأخبرهم أن الإمام لم يترك ولداً يخلفه في إدارة شئوننا ولكن ترك جاريته على وشك الوضع فإن اجتمع رأيكم على أن تصبروا حتى تضع هذه الجارية حملها فننظر في الأمر إذا كان المولود ذكراً أحسنا تربيته حتى إذا بلغ مبلغ الرجال بايعناه وتمسكنا بدعوة آل البيت وبذرية رسول الله (ﷺ) وإن كان غير

-
- ١- اختلفت المصادر في تحديد الشهر والسنة التي توفي فيها إدريس بن عبد الله :
 أ - البكرى : المغرب ص ١٢٢ . ابن عذارى : البيان ٢١٠/١ . اتفقا في ذكر السنة دون الشهر .
 ب- ابن الخطيب : أعمال الأعلام ١٩٤/٣ اتفق معهما في ذكر السنة مع ذكر الشهر آخر ربيع الأول .
 ج- ابن الأبار : الحيلة السيرة ١٠٠/١ شك في السنة دون ذكر الشهر سنة ١٧٤هـ ، ١٧٥هـ .
 د - ابن زرع : روض القرطاس ٢٦/١ . السلاوى : الاستقصا ١٤٤/١ اتفقا في ذكر الشهر والسنة شهر ربيع الآخر سنة ١٧٧هـ أما سنة ١٧٥هـ فقد ذكرت أكثر من مرة .
 ٢- كثر : تنسب إلى قبيلة نفزه وهي من القبائل المغربية الكبرى وهي من أوائل القبائل التي بايعت الإمام إدريس عند نزوله لأرض المغرب **انظر** ابن الخطيب : ١٩٥/٣ ، ابن زرع : روض القرطاس ١٨/١ . ابن الرقيق القيروانى : تاريخ إفريقيا والمغرب ص ٢١٦ يسـمـيها كـثـيرة البربرية

ذلك نظرتم في هذا الأمر لأنفسكم من ترضونه بأن يتقدمكم ويكون أهلاً لذلك فأجمعوا على رأى راشد ورأوا ما رآه بل أكثر من ذلك فقد كلفوه بأن يتولى أمرهم كما كان الإمام إدريس يفعل معهم من صلاة بهم والقضاء بينهم بكتاب الله وسنة نبيه (ﷺ) إلى أن يحين وقت حالة الوضع وقالوا أيضاً حتى "وإن وضعت جارية نظرنا في أمرنا على أنك أحق الناس به لفضلك ودينك وعلمك"^(١).

فتولى راشد أمر البربر بعد أن شكرهم على موقفهم وحسن تقديرهم له ، فوضعت كثرة مولوداً ذكراً كان أشبه الملامح بأبيه^(٢) فأخذه راشد وأخرجه إلى مشايخ ووجوه قبائل البربر فنظروا إليه واطمأنوا وأطلق عليه راشد اسم أبيه "إدريس" وتولاه بالرعاية حتى اعتدل قوامه^(٣) فعلمه قراءة القرآن وحفظه وكان هذا التعليم في سن ثمان سنوات ثم علمه السنة النبوية والحديث والفقه والنحو والشعر وسير الملوك وسياستها ثم دربه على مهارة ركوب الخيل والرمى بالسهم حتى يستطيع أن يكون على مستوى أمور القيادة التي كان يتمتع بها أبوه وعندما أتم سن الحادية عشر أخذ له راشد البيعة من سائر القبائل فبويع له بجامع ويلي في يوم الجمعة مهلاً شهر ربيع الأول من سنة ستة وثمانين ومائة^(٤).

قام راشد مولى إدريس بن عبد الله عام ١٧٥هـ بأمر إدريس الثاني وكفله حتى علا أمر راشد ثم هم بغزو إفريقيا لما كان عنده من القوة

١- ابن أبي زرع : روض القرطاس ٢٨/١ . السلاوى : الاستقصا ١٤٥/١ .

٢- ذكر ابن أبي زرع فى روض القرطاس ٢٩/١ صفات إدريس بن إدريس "كنيته أبو القاسم . صفته صفة أبيه كان أبيض اللون مشوباً بحمرة أكحل أجعد تام القد جميل الوجه أفنى الأنف مليح العينين واسع المنكبين شتى الكفين والقدمين أبلج أفلج أدعج فصيحاً بليغاً أديباً عاملاً بكتاب الله تعالى قائماً بحدوده راوياً لحديث

النبي (ﷺ) عارفاً بالفقه والسنة والحلال والحرام وفصول الأحكام ورعاً تقياً جواداً كريماً حازماً بطلاً شجاعاً له عقل راجح وحلم واسع وإقدام فى مهمات الأمور" .

٣- ابن الأثير : الحلة السيرة ١٠٠/١ .

٤- الجزنائى : زهرة الأس فى بناء مدينة فاس ، الجزائر ، ١٩٢٢ ص ١٢ .

وكثرة الجنود وقام بشنون هذه المنطقة هنا أحس إبراهيم بن الأغلب^(١) بالخطر الذى يتهده من نمو هذه القوة الناشئة بجانبه فبادر إلى التخلص من راشد فدى إليه من أصحابه وأكثر لهم الأموال إلى أن اغتالوه وبعثوا إليه برأسه^(٢) .

استطاع ابن الأغلب التخلص من راشد ولكنه لم يستطع التغلب والقضاء على إدريس الثانى الذى بويع من قبائل البربر قبل ميلاده ثم رضيعاً ثم شاباً وبدأت تظهر عليه مواهب مبكرة من عمره مما أثار إعجاب جموع البربر التى بادرت بمبايعته والالتزام بدعوته^(٣) .

وهنا نقطة لا بد أن نعرج عليها قبل مغادرة المكان وهى من الذى أخذ البيعة للإمام إدريس الثانى هل هو مولاه راشد أم غيره ؟

مناقشة الروايات المختلفة حول هذا الموضوع :-

- ١- يذكر البكرى فى هذا ما نصه "توفى راشد سنة ست وثمانين ومائة .. فقام بأمر الغلام أحد قادة البربر^(٤) واستطاع أخذ البيعة له يوم الجمعة السابع من ربيع الأول سنة سبع وثمانين وهو ابن احدى عشرة سنة"^(٥) .
- أ- معنى هذا أن راشد لم يتمكن من أخذ البيعة لإدريس بسبب مقتله .

١- إبراهيم بن الأغلب بن سالم عقاب بن خفاجة التميمى : كان فقيها عالما خطيبا شاعرا إذا رأى وبأس و حزم ، جرىء الجنان طويل اللسان حسن السيرة كثير الطلب للعلم لم يل إفريقيا قبله أحد من الأمراء أعدل منه سيرة وأحسن سياسة ولا أرفق برعيته ولا أحبط للأمر توفى سنة ١٩٦ هـ *انظر الرقيق القيروانى* : تاريخ إفريقيا والمغرب ص ٢١٢ ، ابن الأبار : الحلة السيرة ١/١٠٠ ، النويرى : نهاية الأرب ٢٤/١٠٠ : ١٠٥ .

٢- ابن الأبار : الحلة السيرة : ١/١٠٠ ، ابن أبى زرع : روض القرطاس ٣٢/١ : ٣٣ ، السلاوى : الاستقصا ١/١٤٦ .

٣- ابن أبى زرع : روض القرطاس ١/٣٤ ، السلاوى : الاستقصا : ١/١٤٧ .

٤- ويدعى أبو خالد يزيد بن إلياس *انظر السلاوى* : الاستقصا ١/١٤٦ .

٥- المغرب ص ١٢٢ : ١٢٣ .

ب- هنا خطأ في تسلسل تاريخ الأحداث $175 + 11 = 186$ لا 187 كما يذكر .

ج- هذا التناقض يقلل من قيمة هذه الرواية .

٢- ابن أبي زرع يذكر روايتين ما نصهما "ولما كمل الإمام إدريس بن إدريس من العمر إحدى عشرة سنة وخمسة أشهر عزم مولاه راشد على أخذ البيعة له من قبائل المغرب من البربر وغيرهم .. وذلك في سنة ثمانية وثمانين ومائة فقام بأمر إدريس بعده أبو خالد يزيد بن إلياس العبدى^(١) فأخذ له البيعة من جميع القبائل وذلك يوم الجمعة غرة ربيع سنة ١٨٨هـ بعد مقتل راشد بعشرين يوماً وهو ابن إحدى عشرة سنة وخمسة أشهر" .

وفي مكان آخر يذكر أيضاً "إن راشد لم يمّت حتى أخذ البيعة لإدريس بالمغرب وأن الإمام إدريس لما كمل إحدى عشرة سنة .. وذلك يوم الجمعة سابع ربيع الأول سنة ١٨٨هـ"^(٢) .

هذه الرواية تذكر مولد الإمام إدريس سنة ١٧٧هـ ومقتله في نفس سنة البيعة ١٨٨هـ وعمر إدريس إحدى عشرة سنة وتمت البيعة لإدريس بعد عشرين يوماً من مقتل راشد لكنه يذكر أيضاً أن راشد مولى إدريس هو الذى تولى أخذ البيعة له سنة ١٨٨هـ .

اختلاف التواريخ في هذه الرواية أدى إلى النقص من أهميتها هذا إلى جانب التردد الموجود بها فيذكر ابن أبي زرع سنة الميلاد ١٧٧هـ أضاف سنتين عن الميلاد الحقيقى ولم يؤيده أحد من المؤرخين .

١- لم تذكر المصادر أى ترجمة له .

٢- روض القرطاس ٣٣/١ : ٣٤ .

٣- ابن عذارى يذكر "فولي إدريس بن إدريس سنة ١٨٧هـ وهو ابن إحدى عشرة سنة"^(١) فيكون الفرق سنة للتاريخ المتواتر وبهذا يخالف تاريخ البيعة المذكور عنده وعند غيره .

٤- رواية ابن الخطيب تعتبر أقرب إلى الصحة من غيرها فهو يجعل ميلاد إدريس في ربيع الآخر سنة ١٧٥هـ وعندما أتم سن العاشرة جدد له راشد البيعة ومقتل راشد سنة ١٨٦هـ^(٢)

معنى هذا أن راشد أخذ البيعة حسب تسلسل التواريخ سنة ١٨٥هـ ولهذا يبدو أن إدريس قد أكمل عامه العاشر "في نهايته" فينطبق هذا التسلسل على تاريخ مقتل راشد مع بيعة إدريس .

وعليه نستطيع القول بأن راشداً أخذ البيعة لإدريس بن إدريس قبل ميلاده سنة ١٧٥هـ وجدد له البيعة وهو مازال صغيراً ، وعندما عزم على عقد البيعة الشرعية له في المسجد من سائر القبائل سنة ١٨٦هـ قتل وأخذت للإمام إدريس بن إدريس في نفس السنة وبعد عشرين يوماً كما ذكر .

وأرجح أن هذا يمكن أن يكون راجعاً إلى أن إبراهيم بن الأغلب ما كان ينتظر معظم هذا الوقت دون القيام بعمل يعجل فيه بالقضاء على هذه الدولة الناشئة فاختار وحدد الهدف ألا وهو العقل المدبر والراعى للإمام إدريس بن إدريس قبل أن يستفحل أمره فلعبت العاطفة دوراً بعد مقتل راشد في عملية البيعة لأن سن الحادية عشرة صغيرة نسبياً على تحمل أعباء الحكم ولم تكن الفصاحة التي يتمتع بها الإمام إدريس هي العامل المباشر لبيعته كما قال صاحب الروض .

١- البيان ٢١٠/١ .

٢- أعمال الأعلام ١٩٧/٣ .

تأسيس مدينة فاس

اتسمت الفتوحات الإسلامية التي تمت منذ وفاة الرسول (ﷺ) بقوة الإصرار والعزم على المواصلة والاستمرار حتى يتم نشر الإسلام واللغة العربية وإذا كان العرب يريدون الاستقرار والإقامة في المغرب الأقصى فلا بد لهم من مركز رئيسي ومكان دائم يعتمدون عليه لتحقيق هدفهم وفي سبيل ذلك كان التفكير في إقامة مدن جديدة النشأة والتكوين تدل على وجود المسلمين وإشعار غيرهم بأنهم جاءوا ليقبوا وتنفيذ ما خرجوا إليه وهذا ما نفذه وقام به الأمير عقبة بن نافع الفهري عندما تولى الفتوحات في إفريقيا سنة ٥٠ هـ فبادر بإنشاء مدينة القيروان واختار المكان ورسم الخطط لتقسيم المدينة ثم أتم بناءها سنة ٥٥ هـ^(١) فأدت مدينة القيروان دوراً هاماً في إرساء واستقرار واستمرار وجود المسلمين بهذه المنطقة .

وما كان لإدريس بن عبد الله أن يغفل دور مدينة القيروان لتحقيق الهدف الأصلي وهو تبليغ وتأكيد دعوة الله بالمغرب الأقصى ثم الوسيلة إلى ذلك هو الدفاع عن هذه الدعوة بالتحالف مع بعض القبائل كأوربة وشيخها محمد بن عبد الحميد الأوربي وذلك سنة اثنتين وسبعين ومائة^(٢) حتى تكون سنداً له وحماية لتحقيق تأسيس مدينة فاس .

كان الهدف الديني لإدريس بن عبد الله واضحاً من تأسيس مدينة فاس حين قال "اللهم اجعلها دار علم وفقه يتلى بها كتابك وتقام بها حدودك واجعل أهلها مستمسكين بالسنة والجماعة ما أبقيتها"^(٣) .

١- ابن عذاري : البيان ٢٠، ١٩/١ .

عقبة بن نافع : تولى جيوش المسلمين في فتح إفريقيا له فتوحات عظيمة بإفريقيا أنشأ مدينة القيروان عام ٥٠ هـ قتل سنة ٦٣ هـ انظر : ابن الأثير : أسد الغابة ، كتاب الشعب، القاهرة ٥٩/٤ : ٦٠ .

٢- البكري : المغرب ص ١١٨ . ابن عذاري : البيان ٢١٠/١ .

٣- ابن أبي زرع : روض القرطاس ٤٨/١ . الجزنائي : زهرة الأس ، ص ١٧ .

هذا إلى جانب أنها "لم تنزل .. من حين أسست دار فقه وعلم
وصلاح ودين"^(١) .

وهكذا يبدو أن السبب واضح في عز الإسلام ونشر تعاليمه وإفساح
المجال أمام إشعاعه حتى يهدى القلوب ويزيل الضلالة فقد قصدتها كثير من
العلماء والفقهاء والصلحاء والأدباء والشعراء والأطباء وغيرهم^(٢) .

وهناك إجماع من المؤرخين على استقرار إدريس بن عبد الله
في مدينة ولىلى سنة ١٧٢هـ^(٣) .

توقيت الإنشاء :

يوجد خلاف واضح حول تاريخ نشأة مدينة فاس وخاصة بعد ظهور
بحث للأستاذ / ليفى بروفنسال^(٤) يدور حول تاريخ ونشأة مدينة فاس
فكان من المتواتر لدى معظم المؤرخين أن نشأة المدينة تم في عهد إدريس بن
إدريس بن عبد الله "الثاني" سنة ١٩٢هـ وبظهور هذا البحث طُرحت نظرية
جديدة تقول أن نشأة مدينة فاس تم على يد إدريس الأول سنة ١٧٢هـ وعلى
ضوء هذه النظرية أصبح لدينا اختلاف حول مؤسس مدينة فاس ، إدريس بن
عبد الله سنة ١٧٢هـ ، أم إدريس بن إدريس بن عبد الله سنة ١٩٢هـ .
الخلاف يدور بين طرفين والآن أستعرض أدلة كل طرف ثم أقوم بالتحليل :

الطرف الأول : أصحاب النظرية الجديدة ويتبناه المستشرق الفرنسي
ليفى بروفنسال فهو ينفي الفكرة السائدة القائلة بأن مؤسس مدينة فاس هو

١- ابن زرع : روض القرطاس ٤٠/١ .

٢- المصدر السابق ٤٧/١ ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ٤٨/١

٣- البكرى : المغرب ص ١١٨ ، ابن عذارى : البيان ٢١٠/١ ، ابن الأبار :
الحلة السيرة ٥٤/١ : ٥٥ .

٤- ترجم هذا البحث فى كتاب إلى اللغة العربية و بعنوان "الإسلام فى المغرب والأندلس"
ترجمة د. السيد عبد العزيز سيالم والأستاذ / صلاح الدين حلمى وراجعته
د. لطفى عبد البديع ١٩٩٠م

إدريس الثاني سنة ١٩٢هـ وأول إشارة وردت بهذا المعنى تذكر أن مدينة "فاس مدينة جليلة يشقها نهر وهي جانبان يليهما أميران مختلفان وبين أهل الجانبين الفتن الدائمة والقتل الذريع المتصل ونهرها كبير غزير الماء عليه أرحية كثيرة ، وهي مدينة خصبة مفروشة بالحجارة أحدثها إدريس بن إدريس"^(١) .

ثم ظهر وصف شامل لمدينة فاس في رواية البكري فيقول "مدينة فاس مدينتان مقترنتان مسورتان وبينهما نهر يطرد وارحاء وقناطر وعدوة القرويين في غربي عدوة الأندلسيين ... وأسست عدوة الأندلسيين في سنة اثنتين وتسعين ومائة وعدوة القرويين في سنة ثلاث وتسعين ومائة في ولاية إدريس بن إدريس"^(٢) ويذكر البكري في مكان آخر بعد أن تمت البيعة لإدريس واكتشاف المؤامرة المدبرة له من تجاه ابن الأغلب عن طريق اسحاق الأوربي فقتله وبعث رأسه إلى المشرق "ثم نزل مدينة فاس في عدوة الأندلسيين وأقام بها شهراً وذلك سنة اثنتين وتسعين ومائة ، وكانت عدوة القرويين غياضاً في أطرافها أبيات من زواجة فأرسلوا إلى إدريس فدخل عندهم فأسس مدينة القرويين سنة ثلاث وتسعين"^(٣) يفهم من قول البكري أن المدينة تتكون من جزئين مختلفين ويحيط بكل منهما سور خاص بهما ، كما يفصلهما نهر شديد التيار ، ويسمى المنطقة الأولى "ضفة القرويين" والمنطقة الثانية "ضفة الأندلسيين" وتقع الأولى إلى الغرب من الثانية ، وأنشئت عدوة الأندلسيين سنة ١٩٢هـ — وأنشئت عدوة القرويين بعدها بعام واحد سنة ١٩٣هـ في عهد إدريس الثاني يتفق هذا الكلام مع الرواية السابقة والتي

١- ابن حوقل : صورة الأرض ص ٨٩ .

٢- المغرب ص ١١٥ .

٣- المغرب ص ١٢٣ .

يفهم منها أن إنشاء مدينة فاس بجزئها تم في عهد إدريس الثاني بالرغم من عدم ذكر لسنة الإنشاء أو اسم العدوتين^(١) .

هذا وقد وردت إشارة لدى البكري غاية في الأهمية وهي عبارة عن أن إدريس الثاني نزل في سنة ١٩٢هـ في عدوة الأندلسيين "وأقام بها شهرا" معنى هذا أن عدوة الأندلسيين كانت موجودة وقائمة قبل أن يتزل فيها إدريس الثاني وسوف أتناولها بالتفصيل عندما يأتي دورها في التحليل ، هذا وقد استعرض بروفنسال ثلاثة مصادر تناولت تاريخ مدينة فاس بالتفصيل وبالرجوع إلى هذه المصادر وُجد أن المصدر الأول يذكر أن إدريس الثاني قد أجرى ثلاث محاولات وكانت النتيجة عدم التوصل إلى مكان مناسب لإقامة مقر دائم يصلح له ولرجال دولته ، وابن أبي زرع يذكر بعد بيعة إدريس الثاني وفدت عليه "وفود من العرب من بلاد إفريقيا وبلاد الأندلس في نحو الخمسمائة فارس من القيسية والأزد ومدج وبنى يحصب والصدف وغيرهم ، فسر إدريس بوفادهم وأجزل صلاحهم وقربهم ورفع منازلهم وجعلهم بطانته دون البربر فاعتز بهم لأنه كان فريداً بين البربر ليس معه عربي ... ولم تزل الوفود تقدم عليه من العرب والبربر من جميع الآفاق ، فكثر الناس وضائق بهم مدينة وليلى"^(٢) .

الموقع الجغرافي

الخطوة التالية لإدريس الثاني بعد أن ضاق مكان إقامته في مدينة وليلى وبعد ما عظم ملكه وكثر جيشه "عزم على الانتقال عنها وأراد أن يبني مدينة يسكنها هو وخاصته وجنوده ووجوه أهل دولته ... وخرج يتخير البقاع

١- ابن حوقل : صورة الأرض ص ٨٩ .

٢- روض القرطاس : ٣٥/١ . الجزائى : زهرة الآس ص ١٣ ،

ابن القاضى : جنوة الاقتباس ١٠٠/٢٧ .

وذلك في سنة تسعين ومائة ، فوصل إلى جبل زالغ^(١) فأعجبه ارتفاعه وطيب تربته واعتدال هوائه وكثرة محارثه فاخطط مدينة بسنده مما يلي الجوف - الشمال - وشرع في بنائها فبنى جزءاً من سورها ، فأتى سيل من أعلى الجبل ... فهدم جميع ما كان بناه من السور ... وحمل ما حمّله من خيام العرب وأفسد كثيراً من الزرع ، فلما رأى ذلك إدريس "رضى الله عنه" رفع يده من البناء وقال هذا موضع لا يصلح للمدينة ، فالسيول تركبه من رأس الجبل^(٢) فشلت المحاولة الأولى لوضع أساس لمدينة فاس ، المحاولة الثانية التي بائت أيضاً بالفشل فقد ذهب إدريس الثاني "إلى جبل زالغ صعد في لفته فأعجبه ارتفاعه وإشرافه على جميع الجهات فجمع قواده ووجوه دولته وحشمه فأمرهم ببناء الديار في سند الجبل فبنوا الديار ... وشرع هو في بناء المسجد والسور ، فبنى من سورها جزءاً يزيد على الثلث ... فهبط السيل من أعلى الجبل دفعة واحدة ، فهدم جميع ما كان مبنياً وأفسد جميع ما كان غرس ، وحمل ذلك كله حتى رمى به في نهر سبو^(٣) وهلك فيه خلق كثير فكان ذلك سبب رفع اليد من بنائها"^(٤) .

١- جبل زالغ : اسم الجبل المطل على مدينة فاس من الجهة الشمالية . يبلغ ارتفاعه حوالى تسعمائة متر فوق سطح البحر . كانت تسكنه قبيلة وشتاتة ولمطة وهو جبل خصب يمتاز فى الخصوص بما ينبت فيه من زيتون وعنب ولوز وفى سفحه الشمالى توجد حمة صغيرة /نظر ابن القاضى : جذوة الاقتباس ٢٧/١ .

٢- ابن أبى زرع : روض القرطاس ٣٦/١ . كذا الجزنائى زهـرة الأس ص ١٣ ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ٢٧/١ : ٢٨ .

٣- نهر سبو : ثانى أنهار المغرب أهمية بعد نهر أم الربيع . ينبع مقره من الأطلسى المتوسط ويسير متعرجاً فى اتجاه غربى شمال ثم يتجه إلى الجنوب حتى يصب فى المحيط الأطلنطى عند مدينة المهديّة . يبلغ طوله ٣٠٠ كم تمده عدة ورافد قوية مثل وادى يناون . ووادى اللين . ووادى ورغة . ووادى بهت وهو يحاذى مدينة فاس من الجهة الشرقية ويصب فيه النهر المار بوسطها وادى فاس . تبلغ كمية فيضه فى فصل المطر ٢٠٠٠ متر مكعب فى الثانية وقد تنخفض إلى ١٢ متراً مكعباً فى السنوات العجاف /نظر الصديق بن عربى : المغرب ص ٢٢٨ . ابن القاضى : جذوة الاقتباس ٢٨/١ .

٤- ابن أبى زرع : روض القرطاس ص ٣٦/١ : ٣٧ . الجزنائى : زهـرة الأس ص ١٣ . ابن القاضى : جذوة الاقتباس ٢٨/١ .

المحاولة الثالثة لإدريس الثاني لاختيار مقر لمدينته ، ففي شهر المحرم من بداية سنة ١٩١ هـ " خرج يتصيد ويرتاد لنفسه موضعاً يبنى فيه ما قد عزم عليه فوصل إلى وادي سبو حيث حمة خولان^(١) فأعجبه الموضع لقربه من الماء ، ولأجل الحمة التي هنالك عزم على أن يبنى به المدينة ، وشرع في حفر الأساس ... وابتدأ البناء ، ثم نظر إلى وادي سبو وكثرة ما يأتي به من المدود العظيم في زمن الشتاء ، فخاف على الناس المهلكة ورفع يده عنها إلى مدينة وليلى^(٢) ثم كلف إدريس الثاني وزيره عمير بن مصعب الأزدي^(٣) للقيام بهذه المهمة "فسار عمير في فحص سايس^(٤) ... حتى وصل العيون التي ينبعث منها نهر مدينة فاس ، فرأى عيوناً كثيرة ... فقال هذا ماء عذب وهواء معتدل وهو أقل ضرراً وأكثر نفعاً ... حتى وصل إلى موضع مدينة فاس ، فنظر إلى ما بين الجبلين غيضة ملتفة من الأشجار ... فرجع عمير إلى إدريس وأعلمه بما وقع عليه من الأرض ... وسأل عن مالك الأرض فقبل له قوم من زواغنة^(٥) يعرفون ببني الخير

- ١- حمة خولان : تبعد عن مدينة فاس حوالي ١٥ كم إلى الجنوب الشرقي منها تتبع منها مياه صحية . وتعرف حالياً بحمة سيدي حرازم *انظر* ابن القاضي جذوة الاقتباس ٢٨/١
- ٢- ابن أبي زرع : روض القرطاس ٣٨/١ . كذا ابن القاضي : جذوة الاقتباس ٢٨/١ ، الجزنائي : زهرة الآس ص ١٣ .
- ٣- عمير بن مصعب الأزدي : كان والده "مصعب" مقيماً بأسبانيا واشتهر بجهاده ضد المسيحيين . تزوج عمير امرأتين من بني الخير من قبيلة زواغة والأخرى من بني بهلول أحد فروع قبيلة زناتة . ويقال أنه تزوج من عاتكة ابنة إدريس الثاني . قام بدور حاسم في تأسيس عدوة القرويين *انظر* بروفنسال : الإسلام في المغرب والأندلس ص ٣٩ .
- ٤- سايس : يطلق عليه البربر أسايس . اسم السهل الممتد من مدينة فاس ومدينة مكناس والفاصل بين سلسلة جبال الأطلس المتوسط وسلسلة جبال الأطلس الساحلي ، كانت تسكنه قبائل بربرية مثل أوربة وزواغة وبهلولة ومغيلة وأيضاً سكنه قبائل عربية مثل حميان والمعايا والشجع وأولاد سيدي الشيخ وأولاد الحاج وأيضاً تسكنه قبائل بربرية مستعربة مثل بني عياش وبني مطير وجراوة . وتربة هذا السهل اخصب وأجود التربات في المغرب *انظر* ابن القاضي : جذوة الاقتباس ٢٨/١ .
- ٥- زواغة : قبيلة من شعب ضريسة من البربر البتر أبوهم سمكان بن يحيى بن ضريس . ينقسمون إلى ثلاثة بطون كبيرة . بنو دمر . وبنو واطيل . وبنو تاجر وهم منتشرون في المغرب الأوسط بصفة خاصة وجميع البلاد المغربية بصفة عامة . كانت زواغة تسكن موضع مدينة فاس وما جاورها . لم يبق منها إلا سهل زواغة الواقع جنوب مدينة فاس *انظر* ابن القاضي : جذوة الاقتباس ٢٩/٢ .

... فبعث إليهم واشترى منهم مواضع المدينة بستة آلاف درهم ودفع لهم الثمن وأشهد عليهم بذلك وشرع في بناء المدينة"^(١)

اختيار المكان

بعد الإتفاق على إنشاء مدينة فاس سنة ١٧٢هـ على يد إدريس الأول كان لابد أن أعرج على المكان الذى اختير لإنشاء هذه المدينة فقد وقع الاختيار على منطقة بها المواصفات والمميزات التى تجعلها تستحق هذه المكانة وهى عبارة عن وفرة المياه والجو المعتدل والأرض الخصبة هذه مقومات تثمر عن كثرة فى الخيرات وتصلح لإقامة مجتمع متكامل ويصف ابن أبى زرع هذا بقوله "عذوبة الماء ، واعتدال الهواء وطيب التربة وحسن الثمرة وسعة المحرث وعظيم بركته وقرب المحطب وكثرة عدده وشجره"^(٢) .

ومدينة فاس نهر "سبو" ويبدو أن هذا هو الذى تعيش عليه مدينة فاس وهو سبب رئيسى فى اختيار هذا المكان لبناء وإنشاء مدينة فاس لأن الماء العذب من مقومات الحياة وهو سبب مباشر فى استمرار المدن وتطورها وجذب السكان إليها ويجاور هذا النهر نهر آخر يسمى ورغة"^(٣) .

وقد جرت عدة محاولات لإنشاء المدينة من قبل إدريس الثانى الأولى سنة ١٩٠هـ وقد اختار مكاناً يقع على السفح الشمالى لجبل زالغ وبدأ بالبناء لكن هبت عاصفة حطمت كل أدوات البناء وفشلت هذه المحاولة ، وفى سنة ١٩١هـ اختار إدريس الثانى الضفة اليسرى لنهر سبو وعلى مقربة من ينابيع خولان لإنشاء المدينة وبعد الاستعداد للبناء تراجع فى النهاية وقبل بدء البناء بسبب

١- ابن أبى زرع : روض القرطاس ٣٩/١ ، كذا ابن القاضى : جذوة الاقتباس ٣٠/١ ،

الجزنائى : زهرة الأس ص ١٤

٢- روض القرطاس ٤٢/١ .

٣- الحسن الوزان : وصف إفريقيا ، طبعة الرياض ، ١٣٩٩هـ ، ص ٢٢٠ .

الفيضانات التي قد تهدد مدينته وفشلت المحاولة هذه أيضاً ، هذا وقد اختار مكاناً من الأرض مغطى بالأعشاب الجافة ، ومليئاً بالمياه يعبرها نهر تغذيه روافد مجاورة ، وهذا الموقع لفت نظر عمير وزير إدريس الثاني واقترحه عليه .

ومن الجدير بالذكر أن مدينة فاس تقع على الحد الغربي لممر تازا الذي يتميز بالسيطرة عن قرب من وادي سبو ، وهذا الممر يقع في كتلتين بين الشرق والغرب "سهل سايس" حيث لا يسهل اجتيازه إلا على مستوى مدينة فاس ، هذا المكان توجد إشارات تدل على وجود آثار لمدينة سابقة فيه فابن أبي زرع يذكر أن إدريس الأول عندما كان مشغلاً بتخطيط المدينة الجديدة أتاه راهب نصراني مسن يربو عمره عن مائة وخمسين سنة وسأله عما يفعل ، فلما أخبره إدريس الأول بمشاريعه ابتهج فرحاً وقال له "اخبرني راهب كان قبلي في هذا الدير هلك منذ مائة سنة أنه وجد في علمه أنه كان بهذا الموضع مدينة تسمى ساف خربت منذ ألف وسبعمائة سنة ، وأنه يجدها ويحي داتها ويقوم داربها رجل من آل بيت النبوة يسمى إدريس ، يكون له شأن عظيم وقدر جسيم لا يزال دين الإسلام قائماً بها إلى يوم القيامة"^(١) وفي موضع آخر يذكر أن يهودياً عندما كان يحفر أساس دار بينها لسكناه ، اكتشف دمية من رخام لفتاة منقوش على صدرها بالحروف الهندية أو الحميرية "هذا موضع حمام عمير ألف سنة ثم خرب ، فأقيم بموضعه بيعة للعبادة"^(٢) هاتان الروايتان تفترضان بأن الموقع الذي بنيت فيه مدينة فاس على يد إدريس الأول لم تكن المرة الأولى التي تقام فيه في هذا المكان مع أنهما يتسمان بعدم التصديق حيث يوجد نوع من الأسطورة في سياقهما وأيا كان الأمر فإن مدينة فاس قامت وبدأت تمارس دورها لتكون عاصمة عربية في المغرب الأقصى .

١- روض القرطاس ٤٩/١ .

٢- المصدر السابق ٥٠/١ .

اختيار اسم المدينة :-

- وردت عدة آراء في ذكر كلمة فاس منها :-

١- يذكر حسن الوزان رأيين : الأول وهو الراجح من وجهة نظره "سميت

هذه المدينة فاساً لأنه عثر في أول يوم شرع في حفر الأرض لإرساء

الأساس على كمية من الذهب تحمل بالعربية اسم فاس" ، الرأي الثاني :

هو عبارة عن أن المنطقة التي أسست فيها هذه المدينة تسمى فاس وهذا

راجع إلى النهر الذي يخترق هذا المكان لأن النهر في اللغة البربرية يحمل معنى

"ساف" فقلب هذا اللفظ وفي ذلك يقول "المكان الذي أسست فيه

المدينة كان يحمل اسم فاس بسبب النهر الذي يخترقها ،

إذاً النهر بالبربرية يقال له ساف فقلب هذا اللفظ"^(١) .

٢- ذكر أن إدريس لما شرع في حفر أساس السور كان يحفر بواسطة فأس

ولكثرة ترديد كلمة فأس تم إطلاق اسم فاس على المقر الجديد ولكن بدون

همزة "لما شرع في بنائها كان يعمل فيها بيده مع الصناع والفعلة نضع له

فاس من ذهب وفضة فكان الإمام إدريس يمسكه بيده

ويبدأ به الحفر ويختط به الأساسات للفعلة فكثرت ذلك على ألسنتهم

في طول مدة البناء فكان الفعلة يقولون هاتوا الفأس خذوا الفأس

احفروا بالفأس فسميت فاس"^(٢) .

٣- يذكر أنه عندما تم حفر ووضع الأساس وجدوا فأساً طوله ٤ أشبار داخل

الأنقاض من صنع الأوائل فسميت المدينة نسبة إلى هذه الفأس

"لما شرع في حفر أساسها من جهة القبلة وجد في الحفير فأساً كبيراً طوله

١- وصف إفريقيبا ص ٢١٨ ، ٢١٩ .

٢- الجزنائي : زهرة الأس ص ١٨ . الذي يستبعد هذا الاحتمال لأن إدريس كان لا يجهل

تحريم الذهب في هذا المجال .

أربعة أشبار وسعته شبر واحد وزنته ستون رطلا من عمل الأوائل
فسميت المدينة به"^(١) .

٤- ذكر أيضاً المكان الذى أقيمت عليه مدينة فاس كانت توجد مدينة قديمة
اندثرت منذ فترة طويلة تبلغ حوالى ألف وسبعمائة عام عند ابن أبي زرع
وألف سنة عند الجزنائي الذى قال عندما سئل إدريس عن اسم هذه المدينة
"قال اسمها باسم المدينة التى كانت قبلها فى موضعها الذى أخبرنى
الراهب أنه كانت هنا مدينة أزلية من بناء الأوائل فخربت من قبل
الإسلام بألف عام وكان اسمها ساف ولكنى أقلب اسمها الأول
لأسميها به فجاء به فاس"^(٢) .

٥- ويذكر أنه لما احتفرت أساس للمدينة ألقى فى بعضها فأساً فسميت بمدينة
فاس "ولما احتفرت أساساتها ألقى فى بعضها فأس فسميت بمدينة فاس"^(٣)
من هذا العرض نجد أن كلمة "ساف" وردت مرتين الأولى عند
حسن الوزان والثانية عند ابن أبي زرع مع اختلاف المعنى حيث أطلقت هذه
الكلمة على اسم نهر فى الأولى وعلى اسم مدينة قديمة فى الثانية ويمكن أن يطلق
اسم النهر على اسم المدينة هذا من ناحية ومن ناحية أخرى يعتبر قلب كلمة
ساف البربرية إلى فاس العربية تكريماً من إدريس للبربر الذين ساندوه واستقبلوه
استقبالاً جيداً لذلك يبدو أن هذا رأى هو الأرجح .

تخطيط المدينة

وبدا إدريس الثانى فى تأسيس مدينة فاس يوم الخميس غرة ربيع الأول
سنة ١٩٢هـ — "أسس عدوة الأندلس ، منها وأدار بها السور ،
وبعدها بسنة أسس عدوة القرويين وذلك فى غرة ربيع الثانى من

١- الجزنائي: زهرة الآس ص ١٨ .

٢- روض القرطاس ٤٩/١ . زهرة الآس ص ١٩ .

٣- ابن الأبار : الحلة السراء ٥٥/١ .

سنة ثلاث وتسعين ومائة ... وابتدأ بعدوة الأندلس .. فأدار السور على جميعها وبني بها الجامع الذي برحبة البير المعروف بجامع الأشياخ وأقام فيه الخطبة ، ثم شرع في بناء عدوة القرويين ... ونزل بها بموضع يعرف بالمقرمدة وهو موضع دار القيطون ... وبني المسجد المعروف بمسجد الشرفاء ثم بنى القيسارية إلى جانب المسجد الجامع ... وأمر الناس بالبنيان والغرس ، وقال لهم من بني موضعاً أو اغترسه قبل تمام السور فهو له مجاناً فبنى الناس الدور واغترسوا الثمار وكثرت العمارة^(١) .

من هذا العرض لهذه المصادر السابقة يتضح الآتى :-

عندما ظهر لإدريس الثاني عدم قدرة مدينة وليلى على استيعاب الأعداد الكبيرة الوافدة عليه سواء من البربر أو العرب قرر الانتقال منها والبحث عن منطقة جديدة تصلح لإقامة مدينة خاصة سنة ١٩٠ هـ حتى وصل إلى جبل زالغ فوق موقع اختياره على هذه المنطقة ، وبالفعل بدأ البناء ولكن هذه المحاولة باءت بالفشل بسبب السيل الذى نزل من أعلى الجبل فهدم معظم ما بُنى ، فعدل عن هذا الموقع .

هذا وقد حاول إدريس الثاني فى سنة ١٩١ هـ مرة أخرى لتنفيذ إقامة مدينته الخاصة ، فقد خرج إدريس الثاني للبحث عن منطقة مناسبة فانتهى إلى نهر سبو بالقرب من حمة حولان فأعجب بالمكان نظراً لوجود المياه بالقرب منها ، ثم قام بوضع أساس المدينة وهم بالبناء ولكنه فكر فى فيضان النهر والسيول وكيفية حماية المدينة فى فصل الشتاء والنتائج المترتبة على عدم وجود حماية للمدينة فتوقف عن البناء ورجع إلى مدينة وليلى .

بعد الفشل فى محاولتين السابقتين لاختيار المكان وحتى البناء ، فقد كلف إدريس الثاني أحد العرب المقربين منه "وزيره" عمير بن مصعب الأزدي بهذه

١- ابن القاضى : جذوة الاقتباس / ١ : ٣١ : ٣٢ .

المهمة لعله يوفق في الاختيار ، فتزل في منطقة بها عين من الماء سميت بعين عمير^(١) ، ثم توجه إلى فحص سايس حتى وصل إلى العيون التي ينبع منها نهر وادي فاس ، فشاهد مجموعة كبيرة من العيون التي تزيد على الستين عيناً ورأى مياهها تفيض على الأرض فسيحة فشرب منه فاستطابه ثم واصل السير في أنحاء الوادي حتى وصل إلى المكان الذي قامت عليه مدينة فاس فنظر إلى ما بين الجبلين فرأى غيضة ملتفة الأشجار وفي مكان منها خيام يسكنها قوم من زواغة يعرفون ببني الخير ، وقوم من زناتة يعرفون ببني يزغتن^(٢) كانوا على دين الجوسية ولهم منطقة بها معبد للنار خاص بهم تعرف بشيوبة^(٣) كما كان يوجد بينهم من يدين باليهودية والمسيحية .

ومن الجدير بالذكر أن بني الخير يتزلون بعدوة القرويين وبني يزغتن يتزلون بعدوة الأندلس وكانوا على خلاف دائم ومستمر لتباين أديانهم واختلاف نزعاتهم ، هذا وقد أخبر عمير بن مصعب الأزدي قائده إدريس الثاني عن ملاحظاته على المكان فسر إدريس لذلك بعد أن شاهد المكان وأصلح بين سكانه "بني الخير وبني يزغتن" ثم أسلموا على يده ، واشترى منهم موضع الغيضة بعد موافقتهم انتقل إدريس الثاني إلى عدوة الأندلس في المكان المعروف بجراروة وابتدأ ببناء سورها وبني بها جامع الأشياخ^(٤) ، ثم تحول إلى عدوة القرويين وفي منطقة تعرف بالمقرمدة^(٥) حيث شرع في بنائها وأدار حولها السور

-
- ١- عين عمير : تقع بسهل زواغة *انظر* ابن القاضي : جذوة الاقتباس ٢٩/١ .
 - ٢- يزغتن أو يزغش : اسم لقبيلة من زناتة غير العرب اسمها فصاروا يعرفون ببني يازغة *انظر* المصدر السابق ٢٩ / ١ .
 - ٣- الشيبوبة : ما زال هذا الموضع الواقع بين الحدادين وقنطرة بين المدن يعرف بهذا الاسم *انظر* ابن القاضي : جذوة الاقتباس ٣٠/١ .
 - ٤- جامع الأشياخ : ويعرف بالجامع الأنور أيضاً ويقع بحومة جرارة عند مدخل زنقة سيدي بوجيدة *انظر* المصدر السابق ٣٢/١ .
 - ٥- المقرمدة : مكان لضريح إدريس الثاني *انظر* المصدر السابق المقرمدة أيضاً .

وبنى لها مسجداً بجوار مقر إقامته في دار القيطون سمي "الشرفاء" وأثناء تشييد المدينة توجه إلى السكان بالدعوة إلى الغرس والبناء وتشجيعاً لهم قدم لهم تيسيرات تتمثل في البناء أو الزرع والتي تتم قبل الانتهاء من إتمام السور فهي له مجاناً ثم استقبل الوافدين عليه من الأندلس فأنزلهم بالعدوة الشرقية فسميت باسمهم "عدوة الأندلس أو الأندلسيين" ثم أنزل القادمين عليه من مدينة القيروان بالعدوة الغربية منها فسميت "بعدوة القرويين" ، فقصدتها السكان من كل مكان وغرسوا على جانبي الوادي من منبعه بفحص سايس إلى مصبه في نهر سبو أنواعاً من الأشجار والمزروعات .

هذا ما تناولته المصادر الثلاثة الرئيسية لتاريخ ونشأة مدينة فاس فأجد عدة ملاحظات على هذه المصادر كما يذكر الأستاذ ليفي بروفنسال . في البداية النشأة لمدينتين إحداهما قرية جداً من الأخرى في المكان والزمان وإن بقيتا مستقلتين، أيضاً نسبة هذا الإنشاء المزدوج إلى إدريس الثاني ، عن هذا الاستنتاج تولدت عدة أسئلة :-

١- كيف استطاع إدريس الثاني على الرغم من صغر سنه الذي لم يكن يتجاوز سبعة عشر عاماً أن يقوم بتنفيذ مشروع ضخم كتأسيس مدينتين مختلفتين في مكان واحد؟

٢- إذا كان إدريس الثاني قد قام بالفعل بالبناء فلماذا جعل لكل مدينة سوراً خاصاً بها بدلاً من إحاطتهما معاً بسور واحد؟

٣- لماذا آثر إدريس الثاني على إيجاد تعارض ساكني واجتماعي لمدينتين متماثلتين ؟ هذه الأسئلة ليس لها إجابة في هذه المصادر المذكورة آنفاً وتفتح المجال للشك والتفكير في أبعاد أخرى لتاريخ إقامة ومنشئ مدينة فاس هل هو إدريس الأول سنة ١٧٢هـ أم ابنه إدريس الثاني سنة ١٩٢هـ .

في البداية كان لابد من وضع النقاط على الحروف حتى تتضح الفكرة التي سيتغير على أساسها منطق واعتقاد سائد على اعتبار أن إنشاء مدينة فاس تم سنة ١٩٢هـ — وعلى يد إدريس الثاني ، لكن الفكرة التي أطلقت على يد الأستاذ ليفي بروفنسال والتي قرر فيها أن نشأة مدينة فاس قامت على يد إدريس الأول في المنطقة التي تقوم عليها عدوة الأندلس سنة ١٧٢هـ ، وعلى الضفة اليسرى من وادي فاس وفي المكان المعروف بدار القيطون أسس إدريس الثاني عدوة القرويين في سنة ١٩٢هـ .

هذا ويعتبر إثارة الشك في القيمة التاريخية لنشأة مدينتين قريبتين مستقلتين خلال سنة واحدة ، ثم نسبة هذا الإنشاء المزدوج إلى إدريس الثاني جرأة ولكن لهذه الجرأة ما يبررها^(١) هذا الشك لابد أن يعقبه يقين ولا يأتي اليقين إلا بأدلة قوية تثبت ما يثيره من شك فكان لابد من أدلة مادية ثم نصوص تاريخية كالاتي :-
الأدلة المادية "العملة" وهي من أهم الأدلة التي تنفي أو تؤكد صحة ما يذكر من آراء كما أنها أدلة لا تقبل الشك :

أولاً : توجد عملات يظهر فيها اسم إدريس الثاني ضربت في مدينة وليلى وتحمل التواريخ المتعاقبة لسنوات ١٨١هـ ، ١٨٢هـ ، ١٨٣هـ هذه التواريخ الموجودة على العملة تعني أن إدريس الثاني كان يبلغ من العمر عشر سنوات على الأكثر .

ثانياً : يوجد في متحف مدينة خاركوف درهم آخر ضرب في مدينة فاس سنة ١٨٥هـ — وهي نفس السنة التي أشار إليها الحسن الوزان عندما تحدث عن إنشاء مدينة فاس^(٢) .

١- ليفي بروفنسال : الإسلام في المغرب والأندلس ص ١٢ .

٢- حسن الوزان : وصف إفريقيا ص ٢١٨ .

ثالثاً : في المكتبة الأهلية بباريس درهم ضرب بمدينة فاس في سنة ١٨٩ هـ
 أى قبل التاريخ الموجود في المصادر العربية عن تأسيس إدريس الثاني بسنتين .
 رابعاً : القطع المضروبة في مدينة العالية والتي تحمل اسم إدريس الثاني والمؤرخة
 في سنوات ١٩٨ هـ ، ٢٠٤ هـ ، ٢٠٦ هـ ، ٢٠٧ هـ ، ٢٠٨ هـ ، ٢٠٩ هـ
 ٢١٤ هـ هذه القطع مضروبة في مدينة العالية وهذه المدينة غير مدينة
 فاس لكن فسرت كلمة العالية على عدة معان منها :

١- أنها بمعنى المرتفعة باعتبار أن عدوة القرويين أكثر ارتفاعاً وعلواً بالنسبة لما
 جاورها من المدن وخاصة عدوة الأندلس .
 ٢- أو تكون منسوبة إلى الجد الأكبر لإدريس وهو الإمام
 علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) .

٣- أو أن هذا الاسم ما هو إلا صفة إلى مصطلح "الحضرة العلية" وهو تعبير
 شائع بالمغرب ودلل على هذه التفسيرات بأن المدينة التي أسسها بنو مرين^(١)
 كانت تسمى المدينة البيضاء وتسمى أيضاً "فاس العليا" .

ومن الجدير بالذكر أن اختلاف أسماء الدراهم الإدريسية وتاريخها يدل على
 أن مدينة فاس كانت مركزاً لسك العملة قبل سنة ١٩٢ هـ، إذ يختفى اسم مدينة
 فاس منذ سنة ١٩٨ هـ وما بعدها ويظهر اسم مدينة العالية بدلاً من اسم مدينة
 فاس ولا يعود يظهر اسم مدينة فاس على العملات في المغرب إلا منذ سنة ٣٦٩ هـ
 على درهم فاطمي وعلى عملات أموية مضروبة تحمل اسم هشام الثاني
 "المؤيد" بتاريخ يتراوح ما بين سنتي ٣٧٧ هـ ، وسنة ٣٩٨ هـ ، معنى هذا أن
 هذه الأدلة المادية تثبت أن مدينة فاس قد أسست قبل سنة ١٨٥ هـ وهو التاريخ

1- قاموا بتأسيس دولة لهم في المغرب بعد القضاء على دولة الموحدين على يد أبي بكر بن
 عبد الحق ثم يعقوب بن عبد الحق وذلك ٦٦٨ هـ بعدما سيطروا سيطرة كاملة على
 أملاك الموحدين . جعلوا مدينة فاس عاصمة لهم بعد أن كانت مدينة مراكش هي
 العاصمة في عهد المرابطين والموحدين انظر النويري : نهاية الأرب ٣٥١/٢٤ : ٣٥٢ .

الموجود على أقدم درهم وجد في مدينة خاركوف^(١)

الأدلة النظرية في المصادر العربية :-

الأول : الرواية التي ينقلها ابن الآبار والتي ورد فيها أن إدريس بن عبد الله دخل المغرب في شهر رمضان سنة ١٧٢هـ بعد أن تمكن من الفرار من ملاحقة العباسيين له ونزل في موضع يعرف بمدينة ويلي بالقرب من وادي الزيتون فاجتمعت إليه قبائل من البربر وبايعوه بالإمامة فأسس مدينة فاس ، وكان موضع هذه المدينة أجمة شعراء ولم يطل عهد إدريس بن عبد الله إذ توفي سنة ١٧٥هـ تاركاً جاريته حاملاً منه ، فوضعت غلاماً ذكراً سمي إدريس وهو الذي خلف أباه على مدينة فاس وطل به العهد في الإمامة حتى توفي في شهر ربيع الأول سنة ٢١٣هـ وكان مولده في ربيع الثاني سنة ١٧٥هـ ، "ذكر أبو بكر الرازي^(٢) أن إدريس بن عبد الله دخل المغرب سنة اثنتين وسبعين ومائة في شهر رمضان هارباً من أبي جعفر^(٣) ، فترل موضعاً يقال له ويلي بوادي الزيتون فاجتمعت إليه قبائل البربر فقدموه على أنفسهم وبنوا مدينة فاس وكانت أجمة شعراء ... فلم تطل أيامه وهلك سنة أربع وسبعين ومائة وترك جارية حاملاً منه ، فولدت بعده ابناً سمي بإدريس بن إدريس ملك بعد أبيه مدينة فاس وطالت مدته ، وتوفي في شهر ربيع الأول سنة ثلاث عشرة ومائتين ، ومولده في شهر ربيع الآخر سنة خمس وسبعون"^(٤) .

الثاني : رواية مشتركة ينقلها البكري بشيء من التفصيل وينقلها ابن الآبار بشيء من الإيجاز " ... وقتل أبا ليلي إسحاق وهو القائم به وبأبيه يوم السبت

١- ليفي بروفنسال : الإسلام في المغرب والأندلس ص ١٥ : ٢٠ .

ولسوء الحظ لم نعثر على أي صورة لهذه العملات المذكورة لدى بروفنسال .

٢- أبو بكر الرازي : أبو أحمد بن محمد الرازي والد عيسى بن أحمد الرازي وهما من مؤرخي الأندلس توفي أبو بكر سنة ٣٤٤هـ *انظر* ابن الآبار : الحلة السيرة ٥٤/١ .

٣- هرب إدريس الأول من الخليفة الهادي لا أبي جعفر المنصور كما يذكر ابن الآبار .

٤- ابن الآبار : الحلة السيرة ٥٤/١ : ٥٥ .

لست خلون من ذى الحجة سنة اثنتين وتسعين ومائة وبعث برأسه إلى المشرق ... ثم نزل مدينة فاس في عدوة الأندلسيين وأقام بها شهراً وذلك سنة اثنتين وتسعين ومائة وكانت عدوة القرويين غياضاً في أطرافها أبيات من زواجة فأرسلوا إلى إدريس فدخل عندهم فأسس مدينة القرويين سنة ثلاث وتسعين^(١) ويذكر ابن الأبار أن إدريس بن إدريس "وهو ابن إحدى عشرة سنة وأسس مدينة القرويين سنة ثلاث وتسعين"^(٢) .

الثالث : رواية جاء فيها عن مدينة فاس "وهي مدينتان إحداهما بناها إدريس بن عبد الله أحد خلفاء الأدارسة بالمغرب وتعرف بعدوة الأندلسيين ، والأخرى بنيت بعدها وتعرف باسم عدوة القرويين"^(٣) **والراجع** هذه الرواية الأخيرة يستشهد بها بروفنسال لإنشاء مدينة فاس سنة ١٧٢هـ تدل على أن فريقاً من أهل الربض^(٤) الذين اتجهوا إلى بلاد المغرب نزلوا بعدوة الأندلسيين وهي قسم من مدينة فاس سمي منذ ذلك الوقت باسم عدوة الأندلسيين سنة ٢٠٢هـ وكانت قد مضت ثلاثون سنة بين إعادة تأسيس المدينة على يد الأندلسيين ، وبين تأسيس مدينة فاس القديمة التي بنيت في سنة ١٧٢هـ عندما دخل إدريس الأول المغرب هارباً من تعقب العباسيين له ، حيث التف حوله البربر وقدموه على أنفسهم ، وبنوا له مدينة على مستنقع عشي^(٥) .

١- المغرب ص ١٢٣ .

٢- الحلة السيرة ٢٣/١ .

٣- القلقشندى : أبي العباس احمد بن علي : صبح الأعشى ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ١٨١/٥ .

٤- أهل الربض : ثاروا على الحكم بن هشام بقرطبة وأرادوا قتله فلما نجا منهم هدم دورهم وطردهم ففرت جماعة منهم إلى مدينة فاس **انظر** ابن الأبار ٤٧/١ ،

ابن المقرئ : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، القاهرة ، ١٩٣٦م ٣٣٩/١ **والربض** : هو وسط الشبي وأساس البناء انظر المعجم الوسيط الطبعة الثانية ، دار المعارف القاهرة سنة ١٩٧٢م ٣٣٢/١ .

٥- المقرئ : نفح الطيب ، ١٧٢/١ .

والنتيجة وصول إدريس بن عبد الله المغرب وأن هذا الجزء من مدينة فاس "عدوة الأندلسيين" كان موجوداً بالفعل قبل مجيئه إليها وإقامته بها شهراً كاملاً بالإضافة إلى مجيء وفود الأندلسيين من أهل الربض إلى مدينة فاس بعد تأسيسها بثلاثين عاماً سنة ٢٠٢هـ^(١) .

ومن الجدير بالذكر أن لهذه الروايات نتائج هامة ومختلفة :-

- ١- تمكن إدريس الأول بعد وصوله إلى المغرب مباشرة من إقامة مدينة على الطراز المحلى البربري في المنطقة الواقعة شرقي مدينة فاس الحالية في ١٧٢هـ سميت بفاس ، وضربت فيها النقود الخاصة بالأدارسة في تاريخ غير محدد ولكنه يرجع على الأقل لسنة ١٨٩هـ.
 - ٢- اختار إدريس الثاني مكاناً مجاوراً لموقع مدينة فاس القديمة ليؤسس مدينة تقع في غرب المكان الذي أقام فيه أبوه مدينة فاس حتى يستفيد من وفرة المياه الموجودة بالمنطقة وذلك بعد حوالي ٢١ سنة من تأسيس المدينة الأولى، جدد إدريس الثاني في مدينته وأطلق عليها اسم العالية .
 - ٣- عندما نزع أهل الربض بقرطبة إلى المغرب الأقصى لاجئين إلى دولة الأدارسة بعد ذلك بتسع سنوات أي سنة ٢٠٢هـ أنزلهم إدريس الثاني بمدينة أيه فاستقروا بها وغيروا ملامحها وطورها وسميت بمدينة الأندلسيين ومن هذا الوقت أصبح اسم مدينة يطلق عليها العدوتين معاً .
 - ٤- الاستقرار على أن تاريخ إنشاء مدينة فاس هو عام ١٧٢هـ أما المتداول في الروايات العربية القديمة من أن تاريخ إنشاء مدينة فاس هو سنة ١٩٢هـ فيرجع السبب في ذلك إلى :-
- أولاً :** وقوع لبس بين إنشاء مدينة فاس وإنشاء مدينة العالية وظهر هذا اللبس منذ أن أطلق اسم فاس على المدينتين معاً .

١- ليفي بروفنسال : الإسلام في المغرب والأندلس ص ٢٠ : ٢٧ .

ثانياً : تشابه اسمي مؤسسي المدينتين .

ثالثاً : أن أساس هذا اللبس يرجع إلى خطأ يسير في القراءة بين رقمي سبعين وتسعين وهو خطأ أدى إلى تحريف سنة ١٧٢ إلى ١٩٢^(١) .

ويعتبر السبب الأخير هو أقوى هذه الأسباب وهو يعادل في قيمته الأدلة المادية ويؤيد هذه النقطة الدكتور عبد العزيز سالم ويسوق دليلاً آخر على الخطأ الناتج عن التحريف في النقل^(٢) .
وهناك عدة أدلة أخرى تؤيد رأى بروفنسال منها :-

١- ذكر ابن عذارى عن مدينة فاس "وكانت عدوة القرويين غياضاً في أطرافها بيوت من زواغة فأسلموا إليه ، ودبر في البناء عندهم فكان ابتداء مدينة فاس سنة ١٩٣هـ وذلك عدوة القرويين"^(٣) يفهم من نص ابن عذارى أن إدريس الثاني هو الذي قام ببناء عدوة القرويين من مدينة فاس .

٢- يذكر الجزنائي وغيره أن عمير بن مصعب الأزدي عندما "وصل إلى موضع مدينة فاس نظر ما بين العدوتين فرأى غيضة ملتفة الأشجار مطردة العيون والأفهار ... فرجع عمير إلى الإمام إدريس وأعلمه بما رأى من الأرض وما استحسنته من كثرة مياهها وطيب تربتها ورطوبة هوائها وصحتها فأعجب الإمام إدريس من ذلك وسأل عن ملاك الأرض ... ثم بعث إليهم واشترى منهم موضع الأرض بستة آلاف درهم"^(٤) هذا الوصف المذكور لا ينطبق إلا على الجزء الغربي من مدينة فاس "عدوة القرويين"^(٥) .

١- ليفي بروفنسال : الإسلام في المغرب والأندلس ص ٢٨١ : ٣٠ .

٢- يذكر ابن الخطيب عندما يتعرض لذكر دولة العدم بن القاسم بن إدريس أنه اغتيل في سنة اثنتين وسبعين ومائتين بدلاً من التاريخ الصحيح وهو سنة اثنتين وتسعين ومائتين
انظر ابن الخطيب أعمال الأعلام ٢٠٩/٣ . د. عبد العزيز سالم :
تاريخ المغرب الكبير ٤١٣/٢ .

٣- البيان ٢١١/١ .

٤- زهرة الأس ص ١٤ . ابن أبي زرع : روض القرطاس ٣٨/١ : ٣٩ .

٥- د. عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب الكبير ٤١٢/٢ .

٣- عندما تحدث الجزنائي عن عدوة الأندلس ذكر أن الذي أسسها هو الإمام إدريس ولم يوضح مباشرة أو صراحة إدريس بن إدريس وإنما قال "أما عدوة الأندلس فإنها أسست يوم الخميس مهل شهر ربيع الأول سنة اثنتين وتسعين ومائة ، أقام الإمام إدريس منها بالموضع المعروف بجراوة حيث نزل بأخيبته وقبابه"^(١)

أما بالنسبة لعدوة القرويين فإن الإمام إدريس الثاني قد نادى فيهم قبل إتمام السور حيث "أمر الناس ببناء الدور والغرس ونادى فيهم أن كل من بنى موضعاً أو اغترسه قبل تمام السور فهو له هبة لله تبارك وتعالى"^(٢) وهذا يدل على أن عدوة الأندلس كانت بها دور وأبنية من قبل فأراد إدريس الثاني أن تكون مدينته الجديدة بها من الغرس والأشجار على نسق عدوة الأندلس إن لم يكن أفضل .

٤- إقامة إدريس الثاني بعدوة الأندلس لمدة شهر يدل على أنها عامرة ثم انتقله إلى المنطقة الجديدة التي شرع في تنفيذ بنائها يدل على أنه لم يقم بتأسيس عدوة الأندلس فالبكرى وغيره يذكر "ثم نزل مدينة فاس في عدوة الأندلسيين وأقام بها شهراً وذلك سنة اثنتين وتسعين ومائة"^(٣) .

٥- إقامة إدريس الثاني بعدوة الأندلس ثم انتقله إلى منطقة المقرمدة التي وقع عليها الاختيار لتكون مقراً لمدينته الجديدة يدل أيضاً على أن إدريس الثاني لم يؤسس عدوة الأندلسيين وفي هذا يذكر "ضرب الإمام أخيبته وقبابه بالموضع المعروف بجراوة من عدوة الأندلس ودور عليه جراوة من الخشب فسمى الموضع جراوة ... ثم انتقل بعد ذلك إلى الموضع

١- زهرة الأس ص ١٩ .

٢- المصدر السابق ص ٢٠ : ٢١ .

٣- المغرب ص ١٢٣ ، الجزنائي : زهرة الأس ص ١٩ .

المعروف بالمقرمدة من عدوة القرويين حيث دار القيطون المتصلة
لمسجد الشرفاء ، ثم شرع في البناء"^(١)

٦- يذكر أن بناء مدينة فاس تم سنة ١٩٢هـ على يد إدريس الثاني وبين بها
داره أو قصره المعروف بدار القيطون التي تقع في عدوة القرويين
لا عدوة الأندلسيين "بني داره المعروفة اليوم لسلفه بدر القيطون ، ومسجدها
بجوارها ، وعظم شأنها بالعمارة بعده وسكنها الملوك والأشراف"^(٢) .

٧- عندما تولى عقبة بن نافع ولاية إفريقيا من قبل معاوية بن أبي سفيان سنة
٥٠هـ — شرع مباشرة في إقامة مدينة القيروان ، وفي الفترة التي ضعفت فيها
سلطة الدولة العباسية على إفريقيا بدأت تظهر الدول المستقلة عن الخلافة وإنشاء
مدن لها كمدينة سجلماسة سنة ١٤٠هـ — و تاهرت سنة ١٤٤هـ^(٣) هذه نماذج
للمدن قبل دخول إدريس بن عبد الله المغرب هذا ويعتبر إدريس الأول أوفر
حظاً حيث ساعدته الظروف على تنفيذ مشروعه المتمثل في إقامة دولة له
بالمغرب ولا بد لهذه الدولة من عاصمة تكون مقراً لها فليس من المعقول أن ينتظر
الأدارسة فترة عشرين عاماً حتى يؤسسوا مدينة تكون مقراً لهم^(٤) .

من جانب آخر يشكك الدكتور / سعد زغلول في أدلة بروفنسال
وخاصة دليل العملة وقال "لو صح أنه ضربت فيها السكة قبل سنة ١٩٢هـ —
فهذا لا يعنى بالضرورة أن إدريس الأول بناها ، وأنه اتخذها عاصمة ،

١- الجزنائي : زهرة الأس ص ١٤ .

٢- ابن الخطيب : أعمال الأعلام ٢٠٩/٣ .

٣- أنشأ مدينة سجلماسة أبو القاسم سمعون بن واسول المكناسي سنة ١٤٠ وذلك عندما
أيدته القبائل البربرية وخاصة قبيلة زناتة . بينما أنشأ عبد الرحمن بن رستم مدينة تاهرت
سنة ١٤٤هـ وذلك عندما انهزم قائده أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري وتأكد
من عدم نجده من يد محمد بن الأشعث الخزاعي والى الخليفة المنصور على مصر
وإفريقيا فقرر الفرار إلى المغرب الأوسط وأسس مدينة تاهرت في نفس السنة التي
فر فيها نظ — ابن عذاري : البيان ١٥٦/١ ، ١٩٦ .

٤- د. عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب الكبير ٢/ ٤١٤ .

إذا كان يمكن لنائبه فيها مثل غيره من النواب أن يضرب السكة" ولم يحدد اسم هذا النائب ، أما الدليل الآخر وهو تحريف كلمة سبعين إلى تسعين فلم يستطيع نفيه ومن خلال رأيه نستطيع أن نرى اقتناعه بأدلة بروفنسال ولكن بطريقة غير مباشرة فقال "والذى أريد أن أخرج به من هذا ، هو أنه على فرض أن إدريس الأول هو الذى بنى قرية فاس الأولى ، وهذا أمر صعب خلال فترة إمامته القصيرة"^(١) فما هى الصعوبة فى ذلك لم يوضح .

أما غوتيه فيرى أن الذى قام ببناء مدينة فاس هو إدريس الثانى وينفى رأى القائل بأن الذى أنشأ مدينة فاس هو إدريس الأول لأن فترة ولايته كانت قليلة "ولم تبين المدينة فى حكم إدريس الأول وكانت ولايته قصيرة جداً ... ومنذ سنة ١٩٢هـ بدأ إدريس الثانى بناء المدينة ... وفى التالى جعلها مقراً"^(٢) ولم يأت بأى دليل يؤيد وجهة نظره حتى يكون رأيه مقبولاً أما الدكتور حسين مؤنس والدكتور عبد العزيز سالم فهما من المؤيدين إلى نسبة بناء مدينة فاس إلى إدريس الأول لا ابنه إدريس الثانى^(٣) .

وعلى ضوء النصوص السابقة أستطيع أن أقول إن أول مؤسس لمدينة فاس هو إدريس بن عبد الله بعد فراره من بلاد المغرب وبعد الاطمئنان إلى وجوده بين سكان هذه المنطقة اهتم بتوسيع دائرة نفوذه فخرج بحملة تجاه الشرق حتى تشتد دولته وتستطيع أن تصمد وأن تجذب معظم العلويين بعيداً عن بطش

١- د. سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، منشأة المعارف ، إسكندرية ، ١٩٧٩م ٢/٤٥٠ : ٤٥١ .

٢- ماضى شمال إفريقيا ص ٢١٦ : ٢١٧ .

٣- حاشية كتاب ابن الأبار : الحلة السيرة ١/٥٤ للدكتور /حسين مؤنس ، تاريخ المغرب الإسلامى ٢/٤١٤ .

العباسيين فمن الممكن أن تكون مدينة ولى قد ضاقت بالسكان الوافدين عليه كما يعبر عن ذلك بوضوح ابن زرع^(١) . وهذا على عكس ما يفترضه غوتيه^(٢) وعلى أننا لو سلمنا بما يفترضه غوتيه نجد أن إدريس الأول لم يكن يقبل بأقل من أن تكون له مدينة جديدة تدل على وجوده وقوته وتكون عنواناً جديداً له وللعلوين . وضع إدريس الأول حجر الأساس لمدينة فاس سنة ١٧٢هـ ولم يكن لديه الوقت الكافي لتطوير المدينة ، فمنذ وصوله ومبايعة البربر له أصبح يحارب في تامسنا حيث حاصر سلا^(٣) ، ثم في تادلا وفي سنة ١٧٣هـ واصل مسيرته حتى وصل إلى تلمسان هذا النشاط الخارجى حظى باهتمام كبير لدى إدريس الأول مما أدى إلى أن تظل فاس قرية بربرية بسيطة ومع ذلك فإن موت إدريس لم ينتج عنه اضمحلالها إذ كانت العملة تسك بما عام ١٨٥هـ^(٤) .

في هذا الوقت كان إدريس الثاني يعيش في كنف مولاه راشد ، وفي عام ١٨٩هـ وفد إلى المدينة بعض العرب من الأندلس وإفريقيا وعددهم حوالى خمسمائة فلم يجدوا كما تخيلوا مدينة فاس ببناء مدينة كما ينبغي من وجهة نظرهم القادمين بما من الأندلس وإفريقيا إلى جانب المدينة السابقة ، وفي موقع مرتفع وغنى بالماء وكانت هذه المدينة في مستوى أعلى من القرية البربرية الأولى ومن هنا أطلق عليها لفظ "العالية"^(٥) الموجود في النقود المسكوكة بما المدينة الجديدة ومن أهم ملامحها دار القيطون التي تعتبر مقراً أو نواه لقصر بالإضافة إلى سوق "القيصرية" معنى هذا أن المدينة الثانية التي بناها إدريس الثاني كانت بما لمسات عربية أكثر منها بربرية بعكس المدينة الأولى وهذا فرق آخر يدل على أن المدينتين اللتين كونتا فاس قد تكونان أسستا بفارق زمنى كبير يقدر بعشرين عاماً لا سنة واحدة لهذا أجد نفسى في صف بروفنسال .

١- روض القرطاس ٣٤/١ .

٢- ماضى شمال إفريقيا ص ٢١٧ حيث يرى أن ولى بها متسع لزيادة حجمها .

٣- سلا : تقع على الضفة اليمنى لنهر أبي رقرق فى مواجهة الرباط انظر الصديق بن عربى ص ٢٣٠ .

٤- بروفنسال : الإسلام فى المغرب والأندلس ص ١٥ .

٥- بروفنسال : المرجع السابق ص ١٧ .

الحركة العمرانية لمدينة فاس

تهديد :

أطلق اسم مدينة فاس في البداية على المدينة التي أسسها إدريس بن عبد الله سنة ١٧٢هـ الواقعة في الجزء الشرقي من مدينة فاس هذا المكان كان يغلب عليه الطابع البربري السائد بين سكان المغرب الأقصى وما زالت التسمية الحديثة لبعض الأماكن داخل المدينة محتفظة بأصلها الغير عربي ففيها أسماء مثل كرواوة "جرواوة" وواد مصمودة واشنيجن وتامدارت وهي ألفاظ بربرية بدون شك^(١). كان اهتمام إدريس الأول بالدرجة الأولى إستقرار الوضع وتدعيم موقفه وتوسيع دائرة نفوذه حتى يضمن بقاءه ويؤكد دعائم حكمه ، فلم ينتظر طويلاً فمئذ السنة الأولى توجه إلى الشرق واستطاع القيام بحملة ناجحة ضم فيها مناطق جديدة مثل تامسنا وتادلا وماسة^(٢) وفي السنة التالية واصل نجاحه حتى مدينة تلمسان فدخل أميرها محمد بن خزر المغراوي وبايعه ودخل في طاعته واستقلت له إمارة المغرب^(٣) وفي هذه الفترة الصغيرة ما بين الإنشاء للمدينة ووفاة مؤسسها ١٧٢ : ١٧٥هـ لم يتمكن من تطوير وتحديث للمدينة التي أصابها الكساد عقب الوفاة ولكن لم يصبها الاضمحلال إذ كانت العملة تسك بها عام ١٨٥هـ^(٤) .

هذا وقد نشأ إدريس الثاني بعد وفاة أبيه تحت رعاية راشد وعندما اشتد إدريس وبخاصة في سنة ١٨٩هـ وفد عليه مجموعة سكان من العرب قادمين من إفريقية والأندلس وعددهم حوالي خمسمائة من عدة قبائل منها القيسية والصدف والأزد وبنى يحصب وغيرهم فسر بهم وأكرمهم وجعلهم بطانته

١- لمزيد في هذا الموضوع انظر للباحث : البربر في إفريقية في العصر الأموي ص ٢٠ .
٢- ماسة : وادي ممتد في أقصى سوس بها نهر ينبع على بعد ٦٥ كم جنوب أغادير انظر الصديق بن عربي : المغرب ص ١٧٦ .
٣- الجزنائي : زهرة الآس ص ٩ ، ١٠ .
٤- بروفنسال : الإسلام في المغرب والأندلس ص ١٧ .

دون البربر^(١) هذا العدد غير قليل للاستقرار في مدينة ناشئة حديثة لكنهم وجدوا المدينة على غير المستوى المطلوب أو كما كانوا يفكرون بها حيث إنهم قادمون من مناطق حضارية ، فما كان منهم إلا أن أخذوا على عاتقهم بناء مدينة حقيقية إلى جانب المدينة السابقة وفي موقع أكثر ارتفاعاً وأغنى ماءً ، وكانت أعلى قليلاً من القرية البربرية الأولى لهذا أطلق عليها اسم العالية^(٢) .

وقد تميزت هذه المدينة الجديدة بأنها أكثر تنظيماً ، فيوجد بها دار القيطنون وهى عبارة عن نواه لقصر أو مركز لإدارة المدينة بالإضافة إلى وجود سوق "القيصرية" ومن هذا العرض أستطيع أن أقول أن المدينتين كونتا مدينة فاس فيما بعد قد أسستا بفارق فترة زمنية تقدر بحوالى عشرين عاماً لا عام واحد . فالمدينة الأولى عدوة الأندلس يغلب عليها الطابع البربرى وأنشأها إدريس الأول بمجرد وصوله إلى المغرب والمدينة الثانية عدوة القرويين يغلب عليها طابع العرب الوافدين من الأندلس وإفريقيا هذا على يد إدريس الثانى الذى أراد شيئاً فشيئاً أن يتحرر من البيئة البربرية التى نشأ فيها تحت رعاية مولاه راشد فترل بالعدوة فى مكان يعرف "بالمقرمدة .. وأخذ فى بناء جامع الشرفاء ثم أخذ فى بناء داره المعروفة بدار القيطنون .. ثم بنى القسارية إلى جانب المسجد الجامع وأدار الأسواق حوله من كل جانب"^(٣) .

١- ابن أبى زرع : روض القرطاس ٣٥/١ .

٢- العالية : بمعنى المرتفعة /نظر بروفنسال : الإسلام فى المغرب والأندلس ص ١٧ .

٣- ابن أبى زرع : روض القرطاس ٥٠/١ : ٥١ .

أبواب مدينة فاس

تناولت أبواب مدينة فاس بقسميها أربعة مصادر^(١)

وهناك عدة ملاحظات على هذه المصادر منها :

- ١- ابن القاضي ينقل عن ابن زرع فنعتبرهما مصدراً واحداً بقيادة ابن أبي زرع .
- ٢- وجود اختلاف كبير وواضح بين المصادر الثلاثة في ذكر أسماء أبواب عدوة الأندلسيين وعدوة القرويين .
- ٣- البكري والجزنائي ذكر كل منهما ستة أبواب لعدوة الأندلسيين مختلفة الأسماء إلا اسم باب واحد فقط مشترك بينهما وهو باب الكنيسة .
- ٤- ابن أبي زرع يذكر خمسة أسماء لأبواب عدوة الأندلسيين يذكر منها أسماء لأربعة أبواب دون ذكر الاسم الخامس الذي أشار إليه بأنه يقابل باب الفرّج من عدوة القرويين .
- ٥- الجزنائي وابن أبي زرع يتفقان في ذكر أسماء لثلاثة أبواب من عدوة الأندلسيين الأول منهم وهو باب الكنيسة والثاني والثالث اعتقد أنهما مختلفان في اللفظ فقط وهما باب أبي سفيان "أبي سفين" ، الشيبوبة "الشيبوية" .
- ٦- المصادر الثلاثة تتفق على ذكر باب واحد مشترك بينهم لعدوة الأندلسيين وهو باب الكنيسة .
- ٧- البكري يذكر باباً في عدوة الأندلسيين وابن أبي زرع يذكره في عدوة القرويين وهو باب حصن سعدون .
- ٨- عدوة القرويين عند ابن أبي زرع عدد أبوابها ستة أبواب أما عند البكري والجزنائي فذكر خمسة أبواب لهذه العدوّة .

١- البكري : المغرب ص ١١٦ . ابن أبي زرع : روض القرطاس ١/ ٥٢ : ٥٣ ،
الجزنائي : زهرة الأس ص ١٩ : ٢٠ . ابن القاضي : جذوة الاقتباس ١/ ٣٣ : ٣٤ .

- ٩- الاتفاق بين ابن زرع والجزنائي على ذكر اسمين فقط من أسماء عدوة القرويين وهما باب إفريقية وباب الفرج .
- ١٠- البـكـرى والجزنائي اتفقا على ذكر عدد أبواب عدوة القرويين خمسة أبواب وهذا العدد يقل عما عند ابن أبي زرع .
- ١١- البـكـرى لم يذكر اسم باب واحد يتفق مع ابن أبي زرع والجزنائي فالبكـرى يذكر "ولعدوة الأندلسيين من الأبواب باب الفتوح قبلى منه يخرج إلى القيروان ، وباب الكنيسة شرقى يقابل ربض المرضى وباب أبي خلوف شرقى وباب حصن سعدون جوفى وباب الحوض غربى يقابل عدوة القبرويين وباب سليمان مثله ... ولعدوة القرويين من الأبواب باب الحصن الحديد قبلى يخرج منه إلى زواغة وباب السلسلة شرقى يخرج منه إلى عدوة الأندلسيين وباب القناطر شرقى وباب سياج يحيى بن القاسم جوفى ... وباب سوق الأحد غربى يخرج منه إلى زواغة"^(١) .

ويذكر ابن أبي زرع أبواب مدينة فاس "فبنى بها باب الفوارة .. ومنه يخرج إلى مدينة سجلماسة ... وهبط بالسور على المخفية إلى الوادى الكبير إلى برزخ ، وعمل هنالك باباً يقابل باب الفرج من عدوة القرويين - لم يذكر اسم هذا الباب - .. باب أبي سفيان ومنه يخرج إلى بلاد غمارة وإلى الريف ، ثم سار بالسور على جرواوة فصنع هنالك باباً شرقياً يعرف بباب الكنسية ومنه يخرج إلى بلاد تلمسان"^(٢) ثم أورد ذكر أبواب عدوة القرويين وبدأه بباب "إفريقية وهو أول باب صنع بالمدينة المذكورة .. باب حصن سعدون .. باب الفرس .. و ... باب الفرج .. و .. باب الحديد"^(٣) .

١- المغرب ص ١١٦ .

٢- روض القرطاس ٥٣/١ ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ٢٣/١ .

٣- ابن أبي زرع : روض القرطاس ٥٢/١ ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ٣٣/١ .

أما الجزنائي فقد ذكر أبواب عدوة الأندلس فيقول "ابتداء سورها من جهة القبلة وفتح هناك باباً سماه باب القبلة ، ثم مر بالسور المعروف بالجرواوة ... وفتح باباً سماه باب جرواوة ثم مر بالسور على الموضع المعروف بالمخفية إلى الوادى الكبير ... وفتح هناك باباً سماه باب المخفية كان يقابل باب الفرج من عدوة القرويين ، ثم مر بالسور إلى الشيبوبة وفتح هناك باباً سماه باب الشيبوبة كان يقابل باب الفصيل .. وفتح .. باباً سماه باب أبي سفين ثم مر بالسور على جرواوة وفتح هناك باباً سماه باب الكنيسة" وذكر أبواب مدينة عدوة القرويين فبدأ بأول باب وهو "باب إفريقيا ... باب الفضيل ... ثم مر بالسور من ضفة الوادى وفتح باباً سماه باب الفرج ... باب الحديد ثم مر بالسور لأعلى ... وفتح هناك باباً سماه باب القلعة"^(١)

أما بروفنسال^(٢) فيذكر أبواب العدوتين بطريقة مختلفة فيذكر لكل عدوة ستة أبواب خاصة بها ويجمع أو يختار من بين المصادر السابقة أسماء هذه الأبواب ويسقط الأخرى ففي عدوة الأندلسيين ذكر باين من عند ابن أبي زرع وهما باب أبي سفيان وباب الفوارة ومن عند الجزنائي باب القبلة وباب المخفية وباب مشترك بين الجزنائي وابن أبي زرع وهو باب الشيبوبة وباب واحد مشترك بين المصادر الثلاثة البكرى والجزنائي وابن أبي زرع وهو باب الكنيسة ، في هذا الاختيار اعتمد بروفنسال على الجزنائي بالدرجة الأولى فقد ذكر أسماء الأربعة أبواب وهي الكنيسة والقبلة والمخفية والشيبوبة كذلك ابن أبي زرع وهي أبواب أبي سفيان والكنيسة والفوارة والشيبوبة أما البكرى فقد اعتمد عليه بروفنسال على اسم باب واحد وهو باب الكنيسة ، وفي عدوة القرويين اعتمد بروفنسال على مصدرين فقط واستبعد أى ذكر لأسماء أبواب هذه العدوة الموجودة لدى

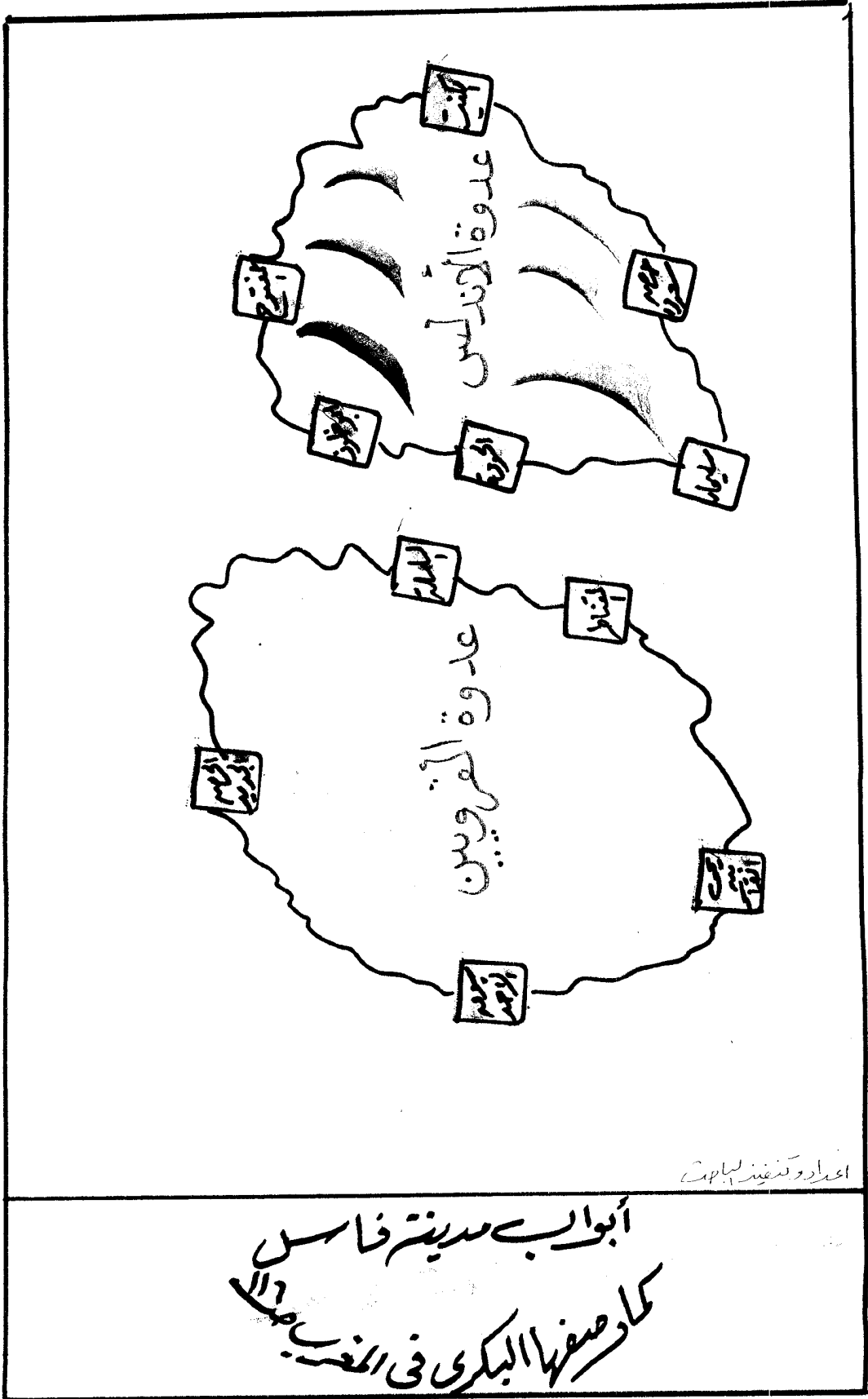
١- زهرة الأس ص ٢٩ : ٣٠ .

٢- نقلاً عن د. عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب الكبير ١/٢ ٩٤٢ .

البكرى، مع أن البكرى هو أقدم هذه المصادر ذكراً لهذه الأبواب فذكر أسماء لأربعة أبواب لدى ابن زرع وثلاثة أبواب لدى الجزنائي هذا وجعل بروفسال لنفسه مخرجا من هذا الاختلاف وجعل لكل عدوة ستة أبواب وهى لعدوة الأندلسيين كالاتى :-

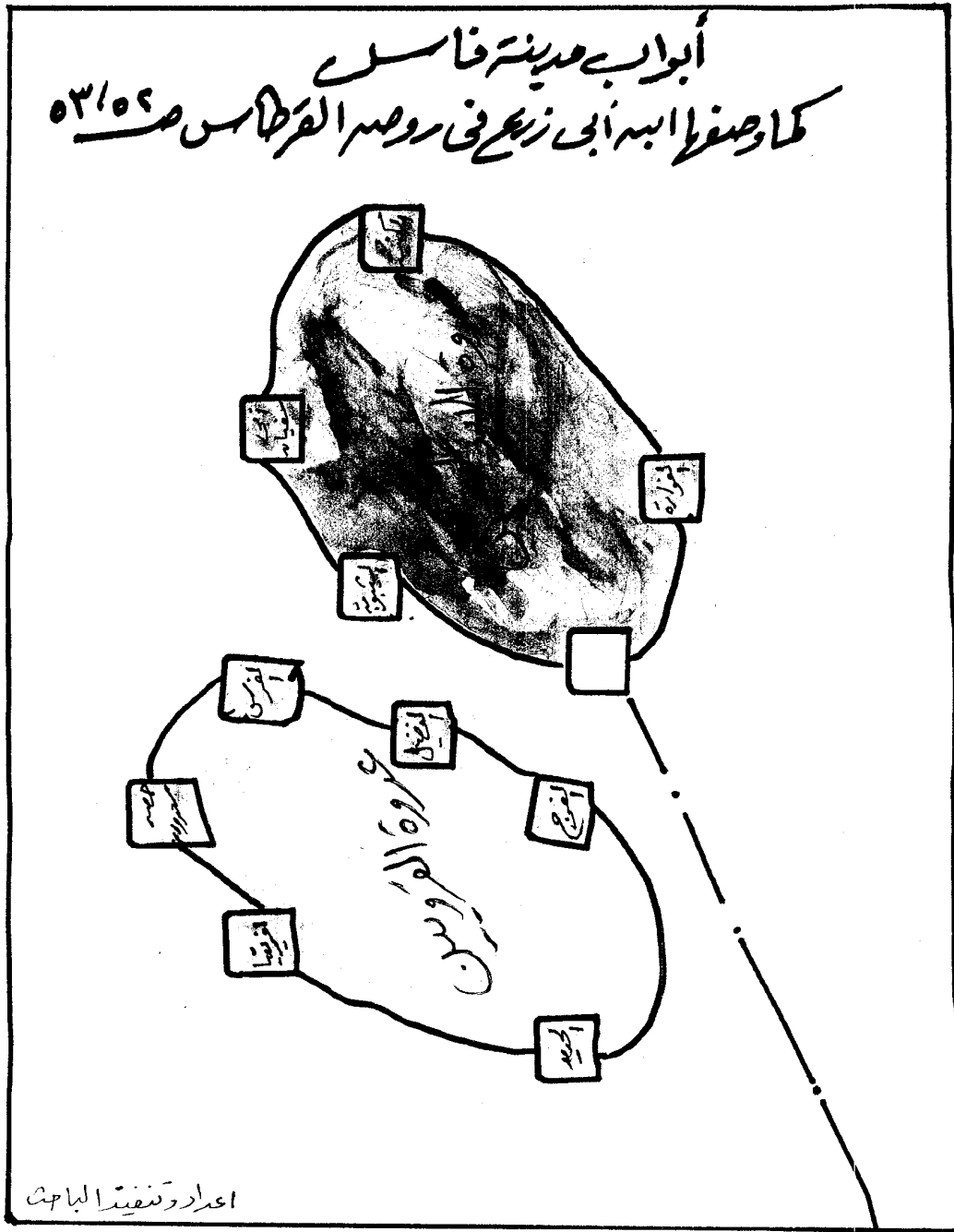
١- أبو سفيان ٢- الكنيسة ٣- القبلة ٤- الفوارة ٥- المخفية ٦- الشيبوية وكذا عدوة القرويين كالاتى ١- حصن سعدون ٢- الفرس ٣- الفاصل ٤- الفرج ٥- الحديد ٦- إفريقيا ، وأياً كان عدد هذه الأبواب فقد بدأت المدينة تستقبل وفوداً من الناس من العرب والبربر سكنوا العدوتين وبدأ اتساع وإعمار المدينة وعملت كل عدوة على تطوير نفسها بفضل هذه الوفود فوجود تنافس بينهما أدى إلى هذا التقدم والتطور بالمدينة .

(انظر أشكال رقم ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧)



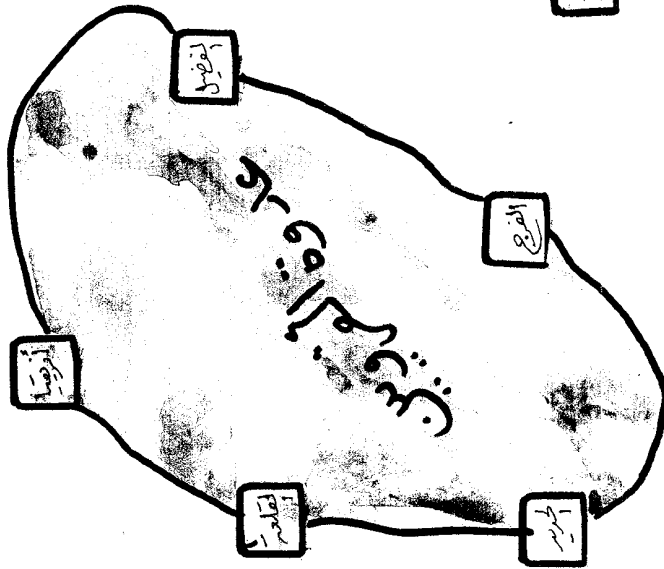
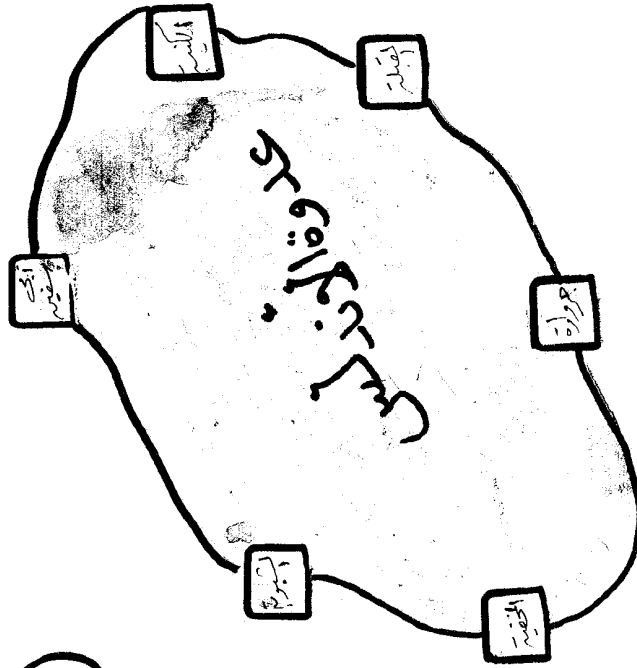
احمد و تقي الدين

أبواب مدينة فاس
كما وصفها البكري في المغرب



هذا الباب لم يسمه صراحة كبقية الأبواب ولكنه قال عنه
«وهبط بالسور على الخفية إلى الوادي الكبير»
نبتة أنه ظلمه عليه باب الخفية.

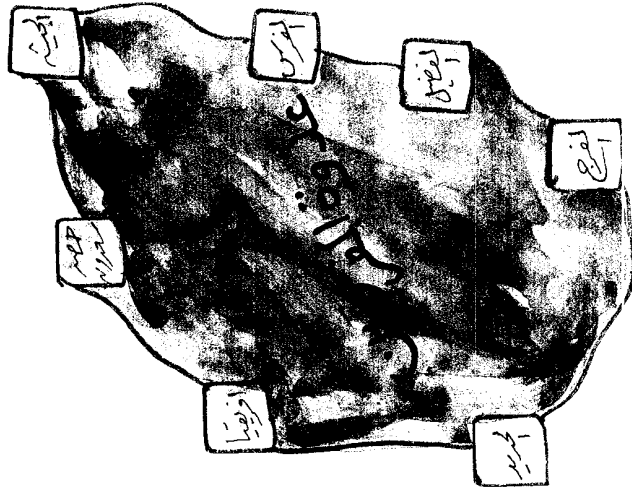
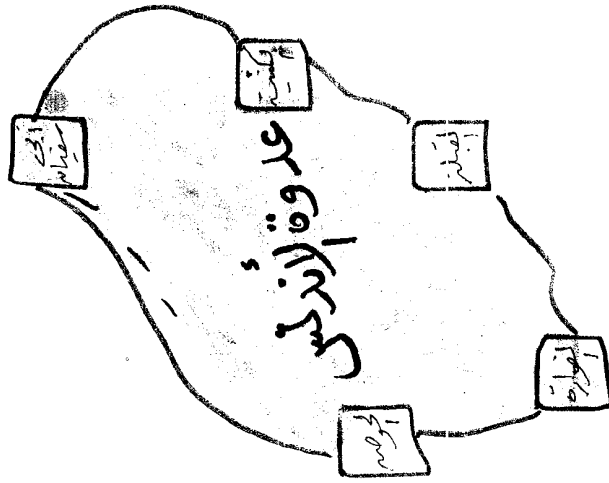
أبواب مدينة فاس
كما وصفها الجزناني في زهرة الألسن ص ٢٠٤١٩



اعداد وتفسير الباحث

أبواب مدينة فاس عند جيارد

تعداد عدد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير ١/٢ ٩٤٣ .



اعداد وتنفيذ الباحث

ذكر أبواب مدينة فاس بطريقة مختلفة حيث جعلت لعدوة القرية سبع أبواب، وعدوة الأندلس خمسة أبواب .

الحركة العمرانية لمدينة فاس فى الفترة ١٧٢هـ : ٤٤٠هـ { الأدارسة - البربر - الفاطميين - الأمويين - البربر }

أولاً : الأدارسة

تتفق المصادر على أن أهم ما حدث لمدينة فاس فى فترة حكم الأدارسة التى بلغت حوالى ١٤١هـ سنة وذلك من سنة ١٧٢هـ إلى سنة ٣١٣هـ بناء جامع القرويين فى العدو الغربية التى أطلق اسم الجامع على اسمها هذا إلى جانب بناء جامع الأندلس فى العدو الشرقية وأيضاً أخذ اسمه من اسم المكان الذى أنشئ فيه .

وقد تناول بناء جامع القرويين بالتفصيل أربعة مصادر مغربية^(١) من بداية قدوم أهل القيروان إلى المدينة حتى تم التفكير فى إنشاء الجامعين من مال سيدتين قادمتين من القيروان بعد حصولهما على هذا المال الحلال بطريق الميراث عن والدهما صاحب الثروة الكبيرة ، وقد تم البناء فى سنة ٢٤٥هـ فى ظل ولاية الأمير يحيى بن محمد بن إدريس^(٢) ، هذا البناء يدل على كثرة المصلين وضيق أماكن الصلاة الموجودة بعدوتى مدينة فاس حيث ضاق مسجد الشرفاء بعدوة القرويين ومسجد الأشياخ بعدوة الأندلس ، وقدوم الناس من بلاد المغرب والأندلس إلى مدينة فاس وفى وقت قصير بعد وفاة إدريس الثانى سنة ٢١٣هـ يدل على امتداد سلطان الأمير يحيى واتساع دولته وهدوء الأحوال فانتشر العمران وبنيت الحمامات وأنشئت الفنادق للتجار وبنيت أيضاً الأرباض خارج الأسوار فاجتذبت الناس من كل مكان

١- ابن أبى زرع : روض القرطاس . الجزنائى : زهرة الآس . ابن القضاى : جذوة الاقتباس . السلاوى : الاستقصا .

٢- الأمير يحيى بن محمد بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن على بن أبى طالب الخـامس فى ترتيب الأدارسة ت- ٢٤٥هـ روض ٧٥/١ .

"وقصد إليها الناس من الأندلس وإفريقيا وجميع بلاد المغرب"^(١)
 فقد وفد على مدينة فاس مجموعة من خيرة أهل مدينة القيروان في ظل
 أزهى عصورها في ولاية الأمير يحيى وكان من بين هؤلاء أحد التجار والأثرياء
 ويدعى "محمد بن عبد الله الفهرى القيروانى" فترل بعدوة القرويين من مدينة
 فاس وبعد وفاته ترك بنتين الأولى تسمى فاطمة والثانية مريم وقد ورثتا مالاً
 كثيراً بعد وفاة والدهما وكانت لهما رغبة في توجيه هذا المال في أعمال البر
 والخير فعندما علمتا باحتياج الناس إلى جامع كبير يستوعب أعداد المصلين في
 كل عدوة من مدينة فاس بعدما ضاق مكان الصلاة بالناس
 فشرعت فاطمة في بناء جامع القرويين ومريم في بناء جامع الأندلس^(٢).

أ- جامع القرويين

فيذكر ابن زرع في ذلك فيقول "أتى وفد القيروان إلى إدريس
 (رضى الله عنه) في جمع كثير بعيالهم وأولادهم فأنزلهم بعدوة القرويين وكانت
 فيهم امرأة مباركة سالحة اسمها فاطمة وتكنى أم القاسم بنت محمد الفهرى
 القيروانى أتت من إفريقيا مع أختها وزوجها فسكنوا بالقرب من موضع
 الجامع المذكور ، افتوى زوجها وأختها فورثت منهما مالاً جسيماً حلالاً طيباً
 ... فأرادت أن تصرفه في وجوه البر وأعمال الخير ، فعزمت على بناء مسجد
 تجدد ثوابه في الآخرة ... فاشتريت موضع القرويين ... ثم شرعت في حفر
 أساسها وبنائها وذلك يوم السبت مهل رمضان المعظم سنة خمس وأربعين
 ومائتين"^(٣) أما الجزنائى فيذكر "في أيام يحيى بن محمد بن إدريس كان من قدم
 عليها من القيروان محمد بن عبد الله الفهرى القروى ونزل بعدوة القرويين

١- ابن أبى زرع : روض القرطاس ٧٥/١ .

٢- ابن أبى زرع : روض القرطاس ٧٦/١ . الجزنائى : زهرة الآس ٣٥ ، ابن القاضى :
 جذوة الاقتباس ٥٢/١ .

٣- ابن أبى زرع : روض القرطاس ٧٦/١ : ٧٧ ، كذا السلاوى : الاستقصا ١٥٩/١ .

مع أهل بلده الذين وفدوا معه فمات وترك بنتين وهما فاطمة المدعوة بأُم البنين ومريم وتحصل لهما بالميراث مال كثير طيب ورغبنا أن تصرفاه في وجوه من البر فعلمتا أن الناس قد احتاجوا لبناء جامع كبير في كل عدوة من فاس لضيق الجامعين القديمين بالناس فشرعت فاطمة في بناء جامع عدوة القرويين ومريم في بناء جامع الأندلس ... أما جامع القرويين فبدأ الشروع في حفر أساسه والأخذ في أمر بنائه يوم السبت مهل شهر رمضان المعظم سنة خمس وأربعين ومائتين^(١) .

هذه النصـوص بما عدة ملاحظات منها :

- ١- أن السلاوى ينقل عن ابن أبي زرع وابن القاضى ينقل عن الجزنائى .
- ٢- البناء تم في شهر رمضان سنة ٢٤٥هـ أما اليوم فهو السبت أول رمضان "فاتح شهر رمضان"^(٢) "مهل شهر رمضان"^(٣) .
- ٣- نزول محمد الفهرى القيروانى وأولاده بعدوة القرويين كما عند ابن أبي زرع ، أما الجزنائى فيذكر نزول محمد بن عبد الله الفهرى فى أيام يحيى بن محمد بن إدريس ، أضاف الأول لقب القيروانى وأضاف الثانى ابن عبد الله إلى والد فاطمة صاحبة بناء مسجد القرويين بالإضافة إلى ذكره **أبو القاسم** الإدريسى ، هذا إلى جانب انفراد ابن أبي زرع بذكر كنية ثانية لفاطمة "أم القاسم" مع أنه ذكر كنيته التى ذكرتها المصادر السابقة فى موضع آخر وهى "أم البنين" .
- ٤- المال الذى استخدم فى البناء جاء عن طريق الميراث ، هذا الميراث ورثته فاطمة عن زوجها وأختها كما جاء عند ابن أبي زرع ، وورثته عن

١- زهرة الآس ٢٤ : ٢٥ ، كذا ابن القاضى : جذوة الاقتباس ١/٥٣ .

٢- السلاوى : الاستقصا ١/١٥٩ .

٣- ابن أبي زرع : روض القرطاس ١/٧٦ .

زوجها وأخواتها كما عند السلوى ، وورثته عن أبيها كما عند ابن القاضى ، وورثته فاطمة ومريم عن والدهما كما عند الجزنائى ... أمرهم أن الجزنائى وفق فى تعبيره لأن فاطمة ومريم أخذتا المال وأنشئتا الجامعين وبما أن ابن القاضى ينقل عن الجزنائى فقد اختصر الذكر على فاطمة فقط أيضاً السلوى الذى ينقل عن ابن أبى زرع فذكر ميراث فاطمة عن زوجها وأختها "أخواتها" . الميراث لا يحدث إلا بعد الوفاة والذكر هنا أن فاطمة ورثت أختها والثابت أن مريم أخت فاطمة هى صاحبة بناء جامع الأندلس فكيف ينطبق هذا مع منطوق الحديث؟

- ٥- هذا المال وجه للصرف فى البر وأعمال الخير "فعزمت" فاطمة على بناء مسجد كما عند ابن أبى زرع والسلوى ، "فعلمتنا" أن الناس قد احتاجوا لبناء جامع كبير فى كل عدوة ، عزم فاطمة على بناء جامع يدخلها فى درجة التباهى والتفاخر بهذا العمل ، أما علمها باحتياج الناس فينفى الدرجة السابقة بالإضافة إلى أنه يدل على أنها صاحبة رؤية تحدم بها المصالح التى يحتاجها سكان المدينة لا خدمة نفسها بالدرجة الأولى .
- ٦- ميراث فاطمة ومريم للمال جعل كل منهما تقيم جامعاً فى كل عدوة ولم يقتصر البناء على العدوة التى يسكنونها فعلاقة العدوتين فى هذه الفترة يدل عليها هذا البناء الذى لا يفرق بين العدوتين .
- ٧- شراء الأرض ممن كان يملكها كما عند ابن أبى زرع^(١) استخدم التعميم وخصصت هذه الأرض لصاحبها وهو رجل من هواره كما عند الجزنائى^(٢) مع أنه لم يذكر اسم هذا الرجل .
- ٨- السلوى لم يذكر مريم صاحبة بناء مسجد الأندلس .

١- روض القرطاس ٧٦/١ .

٢- زهرة الآس ٢٥ .

ومن الجدير بالذكر أن مسجد القرويين استحوذ على كل الاهتمام والتفاصيل المتعلقة به مما أدى إلى نسيان ذكر جامع الأندلس. هذا وقد ذكرت مساحة مسجد القرويين عند ابن زرع كالآتي "أربعة بلاطات وصحناً صغيراً... وجعلت طوله من الحائط الغربي إلى الحائط الشرقي مائة وخمسين شبراً وبنيت فيه صومعة غير مرتفعة"^(١) أما الجزئائي فيذكر المساحة كالآتي "وبني من أربع بلاطات من قبلة الوجوه في كل بلاطة اثنا عشر قوساً من شرق إلى غرب وجعل محاربه بمقدار البلاط الذي أمام الثريا الكبرى الآن وجعل مؤخره صحناً صغيراً ومؤخره صومعة"^(٢)

يوجد بين النصين اتفاق واختلاف كالتالي :

اتفقا على مساحة الجامع أربع بلاطات ، أما الطول فقد حدد من الحائط الغربي إلى الحائط الشرقي بحوالي مائة وخمسين شبراً أى ما يقدر بخمسة وثلاثين متراً وبه صومعة مرتفعة لم يحدد موقعها كما حدد مكان المحراب في موضع الثريا الكبرى والتي وجدت في وقت وحياة ابن زرع ، أما الجزئائي فقد حدد مساحة البلاط باثني عشر قوساً من الشرق إلى الغرب والصحن والصومعة في مؤخرة المسجد . هاتان الروايتان تفصل كل واحدة منها جزءاً من الجامع مع اختلاف نوع المقياس بين الشبر والقوس .

١- روض القرطاس ٧٧/١ ، وكذا السلاوى : الاستقصا ١٦٠/١ .

٢- زهرة الآس ٢٥ ، وكذا ابن القاضى : جذوة الاقتباس ٥٢/١ مع اختلاف .

ثانياً : البربر وبنى أمية والفاطميين ثم البربر ٤٤٠هـ

هذا ولم تذكر المصادر متى تم الانتهاء من البناء فبدايته سنة ٢٤٥هـ ولم يتم نقل الخطبة به إلا في سنة ٣٠٧هـ^(١) حينما تغلب البربر "زناتة" على مدينة فاس^(٢) فقاموا بإلغاء الخطبة من جامع الشرفاء حيث ضاق على المصلين وانتقلت إلى جامع القرويين وذلك لاتساعه وكبر مساحته^(٣) فالفترة ما بين سنة ٢٤٥هـ إلى سنة ٣٠٧هـ مجهولة الذكر أى أنه لم يذكر أى دور للجامعيين وخاصة جامع القرويين في هذه الفترة فمع ذكر تفاصيل بسيطة خاصة بمتعلقات الجامع فكان من الأجلر عدم إهمال هذه الفترة من تاريخ إنشاء الجامع ، والبناء الجديد دائماً له جاذبية ، فهل لنا أن نتساءل عن اسقاط هذه الفترة من الذكر؟ فهل الجامع لم يمارس أى نشاط له في هذه الفترة؟ أو هل أنشئ الجامع وأقيمت

١- ذكر ابن زرع والجزنائي بجانب هذا التاريخ رأياً وتاريخاً آخر لنقل الخطبة من مسجد الشرفاء إلى جامع القرويين فالأول يذكر "وقيل من نقل الخطبة من مسجد الشرفاء إلى جامع القرويين الأمير حامد بن حمدان الهمداني عامل عبيد الله الشيعي على المغرب وذلك في سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة" روض القرطاس ٧٨/١ .

أما الثاني فيذكر أيضاً بالتفصيل ولكنه يختلف في اسم الأمير فبدلاً من حمدان يذكر أحمد ويقول "وقيل سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة وأن الذي أقام الخطبة إذ ذاك هو الأمير حامد بن أحمد الهمداني عامل عبيد الله الشيعي على بعض بلاد المغرب بعد أن تغلب عليها مصالة بن حبوس القائم بدعوة الشيعي على بعض بلاد المغرب ولم يزل ذلك إلى أن تقوى ظهور زناتة بالمغرب لاستدعاء الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد ملك بر الأندلس لكبرائهم ورؤسائهم وبنانتشار وصاياه ووصله الأخبار منهم ولهم ومهاداتهم وإكرام ساداتهم وقصى ما فاتهم ... إلى أن هُديت إليها أفئدة كثيرة منهم بين مصحح في ولايته ومستجيب لدعوته ... فقامت زناتة بدعوة الناصر لدين الله وتغلبوا على بعض بلاد المغرب وبايعه أهل مدينة فاس فيمن بايعه ... فولى عليهم عاملاً من زناتة يعرف بأحمد بن أبي بكر بن أحمد بن أبي سعيد الزناتي" الجزنائي : زهرة الأس ص ٣٦ .

هذا وتعتبر رواية الجزنائي مضطربة حيث ذكر عاملين لعبيد الله الشيعي في وقت واحد وهو الأمير حامد ومصالة بن حبوس وما كان الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر أن ينتظر إلى سنة ٣٢١هـ حتى يمد ببصره إلى بلاد المغرب ومدينة فاس عاصمة المغرب فكانت البداية في سنة ٣٠٧هـ وتوالى تأكيد هذا النفوذ حتى نهاية عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر الأموي والذي انتهى سنة ٣٥٠هـ .

٢- استقر ملك البربر ببلاد المغرب في هذه الفترة فانتشر العمران والبناء فأنشأوا الأسوار على رباط عدوة الأندلس وعدوة القرويين *انظر* ابن أبي زرع : روض القرطاس ٧٨/١ .

٣- ابن أبي زرع : روض القرطاس ٧٨/١ . الجزنائي : زهرة الأس ص ٣٥ .

الصلاة به ولم يخبر بها ، وهل هذا التاريخ ٣٠٧هـ —
يعتبر أول صلاة رسمية أقيمت بهذا الجامع؟
ومن الجدير بالذكر أن أول زيادة حدثت في جامع القرويين تمت تحت سيطرة
عبد الرحمن الناصر لدين الله الأموي^(١) صاحب الأندلس على مدينة فاس على
يد أحمد بن أبي بكر الزناتي سنة ٣٤١هـ^(٢) وبعد ثلاث سنوات أراد أن يوسع
ويصلح بجامع القرويين فطلب الأموال اللازمة لذلك من الخليفة عبد الرحمن فزاد
بالجامع من ناحية الشرق والغرب والجنوب بالإضافة إلى هدم صومعته القديمة
وأقام مكانها صومعة جديدة وفي ذلك يذكر الجزنائي استأذن أحمد بن أبي بكر
الزناتي من صاحب الأندلس عبد الرحمن الناصر "ليستأذن"^(٣) في بناء الجامع
وإصلاحه والزيادة فيه لحاجة الناس لذلك فأذن له وبعث له بمال كثير من أخماس
غنائم الروم وأمره أن يصرفه فيه فأصلحه وزاد فيه أربع بلاطات من الغرب
وخمسة من الشرق وثلاث من الجوف في موضع الصحن الذي كان فيه بلاط
واحد بعد أن هدم الصومعة التي كانت به لكونها متطاولة الإشراف وبنائها"^(٤)
أما ابن أبي زرع فقد ذكر الزيادة التي تمت للجامع بصفة عامة دون الدخول

١- عبد الرحمن بن محمد الناصر لدين الله : هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن
محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام بن
عبد الملك بن مروان تولى الخلافة ببلاد الأندلس في مدينة قرطبة بعد وفاة جده عبد الله
ابن محمد يوم الخميس في بداية شهر ربيع الأول سنة ٣٠٠هـ يعتبر أعظم خلفاء بني
أمية سلطاناً في الحكم والإدارة ببلاد المغرب والأندلس توفي في ليلة الأربعاء الثاني من
رمضان سنة ٣٥٠هـ *انظر* ابن الأبار : الحلة السيرة ١/١٩٧ .

٢- أحمد بن أبي بكر الزناتي كما عند ابن أبي زرع وكذا السلاوي الذي يضيف إليه
اليفرنى . وعند الجزنائي أحمد بن أبي بكر بن أبي سعيد الزناتي وكذا ابن القاضي
وعند البكري أحمد بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن أبي سهل الجدامي . كان من أهل
الفضل والدين استولى على مدينة فاس بعد أن انطلق إليها من مدينة المهديّة فولّاهم لعبد
الرحمن الناصر سنة ٣٤١هـ *انظر* البكري : المغرب ص ١٣٨ . ابن أبي زرع : روض
القرطاس ١/٧٩ . الجزنائي : زهرة الأس ص ٣٦ . ابن القاضي :
جذوة الاقتباس ١/٥٣ . السلاوي : الاستقصا ١/١٦٠ .

٣- الإنن : هنا معناه الموافقة على إتمام العمل أولاً ثم إرسال المال اللازم لإتمام هذا العمل

٤- الجزنائي : زهرة الأس ص ٣٦ . كذا ابن القاضي : جذوة الاقتباس ١/٥٣ .

في التفاصيل "فأصلح جامع القرويين وزاد فيه من ناحية المشرق ومن ناحية المغرب والجوف وهدم صومعته القديمة... وبني الصومعة التي به الآن"^(١) وكتب على بابه مربعة بالحص واللزورد^(٢) : "هذا ما أمر به أحمد بن أبي بكر الزناتي هداه الله ووفقه ابتغاء ثواب الله وجزيل إحسانه"^(٣) هذا وقد صنعوا منبراً له من خشب الصنوبر وذلك في سنة خمس وأربعين وثلاثمائة^(٤)

الصومعة : السبب في هدمها على يد أحمد بن أبي بكر الزناتي
كما يذكر الجزناتي "لكونها متطاوله الإشراف"^(٥) أما مساحة الصومعة فهناك اختلاف واضح بين الطرفين :

الأول عند ابن أبي زرع الذي يذكر "لما شرع الأمير أحمد بن أبي بكر في بناء صومعة القرويين جعل سعة كل واحدة منها سبعة وعشرين شبراً فيتحصل في الأربع جهات مائة شبر وثمانية أشبار... وابتداء العمل في هذه الصومعة يوم الاثنين غرة رجب من سنة أربع وأربعين وثلاثمائة وفرغ من بنائها وتشبيدها في شهر ربيع الآخر سنة خمس وأربعين وثلاثمائة"^(٦)

أما الطرف الثاني عند الجزناتي فيذكر في هذه النقطة "ولما شرع في بنائها جعل سعة كل وجه منها أحد وعشرين شبراً ويصعد لها على مائة درجة ودرجة وجعل بابها من جهة القبلة... وتم العمل في بنائها على يد أحمد بن أبي بكر الزناتي في شهر ربيع الأول من سنة خمس وأربعين وثلاثمائة"^(٧).

-
- ١- روض القرطاس ٧٩/١ . كذا السلاوي : الاستقصا ١٦٠/١ .
 - ٢- اللزورد : كلمة فارسية أطلقها العرب على حجر عندهم سماوى اللون كانوا يسمونه "العوهق" والعوهق طائر أسود اللون لريشه بريق *انظر* يحيى بن ماسوية : كتاب الجواهر وصفاتها ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧م ص ٦٢ .
 - ٣- السلاوي : الاستقصا ١٦٠/١ . كذا ابن أبي زرع : روض القرطاس ٧٩/١ : ٨٠ .
 - ٤- ابن أبي زرع : روض القرطاس ٧٨/١ . الجزناتي : زهرة الأس ص ٣٥ .
 - ٥- زهرة الأس ص ٣٦ .
 - ٦- روض القرطاس ٧٩/١ : ٨٠ .
 - ٧- زهرة الأس ص ٣٦ : ٣٧ .

الصومعة هدمت لأنها متطاولة أو مستطيلة وصغيرة فبناها أحمد بن أبي بكر مربعة الشكل لها جهات أربع كل جهة منها تبلغ مساحتها حوالي ٢٧ شبراً فتبلغ مساحة الجهات الأربع حوالي مائة شبر وثمانية أشبار ، وجعل بابها من جهة القبلة وبداية الإنشاء في أول رجب سنة ٣٤٤هـ وانتهاء البناء في شهر ربيع الآخر سنة ٣٤٥هـ هذا مما ذكر عن الطرف الأول أما الثاني فقد جعل مساحة كل وجهه ٢١ شبراً فيبلغ عدد الجهات الأربع حوالي ٨٤ شبراً وجعل لها سلماً يبلغ مائة درجة ودرجة وجعل الباب من جهة القبلة وأنهى البناء في شهر ربيع الأول سنة ٣٤٥هـ ،

اتفق الطرف الأول ابن أبي زرع والطرف الثاني الجزنائي على :

١- أن الذي هدم الصومعة وقام ببنائها أحمد بن أبي بكر

٢- تغيير الشكل إلى مربعة بدلاً من المتطاولة

٣- أداة القياس هو الشبر

٤- باب الصومعة من جهة القبلة

٥- البناء انتهى في سنة ٣٤٥هـ .

واختلفا على : ١- المساحة: فالأول يذكر مساحة الضلع حوالي سبعة وعشرون شبراً والثاني واحد وعشرون شبراً

٢- الأول ذكر مساحة الجهات الأربع حوالي ١٠٨ أشبار والثاني جعل للصومعة درجات للسلم تبلغ حوالي مائة درجة ودرجة ، أيضاً ذكر مساحة الضلع الخاص بالصومعة والذي يبلغ ٢١ شبراً فقط فإذا قمنا بضرب الأربعة أضلاع في مساحة الضلع الواحد $21 \times 4 = 84$ شبراً فهل من المعقول أن يبني مائة درجة ودرجة للصومعة في حين أن مساحة الصومعة حوالي ٨٤ شبراً أي حوالي ١٧ م .

٣- الأول ذكر بداية البناء في أول رجب سنة ٣٤٤هـ في حين لم يذكره الثاني

٤- ذكر شهر الانتهاء من البناء وهو شهر ربيع الآخر عند الأول وربيع الأول عند الثاني .

وعلى هذا نرى أن رأى الطرف الأول "ابن أبي زرع" هو القريب إلى الصحة .
أنشئت صومعة جامع القرويين الجديدة في سنة ٣٤٥هـ على يد أحمد بن أبي بكر الزناتى تحت إشراف ورعاية الأمويين فى الأندلس فرينت الصومعة ونقشت بالذهب ووضع سيف الإمام إدريس بها^(١) .
وفى سنة ٣٨٨هـ بنى المنصور بن أبى عامر^(٢) حاجب هشام المؤيد على جامع القرويين بمدينة فاس القبة التى توجد فى وسط الصحن حيث كان المنادى القديم^(٣) وفى سنة ٣٩٥هـ بنى عبد الملك بن المنصور بن أبى عامر ساقية تجلب الماء من وادى حسن الذى يوجد خارج المدينة من ناحية باب الحديد^(٤) .

ب - جامع الأندلس

أما جامع الأندلس الذى أقيم سنة ٢٤٥هـ على يد مريم بنت محمد الفهرى وقد ساعدها فى بنائه بعد أن اشترت أرضاً مجموعة من الأندلسيين

١- ابن أبى زرع : روض القرطاس ٨٠/١ سبب وضع السيف فى هذا المكان أنه قد اختصم حفدة الإمام إدريس لدى أحمد ابن أبى بكر حول ملكية هذا السيف . وطلب كل منهم أن يحتفظ به لنفسه وظل النزاع بينهم فترة طويلة فاستطاع الأمير أحمد أن يخلصه منهم ويضعه فى دورة الصومعة برضائهم جميعاً *انظر* ابن أبى زرع : روض القرطاس ٨٠/١ . الجزنائى : زهرة الآس ص ٣٧ .

٢- محمد بن عبد الله بن أبى عامر ولد سنة ٣٢٧ هـ ذهب إلى مدينة قرطبة للدراسة فى معاهدها واستطاع أن ينبغ فى العلوم والآداب والشريعة . فوضت إليه بعض أمور الدولة فى عهد هشام بن الحكم ثم استولى على الدولة وتحكم بزمام أمورها فقدم رجال البربر وأخر رجال العرب وتسمى بالحاجب المنصور وأمر له بالدعاء على المنابر عقب الدعاء للخليفة هشام فنعمت بلاد الأندلس فى عهده بالهيبة والقوة وازدهرت للزراعة والصناعة والعلوم ونهضت العلوم وامتألت خزائن مدينة قرطبة بالأموال وعندما اشتد عليه المرض استقدم ابنه عبد الملك وألقى إليه نصائحه الأخيرة وتوفى سنة ٣٩٣ هـ فخلفه ابنه عبد الملك وسار على سياسة أبيه إلى أن توفى سنة ٣٩٩ هـ فخلفه أخوه عبد الرحمن *انظر* ابن الأثير : الكامل ٢٢٥/٨ ، ابن خلدون : العبر ١٤٧/٤ ، المقرئ : نفع الطيب ١٨٥:١٩٨ .

٣- ابن أبى زرع : روض القرطاس ٨١/١ ، الجزنائى : زهرة الآس ص ٤١ .

٤- ابن أبى زرع : المصدر السابق ٨٢/١ ، الجزنائى : المصدر السابق .

المقيمين بهذه العدوّة والتي سميت على اسمهم وأيضاً أطلق اسم الجامع كذلك ، ويتكون هذا الجامع من ست بلاطات وله صحن صغير مصنوع من خشب الأشجار بالإضافة إلى سقاية غزيرة الماء تعرف بسقاية مصمودة وقد حدث لهذا الجامع زيادة تحت الإشراف الأموي في عهد الناصر لدين الله حين فرض سيطرته على بعض بلاد المغرب زاد فيه زيادات أهمها الصومعة الموجودة به وذلك تم في شهر جمادى الأولى سنة خمس وأربعين وثلاثمائة ونقلت الخطبة إليه من جامع الأشياخ سنة ٣٢١هـ^(١) .

هذا وقد أدت سيطرة قبيلة زناتة قبل دخول المرابطين على مدينة فاس إلى أن صار الناس ينون بعدوة الأندلس وبعدوة القرويين حتى اتصلت وانتشرت العمارات بكل جهة وظهر هذا واضحاً في ظل ولاية الأمير دوناس بن حمّامة بن المعز بن عطية^(٢) فقد اهتم بأسوار المدينة من كل جهة وأضاف إليها منشآت جديدة حتى تستوعب الزيادة في عدد القادمين إليها فبنى المساجد والفنادق والحمامات مما جعلها أشبه بمدينة واحدة^(٣) ثم أضاف ولداً دوناس ، الفتوح في عدوة الأندلس قصبه أو قصرًا لإقامته بالمنطقة المعروفة بالكندان كما بنى باباً سماه على اسمه "باب الفتوح" كما بنى الابن الثاني لدوناس ويدعى عجيسة قصبه لسكنائه بمنطقة عقبه الصعتر وفتح باباً سماه باسمه أيضاً لكن

١- الجزنائي : زهرة الأس ص ٨١ .

٢- دوناس بن حمّامة بن المعز بن عطية المغربي : يكنى أبا العطف حكم مدينة فاس بعد وفاة أبيه حمّامة استطاع أن يحافظ على مدينة فاس من ابن عمه حماد بن معنصر بن المعز عندما خرج عليه . لم يشتغل دوناس في معظم أيامه إلا بالبناء والتشييد توفي في شوال سنة ٤٥٢هـ- *انظر* ابن أبي زرع : روض القرطاس ١/١٧٢:١٧٣ ، السلاوي : الاستقصا ١/٢٠٣ .

٣- أقام دوناس بن عطية قناطر بين العدوتين جعلتهما أشبه بمدينة واحدة ١- قنطرة أبي طوبة ٢- قنطرة أبي برقوقة ٣- قنطرة باب السلسلة ٤- قنطرة الصباغين .
٥- قنطرة كهف الوقادين ٦- قنطرة الرميّة *انظر* الجزنائي : زهرة الأس ص ٣١ .

الفتوح استطاع تغيير اسم باب أخيه بعد أن تغلب عليه وقتله من عجيسة
إلى باب الجيسة^(١).

١- الجزنائي : زهرة الأس ص ٣١ ، ابن القاضي : جذوة الاقتباس ٤٨/١ .

مدينة فاس و الأدارسة ١٧٢ - ٣١٣ هـ

بعد وفاة إدريس الأول سنة ١٧٥ هـ لم يترك أولاداً ولكنه ترك جارية له حاملاً فوضعت له ولداً بعد وفاته سمي باسم أبيه وأصبح يسمى "إدريس بن إدريس" تولاه مولاه راشد بالرعاية والاهتمام ، وبعد أن اشتد عوده وأصبح يعتمد عليه ما انتظر كثيراً حتى خرج يغزو ويوسع دائرة نفوذه ففي سنة ١٩٧ هـ خرج لغزو منطقة نفيس^(١) ثم غزا نفزه^(٢) وتلمسان ورجع سنة ١٩٩ هـ كما ذكر البكري^(٣) لكن ابن عذارى يرى أن إدريس غزا نفزه أولاً حتى وصل إلى مدينة تلمسان وبعد أن انتهى عاد إلى مدينة فاس ثم توجه إلى وادي نفيس وفتح بلاد المصامدة^(٤) أما ابن أبي زرع فقد ذكر نشاط إدريس الثاني خارج مدينة فاس بشيء من التفصيل فهو يتفق مع البكري في بداية خروج إدريس إلى نفيس وبلاد المصامدة

١- البكري : المغرب ص ١٢٣ .

نفيس : تطلق على المنطقة الواقعة في الجنوب الغربي من مدينة مراكش وهي بلد قديم غزاها عقبة بن نافع وحاصر بها الروم ونصاري البربر وكانوا قد اجتمعوا بها لحصانتها وسعتها فاستطاع فتحها وبنى بها مسجداً وأصابوا فيها غنائم كثيرة سنة ٦٢ هـ تسكنها قبيلة جنفية بها جامع وحمام وأسواق ونهر يتفرع من وادي تتسيفت بينها وبين البحر مسيرة يوم يسكنها قبائل من البربر أكثر من معمورة انظر : البكري : المغرب ص ١٢٣ ، الصديق بن عربي : المغرب ص ١٩٣ .

٢- نفزه : قبيلة كبيرة من قبائل البربر البتر كانت تسكن المغرب الأولى حتى نسب إليها شط الجريد ولا يزال هذا الاسم موجوداً بالقطر التونسي أما المغربيين الأوسط والاقصى فلا يزال بهما من الأسماء ما يذكر بهذا الشعب انظر ابن الخطيب : أعمال الأعلام ٣/١٩٥ ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ١/٤٠ .

٣- المغرب ص ١٢٣ .

٤- البيهقان ١ / ٢١١ .

مصمودة : مجموعة قبائل تستقر في منطقة أم الربيع والأطللس الكبير إلى شواطئ البحر المحيط انظر الصديق بن عربي : المغرب ص ١٨٧ .

ومدينة أغمات^(١) وبعد أن انتهى من فتحهم رجع إلى مدينة فاس فمكث بها إلى شهر المحرم سنة ١٩٩هـ ثم توجه إلى قبائل نفزة حتى استطاع التغلب عليهم ودخل مدينة تلمسان التى اختصها بالرعاية والاهتمام فنظر فى أحوالها وأصلح أسوارها وجامعها وصنع فيه منبراً وجد مكتوب عليه "هذا ما أمر به الإمام إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن على بن طالب رضى الله عنهم فى شهر المحرم سنة ١٩٩هـ" وقد مكث إدريس الثانى حوالى ثلاث سنوات بمدينة تلمسان ثم عاد مرة أخرى إلى مدينة فاس^(٢)

هذا هو النشاط الخارجى للإمام إدريس الثانى والذى انتهى سنة ٢٠٢هـ ومن الجدير بالذكر أن الإمام إدريس الثانى قد توفى سنة ٢١٣هـ وبقت فترة تقدر بحوالى إحدى عشرة لم تذكر المصادر أى سبب لانتهاء النشاط الخارجى فى هذه الفترة .

توفى الإمام إدريس الثانى وعمره ثمان وثلاثون سنة على الراجح ويذكر أنه توفى وهو ابن ست وثلاثون سنة^(٣) أو ابن ثلاث وثلاثون سنة^(٤).

وقد دفن الإمام إلى جانب قبر أبيه برباط وليلى^(٥) على خلاف ما يذكر من دفنه بإتجاه الحائط الشرقى أو بقبلته^(٦) .

-
- ١- أغمات : معناه المكان المصبوغ أو الصبغة الحمراء وهى عبارة عن مدينتين متقابلتين أغمات هيلانة وأغمات وريكا سكانها من المصامدة تقع بالقرب من مدينة نفيس نظير البكرى : المغرب ص ٨٦ ، ١٥٢ ، ١٥٤ ، الإدريسى : المغرب ص ٧٩ : ٨٠ ، ياقوت : معجم البلدان ١/ ٢٢٦ : ٢٢٧ .
 - ٢- روض القرطاس ١ / ٦٨ : ٦٩ .
 - ٣- ابن زرع : روض القرطاس ١ / ٧٠ ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ١ / ٤١ .
 - ٤- البكرى : المغرب ص ١٢٣ .
 - ٥- ابن أبى زرع : روض القرطاس ١ / ٧٠ ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ١ / ٤١ .
 - ٦- ابن أبى زرع : روض القرطاس ١ / ٧٠ .

مدينة فاس تحت خلفاء إدريس الثاني

توفي إدريس الثاني وهو في نهاية العقد الثالث من عمره سنة ٢١٣هـ تاركاً مجموعة من الأبناء حوالى (اثنى عشر) يتقاسمون دولة أبيهم ولم تعد المنطقة التابعة لها مدينة فاس ضمن عاصمة الدولة على المستوى السابق لها قبل التقسيم على الأبناء .

وعلى الرغم من ذلك لم تتأثر بالنمو والزيادة وحتى إن تأثرت حياتها السياسية كعاصمة للدولة بالانخفاض نتيجة التقسيم .

هذا وقد لعبت مدينة فاس في هذه الفترة دورا هاما في الجانب الديني والاقتصادى والثقافى لأنها في ذلك تعتبر المدينة الكبرى والمؤثرة في المنطقة داخل المغرب الأقصى وخاصة في المنطقة الممتدة من المحيط الأطلنطى ونهر ملوية من جهة وجبال أطلس والبحر المتوسط من جهة أخرى حيث لا نجد بهذه المنطقة مدينة هامة أخرى تعادل في أهميتها مدينة فاس ، فمدينة طنجة وسبتة على الساحل منحرفتان ، أما مدينة ولى فقد فقدت أهميتها منذ نشأة مدينة فاس وتحول الأدارسة إليها ، وأما المدينة الأخرى فهى مكناس فلم تكن سوى قرية بربرية كبيرة فبقيت مدينة فاس تحتل المكانة الأولى في المغرب حيث أنها تعتبر ملتقى الجوانب الخاصة بالاقتصاد والنشاط التجارى لمنطقة غنية بالموارد الطبيعية^(١).

ومن الجدير بالذكر أن الإمامة ذهبت إلى أكبر أبناء إدريس الثاني وهو محمد بن إدريس^(١) الذي سعى إلى تقسيم الدولة على إخوته^(٢) وذلك بهدف العمل على تقوية الأسرة بأن تكون الولايات والقيادات العسكرية بين أيدي أفرادها^(٣) وربما أخذ بنصيحة جدته كثررة التي خضعت لعادة بربرية قديمة تقضى بالتجزئة السياسية^(٤).

استجاب الإمام محمد إلى نصيحة جدته فجعل البالغين من إخوته وهم ثمانية على رأس الولايات المختلفة وظل الباقون القصر في كفالة جدتهم معه في مدينة فاس وكان التقسيم كالاتى :-

١- القاسم : وله طنجة^(٥) وتطوان^(٦) وقلعة حجر النسر^(٧).

وسببة وبلاد مصمودة وما إلى ذلك من البلاد والقبائل^(٨).

-
- ١- محمد بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب أسمر اللون مليح الوجه جعد الشعر تولى الإمامة بعد وفاة أبيه ثم قسم المغرب بين أخوته أخذاً برأى كثررة جدته . توفى بمدينة فاس ودفن بجوار أبيه وذلك في شهر ربيع الثاني سنة إحدى وعشرين ومائتين *انظر* ابن أبي زرع : روض القرطاس ١/٧٠:٧٤ .
 - ٢- ابن أبي زرع : روض القرطاس ١/٧٠ . وكل من البكري : المغرب ص ١٢٤ . وابن عذارى : البيان ١/٢١١ ، مجهول : الاستبصار ص ١٩٦ .
يذكروا [فرق البلاد على إخوته]
 - ٣- د. سعد زغلول : تاريخ المغرب العربي ٢/٤٥٨ .
 - ٤- روجي لوطورنو : فاس قبل الحماية ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ١/٧٦ .
 - ٥- طنجة : مدينة فينيقية قديمة تقع على ساحل البحر المحيط يعمل أهلها بالزراعة بينها وبين القيروان مسيرة ألف ميل وهي محط للسفن *انظر* البكري : المغرب ص ١٠٨ . ١٠٩ . ياقوت : معجم البلدان ٤/٤٣ ، الحميري : الروض المعطار ص ٦٠٩ .
 - ٦- تطوان : تقع في الشمال على ساحل البحر المتوسط بين الحسيمة ومدينة سبتة *انظر* الصديق بن عربي : المغرب ص ١٠١ .
 - ٧- قلعة حجر النسر : أو قلعة النسر أو مدينة الحجر تقع في شمال المغرب إما في أحواز سبتة أو في منطقة الحسيمة بالريف أو بين تطوان وشفشاون *انظر* البكري : المغرب ص ١١٤ . ١١٦ .
 - ٨- يضيف مدينة البصرة إلى القاسم كل من البكري : المغرب ص ١٢٤ ، وابن الأبار : الحلة السيرة ١/٣٦ . وابن أبي زرع في الروض ١/٧٠ فيجعل مدينة البصرة في أملاك أخاه يحيى .

- ٢- داود : و له مكناسة^(١) وبلاد تسول و تازا و بلاد هوارة^(٢)
و جبال غيابة و تامدولت^(٣) .
- ٣- عيسى : وله بلاد تامسنا و مدينة سلا^(٤) و أزموور^(٥) و شالة^(٦) .
- ٤- يحيى : وله مدينة العرايش^(٧) إلى بلاد ورغة و مدينة
البصرة^(٨) و أصيلا^(٩) .
- ٥- عمر : و له مدينة تيجساس و ترغه و قبائل صنهاجة
و غمارة فيما بينهما^(١٠)

- ١- مكناسة : تقع قرب جبل رزهون *انظر* الصديق بن عربي : المغرب
ص ١٨٣ .
- ٢- بلاد هوارة : تقع في منطقتين الأولى بسوس قرب أغادير و الثانية سهول مصون
بين تازة و جرسيف *انظر* المرجع السابق ص ٢٤٣ .
- ٣- تامدولت : مدينة أثرية بناحية سوس لها أربعة أبواب و حمامان و سوق حافلة
و الماء يأتيها من جبل بها بساتين و عمران و حقول *انظر* البكري : المغرب ص ١٦٧
الصديق بن عربي : المغرب ص ٩٦ .
- ٤- سلا : تقع على الضفة اليمنى لنهر أبي رقراق *انظر* الصديق بن عربي :
المغرب ص ٢٣٠ .
- ٥- أزموور : مدينة صغيرة على ضفة نهر أم الربيع قرب قصبه على
المحيط الأطلنطي *انظر* الصديق بن عربي : المغرب ص ٥١ .
- ٦- شالة : من أقدم المدن بالمغرب ترجع إلى العصر الفينيقي تقع في مواجهة
نهر أبي رقراق *انظر* الصديق بن عربي : المغرب ص ٢٣٧ .
- ٧- العرايش : تقع على الشاطئ الأطلنطي بين القصر الكبير و أصيلا على
الضفة اليسرى لنهر اللكوس *انظر* الصديق بن عربي : المغرب ص ٢٠٠ .
- ٨- البصرة : تقع في الطريق المؤدى إلى سوق الأربعاء ووزان تعرف أيضاً
بالحمراء و ببصرة الكتان *انظر* الصديق بن عربي : المغرب ص ٨٦ .
- ٩- أصيلا "أصيلة" : تقع على الشاطئ الأطلنطي بين طنجة و العرايش وهي في سهل
على الأرض و مدخلها من الشرق ولها مرسى على الساحل *انظر* الحميري :
الروض المعطار ص ٤٢ ، الصديق بن عربي : المغرب ص ٥٧ ،
ابن أبي زرع : روض القرطاس ٧١/١ و البكري : المغرب ص ١٢٢
يذكر ليحي منطقة داي و ما والاها .
- ١٠- تيجساس "تيكساس" : قبيلة تعرف بهذا الاسم في منطقة الريف . ترغة قبيلة في
منطقة الريف بشمال المغرب . غمارة و صنهاجة فقط يذكرهما لعمراخو محمد عند كل
من البكري : المغرب ص ١٢٤ ، ابن عذاري : البيان ٢١١/١ ،
ابن الأبار : الحلة السيرة ١٣٣/١ .

٦- أحمد : وله مدينة مكناسة وبلاد فازار^(١) دينة تادلا^(٢).

٧- عبد الله : وله مدينة أغمات وبلاد نفيس وبلاد المصامدة والسوس الأقصى وبلاد لمطة^(٣).

٨- حمزة : وله مدينة وليلى وأعمالها ومدينة تلمسان وأعمالها^(٤).

أما مدينة فاس فقد ظلت تحت يد الابن الأكبر لإدريس الثاني "محمد" وبقاى إخوته بالإضافة إلى جدته التي كان لها دور في التنسيق بين الإخوة في التقسيم^(٥).

لكن كانت النتيجة الطبيعية لهذا التقسيم هو الضعف والتفتت لكيان الدولة ، فقد نشأ خلاف بين الإخوة حول نسبة ومقدار هذا التقسيم ، فمنهم من استجاب لهذا التوزيع ، ومنهم من خرج على سلطان الأخ الأكبر وبدأ هذا التمرد بخروج عيسى في مدينة تامسنا وسلا فأمر الإمام محمد أخاه القاسم صاحب مدينة طنجة بالخروج لمحاربة عيسى بسبب قربه لبلاد عيسى لكن امتنع حيث كتب القاسم إلى أخيه الإمام محمد معتذراً عن عدم تنفيذ ما أمره به لأنه كان زاهداً في البقاء في أرض المغرب على الرغم مما كان يتمتع به من مركز هام ومكانة ، راغباً في العودة إلى المشرق ، بعد استقرار

١- بلاد فازار : أحد فروع قبيلة زناتة تقع في منطقة تادلا وما حولها إلى مكناس

وملوية ووادي العبيد انظر الصديق بن عربي : المغرب ص ٢٠٧ .

٢- ابن أبي زرع : روض القرطاس ٧١/١ . ولاية أحمد أخو محمد بن إدريس غير

مذكورة عند البكري : المغرب ص ١٢٤ وابن عذارى : البيان ٢١١/١ .

٣- ابن أبي زرع : روض القرطاس ٧١/١ عبد الله أخو محمد بن إدريس لم يذكر

له سوى لمطة الراقعة جنوب مراکش عند البكري : المغرب ص ١٢٤ .

٤- ابن أبي زرع : روض القرطاس ٧١/١ يذكر له تلمسان فقط . وحمزة له الأودية

بالقرب من مدينة وليلى كما يذكر البكري : المغرب ص ١٢٤ .

٥- البكري : المغرب ص ١٢٤ .

الأمرور والملك فى عاصمة الدولة مدينة فاس بالمغرب^(١) .
 وجه الإمام محمد بن إدريس أمره هذه المرة إلى أخيه عمر الذى
 استجاب لأمر أخيه فجمع الجموع وأمدّه الإمام بجوالى ألف فارس فتوجه بهم
 إلى عيسى فهزّمه وأخرجه من سلا وغيرها مما كان بيده من البلاد
 وذلك قبل وصول بقية المدد وضمها إلى أملاكه بأمر الإمام محمد^(٢) .
 هذا وقد توجه الأمير عمر إلى الأمير القاسم الذى خالف أوامر الإمام
 فهزّمه واستولى على ما بيده من البلاد وانتهى أمر القاسم إلى أن توجه إلى
 حياة الزهد والتعبّد حيث بنى مسجداً بساحل البحر قرب أصيلا^(٣) وبهذا
 استطاع الأمير عمر ضم أملاك أخويه عيسى والقاسم إلى أملاكه فأصبحت
 تمتد من مدينة طنجة فى الشمال إلى مناطق سلا وأزمور فى الجنوب كما
 امتدت إلى المنطقة الساحلية من سبتة إلى مليلة .
 عمل الأمير عمر بإخلاص فى خدمة أخيه الإمام إلى أن مات عام
 ٢٢١هـ فى موضع يعرف بـفج الفارس^(٤)
 شمال مدينة فاس ودفن بجوار أبيه^(٥)

١- ابن الأبار : الحلة السبئية ١٣٢/١ .
 ٢- المصدر السابق، ابن أبى زرع : روض القرطاس ٧٢/١ .
 ٣- البكرى : المغرب ص ١١١ : ١١٣ ، ابن زرع : روض القرطاس ٧٣/١ .
 ٤- فج الفارس : وتسمى أيضاً فج الفرس /نظر البكرى : المغرب ص ١٢٤ ،
 ابن أبى زرع : روض القرطاس ٧٣/١ .
 ٥- ابن أبى زرع : المصدر السابق ٧٣/١ .

تولى الأمير علي بن محمد^(١) خلفاً لوالده بعد وفاته وهو ما زال غلام صغير السن لم يتجاوز العاشرة من عمره إلا قليلاً^(٢) والواضح أن صغر سن الإمام جعله غير مؤهل لولاية شئون المسلمين مما جعل البكري أن يشير إليه إشارة خفيفة فاكتفى بذكر وفاته^(٣) بينما نجد ابن عذارى يسقطه ولم يذكر إمامته^(٤) .

لقب الإمام "بجيدرة علي" وهو لقب الإمام علي بن أبي طالب وقد ظهر علي الإمام علي بن محمد بوادر الذكاء والنبيل والفضل فاتبع سيرة أبيه وجده في إقامة العدل واتباع الحق والحزم في الدين فساد الأمن والأمان في البلاد إلى أن توفي وفي هذا يذكر ابن أبي زرع عنه "فظهر منه الذكاء والنبيل والفضل ما يقتضيه شرفه ونسبه الصحيح وسار بسيرة أبيه وجده في العدل والفضل والدين والحزم وإقامة الحق وتأسيس البلاد وقمع الأعداء وضبط البلاد والثغور"^(٥) .

كان من نتيجة ذلك أن البلاد تمتعت بنوع من الاستقرار والأمن إلى أن وافته المنية في شهر رجب ٢٣٤هـ بعد فترة حكم استمرت حوالي ثلاثة عشر عاماً^(٦) .

١- علي بن محمد بن إدريس بن إدريس : أمه تسمى رقية بنت إسماعيل بن عمير بن مصعب الأزدي يسمى "عليشا بن محمد" فعلى الرغم من صغر سنه إلا أن العرب والبربر والحاشية والأولياء بايعوه غلاماً وقاموا بأمره وأحسنوا كفالتة وطاعته بأمره فكانت أيامه خير أيام نظر ابن أبي زرع : روض القرطاس ١/٧٤:٧٥ ، ابن خلدون : العبر ٤/٢٩ ، القلقشندي :صبح الأعشى ١٨١/٥ ، السلاوي : الاستقصا ١٥٨/١ .

٢- ابن أبي زرع : روض القرطاس ١/٧٥ .

٣- المغرب ص ١٢٤ .

٤- البيان ١/٢١١ .

٥- روض القرطاس ١/٧٥ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ٣/٢٠٧ .

٦- ابن أبي زرع : روض القرطاس ١/٧٥ ، ابن الخطيب :

أعمال الأعلام ٣/٢٠٧ .

يحيى بن محمد بن إدريس ٢٣٤ - ٢٤٥ هـ

عهد الإمام على بن محمد لأخيه يحيى بن محمد بن إدريس الذى صار الإمام الخامس فى أئمة الأدارسة لحكم مدينة فاس ، فقد سار بسيرة أخيه وأبيه وجده واتبع طريق العدل والفضل والدين وأقام الحق والحزم فى إدارة شئون البلاد .

تمتعت مدينة فاس فى عهد الإمام يحيى بازدياد التحضر وكثرة العمران وبناء المناطق الجديدة مما جعلها مقصد الناس وخاصة من الأندلس وإفريقيا ومعظم بلاد المغرب فضاقت بسكانها فبنى الناس الأرباض بخارجها هذا إلى جانب اهتمام الإمام يحيى بتزويد عاصمته "مدينة فاس" بالمباني ذات الفائدة العامة مثل الحمامات التى انتشرت فى المدينة بالإضافة إلى الفنادق التى أقيمت لخدمة الوافدين على المدينة من التجار وغيرهم^(١) .

هذا ويرجع السبب فى كثرة المنشآت والمباني إلى كثرة الوافدين على مدينة فاس ومن أهم المنشآت والمباني التى أقيمت بالمدينة فى عهد الإمام يحيى بن محمد هو بناء جامع القرويين بعدوة القرويين وجامع الأندلس بعدوة الأندلس فى سنة ٢٤٥هـ^(٢) .

كان من الطبيعى أن تنمو المدينة فى عدوتيه وتنشأ الأرباض الجديدة بجوارها ودور العبادة أيضاً فأنشئ جامع القرويين بمساحة أكبر حيث ضاق جامع الشرفاء بالمصلين كما أنشئ جامع الأندلس حيث ضاق جامع الأشياخ بعدوة الأندلس ، كما ظهرت الحاجة إلى بناء مساجد جديدة تخدم المصلين

١- ابن أبى زرع : روض القرطاس ١/٧٥ .
٢- المصدر السابق .

وسكان المدينة الذين كانت أعدادهم في ازدياد نتيجة لكثرة الوافدين على أحيائها من كل مناطق المغرب حيث الرخاء والأمان^(١) .

وقد اهتم ابن أبي زرع بتتبع خطوات أصحاب بناء جامع القرويين والأندلس وهم فاطمة ومريم من بداية قدومهما من القيروان إلى مدينة فاس وما يصاحبهما من ميراث حلال عن أبيهم وصرف هذا المال في نواحي البر والخير وكأن هذا الخير والبر لم يوجد إلا في بناء الجوامع فقط ؟ فيذكر "فبنته بالطامية والكدان"^(٢) وحفرت في وسطه ، فصنعت كهوفاً واقتطعت منها الكدان وأخرجت منها التراب والحجر والرمل الأصفر الطيب ، ... ولم تدخل فيه من تراب غيره ، وحفرت البير التي في الصحن فكان البناءون يسقون منها الماء لبناء الجامع .. حتى فرغ من بنائه ... ولم تزل فاطمة القروية صائمة من يوم شرع في بنائها إلى أن تم"^(٣) .

ومن الجدير بالذكر أن اهتمام أهل مدينة فاس بصفة خاصة وأهل المغرب بصفة عامة بالتحري في الحلال والاهتمام بأعمال الخير ومعرفة مصادر الرزق واضح وجلي من الرواية المذكورة ولكن الملفت للنظر ذكر عائلة الفهري دون غيرها فهل هذا راجع إلى قوة الفهريين في إفريقيا أم راجع إلى طبيعة مغربية في الحرص الشديد والتحرى في الأعمال التي تتصل بالخير وأرى أنهما معاً .

وقد اتسم عهد الإمام يحيى بالأمن بين الناس فحدثت نهضة عمرانية شهدتها مدينة فاس على يد الإمام وأرباب الدولة وأهل الخير .

١- ابن أبي زرع : روض القرطاس ٧٦:٧٥/١ .

٢- الكدان . الكدان : حجارة فيها رغوة وربما كانت نخرة انظر المعجم الوسيط ط ٧٨١/٢ .

٣- ابن أبي زرع : روض القرطاس ٧٧،٧٦/١ ، ابن القاضى : جنة الاقتباس ٥٢/١ .

يحيى بن يحيى بن محمد بن إدريس وموقف أهل مدينة فاس

منه

في بداية إمارة^(١) الإمام يحيى قسم مملكة فاس إلى ثلاثة أقسام إدارية وعهد بها إلى أقاربه على النحو التالي :-

- ١- منطقة القبلة من مدينة فاس إلى أغمات وعهد بها إلى حسين .
- ٢- المشرق من مدينة فاس إلى مكناسة وولى عليها داود .
- ٣- المغرب من مدينة فاس إلى كتامة^(٢) وعهد بها إلى القاسم^(٣) .

هذه المناطق كانت تابعة إلى مملكة فاس إدارياً أما مدينة فاس عاصمة هذه المملكة فكانت تابعة لإدارة الإمام يحيى بن يحيى مباشرة لأنها مقر الحكم وشئونه .

ومع نهضة مدينة فاس وتحضرها أصبحت مدينة جذب ، فكثرت التجارة والوافدون عليها وكثرت الفنادق والحمامات فظهرت حياة اللهو والترفيه فكان نتيجة تسلسل هذه الحياة إلى مدينة فاس أن الإمام يحيى بن يحيى قد وجد نفسه في هذه الحياة الجديدة حياة التمتع بمباهج الحياة والإهتمام في الشرب والهيام بالنساء^(٤) .

- ١- تغفل المصادر الرئيسية كالبيكري وابن عذارى وابن أبي زرع عن ذكر التوقيت الخاص بولاية الأئمة وبوفاتهم وبتحديد فترة كل أمير بالسنوات والأشهر والأيام وهذا الأمر اهتم به المؤرخون كثيراً . هذا ولا توجد أى إشارة إلى التوقيت أو التاريخ فيما يتعلق بوفاة يحيى بن محمد إلى ولاية يحيى بن إدريس بن عمر بن إدريس ٢٩٢ : ٣٠٩ هـ / نظر د. سعد زغلول : تاريخ المغرب العربي ٤٦٣/١ : ٤٦٧ .
- ٢- كتامة : تقع على مقربة من جبل تيدغين يفصلها عن تطوان ١٧٠ كم / نظر الصديق بن عربي : المغرب ص ١٦٨ .
- ٣- ابن عذارى : البيان ٢١١/١ .
- ٤- المصدر السابق ٢١١/١ : ٢١٢ .

والواضح أن الحمامات فى مدينة فاس أصبحت من المؤسسات الهامة فى حياة المدينة فقد كانت تقوم بدور رئيسى فى نظافة أهل المدينة والحفاظة على صحتهم بالإضافة إلى أن الحمامات تعتبر كتجمع ثقافى واجتماعى يستفيد منه الجميع داخل المدينة^(١) .

هذه الحمامات كانت تخصص أوقاتاً معينة فيها لاستقبال النساء وكانت هذه الأوقات فرصة يحاول فيها أصحاب الهوى من الشباب ممن تستهويهم المغامرات النسائية لتحقيق بعض هوايتهم الغير مشروعة وكان البعض لا يتورع أو لا يعدم الوسيلة فى استخدام أساليب غريبة من التمويه والتستر والتخفى فى زى النساء والظاهر أن الإمام يحيى بن يحيى قد انشغل عن سياسة دولته بالاستغراق فى اللهو والشراب والغرام بالنساء إلى حد العبث والخروج عن المألوف أو المتعارف عليه وخاصة لدى الأمراء والحكام ، فلقد أساء الإمام يحيى بن يحيى السيرة وهام بفتاة من بنات اليهود اسمها حنه^(٢) توصف بأنها كانت من أجمل نساء عصرها فتهور فى هيامه بالفتاة حتى دخل عليها الحمام فى غفلة من المشرفين عليه وفشلت محاولته فى الوصول إلى الفتاة اليهودية الجميلة إذ استغاثت فاجمعت الناس ولم يستطع الإمام يحيى الهروب إلا بشق الأنفس ، هذا الفعل الغير سوى أدى إلى تغير أهل مدينة فاس عليه^(٣) .

كانت نتيجة هذه المغامرة النسائية سبباً فى نهاية مؤلمة للإمام يحيى بن يحيى بن محمد وانقال الحكم من هذا الفرع "محمد بن إدريس" إلى بنى عمر بن إدريس^(٤) .

١- د. سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ٢٨٢/١ .

٢- البكرى : المغرب ض ١٢٤ ، ابن أبى زرع : روض القرطاس ١١/١ .

٣- البكرى : المغرب ص ١٢٤ ، ابن عذارى : البيان ٢١٣/١ ، ابن أبى زرع : روض القرطاس ١١١/١ .

٤- البكرى : المغرب ص ١٢٥ ، السلاوى : الاستقصا ١٦٢/١ .

من جانب آخر لم يصمت أهل مدينة فاس على هذا العمل الفاضح حيث سادت موجة من الغضب الشعبي في المدينة فتحرك أحد أبنائها وأحد زعماء العرب بالمدينة^(١) على رأس عامة سكان مدينة فاس إلى القصر الذي يسكن فيه الإمام يحيى يريدون التخلص منه والظاهر أن الإمام الذي أصابه العار لم يجد من يقف بجواره أو يدافع عنه من جنده أو من أصحابه حتى زوجته التي اكتفت بتوجيه النصيح له بالفرار إلى عدوة الأندلس^(٢) .

مات الإمام يحيى بن يحيى في عدوة الأندلس من مدينة فاس في نفس الليلة التي فر فيها^(٣) والظاهر أنه مات أسى وندامة وتأثراً بجرح وهو يفر أمام الناس من أهل عدوة القرويين^(٤) .

ومن الجدير بالذكر أن ثورة أهل مدينة فاس على الإمام يحيى بن يحيى كانت بسبب سوء السلوك وعدم الالتزام بأبسط الحقوق التي يجب أن يتمتع بها الوالي تجاه رعيته .

علي بن عمر بن إدريس

لم تقف زوجة الإمام يحيى بن يحيى صامته بعد أن فشلت في نصيحة

-
- ١- البكري : المغرب ص ١٢٤ . يدعى عبد الرحمن بن أبي سهل الجذامي .
 - ٢- يذكر أن الإمام يحيى بن يحيى كان متزوجاً من قرييته عائكة بنت علي بن عمر والتي رفضت أن تصاحبه إلى عدوة الأندلس عندما فر إلى هناك وظلت باقية بعودة القرويين *انظر* البكري : المغرب ص ١٢٥ .
 - ٣- توفي يحيى بن محمد والد يحيى سنة ٢٣٧هـ لم يذكر أي تاريخ لولاية يحيى بن يحيى أو وفاته لذلك نرى أن الإمام يحيى بن يحيى لم يعمر طويلاً *انظر* السلاوي : الاستقصا ١/١٦٤ .
 - ٤- البكري : المغرب : ص ١٢٥ ، ابن عذاري : البيان ١/٢١٢ ، ابن زرع : روض القرطاس ١/١١١ ، السلاوي : الاستقصا ١/١٦٢ .

زوجها بالفرار أمام خصومه ، فكتبت إلى أبيها على بن عمر بن إدريس^(١) وإلى بلاد صنهاجة وإقليم الريف تخبره بما حدث فى مدينة فاس وكانت فرصة جيدة استغلها على بن عمر فجمع جنوده وجيوشه وقصد مدينة فاس فدخل عدوة القرويين دون مقاومة كما رحبت به عدوة الأندلس فأصبح سيداً لمدينة فاس بشقيها^(٢) .

وبسيطرة الإمام على بن عمر على مدينة فاس دانت له بلاد المغرب وخطب له على جميع منابرها وهكذا صارت إمامة الأدارسة من بنى محمد بن إدريس إلى بنى عمهم عمر بن إدريس^(٣) .

ثورة عبد الرازق الفهرى على الأدارسة

مع استقرار الأمر للإمام على بن عمر بمدينة فاس لم تذكر المصادر مدة حكم الإمام على ويبدو أن ملكه قد ضاع نتيجة لثورة قام بها البربر الخوارج بقيادة أحد زعماء العرب من الفهرين ويدعى عبد الرازق الفهرى الخارجى^(٤) الذى بدأ دعوته بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كما جرت العادة عند دعاة الإصلاح حتى يجتذب إليه أتباعاً ، ثم يبدأ فى دعوته الخاصة

١- لم يذكر تاريخ لولاية الإمام على بن عمر أو لوفاته *انظر السلاوى : الاستقصا ١/١٦٤* .

٢- البكرى : المغرب ص ١٢٤ ، ابن عذارى : البيان ١/٢١٢ ، ابن أبى زرع : روض القرطاس ١/١١١ .

٣- البكرى : المغرب ص ١٢٤ ، ابن عذارى : البيان ١/٢١٢ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ٣/٢٠٧ ، ابن أبى زرع : روض القرطاس ١/١١١ ، السلاوى : الاستقصا ١/١٦٢ .

٤- ابن الخطيب : أعمال الأعلام ٣/٣٠٨ : ٣٠٩ ، السلاوى : الاستقصا ١/١٦٢ : ٦٣ .

عبد الرازق الفهرى الخارجى : من مدينة وشقة بإقليم ارغونة بالأندلس هاجر إلى المغرب واستقر بجبال وبلاو وهى على مسيرة يوم ونصف من مدينة فاس أخرجه يحيى بن القاسم بن إدريس من عدوة الأندلس ولم يذكر خبره بعد ذلك *انظر البكرى : المغرب ص ١٢٥ ، ابن أبى زرع : روض القرطاس ١/١١٢ : ١١٣ ، ابن عذارى : البيان ١/١١٢* .

ومن الواضح أن عبد الرازق استغل سيرة أمراء الأدارسة في مدينة فاس بعدما استهوتهم عيشة الترف وانصرفهم للتمتع بمباهج الحياة فلقيت دعوة عبد الرازق نجاحاً في المنطقة التي استقر بها حول مدينة فاس وتبعه كثيرون من قبائل البربر وغيرهم هذا الإقبال جعله يبنى قلعة بجوار قبائل مديونة وسماها وشقة باسم بلده التي نشأ بها في الأندلس^(١).

فكر عبد الرازق في الزحف من قلعته والاستيلاء على مدينة فاس والقضاء على دولة الأدارسة بعدما اشتد ساعده وكثر أتباعه فسار بقواته نحو الشمال في اتجاه مدينة فاس وفي طريقه نجح عبد الرازق في الاستيلاء على قرية صفرو^(٢) دون صعوبة مما شجعه على مواصلة الزحف على الجانب الآخر وعندما استشعر الإمام علي بن عمر بالخطر القادم من الجنوب قرر الخروج للقاء عبد الرازق بعد أن حشد له عسكرياً عظيماً ودارت الحرب سجالاتاً بين الطرفين وانتهت هذه الحرب بخسائر جسيمة في صفوف علي بن عمر الذي فر ناجياً بحياته إلى قبيلة أوربة^(٣).

ومع استعدادات الإمام علي تمكن عبد الرازق الفهري من الاستيلاء على جزء من مدينة فاس "عدوة الأندلس" واستطاعت عدوة القرويين أن تصد هجوم عبد الرازق عليها ونجحوا في منعه من دخول العدو ، هذا الوضع يدل على أن الإمام علي بن عمر قد تقاعس عن الدفاع عن العدو وفضل الهرب .. هل لأنه لم يستطع الدفاع عن المدينة ؟ ولكن علمه بغضب

١- البكري : المغرب ص ١٢٥ ، السلاوي : الاستقصا ١/١٦٢ .

٢- ابن زرع : روض القرطاس ١/١١٣ .

صفرو "صفرون" : تقع على مقربة من مدينة فاس ٣٠ كم جنوب شرق فاس

انظر السلاوي : الاستقصا ١/١٦٢ ، الصديق بن عربي :

المغرب ص ١٩٦ .

٣- البكري : المغرب ص ١٢٥ .

أهل مدينة فاس من عدوة القرويين من السيرة الغير سوية جعلته يترك العودة مرة أخرى إلى مدينة فاس وجعلت أهل مدينة فاس غير مطمئنين إلى هذا الإمام الهارب فراسلوا أميراً إدريسياً آخر وهو يحيى بن القاسم بن إدريس المعروف بـ "العدام"^(١) ودعوه إلى تسلم مقاليد أمورهم ووصل يحيى بن القاسم إلى مدينة فاس ودخل عدوة القرويين حيث تمت له البيعة ووقع على عاتقه إطفاء الفتنة الخارجية^(٢).

يحيى بن القاسم بن إدريس واستعادة عدوة الأندلس

أصبح الإمام يحيى بن القاسم حاكماً على عدوة القرويين وظلت عدوة الأندلس تابعة لعبد الرازق الفهرى معنى هذا أن هناك اعترافاً من الإمام يحيى لعبد الرازق بما تحت يده ويصبح التهديد قائماً له فأراد الإمام يحيى ألا يؤكد انفصال المدينة إلى جزأين وكان لابد من سيطرة الإمام يحيى على عدوة الأندلس وبالفعل قاد حملة من أتباعه وأنصاره من أهل عدوة القرويين وخاض بهم صراعاً صعباً ضد جيرانهم أهل عدوة الأندلس ومن معهم من بربر مديونة^(٣) ونجح في هزيمة عبد الرازق الفهرى وإخراجه من المدينة^(٤).

دخل الإمام يحيى عدوة الأندلس سنة ٢٩٢هـ وبايعه أهلها وجميع من بها من سكان الأندلس الذين نزلوا بها من الربضيين^(٥).

١- البكرى : المغرب ص ١٢٥ . يحيى بن القاسم بن إدريس يطلق عليه العدام ، العوام الصرام استقل بمدينة فاس استعمل ثعلبة بن محارب الأزدي على عدوة الأندلس قتل سنة ٢٧٢هـ *انظر* ابن الخطيب: أعمال الأعلام ٢٠٩/٣ ، ابن زرع : روض القرطاس ١١٣/١ .

٢- السلاوى : الاستقصا ١٦٣/١ : ١٦٤ .

٣- مديونة : تقع وسط بلاد الشاوية على بعد ١٩ كم جنوب الدار البيضاء *انظر* الصديق بن عربى : المغرب ص ١٧٨ .

٤- البكرى : المغرب ص ١٢٥ ، ابن عذارى : البيان ١١٢/١ ، ابن أبى زرع : روض القرطاس ١١٣/١ .

٥- البكرى : المغرب ص ١٢٥ ، ابن أبى زرع : روض القرطاس ١١٣/١ .

والواضح أن سكان عدوة الأندلس لم يكونوا معظمهم من الأندلسيين بل ظلت نسبة كبيرة من البربر سكان المغرب بها وهذا يفسر سبب الاستجابة لعبد الرازق الفهري ومن كان معه من بربر مديونة وغيرها و مع هذا الوجود البربري من سكان المغرب فقد كان التفوق في هذه العدو للأندلسيين مما جعل الإمام يحيى بن القاسم يستعمل أحد الأندلسيين على عدوة الأندلس "ثعلبة بن محارب"^(١).

اطمأن الإمام يحيى إلى استقرار الأوضاع في عدوة الأندلس بفضل ومهارة ثعلبة بن محارب الذي ظل عليها والياً إلى أن توفي فعهد الإمام يحيى بولاية العدو إلى عبد الله بن ثعلبة^(٢).

ولما كان معظم ولاية عدوة الأندلس في هذه الفترة من عرب الأزد الذين ينحدرون من صلب المهلب بن أبي صفرة^(٣) وأظهروا إمكانيات جيدة في الحكم والإدارة هذا الأمر جعل الإمام يحيى يسير على نفس السياسة في تعيين الولاة في عدوة الأندلس حتى يتم ضبطها وإقرار الأمن بها عن طريق هذه الأسرة العربية التي كان لها شأنها في محاربة الخوارج في المشرق^(٤).

ظل الإمام يحيى بمدينة فاس حتى قتل عام ٢٩٢هـ^(٥).

- ١- ثعلبة بن محارب بن عبد الله الأزدي : من مدينة شذونة بالأندلس من أهل الربيض تولى إدارة شئون عدوة الأندلس حتى مات في عهد يحيى *انظر* ابن أبي زرع : روض القرطاس ١/١١٣ : ١١٤ ، السلاوي : الاستقصا ١/١٦٤
- ٢- عبد الله بن ثعلبة : تولى إدارة عدوة الأندلس بعد وفاة أبيه يطلق عليه عبود وبعد وفاته تولى ولده محارب بن عبود بن ثعلبة وهو من الأزد من ولد المهلب بن أبي صفرة *انظر* ابن أبي زرع : روض القرطاس ١/١١٤ .
- ٣- المهلب بن أبي صفرة : نشأ بمدينة البصرة وولى إمارتها لمصعب بن الزبير ولاء عبد الملك بن مروان ولاية خراسان سنة ٧٩هـ ومات سنة ٨٣هـ *انظر* الطبري : تاريخ الرسل والملوك ٦/١٩٥ : ١٩٦ - ٣٢٥ : ٣٢٦
- ٤- ابن أبي زرع : روض القرطاس ١/١١٥ .
- ٥- البكري : المغرب ص ١٢٥ ، السلاوي : الاستقصا ١/١٦٤ .

يحيى بن إدريس بن عمر بن إدريس ودخول مدينة فاس

٢٩٢ : ٣٠٩ هـ

بعد مقتل الإمام يحيى بن القاسم قدم ابن عمه يحيى بن إدريس من مدينة مكناسة إلى مقر حكمه ^(١) إلى مدينة فاس حيث بايعه أهل المدينة بجزئها -عدوة الأندلس وعدوة القرويين- وتمت الخطبة له على منبرها وبهذا أصبح الإمام يحيى حاكماً على مدينة فاس ودانت له أعمال المغرب بالطاعة ^(٢).

يعتبر الإمام يحيى بن إدريس أعظم ملوك الأدارسة الذين تولوا مدينة فاس فقد جمع بين علو القدر وقوة السلطان وطيب الذكر بالإضافة إلى الشجاعة والصلاح والدين والتقوى والحزم بشكل لم يبلغ أحد من الأدارسة مبلغه ، هذا إلى جانب أنه كان حافظاً للحديث ذا فصاحة وبيان ولسان ^(٣).

هذه الصفات الحميدة .. بالتأكيد ألفت بظلمها على مدينة فاس بشقيها لأن المدن دائماً تتأثر سلباً أو إيجاباً بحكامها ، بقي الإمام يحيى بن إدريس في مدينة فاس إلى سنة ٣٠٥ هـ إلى أن قدم مصالة بن حبوس المكناسي ^(٤) إلى مدينة فاس فخضع له بعض الطامعين في ملك الأدارسة من زعماء البربر

١- البكري : المغرب ص ١٢٥ .

٢- ابن أبي زرع : روض القرطاس ١١٦/١ .

٣- ابن أبي زرع : روض القرطاس ١١٦/١ ، ابن الخطيب أعمال الأعلام ٢١٠/٣ .

٤- مصالة بن حبوس المكناسي : صاحب مدينة تاهرت والمغرب الأوسط ، دخل مدينة فاس سنة ٣٠٥ هـ أخضع الإمام يحيى على مال يؤديه إليه وعلى البيعة لعبيد الله المهدي . ثم عاد مصالة إلى القيروان *انظر* ابن أبي زرع : روض القرطاس ١١٦/١ : ١١٧ ، السلاوي : الاستقصا ١٦٦/١ .

"موسى بن أبى العافية"^(١) الذى قدم لمصالة المعونة وحارب إلى جانبه^(٢) .

حاول الإمام يحيى الدفاع عن مدينة فاس دون جدوى فقد انهزم الإمام يحيى أمام مصالة بن حبوس الذى حاصر الإمام يحيى حتى اضطره إلى الاعتراف بإمامة عبيد الله المهدي^(٣) .

وفي سنة ٣٠٩هـ عاد مصالة بن حبوس مرة ثانية إلى مدينة فاس وقبض على الإمام يحيى بسبب سعى موسى بن أبى العافية للوشاية بين مصالة والإمام يحيى ، وعندما قرب مصالة من مدينة فاس خرج إليه الإمام يحيى للترحيب به فى جماعة من وجوه المدينة فقبض عليهم مصالة وقيد الإمام يحيى بالحديد ودخل به مدينة فاس وهو موثق على جمل ثم عذبه وجرده من أمواله وذخائره ثم نفاه إلى نواحي مدينة أصيلا ثم بلغ منه كل مبلغ حتى انتهى إلى مدينة المهديّة^(٤) سنة ٣٣١هـ ومات بها سنة ٣٣٢هـ^(٥) .

- ١- موسى بن أبى العافية : ملك كثيرا من بلاد المغرب مثل تازى وتسول وأكاي وحاسة وطنجة والبصرة وأصيلا وشالة . ملك مدينة فاس مرتين الأولى سنة ٣١٣ هـ والثانية ٣٢٠هـ تولى الدعوة للشيعه وبنى أمية فى المغرب قتل فى بلاد ملوية سنة ٣٤٢هـ *انظر* ابن الخطيب : أعمال الأعلام ٣/٢١٠:٢١٦ ، ابن أبى زرع : روض القرطاس ١/١٢١:١٢٢ .
- ٢- ابن أبى زرع : روض القرطاس ١/١١٧ .
- ٣- عبيد الله بن محمد الفاطمي (٢٥٩-٣٢٢هـ) مؤسس دولة العبيدين ببيع له فى مدينة القيروان سنة ٢٩٧هـ اختط مدينة المهديّة بإفريقيا سنة ٣٠٣هـ واتخذها قاعدة لحكمه ومات بعد أن حكم أربع وعشرين سنة *انظر* ابن زرع : روض القرطاس ١/١١٦ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ٣/٦٧٩ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء الزمان ، القاهرة ١٩٤٨م ١/٢٧٢ .
- ٤- المهديّة : تقع على الشاطئ الأطلنطى بين العرائش والرباط عند مصب نهر سبو كانت تسمى بالمعمورة لقربها من غابة المعمورة *انظر* الصديق بن عربى : المغرب ص ١٨٨ .
- ٥- ابن أبى زرع : روض القرطاس ١/١١٨ ، السلاوى : الاستقصا ١/١٦٧ ، يذكر البكرى : المغرب ص ١٢٦ وفاة الإمام يحيى بن إدريس سنة ٣٣١هـ .

من ناحية أخرى استعمل مصالة بن حبوس على مدينة فاس
ريحان بن علي الكتامي^(١) سنة ٣٠٧هـ^(٢) فثار عليه بعد ثلاث سنوات
الحسن بن محمد بن القاسم بن إدريس "الحجام"^(٣) واستولى على مدينة فاس
وسيطر عليها لمدة سنتين وقام الحجام بنفى ریحان الكتامي خارج المدينة
واجتمع أهل مدينة فاس على بيعة الحجام بل دخل في طاعته أكثر
قبائل المغرب^(٤).

١- ریحان بن علي الكتامي "المكناسي" ولاء مصالة بن حبوس على مدينة فاس من
سنة ٣٠٧هـ إلى سنة ٣١٦هـ وهو أحد قواد مصالة *انظر* ابن الخطيب :
أعمال الأعلام ٢١١/٣ ، ابن زرع : روض القرطاس ١١٨/١ .

٢- البكري : المغرب ص ١٢٦ .

٣- الحجام : هو لقب الحسن بن محمد بن القاسم بن إدريس أطلقه عليه عمه أحمد بن
القاسم وذلك عندما وقع خلاف وقتال بينهما فحمل الحسن على غلام لعمه فدعسه
بحرية أصابته في مكان المحجم وتكرر فيه طعن جملة من الفرسان في موضع
المحاجم فلزمه ذلك *انظر* البكري : المغرب ص ١١٦ ، ابن الخطيب :
أعمال الأعلام ٢١١/٣ .

٤- السلاوي : الاستقصا ١٦٧/١ .

مدينة فاس بين الحجام وموسى بن أبى العافية ٣١٦ : ٣٤٤هـ

بعدما سيطر الحجام على مدينة فاس لمدة سنتين تمكن حامد بن حمدان الهمداني^(١) من القبض على الحجام عن طريق الغدر والخديعة^(٢) ثم بعث إلى موسى بن أبى العافية الذى وصل مدينة فاس واستولى على عدوة القرويين ثم سيطر على عدوة الأندلس وأصبحت مدينة فاس بشقيها تحت يده ، ثم أخذ موسى بن أبى العافية يلح على حامد حتى يقوم بقتل الحجام بواسطة ابن منهل^(٣) .

وكان حامد بن حمدان عامل مدينة فاس قد دخل على الحجام ليلاً بمترله وقام بحبسه وتقييده وسد أبواب المدينة واستطاع السيطرة على الحجام ثم بعث إلى موسى بن أبى العافية يخبره بما فعل وطلب منه الحضور إلى المدينة فمكثه من دخول عدوة القرويين أولاً لكن عدوة الأندلس امتنعت عليه فقاتلها حتى استطاع السيطرة عليها فملك مدينة فاس بقسميها ثم قال لحامد بن حمدان مكثني من الحسن الحجام أقتله بولدى^(٤) لكن حامد كره المجاهرة فى سفك دماء أهل البيت^(٥) وقام بإخراجه من على سور المدينة ليلاً

١- حامد بن حمدان الهمداني "اللوزى . الأوربى" ينسب إلى قرية لوزة بإفريقيا ، عامل الحجام على عدوة القرويين من مدينة فاس . ساعد موسى بن أبى العافية على دخول مدينة فاس واستطاع حماية الحجام من ابن أبى العافية الذى أراد أن يتخلص منه حامد فهرب إلى مدينة المهديّة *انظر* البكرى : المغرب ص ١٢٧ . ابن عذارى : البيان ٢١٣/١ . ابن أبى زرع : روض القرطاس ١/١٢٠ : ١٢١ ، القلقشندى : صبح الأعشى ١٨٣/٥ .

٢- ابن أبى زرع : روض القرطاس ١/١٢٠ : ١٢١ .

٣- *منهّل* : بكسر الميم وسكون النون وفتح الهاء ويقال "منهال" و"سهل" أحد أبناء موسى بن أبى العافية قتل على يد الحجام سنة ٣١١هـ *انظر* البكرى : المغرب ص ١٢٧ . ابن عذارى : البيان ٢١٣/١ . ابن أبى زرع : روض القرطاس ١/١٢٠ : الاستقصا ١/١٦٨ .

٤- ابن أبى زرع : روض القرطاس ١/١٢٠ .

٥- المصدر السابق ١/١٢١ .

فسقط الحجام على الأرض وانكسرت ساقه واستطاع الوصول إلى عدوة الأندلس فمات بها لثلاثة أيام من ليلته وكانت دولته نحو عامين^(١) .
وبعد أن تمكن موسى بن أبي العافية من مدينة فاس أراد أن يطرد بقايا الأدارسة الموجودين بالمغرب في "قلعة حجر النسر"^(٢) وبالفعل حاصرهم موسى واحكم عليهم الحصار لكنه عدل عن ذلك بناء على رغبة أتباعه لأن أهل البيت لهم منزلة خاصة في بلاد المغرب فقالوا له "أتريد أن تقطع دابر أهل البيت من المغرب وتخليه منهم هذا شئ لا نوافقك عليه ولا نترك له فاستحيا عند ذلك وارتحل عنهم إلى مدينة فاس"^(٣) .

ومن الجدير بالذكر أنه بعد استقرار موسى بن أبي العافية بمدينة فاس قام بتعيين ابنه مديين والياً على عدوة القرويين سنة ٣١٦هـ^(٤) أما عدوة الأندلس فقد مكث بها فترة^(٥) ثم توجه إلى تلمسان فملكها سنة ٣١٩هـ ثم ذهب إلى مدينة نكور^(٦) فضمها سنة ٣٢٠هـ^(٧) .

وهكذا نجد أن موسى بن أبي العافية قد سيطر على معظم بلاد المغرب الأقصى بدعوة عبيد الله المهدي ولكن النفوذ الأموي في الأندلس بدأ يطل

١- البكري : المغرب ص١٢٧ ، ابن عذارى : البيان ٢١٣/١ ، السلاوى : الاستقصا ١٦٨/١ .

٢- البكري : المغرب ص١٢٧ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ٢١٣/٣ .

٣- البكري : المغرب ص١٢٨ ، ابن عذارى : البيان ٢١٤/١ ، السلاوى : الاستقصا ١٧١/١ .

٤- ابن عذارى : البيان ٢١٤/١ . ابن أبي زرع : روض القرطاس ١٢٣/١ .

٥- فى هذه الفترة قتل موسى عامله على عدوة الأندلس "عبد الله بن ثعلبة" وولى مكانه أخاه "محمد بن ثعلبة" ثم عزله وولى بدلاً منه "طوال بن أبي يزيد" فلم يزل بها حتى خرجت مدينة فاس عن يد موسى بن أبي العافية *انظر السلاوى : الاستقصا ١٧٠/١* .

٦- نكور : تقع بمنطقة الريف على بعد ٢١ كم من الحسيمة فى طريق مليلة ، *انظر الصديق بن عربى : المغرب ص١٩٣* .

٧- ابن أبي زرع : روض القرطاس ١٢٣/١ .

على بلاد المغرب حينما بدأ عبد الرحمن الناصر الأموي صاحب الأندلس (٣٠٠ - ٣٥٠هـ) يخاطب موسى بن أبي العافية في القيام بالدعوة إلى بني أمية وظل به حتى استطاع عبد الرحمن أن يجعل موسى ينقض طاعة الشيعة والدخول في طاعة بني أمية^(١) .

علم عبید الله المهدي صاحب إفريقيا بتحول موسى بن أبي العافية عنهم فأعد جيشاً قوياً مكوناً من عشرة آلاف فارس بقيادة "حميد بن يصال"^(٢) الذي استطاع أن يهزم موسى وأصحابه وغنموا أكثر عسكره وذلك في سنة ٣١٧هـ في منطقة عين اسحاق^(٣) قاعدة موسى بن أبي العافية^(٤) .

زحف حميد بن يصال إلى مدينة فاس واستولى عليها وولى عليها حامد بن حمدان بعد فرار مدين بن موسى عنها سنة ٣٢١هـ^(٥) . عادت مدينة فاس مرة أخرى تابعة لحكم الإدارة الشيعية ولكن هذه السيطرة لم تستمر طويلاً في أيدي الشيعة فقد ثار أحمد بن بكر بن أبي سهل الجذامي^(٦) على والي فاس حامد بن حمدان وذلك عقب وفاة

١- السلاوي : الاستقصا ١/١٧١ .

٢- ابن عذارى : البيان ١/٢١٤ . حميد بن "يصلى . يصلتين . تيسيل" وهو ابن أخي مصالة بن حبوس السالف الذكر *انظر* البكري : المغرب ص ١٢٨ . ابن الخطيب : أعمال الأعلام ٣/٢١٥ . ابن أبي زرع : روض القرطاس ١/١٢٤

٣- عين اسحاق : تقع في بلاد تسول *انظر* السلاوي : الاستقصا ١/١٧١ يذكر ابن الخطيب : أعمال الأعلام ٣/٢١٥:٢١٦ أن لقاء حميد بموسى تم في منطقة فحص مسون شرق مدينة تازة وكان موسى يتحصن ببلاد تسول بعد هزيمته .

٤- السلاوي : الاستقصا ١/١٧١ .

٥- البكري : المغرب ص ١٢٨ .

٦- ابن عذارى : البيان ١/٢١٤ .

أحمد بن "بكر - أبي بكر" عبد الرحمن بن سهل الجذامي تولى إدارة شئون مدينة فاس لموسى بن أبي العافية بعد أن قتل حامد بن حمدان سنة ٣٢١هـ بايع القائد الشيعي، ميسور لكن قبض عليه وبعث برأسه إلى مدينة المهديّة *انظر* ابن أبي زرع : روض القرطاس ١/١٢٤:١٢٥ . السلاوي : الاستقصا ١/١٧٢ .

عبيد الله المهدي سنة ٣٢٢هـ^(١) فقتله هو وولده وبعث برأسه
وبرأس ولده إلى موسى بن أبي العافية الذي قام بدوره وأرسلهما إلى
عبد الرحمن الناصر الأموي بالأندلس^(٢) .

على الجانب الآخر تولى ابن عبيد الله المهدي^(٣) إدارة ولاية إفريقيا بعد
وفاة أبيه وأراد أن يتدارك الموقف بعد السيطرة الأموية وامتداد نفوذها داخل
بلاد المغرب ، هذا النفوذ يمثل تهديداً وخطر عليه فأعد حملة بقيادة أحد
قواده^(٤) وأرسلها إلى بلاد المغرب سنة ٣٢٣هـ^(٥) فحاصروا مدينة فاس إلى
أن تقدم إليهم عاملها أحمد بن بكر مبيعاً ومؤيداً وقدم لهم الهدايا والمال ومع
ذلك تم القبض عليه وأرسل إلى مدينة المهديّة^(٦) .

هذا الموقف جعل أهل مدينة فاس يغلقون الطريق أمامهم ويمنعونهم من
السيطرة عليهم وعلى المدينة في هذه الأثناء اختار أهل مدينة فاس أحد
أعيانها^(٧) لقيادة المدينة في الدفاع عن الحصار المفروض عليها من الشيعة

-
- ١- ابن أبي زرع : روض القرطاس ١/١٢٥ يذكر وفاته سنة ٣٢٣هـ .
 - ٢- البكري : المغرب ص ١٢٨ . ابن عذارى : البيان ١/٢١٤ . ابن أبي زرع :
روض القرطاس ١/١٢٤ . السلاوي : الاستقصا ١/١٧١ .
 - ٣- ويدعى أبو القاسم بن عبيد الله المهدي .
 - ٤- قائد حملة أبو القاسم يدعى "ميسور الفتى - الخصي" /نظر البكري :
المغرب ص ١٢٨ . القلقشندي : صبح الأعشى ٥/١٨٣ . السلاوي : الاستقصا ١/١٧٢
 - ٥- البكري : المغرب ص ١٢٨ . ابن أبي زرع : روض القرطاس ١/١٢٥ ،
السلاوي : الاستقصا ١/١٧٢
 - ٦- البكري : المغرب ص ١٢٨ . القلقشندي : صبح الأعشى ٥/١٨٤ ، اعتبر أهل
مدينة فاس رد فعل الشيعة تجاه أحمد بن بكر بعد ما بايعهم وقدم إليهم الهدايا والمال
رد لا يليق بما تم تقديمه لهم فكانت المقاومة وعدم الثقة بالشيعة /نظر
ابن أبي زرع : روض القرطاس ١/١٢٥ .
 - ٧- يسمى "حسين بن قاسم اللواتي" أقره الشيعة على مدينة فاس حوالي ١٨ عاماً /نظر
البكري : المغرب ص ١٢٨ . ابن أبي زرع : روض القرطاس ١/١٢٥ ، القلقشندي :
صبح الأعشى ٥/١٨٤ .

والذى استمر حوالى سبعة أشهر وانتهى بدخولهم مدينة فاس فى طاعة ومبايعة
أبى القاسم الشيعى ويسجلون اسمه فى السكة ويخطبون له على منابرهم^(١) .

١- ابن أبى زرع : روض القرطاس ١/١٢٥ .

سيطرة الفاطميين على مدينة فاس

٣٤٩ : ٣٧٥ هـ

وقعت مدينة فاس بين سيطرة البربر والفاطميين الطامعين فيها وخاصة بعد انتهاء دور الأدارسة في المغرب وذهاب ملكهم وضياع مدينة فاس عاصمة الدولة من أيديهم سنة ٣٠٥ هـ وظهور كلٍّ من موسى بن أبي العافية وعبد الرحمن الناصر بالإضافة إلى رغبة عبيد الله المهدي في السيطرة على مدينة فاس ونشر المذهب الشيعي كان ظهور هؤلاء ورغبتهم في الاستيلاء على مدينة فاس ناتجا عن عدم وجود سلطة قوية تستطيع أن تدافع عن المنطقة فحدث اضطراب واضح عندما أصابت الشيخوخة مؤسسى مدينة فاس ، هذا الضعف والاضطراب أثر سلباً على المدينة لأن الاستقرار السياسى يجعل الأمن يسود داخل الدول مما يساعد على التطور والازدهار والنمو .

ومن الجدير بالذكر أن البربر ليست عندهم الخبرة الكافية في نظم الحكم والدفاع والسيطرة التى تجعل دولتهم تعيش فترة طويلة مثل العرب فالأمويون يريدون مد نفوذهم إلى بلاد المغرب بالسيطرة على مدينة فاس عن طريق البربر فيمدونهم بالإعانات والمساعدات اللازمة لهذا الغرض أما العرب فيعتبرون أقلية بالنسبة لسكان فاس وخاصة بعد رحيل الأدارسة إلى القلعة المعروفة بحجر النسر^(١) .

ظل هذا الصراع قائماً بين البربر المواليين للأمويين بالأندلس وبين الشيعة أصحاب إفريقيا على ملك الأدارسة الذين انتهت آمالهم في عودة ملكهم مرة أخرى .

في سنة ٣٤١هـ — بايع أهل مدينة فاس الناصر لدين الله الأموي^(١) فغضب المعز لدين الله الفاطمي من سيطرة الأمويين على المغرب الأقصى وخروجه من تحت سيطرته فأعد جيشاً ضخماً من البربر على رأسه قائده جوهر الصقلي^(٢) لاسترداد نفوذه في هذه البلاد فعندما وصل إلى مدينة فاس لفتحها تمكن أهلها من الدفاع عنها والصمود ضد الحصار الذي فرضه عليها جوهر الصقلي فتركها إلى مدينة سجلماسة فاستولى عليها عنوة بالسيف^(٣) ثم عاد في سنة ٣٤٩هـ ونزل إلى مدينة فاس فحاصرها لمدة نصف شهر حتى فتحها وقبض على أميرها من قبل الناصر الأموي وذلك يوم الخميس العشرين من رمضان ٣٤٩هـ^(٤) .

وقد استطاع جوهر قائد المعز دخول مدينة فاس برغم وجود الأسوار والأبواب مما يدل على مهارة هذا القائد فقد توجه "إلى مدينة فاس وبها أحمد بن أبي بكر فأغلق أبوابها فنازلها جوهر وقتلها

١- الجزنائي : زهرة الأس ص ٣٦ . بعد بيعة مدينة فاس للأمويين في الأندلس تم تعيين محمد بن الخير المغراوي لمدة عام ثم رحل إلى الأندلس للجهاد ، ثم تولى مكانه ابن عمه أحمد بن أبي بكر بن أحمد الزناتي الذي قام ببناء صومعة جامع القرويين في شهر ربيع الأول سنة ٣٤٤-٣٤٥هـ *انظر* ابن زرع : روض القسطاس ١/١٣١ . الجزنائي : زهرة الأس ص ٣٦ .
 ○ المعز لدين الله الفاطمي: أبوتميم معد بن اسماعيل بن محمد بن عبيد الله ولد سنة ٣١٩هـ بالمهدية انتقل الى مصر من افريقية سنة ٣٦٢هـ ت سنة ٣٦٥هـ *انظر* الحلة السيرة ٢/٣٩١:٣٩٣ .

٢- جوهر الصقلي : خادم وكاتب المعز، فتح مصر بعد وفاة كافور الاخشيدى بسنة أسس مدينة القاهرة والجامع الأزهر، له جهود كبيرة في الشام لاسترجاع نفوذ الفاطميين سنة ٣٦٦هـ *انظر* الأبار : الحلة السيرة ٢/٣٩٢هـ . د . محمد زيتون : دراسات في تاريخ مصر الاسلامية ص ٨١:٨٨ .

٣- ابن الخطيب : أعمال الأعلام ٣/٢٢٠ . السلاوي : الاستقصا ١/١٨١ .

٤- فتحت مدينة فاس عنوة على يد زيرى بن مناد الصنهاجي وقبض على أحمد بن أبي بكر ثم نهب المدينة وقتل حماتها وسبى أهلها وهدم بعض أسوارها *انظر* السلاوي : الاستقصا ١/١٨١ .

مدة فلم يقدر عليها ، وعاد إلى فاس فقاتلها مدة طويلة ، فقام زيري بن مناد فاختر من قومه رجالاً لهم شجاعة وأمرهم أن يأخذوا السلام وقصدوا البلد وصعدوا إلى السور الأدنى في السلام وأهل مدينة فاس آمنون فلما صعدوا إلى السور قتلوا من عليه ونزلوا إلى السور الثاني ففتحوا الأبواب وأشعلوا المشاعل وضربوا الطبول ... فلما سمعها جوهر ركب في العساكر فدخل فاس" (١) .

استمرت السيطرة الفاطمية على مدينة فاس حوالي ثلاثة عشرة سنة ٣٤٩ : ٣٦٢هـ — وفي سنة ٣٦٣ أرسل الخليفة الحاكم المستنصر الأموي قائده إلى المغرب فأمدّه بالإمدادات التي تساعد في السيطرة على مدينة فاس فاستطاع دخولها (٢) .

ظل النفوذ الأموي مستمراً على مدينة فاس والمغرب حوالي ست سنوات (٣) حتى زحف بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي (٤) على المغرب وحاصر مدينة فاس ودخلها وقضى على عمال بني أمية بها (٥) .

-
- ١- ابن الأثير : الكامل ٣٥٤/٦ .
 - ٢- السلاوي : الاستقصا ١٨٤/١ . يذكر ابن أبي زرع : روض القرطاس ١٣٨/١ ، دخول غالب إلى مدينة قرطبة أول يوم من المحرم سنة ٣٦٤هـ .
 - ٣- القلقشندي : صبح الأعشى ١٨٥/٥ .
 - ٤- بلكين "بلقين" بن زيري بن مناد الصنهاجي : أحد قادة البربر التابعين للشيعة في إفريقيا توجه إلى المغرب لإعادته من أيدي بني أمية فقطع دعوتهم وأخذ البيعة للشيعة مرة أخرى ثم عاد إلى إفريقيا وذلك في الفترة من سنة ٣٥٠ : ٣٦٢هـ تقريباً انظر ابن أبي زرع : روض القرطاس ١٣٦:١٣٥/١ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ٢٢١/٣ ، السلاوي : الاستقصا ١٨٣:١٨٢/١ .
 - ٥- ابن أبي زرع : روض القرطاس ١٥٦/١ .

دور المنصور بن أبي عامر فى دخول مدينة فاس تحت حكم

الأمويين فى الأندلس

٣٧٧ : ٣٩١ هـ

استمر النفوذ الفاطمى باقياً بمدينة فاس حتى أرسل المنصور ابن عمه عسكلاجة^(١) وذلك فى سنة ٣٧٥ هـ^(٢) حتى يستطيع وقف تقدم الحسن بن كنون نحو مدينة فاس وبالفعل تمكن عسكلاجة من دخول مدينة فاس واستولى على عدوة الأندلس وخطب فيها على المنابر للأمويين^(٣) بينما ظلت عدوة القرويين تابعة للفاطميين إلى أن استطاع أحد قادة عسكلاجة من دخولها عنوة وذلك فى سنة ٣٧٦ هـ^(٤) وقبض على واليها وقتله وخطب فيها أيضاً لبني أمية^(٥).

هذا وقد تولى زيروى بن عطية المغراوى^(٦) ملك المغرب

ثم استولى على عدوتى مدينة فاس سنة ٣٧٧ هـ وجعلها عاصمة

١- هو الوزير أبو الحكم عمر بن عبد الله بن أبي عامر المعروف بعسكلاجة انظر ابن الخطيب : أعمال الأعلام ٢٢٣/٣ . القلقشندى : صبح الأعشى ١٨٥/٥ ، السلاوى : الاستقصا ١٨٦/١ .

٢- القلقشندى : صبح الأعشى ١٨٥/٥ .

٣- ابن زرع : روض القرطاس ١٥٥/١ .

٤- ابن زرع : روض القرطاس ١٥٥/١ يذكر قائد عسكلاجة ويدعى "يطوت بن بلكين المغراوى" "أبو بياش" .

٥- والى عدوة القرويين يسمى محمد بن عامر المكناسى انظر ابن زرع : روض القرطاس ١٥٥/١ .

٦- زيروى بن عطية المغراوى : من بنى خرز شريف فى قومه تولى مسئولية قبيلة زناته فى سنة ٣٦٨ هـ قام فى المغرب بالدعوة إلى بني أمية "هشام المؤيد وحاجبه المنصور بن عامر" توفى سنة ٣٩١ هـ انظر ابن زرع : روض القرطاس ١٥٦/١ : ١٦٨ ، السلاوى : الاستقصا ١٩٢/١ .

يدير منها شئون بلاد المغرب فاستقام له الأمر وعلا قدره وقوى سلطانه^(١).
 أسكن زيـرى بن عطية قبيلتين بمدينة فاس "مغراوة الزناتيين"
 في مساكن عديدة بمعظم أنحاء المدينة ثم رحل قبائل بني يفرن^(٢) عنها وعن
 أحوازها وأبعدهم إلى نواحي مدينة سلا فسكنوها^(٣).
 وفي سنة ٣٨٢هـ استدعاه المنصور بن عامر فاستخلف على المغرب
 ابنه^(٤) وأمره بالإقامة في مدينة تلمسان بينما استخلف على مدينة فاس
 عاملين^(٥) ثم مضى إلى الأندلس وحمل معه هدايا عظيمة فسر به المنصور
 ولقبه باسم الوزير وأعطاه مالا كثيرا وعقد له على جميع ما غلب عليه
 من سنة ٣٨٢هـ^(٦).

هذا ولم يستطع زيـرى بن عطية البقاء بقرطبة كثيرا فقد أمره
 المنصور بن عامر بالذهاب إلى المغرب للقضاء على التمرد الذي قام به

١- السلاوى : الاستقصا ١/١٩٢. فى هذه الفترة استطاع زيـرى بن عطية من بسط
 سيطرة الأمويين على مناطق تلمسان وتونس ووهران والمهدية وكثير من بلاد الزاب
 بالمغرب الأوسط من يد أبى البهار بن زيـرى بن مناد الصنهاجى بعدما دخل فى طاعة
 الأمويين ثم انقلب عليهم إلى الشيعة فكتب المنصور إلى زيـرى بن عطية الذى تحرك
 بجيوش زناتية من مدينة فاس وبسط سلطانه بالمغرب فكافاه المنصور بتجديد عهده
 على المغرب وذلك سنة ٣٨١هـ **انظر** ابن أبى زرع :
 روض القرطاس ١/١٥٩ ، ١٦٠ .

٢- بنى يفرن : بطن من قبيلة زناتة كانت منافسة لقبيلة مغراوة تحارب تارة مع
 الأمويين وتارة ضدهم أسسوا إمارة تمتد من سلا إلى فاس اضمحلت فى عهد
 المرابطين ٤٦٩هـ كان لهم الفضل فى القضاء على البرغواطيين المستقرين بالساحل
انظر الصديق بن عربى : المغرب ص ٨٣

٣- السلاوى : الاستقصا ١/١٩٣ .

٤- المعز بن زيـرى بن عطية تولى فاس بعد موت أبيه مات سنة ٤١٧هـ
انظر القلقشندي : صبح الأعشى ٥/١٨٦ .

٥- عبد الرحمن بن عبد الكريم بن ثعلبة على عدوة الأندلس
 و على بن محمد بن أبى على بن قشوقش على عدوة القرويين **انظر** ابن أبى زرع :
 روض القرطاس ١/١٦١ .

٦- ابن أبى زرع : روض القرطاس ١/١٦١ ، يذكر ابن عذارى : البيان ١/٢٥٢ لقاء
 زيـرى بن عطية بالمنصور بن عامر فى مدينة قرطبة سنة ٣٧٩هـ .

يدو بن يعلى اليفرنى^(١) حيث انتهر فرصة وجود زيروى بالأندلس فزحف إلى مدينة فاس ودخل منها عدوة الأندلس بالسيف فى ذى القعدة سنة ٣٨٢هـ وقتل بما كثيراً من مغراوة^(٢) .

على الجانب الآخر نجد أن زيروى بن عطية فور علمه بما حدث وهو بمدينة طنجة أسرع حتى نزل بالقرب من مدينة فاس حيث دارت مواجهة صعبة على القبيلتين "مغراوة وبنى يفرن" انتهت بهزيمة بنى يفرن فتمكن زيروى من دخول مدينة فاس وقبض على يدو وقتله وأرسل رأسه إلى المنصور بن عامر وذلك فى سنة ٣٨٣هـ^(٣) .

وفى سنة ٣٨٧هـ فسدت العلاقة بين المنصور وزيروى بسبب استبداد المنصور بالخليفة الأموى هشام المؤيد ومحاولة السيطرة على أملاك الدولة الأموية بالمغرب والأندلس^(٤) .

بلغ المنصور أن زيروى يذكره بالقبیح ويقلل من شأنه ويستنقصه فرد عليه المنصور بقطع المعونات عنه وإلغاء اسمه من ديوانه وبالبراءة منه فطرد زيروى عمال المنصور من المغرب وقطع اسمه من الخطبة وترك الدعاء له ولم يبق إلا ذكر هشام المؤيد ، فجهز المنصور جيشاً عظيماً وزوده بالأموال اللازمة للنفقات وفى مدينة طنجة انضم إليه بعض قبائل البربر من غمارة

١- يدو بن يعلى بن محمد بن صالح اليفرنى : من أعيان قبيلة زناتة قام بأمر بنى يفرن بعد مقتل أبيه يعلى بن محمد سنة ٣٤٧هـ كان بينه وبين زيروى منافسات ومنازعات على السيطرة على المغرب فإذا تفوق أحدهما على الآخر دخل مدينة فاس واستولى عليها حتى انتهى الصراع بينهما بتفوق زيروى على يدو واستولى على مدينة فاس وقتله سنة ٣٨٣هـ انظر ابن أبى زرع : روض القرطاس ١/١٩٥ ، السلاوى : الاستقصا ١/١٩٤ : ١٩٥ .

٢- السلاوى : الاستقصا ١/١٩٥ .

٣- ابن أبى زرع : روض القرطاس ١/١٦٢ .

٤- ابن عذارى : البيان ١/٢٥٢ . يذكر بن أبى زرع : روض القرطاس ١/١٦٣ ، سوء العلاقة بين المنصور وزيروى كانت سنة ٣٦٨هـ .

وصنهاجة فأفاض عليهم الخلع والأموال حتى اكتمل جيش المنصور في مدينة طنجة فخرج إليه زيروى من مدينة فاس في جنود من زناتة والتقى الفريقان بوادى رادت^(١) بالقرب من طنجة استمرت الحرب بينهما ثلاثة أشهر حتى استطاع زيروى هزيمة جيش المنصور في هذه الجولة^(٢) .

لم يترك المنصور زيروى حتى استطاع أن يطرده إلى مدينة فاس التي رفضت أن تستقبله فانصرف زيروى بن عطية إلى الصحراء^(٣) .

استقبلت مدينة فاس عبد الملك بن المنصور استقبالا جيدا فرحين مستبشرين فأحسن لقاءهم تم ذلك في شوال سنة ٣٨٧هـ ثم كتب إلى أبيه بالفتح فعهد إليه بولاية شئون المغرب وأوصاه بحسن السيرة والعدل وقرأ كتاب المنصور إلى ابنه على منبر جامع القرويين في ذى القعدة سنة ٣٨٧هـ^(٤) .

استوطن عبد الملك بن المنصور مدينة فاس وأقام العدل في أهلها كما أوصاه والده واستمرت إقامته بها حوالي ستة أشهر^(٥) .

١- ابن أبى زرع : روض القرطاس ١٦٤/١ . يذكرها السلاوى :

الاستقصا ١٩٦/١ باسم "زادات" .

٢- يذكر أن اسم قائد جيش المنصور لمحاربة زيروى بن عطية يدعى "واضح" . واضح الغازى . واضح الفتى" . بعد هزيمة جيش المنصور بعث ابن عبد الملك بجنود من الأندلس وأمره بحرب الزيروى واستعد زيروى وجمع وفودا من بلاد الزاب وتلمسان وملوية وسجلماسة والتقى الجمعان بوادى منى من أعمال طنجة فى حروب ضخمة حتى طعن زيروى من غلام أسود كان قد قتل أخاه ولكنه جرح ففر إلى مدينة مكناسة وأعد جيشا لمواصلة حرب ابن المنصور "عيد الملك" وفى سنة ٣٨٧هـ استطاع عبد الملك أن يهزم زيروى الذى توجه إلى مدينة فاس فتركها إلى الصحراء ونزل بلاد صنهاجة *انظر* ابن أبى زرع : روض القرطاس ١٦٦/١ .

٣- ابن أبى زرع : روض القرطاس ١٦٦/١ ، القلقشندى : صبح الأعشى ١٨٦/٥ .

٤- ابن أبى زرع : روض القرطاس ١٦٦/١ ، القلقشندى : صبح الأعشى ١٨٦/٥ ،

السلاوى : الاستقصا ١٦٦/١

٥- غادر عبد الملك بن المنصور مدينة فاس بعد أن اطمئن عليها واتجه إلى الأندلس بعد أن استعمل عليها عيسى بن سعيد صاحب الشرطة فأقام بها إلى شهر صفر ٣٨٩هـ ثم عزل وتولى واضح عليها فترة لم تحدد المصادرو ولكنى أرى أنها فترة من =

على الجانب الآخر تمكن زيرى بن عطية من الدعوة في إفريقيا
لسببى أمية مرة أخرى بعد أن استولى على عدة مدن منها تاهرت وتلمسان
توفي في المحرم سنة ٣٩١هـ فخلفه ابنه المعز بن زيرى^(١) الذى سار على
نهج سياسة أبيه فاتصل بعبد الملك بن المنصور بقرطبة^(٢) يطلب منه العفو
والدخول في طاعته فقبل منه عبد الملك طلبه ولكنه اشترط عليه أن يأخذ
ابنه^(٣) رهينة عنده حتى يثق في عهوده ثم ولاه مدينة فاس وسائر أعمال
المغرب^(٤).

ظل المعز بن زيرى والياً على مدينة فاس والمغرب حتى توفي سنة
٤٢٢هـ فتولى حمامة بن المعز بن عطية^(٥) استوطن مدينة فاس وقام بأمر
زنانة لكن الأمور لم تستقر له فخرج عليه تميم بن تميم بن زيرى^(٦)

=سنة ٣٨٩ : ٣٩٣هـ ثم تولاها عبد الله بن أبى عامر "ابن أخى المنصور" ثم تعاقب
على ولاية مدينة فاس من قبل واضح "إسماعيل بن البورى . أبو الأحوض معن بن
عبد العزيز" ثم ولاها عبد الملك إلى المعز بن زيرى بن عطية *انظر* ابن عذارى :
البيان ٢٥٣/١

١- المعز بن زيرى بن عطية المغراوى : ولى ملك المغرب بعد وفاة أبيه فضبطه وذلك
فى سنة ٣٩٣هـ توفى سنة ٤١٦ . ٤١٧ . ٤٢٢ . *والراجح* ٤٢٢هـ *انظر*
ابن عذارى : البيان ٢٥٣/١ . ابن أبى زرع : روض القرطاس ١٦٩/١ ، ١٧٠ ،
السلامى : الاستقصا ١٩٩/٢٠٠ .

٢- قرطبة : بالأندلس أحوازها تنتهى فى الغرب إلى أحواز أشبيلية وتأخذ فى الجوف
ستين ميلاً وتختلط أحوازها فى المشرق بأحواز جيان *انظر* الحميرى :
الروض المعطار ص ٤٥٨ .

٣- يدعى **معنصر بن المعز بن زيرى** *انظر* ابن أبى زرع : روض القرطاس ١٦٩/١
لكن ابن عذارى : البيان ٢٥٣/١ يذكر حمامة ومعنصر .

٤- ابن عذارى : البيان ٢٥٤/١ .

٥- **حمامة بن المعز بن عطية** : ابن عم المعز بن زيرى بن عطية وليس ابنه كما
ذكر كان له حظ من المعرفة والأدب وحسن السياسة تمتعت مدينة فاس فى عهده
بالهدوء والرخاء كان الشعراء يقصدون من الأندلس توفى سنة ٤٤٠هـ *انظر*
ابن عذارى : البيان ٢٥٤/١ ، ابن أبى زرع : روض القرطاس ١٧٠/١ : ١٧٢ ،
السلامى : الاستقصا ٢٠١/١ .

٦- **أبو الكمال تميم بن زيرى بن يعلى الزناتى اليفرنى** : أمير بنى يفرن كان يغلب
عليه الجهل والجفاء وكان محباً لجهاد برغواطة يغزوهم فى كل سنة مرتين . على =

وزحف من مدينة سلا في قبائل بني يفرن متوجهاً إلى مدينة فاس
فخرج حمامة بن المعز من مدينة فاس في قبائل مغراوة فكانت
بينهم حرب شديدة انهزم فيها حمامة ودخل تميم مدينة فاس
سنة ٤٢٤هـ^(١) واستباح دم اليهود بها فقتل منهم كثيراً حوالى
سنة آلاف يهودى وأخذ أموالهم وسبى نسائهم^(٢) .

=خلاف في وفاته ٤٣١ ، ٤٤٦ ، ٤٤٨ /نظر القلقشندى : صبح الأعشى ١٨٧/٥ ،
ابن أبى زرع : روض القرطاس ١٧١/١ ، السلاوى : الاستقصا ٢٠١/١ .
والراجع ٤٣١هـ لأن ابن أبى زرع يذكر مدة حكمه لمدينة فاس خمسة أو سبعة
أعوام بعملية طرح ٤٣١ - ٧ = ٤٢٤ فيعتبر سنة ٤٣١هـ هي أقرب إلى هذا العدد .
١- البكرى : المغرب ص ١٢٨ .
٢- ابن أبى زرع : روض القرطاس ١٧١/١ ، السلاوى : الاستقصا ٢٠٢/١ .

دور البربر في حكم مدينة فاس ٣٩٣ : ٤٦٢ هـ

توجه حمامة بعد هزيمته إلى المغرب الأوسط واستقر إلى قبائل مغراوة وزناتة فاجتمع إليه حشود كبيرة زحف بهم إلى مدينة فاس سنة ٤٢٩ هـ ففر منها أبو الكمال تميم ودخلها حمامة بن المعز وظل ملكاً عليها إلى أن توفي سنة ٤٤٠ هـ^(١) .

بعد وفاة حمامة بن المعز تولى ابنه دوناس علي ما كانت تحت يد أبيه فبسط سيطرته على مدينة فاس وما حولها ولكن بنى عمه خرجوا عليه وخاصة حماد بن المعز بن زيري الذي استولى على ضواحي مدينة فاس وحاصره بقوة واستطاع منع المياه واستمر حماد محاصراً للمدينة فاس حتى هلك سنة ٤٣٥ هـ^(٢) .

تمتعت مدينة فاس في عهد دوناس بن حمامة بالرخاء والرفاهية والأمنة فقصدها التجار من جميع النواحي وكثر عمرانها فبنى بها المساجد والحمامات والفنادق ثم أقام السور على أرباضها هذا يدل على اهتمام دوناس بإعمار المدينة حتى قيل عنه أنه "لم يستغل دوناس من يوم ولى إلى أن توفي إلا بالبناء والتشييد"^(٣) .

ومن الجدير بالذكر أن ازدهار مدينة فاس في عهد دوناس جاء على الرغم من الفتنة التي حدثت في بداية عهده فما كان منه إلا أن أعطاها دفعة قوية في معظم المجالات حتى كادت أن تصبح مدينة واحدة أيامه بل

١- ابن أبي زرع : روض القرطاس ١٧١/١ ، السلاوى : الاستقصا ٢٠٢/١ .

٢- السلاوى : الاستقصا ٢٠٣/١ .

٣- ابن أبي زرع : روض القرطاس ١٧٢/١ : ١٧٣ ، السلاوى :

الاستقصا ٢٠٣/١ .

صارت حاضرة المغرب منذ ذلك العهد^(١) .
 بعد وفاة دوناس ترك ولدين الأكبر فتوح^(٢) الذى سكن عدوة الأندلس
 من مدينة فاس ، أما الابن الأصغر عجيسه^(٣) سكن عدوة القرويين
 وبني بها قصبه برأس عقبة الصغير بعدوة القرويين ، وكان الفتوح
 قد بنى بعدوة الأندلس قصبه منيعه بالمكان المعروف
 بالكندان^(٤)

ومع أنهما شقيقان إلا أن العداوة كثرت بينهما ثم صارت هذه
 العداوة وتحولت إلى قتال فكانت النتيجة غلو الأسعار واشتداد المجاعة وكثرت
 الفتن وظل القتال بينهما إلى أن ظفر الفتوح بأخيه عجيسه وقتله^(٥) .
 وبعد تحلى الفتوح عن مدينة فاس "زحف صاحب القلعة
 بلكين بن محمد بن حماد إلى المغرب سنة ٤٥٤ هـ فدخل فاس واسترهن
 بعض أشرفهم على الطاعة ورجع إلى عمله"^(٦) .

١- ابن أبى زرع : روض القرطاس ١/١٧٣ . الجزنائي : زهرة الأس ص ٣٠ ،

السلوى : الاستقصا ١/٢٠٣ .

٢- فتوح بن دوناس بن حمامة : تولى إدارة شئون عدوة الأندلس من مدينة فاس
 بعد وفاة أبيه بنى باباً فى مدينة القلعة فى حماية بلكين بن محمد بن حماد الصنهاجى
 وكان ذلك سنة ٤٥٤ أو ٤٥٧ هـ انظر

ابن أبى زرع : روض القرطاس ١/١٧٣ : ١٧٤ . القلقشندى :
 صبح الأعشى ١٨٧/٥ ، السلوى : الاستقصا ١/٢٠٤ .

٣- عجيسه بن دوناس بن حمامة : كان شهماً استولى على عدوة القرويين بعد وفاة
 أبيه بنى باباً بعدوة القرويين سماه "عجيسه" عدلت إلى "الجيسه" قتل سنة ٤٥٣ هـ
انظر ابن أبى زرع : روض القرطاس ١/١٧٤ ، القلقشندى :
 صبح الأعشى ١٨٧/٥ . السلوى : الاستقصا ١/٢٠٤ .

٤- ابن أبى زرع : روض القرطاس ١/١٧٤ . السلوى : الاستقصا ١/٢٠٤ .

٥- ابن أبى زرع : روض القرطاس ١/١٧٤ .

٦- القلقشندى : صبح الأعشى ١٨٧/٥ .

وفي مكان آخر نجد أنه بعد تخلي الفتوح عن مدينة فاس
ولى ابن عم أبيه معنصر بن المعز بن زيري بن عطية فبايعه قبائل مغراوة بها
وظل معنصر بها إلى أن دخلها المرابطون سنة ٤٦٠هـ^(١).

١- ابن أبي زرع : روض القرطاس ١/١٧٥ ، السلاوى : الاستقصا ١/٢٠٥ .

قيام دولة المرابطين

تمهيد عن نشأة دولة المرابطين وقيام دولتهم :

ينتمي المرابطون إلى قبيلة لمتونة وجدالة ومسوفة وكلها تنفرع من قبيلة صنهاجة الصحراء وكانت قبيلة لمتونة تسكن بالمنطقة الصحراوية الواقعة في جنوب بلاد المغرب وهم رحالة ليس لهم منزل دائم وليس لهم مدينة يأوون إليها كانوا لا يعرفون الزراعة ولا الحرث ولا الثمر وكانوا يعتمدون على الثروة الحيوانية فأموالهم الأنعام وأقواتهم لحومها وألبانها^(١).

تسميتهم بالملثمين : تميز المرابطون بارتداء اللثام حتى تسموا بالملثمين أو أهل اللثام أو الملثمة وهناك عدة آراء في تفسير اتخاذهم اللثام فيرى البعض أنهم اتخذوه لحماية أفواههم من الغبار الذي تثيره العواصف الرملية في الصحراء ويرى آخرون أنه حدث ذات مرة في بعض حروبهم أن نساءهم كن يقاتلن معهم محجبات حتى يحسبن بذلك في عداد الرجال^(٢).

ويقال كذلك أنهم اتخذوه أسوة بأجدادهم من أهل اليمن فصار زيالهم ولأعقابهم أو لأهم كانوا يتخذون في أعراسهم نوعاً خاصاً من الحجاب^(٣).

عُرف المرابطون بعدة أسماء أخرى منها الصنهاجيين اللمتونيين والصحراويين كان دينهم الجوسية قبل الإسلام والذين دخلوا فيه متأخرين في القرنين الثاني والثالث للهجرة وتحمسوا له مع اتصافهم بالشجاعة في القتال

١- ابن الخطيب : أعمال الأعلام ٢٢٥/٣ .

٢- السلاوي : الاستقصا ٤/٢ .

٣- مجهول : الحلل الموشية ، الرباط ، ١٩٣٦م ، ص ١٨ : ١٩ .

"ولهم في قتالهم شدة وجلد وليس كذلك لغيرهم ، وكانوا يختارون الموت على الانهزام ولا يحفظ لهم فرار من زحف وكان قتالهم على النجب^(١) أكثر من الخيل وأكثرهم مترجلون على أقدامهم صفوفاً صفاً بعد صف يكون بأيدي رجال الصف الأول القنا الطوال وكانت لهم راية يقدمونها أمام الصفوف فهم يقفون ما وقفت منتصب^(٢) وما يليه من الصفوف بأيديهم المزاريق يحمل الواحد منهم عدة يزرقها فلا يكاد يخطئ ولا يشوى"^(٣) .

ظهور دولة المرابطين

كانت رئاسة صنهاجة ليحيى بن إبراهيم الجدالي زعيم قبيلة جدالة "شقيقة" قبيلة لمتونة يجمعها أب واحد" وذلك حتى عام ٤٢٧هـ حيث استخلف على صنهاجة ابنه إبراهيم بن يحيى واتجه هو نحو المشرق مع بعض وجهاء قومه للقيام بأداء فريضة الحج وفي أثناء عودته من الحج عام ٤٢٨هـ مر بمدينة القيروان حيث حضر فيها مجلساً علمياً كان يديره الفقيه أبو عمران الفاسي^(٤) فأعجب بحديثه مما جعله يطلب منه أن يعث أحد تلاميذه لتعليم أبناء قبيلته مبادئ وقواعد وأصول الدين حيث إن قومه يجهلون نظراً لانقطاعهم في الصحراء لكن الفقيه عمران الفاسي لم يجد من طلابه من يقبل القيام بهذه المهمة خشية وخوفاً من الصحراء فقام الفقيه عمران بإرسال كتاب معه إلى أحد فقهاء المغرب الأقصى من

١- النجب: هي الجمال أو النوق الكريمة انظر المعجم الوسيط ٢/٩٩١ .

٢ - ابن عذاري : البيان ٤ / ١١ .

٣ - البكري : المغرب ص ١٦٦ .

٤ - ابن عذاري : البيان ص ١١١ .

الذين تلقوا العلم عليه ويعتبر أحد طلابه هناك ويدعى واجاج بن زلوا اللمطي^(١) وهو مقيم بداره التي بناها بالسوس للعلم والخير وكان يتمتع بميزة رفيعة عند المصامدة ، فلما وصل إليه يحيى بن إبراهيم أكرمه وأحسن إقامته ثم أخذ منه كتاب الفقيه أبي عمران الفاسي وقرأه على تلاميذه فاستجاب لذلك أحد تلاميذه ويدعى عبد الله بن ياسين الجزولي^(٢) وهو من أنبغ طلبته وأوفرهم علماً وورعاً وكان قد تلقى العلم في بلاد الأندلس ، صاحب ابن ياسين يحيى بن إبراهيم إلى قبيلة جدالة حيث لقي منها ومن قبيلة لمتونة إكراماً وسروراً شديداً وذلك عندما ذكر لهم يحيى بن إبراهيم عن ابن ياسين من الفضل والعلم والدين وعندئذ بدأ عبد الله بن ياسين بتعليم أهل قبيلة جدالة أحكام الدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتشدد عليهم في محاربة ما هم عليه من البدع فسرعان ما تفرقوا عنه لكن ابن ياسين لم ييأس وبمساعدة يحيى بن إبراهيم قرر مواصلة مهمته ولكن بطريقة جديدة ، فذهب إلى الصحراء في موضع ناء وبنى مكاناً للعبادة "رباطاً" اختلف في تحديد مكانه

١- السلاوي: الاستقصا ٦/٢ ويدعى أيضا واكاك، أو بوجاج واسم ابيه زلون ، وزلوي انظر ابن عذارى : البيان ٨/٤ .
٢- ابن الأثير : الكامل ٦١٩/٩ - الكزولي .

عبد الله بن ياسين : أقام بالأندلس سبعة أعوام في دولة ملوك الطوائف حصل فيها علوما كثيرة ثم رجع إلى المغرب الأقصى فمر بتامسنا وبلاد المصامدة وبلاد جدالة فلم يجد فيهم أذانا صاغية ثم رحل إلى قبيلة لمتونة فانقادوا له سنة ٤٤٠هـ واجتمع له من صنهاجة ثلاث قبائل تعرف ببني وارث وخلفهم لمتونة وجدالة وعندما امتثل شيخ قبيلة لمتونة "يحيى بن عمر" لأوامر عبد الله بن ياسين اشتد ساعد هذه القبيلة واستولت على بلاد درعة وسمى أميرهم "يحيى بن عمر" أمير الحق ثم أطلق عليهم المرابطين للزومهم رباطته ثم أمرهم بالخروج من الصحراء إلى مدينة سلجاسة التي استولى عليها وفتح بلاد المصامدة وبلاد تادالا وتامسنا وبرغواطة توفي سنة ٤٥١هـ ودفن بموضع يعرف بكريفة انظر ابن عذارى : البيان ٨ / ٤ : ١٦ . السلاوي : الاستقصا ٧ / ٢ : ٨ .

فقبل على ساحل المحيط وقيل على حدود السنغال على مصب نهرها^(١) ونزل معه يحيى بن عمر في هذا الرباط المخصص للعبادة وأقام معهم مجموعة من قبيلة جدالة وسرعان ما كثر أتباعهم من أهل صنهاجة والراغبين في العبادة والزهد حتى وصل عددهم ما يقرب من ألف رجل أطلق عليهم ابن ياسين اسم المرابطين لأنهم ظهروا على أعدائهم^(٢) أو لأنهم مجاهدون في سبيل الحق^(٣) ثم عكف ابن ياسين على تعليمهم قواعد الدين الإسلامي من صلاة وزكاة وغيرهما ، أيضاً حبيهم في الجهاد في سبيل الله ومحاربة من خرج عن صفوف هذه الجماعة ثم أرسل تلاميذه إلى قبائلهم يوجهون إليهم الدعوة بترك المنكر واتباع قواعد الإسلام ولكنهم لم يجدوا أى استجابة لهذه الدعوة فما كان من ابن ياسين إلا أن خرج بنفسه وخاطب رؤساء قبائلهم ودعاهم إلى التوبة واتباع قيم الدين حتى يفوزوا بالجنة وخوفهم من عقاب الله عز وجل ولكنهم لم يصغوا لقوله^(٤) وعندما وجد ابن ياسين أن الدعوة بالطريقة السلمية فشلت فقرر رفع السيف في وجه هذه القبائل فغزا قبيلة جدالة في حوالي ثلاثة آلاف من المرابطين فهزمهم بعد أن قتل منهم عدداً كبيراً وأسلم من أهلها إسلاماً جديداً وذلك في سنة ٤٣٤هـ^(٥) .

وجه عبد الله بن ياسين إلى قبيلة لتونة فأطاعته ثم قبيلة مسوفة التي دخلت في طاعته هي الأخرى فعندما وجدت معظم القبائل المجاورة أن الوضع ليس في

١- عبد الله كنون : عبد الله بن ياسين ص ١٠ . ١١ .

٢- ابن عذاري : البيان ١٢/٤ .

٢- د. شوقي ضيف : عصر الدول والإمارات ، دار المعارف ، مصر ١٩٧٩م ص ٢٧٥ .

٤ - السلاوي : الاستقصا ٧ / ٢ : ٩ .

٥- المصدر السابق ٩ / ٢ .

صالحها ، فسارعت قبائل صنهاجة بالانضمام والدخول في طاعة ابن ياسين فجعل يعلمها القرآن وشرائع الإسلام ثم أخذ في غزو قبائل الصحراء حتى دانت له كثير منها ثم توفي يحيى بن إبراهيم فولى عليهم ابن ياسين يحيى بن عمر بن تلاكاكين اللمتوني^(١) وبهذا تكون زعامة المرابطين قد تحولت من قبيلة جدالة إلى قبيلة لمتونة التي كانت تتمتع بمكانة رفيعة في مجتمع المثلثين ويرجع السبب في ذلك إلى موقعها الجغرافي المتحكم في الطرق الشمالية المؤدية إلى المغرب وبحكم شجاعته وضمودها في القتال كما أنها أكثر قبائل صنهاجة عُدة وعدداً حتى قال فيهم عبد الله بن ياسين "إنكم قد غزوتهم ونصرتهم ما وراءكم"^(٢) هذا إلى جانب ما يمتاز به يحيى بن عمر من الصلاح والورع وقد قام بحملات ناجحة في بلاد السودان الغربي^(٣) لنشر الإسلام بين قبائلها الوثنية وافتتح كثيراً من جهاتها^(٤)

فتوح المرابطين في بلاد المغرب :

حقق المرابطون انتصارات أحدثت أصداء واسعة النطاق في معظم بلاد المغرب فقد تلقى عبد الله بن ياسين ويحيى بن عمر كتاباً من أهل مدينة

١- ابن عذارى : البيان ٩/٤ . يحيى بن عمر بن "بولنكاين" "تلاجاين" "واركوت" اللمتوني

٢- ابن عذارى : البيهقي ١٣/٤ .

٣- السودان الغربي : يشمل الأرض الإفريقية الواقعة شمال نيجيريا والشرق الإسلامي إلى المحيط الأطلسي على الشاطئ وأهم عواصمه تمبكتو ، كوندكتو ، جاو ، جنى انظر الحسن السائح : الحضارة الإسلامية في المغرب، دار الثقافة، الدار البيضاء ، ص ٢٠١ .

٤- السلاوي : الاستقصا ١٠:٩/٢ .

سجلماسة ومنطقة درعة^(١) بالمغرب يرغبون في التخلص من أميرهم^(٢) والدعوة إلى الانضمام تحت راية المرابطين فعرض ابن ياسين الأمر عليهم فوافقوه على ذلك^(٣).

ويعتبر خروج المرابطين وتبليتهم لدعوة أهل سجلماسة ودرعة هو بداية حقيقية لظهور المرابطين على مسرح الأحداث بالمغرب بصورة مؤثرة حيث بدأت أركان دولتهم تتضح وتضم مساحة واسعة من أرض المغرب لكن هناك تباين في سبب خروج المرابطين واتجاههم شمالاً^(٤).

وفي سنة ٤٥٤هـ خرج عبد الله بن ياسين في جيش كبير من المرابطين واستطاع أن يسيطر على مدينة سجلماسة ويعقد صلحاً مع قبيلة مغراوة بعد أن قتل منهم كثيراً ، ثم أصلح أحوالها وغير ما بها من المنكرات وطهر المناطق التي كانت تباع فيها الخمر فقام بإحراقها وأزال المكوس وأسقط المغارم وترك ما أوجب الكتاب والسنة تركه^(٥).

-
- ١- درعة : تطلق على المنطقة التي يجرى فيها من سطح الأطلسي الكبير إلى الأطلسي الصغير انظر الصديق بن عربي : المغرب ص ١٣٤ .
 - ٢- ابن عذارى : البيان ١٣/٤ . مجهول : الحلل الموشية ص ١٢ . السلاوى : الاستقصا ١١/٢ . ويدعى مسعود بن وانودين المغراوى "مسعود بن خزرون"
 - ٣- السلاوى : الاستقصا ١١/٢ .
 - ٤- هناك من يرى خروج المرابطين من الصحراء إلى عوامل اقتصادية تقوم على رغبة المرابطين فى التحكم فى طرق التجارة الشمالية والاستيلاء على أراضي المغرب الخصيبة بعد أن تعرضت بلادهم للجفاف والقحط . وهناك من يرى أن الإسلام هو العامل الرئيسى الذى دفع هذه القبائل إلى الاتحاد والخروج من الصحراء . فهم صاروا أصحاب رسالة دينية يريدون تحقيقها وهذا هو السبب الأساسى لخروجهم من الصحراء شمالاً تجاه المغرب وجنوباً إلى بلاد السودان انظر د. أحمد العبادى : فى التاريخ العباسى والأندلسى ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ص ٤٨٥ : ٤٨٦
 - ٥- ابن عذارى : البيان ١٤/٤ . السلاوى : الاستقصا ٧/٢ .

وبعد أن اطمأن عبد الله بن ياسين على طاعة أهل مدينة سلجماسة عاد مرة أخرى إلى الصحراء وفي سنة ٤٤٧هـ قتل الأمير يحيى بن عمر اللمتوني^(١) فقدم ابن ياسين أخاه أبا بكر بن عمر مكانه فكان كأخيه صالحاً ورعاً وتولى أمر الحرب والجهاد فوجه جيشاً إلى بلاد السوس^(٢) فاستولى عليها ثم توجه عبد الله بن ياسين إلى بلاد المصامدة وأذعنوا له بالطاعة^(٣) وفي سنة ٤٤٩هـ اتجه المرابطون إلى مدينة أغمات فوجدوا بها مقاومة كبيرة فما زالوا بها حتى دخلوها في نفس السنة واستراحوا بها شهرين ثم خرجوا إلى مدينة تادلا ففتحوها وقتلوا أميرها سنة ٤٥٠هـ^(٤) وبهذا استطاع عبد الله بن ياسين من ضم بلاد المصامدة إلى المرابطين سنة ٤٥٠هـ^(٥). ثم اتجه عبد الله بن ياسين إلى تامسنا ففتحها واستطاع الوصول إلى قبائل برغواطة المقيمين بساحلها فقتلته برغواطة^(٦)

١- ابن عذارى : البيهقيان ١٤/٤ .

٢- السلاوى : الاستقصا ١٢/٢ غزا بلاد السوس منها مدينة ماسسة وتارودانت قاعدة بلاد السوس ومن قبائلها قبيلة جزولة.

٣- مجهول : الحلال الموشية ص ١٢ فتح من بلاد المصامدة جبل درن ومدن شفشواة ونفيس وبلاد كدمية نظر السلاوى : الاستقصا ١٣/٢ .

٤- السملالى : الأعلام ١٩٧/١ يدعى لقوط المغراوى كانت له زوجة اشتهرت بالجمال والذكاء وحب الرياسة تسمى زينب بنت اسحاق النفاوية فتزوجها الأمير أبو بكر بن عمر اللمتوني انظر السلاوى : الاستقصا ١٤/٢ .

٥- مجهول : الحل الموشية ص ١٢ .

٦- ابن عذارى : البيان ١٦/٤ .

برغواطة : قبائل من أخلط شتى اجتمعوا إلى رجل يهودى يدعى صالح بن طريف بن شمعون البرباطى فى هذا المكان "تامسنا" ادعى النبوة فى عهد هشام بن عبد الملك فى القرن الثانى للهجرة (١٢٥) كان أصله من منطقة برباط بجنوب الأندلس فكان يقال لاتباعه برباطى إلى أن تحولت إلى برغاطى فسموا برغواطة . وكان ابن طريف قد وضع لهم قرأناً جديداً فكانوا يصومون شهر رجب ويفطرون شهر رجب ويصلون خمس صلوات بالنهار ومثلهن بالليل واستمروا هكذا حتى قيام

أبو بكر بن عمر اللمتوني

تولى أبو بكر بن عمر^(١) زعامة المرابطين السياسية والدينية بعد وفاة عبد الله بن ياسين وبعد أن انتهى من دفن الفقيه ابن ياسين واصل جهاده في حرب قبائل برغواطة فقتل منهم أعداداً كبيرة حتى هربوا في الصحراء وقسم غنائمهم بين المرابطين ثم قرر العودة إلى أقرب مدينة لهم بالمغرب مدينة أغمات^(٢).

وفي عام ٤٥٤هـ^(٣) قام الأمير أبو بكر بإعداد جيش قوى مؤلف من قبائل المصامدة وصنهاجة وجزولة حتى يتمكن من ضم معظم مناطق بلاد المغرب ، فبدأ بالاستيلاء على بلاد فازاز وجبالها وسائر بلاد زناتة كما فتح بلاد مكناسة ، ثم توجه إلى بلاد لواته واستطاع ضمها بعد مقاومة عنيفة من حاكمها ثم رجع إلى مدينة أغمات^(٤).

أقام الأمير أبو بكر بمدينة أغمات إلى أن علم بوجود خلاف أو فتنة بين قبائل صنهاجة فعزم الأمير على التدخل حتى يضع حداً لهذا الخلاف وهذا لما عرف عنه من الصلاح والتقوى بالإضافة إلى أن أبي بكر كان حريصاً بشدة على المكاسب التي حققها المرابطون في المرحلة الأولى من قيام دولتهم فقرر

=دولة المرابطين *انظر* ابن الخطيب : أعمال الأعلام ١٨٣/٣ ، السملالي :
الأعلام بمن حل أغمات ومراكش من الأعلام، الرباط ، ١٩٩٣م ، ١ / ١٩٧ : ١٩٩ .

- ١- أبو بكر كنيته واشتهر بها اسمه ابن عمر بن تلاككين بن ترجوت بن زرياط اللمتوني *انظر* ابن الخطيب : أعمال الأعلام ٢٣١/٣ .
- ٢- ابن خلدون : العبر ١٨٤/٦ .
- ٣- يذكر السملالي : الأعلام ٢٠١/١ يذكر السنة ٤٥٢ بدلاً من ٤٥٤هـ .
- ٤- ابن الخطيب : أعمال الأعلام ٢٣٢/٣ . الحاكم يدعى المهدي بن يوسف بن توالي الذي لم يستطع المقاومة ودخل في طاعة الأمير أبو بكر بن عمر .

أبوبكر الذهاب إلى الصحراء وتكليف خلفاء عنه بإصلاح ما ظهر من خلاف^(١)

ومن الجدير بالذكر أن أبا بكر بن عمر قد عهد إلى ابن عمه وقائده على جيوشه يوسف بن تاشفين^(٢) بتولى شئون المغرب قبل التوجه إلى الصحراء كما قام بطلاق زوجته وتدعى زينب بنت اسحاق النفزاوية حتى لا يحملها ما لا تطيق من حرارة وقسوة الصحراء وأشار إلى يوسف ابن عمه بالزواج منها^(٣).

وهكذا خدمت كل الظروف المحيطة بيوسف بن تاشفين في مساعدته لتولى إمارة المغرب بتكليف من أميرها كما تزوج زوجته فأصبحت مقاليد الأمور في بلاد المغرب بيده بعد أن أجمع وجهاء ورؤساء المرابطين على قيادته لهم نظراً لما يعرفون عنه في "دينه وشجاعته وعدله وورعه وسداد رأيه"^(٤).

بناء مدينة مراكش :

اختلف في تاريخ بناء هذه المدينة واختلف أيضاً في صاحب البناء^(٥) وأياً كان هذا الاختلاف فإن مدينة مراكش أسست في سنة ٤٥٤ هـ والذي

- ١- ابن عذاري : البيهقيان ١٨/٤ : ٢١ .
- ٢- القلقشندي : صبح الأعشى ١٨٩/٥ يوسف بن تاشفين الصنهاجي الحميري كنيته أبو يعقوب تولى قيادة المرابطين بعد ذهاب ابن عمه إلى الجهاد في الصحراء يعتبر المؤسس الحقيقي للمرابطين توفى سنة ٥٠٠ هـ للمزيد انظر مجهول : الحلل الموشية ص ١٣ : ٦٧ . ابن عذاري : البيان ٤ / ٢١ : ٣٠ ، النويري : نهاية الأرب ٢٤/٢٦٢:٢٧٢ .
- ٣- ابن عذاري : البيهقيان ٢١/٤ .
- ٤- السلاوي : الاستقصا ٢١/٢ .
- ٥ مراكش : بينها وبين البحر عشرة أيام تقع في وسط بلاد البربر جنوب جبل درن ومعناه أسرع المشى انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ٥/٩٤ . السلاوي : الاستقصا ٢٢/٢ .
- ٥- للمزيد في هذا الموضوع الرجوع إلى كتاب الأعلام بمن حل بمراكش وأغامت من الأعلام للسملالي . ٥٧/١ : ٦٣ .

موقعة في بلاد السودان لنشر الإسلام بين ربوعها إلى أن توفي في أحد المعارك عام ٤٨٠هـ^(١) .

توفي الأمير أبو بكر بن عمر بعد أن أرسى قواعد دولته إذ قطع المرابطون في عهده عدة مراحل من التوسع تجاه الشمال كما بذل جهوداً ضخمة في سبيل نشر الدين الإسلامي في بلاد السودان الغربي كما أنه صاحب الفضل في إعطاء يوسف بن تاشفين الفرصة في الظهور على مسرح الأحداث بالمغرب بعد أن أدرك ذكائه فكان عند حسن الظن به

مناقشة المصادر لدخول المرابطين مدينة فاس

رأى يوسف بن تاشفين أنه لا يتم الفتح والسيطرة على بلاد المغرب إلا بفتح مدينة فاس فجند الجنود واستكثر من القادة .

هذا وقد تناولت فتح مدينة فاس عدة مصادر

١- ابن عذارى يذكر "في سنة سبع وستين وأربعمائة افتتح أمير المسلمين يوسف مدينة فاس وذلك لما ... جهز أمير المسلمين عسكرياً جراراً وقدم عليه ابن عمه يحيى بن وآسينوا اللمتوني وأمره بمنزلة فاس فكان وصوله إليها عقب رجب الفرد وكان أمراء فاس يومئذ أبناء حمامة فقاتلهم يحيى قتالاً شديداً سبعة أيام وفي الثامن دخلها عنوة ، ومات فيها من أهل فاس بشر كثير وسلبت ديارهم ثم عفا عنهم وانحصر ابنا حمامة الفتوح ودوناس في قصرهما ثم طلبا الأمان فعفى عنهما في

١- السنوبرى : نهاية الأرب ٢٤ / ٢٦١ يذكر تواريخ مختلفة لوفاة أبي بكر بن عمر وسنة ٤٧٦ . عند السلاوى : الاستقصا ٢٠/٢ والسملالى : الأعلام ١/٢٥٤ : ٤٦٨ وعند ابن عذارى : البيان ٤/٢٦ . وابن الأثير : الكامل ٩ / ٦٢٢ .

نفسيهما فكتب بفتح فاس وبأخبار الفتوح بن حمامة وأخيه إلى الأمير يوسف بن تاشفين فأمر بتوجيههما حيث شاء فاستوصى الفتوح مغيلة واستولت لمتونة على مدينة فاس^(١) .

٢- أما صاحب كتاب الحلل الموشية فيذكر أن الذي فتح مدينة فاس هو يوسف بن تاشفين "وفي سنة ٦٧٤ فتح مدينة فاس"^(٢) .

٣- يذكر القلقشندي فتح مدينة فاس كالاتي "ثم افتتح مدينة فاس صلحاً سنة خمس وخمسين ثم استعادت بعد فتحها ثم فتحها عنوة سنة اثنتين وستين وأمر بهدم الأسوار التي كانت فاصلة بين عدوتي القرويين والأندلس وصيرهما مقراً واحداً"^(٣) .

٤- أما السلاوي فيذكر الفتح بشيء من التفصيل فعندما "كمل له الجيش أكثر من مائة ألف فارس من عدة قبائل منها صنهاجة وجزولة والمصامدة وزناتة فخرج بهم من مدينة مراكش متجهاً إلى مدينة فاس فتلقته قبائلها من زواغة ولماية ولواته وصدينه وسدراته ومغيلة وبهلولة ومديونة وغيرهم خارج مدينة فاس واستطاع هزيمتهم ثم أقام يوسف على رأس مدينة فاس حتى ظفر بعاملها بكار بن إبراهيم فقتله ومع ذلك لم يستطع دخولها فقام بمحاصرتها حتى فتحها وهو الفتح الأول وذلك سنة خمس وخمسين وأربعمائة فقام بها أياماً واستعمل عليها عاملاً من لمتونة ... وفي سنة اثنتين وستين أقبل إلى فاس فترل عليها بجميع جيوشه بعد أن فرغ من جميع بلاد المغرب ... وشدد الحصار على فاس حتى دخلها عنوة بالسيف

١- البيان : ٤ / ٢٨ .

٢- مجهول : ص ١٧ .

٣- صبح الأعشى ٢٤ / ١٩٠ .

فقتل بها من مغراوة وبنى يفرن ومكناسة وغيرهم خلقاً كثيراً حتى امتلأت أسواق المدينة وشوارعها بالقتلى وقتل منهم بجامع القرويين وجامع الأندلس ما يزيد على ثلاثة آلاف وفر من بقى منهم إلى أحواز تلمسان وهذا هو الفتح الثاني لمدينة فاس وكان يوم الخميس ثاني جمادى الآخرة سنة اثنتين وستين وأربعمائة ... فلما دخل يوسف بن تاشفين مدينة فاس أمر بهدم الأسوار التي كانت فاصلة للمدينة إلى جزأين عدوة القرويين وعدوة الأندلس وصيرهما مقراً واحداً وحصنها وأمر ببناء المساجد في شوارعها وأزقتها وأى زقاق لم يجد فيه مسجداً عاقب أهله ، وأمر ببناء الحمامات والفنادق والإرحاء وأصلح بناءها ورتب أسواقها وأقام بها إلى صفر من سنة ثلاث وستين وأربعمائة^(١) .

هذه المصادر تناولت فتح مدينة فاس فيها اتفاق

وبها اختلاف ولهم تكملة لبعض كالاتى :

- ١- اتفقت المصادر الأربعة على أن المرابطين قاموا بفتح مدينة فاس .
- ٢- صاحب البيان وصاحب الحلل الموشية اتفقا على تاريخ الفتح سنة ٢٦٧هـ ولم يذكر غيره .
- ٣- اتفق القلقشندى والسلاوى على أن المرابطين قاموا بفتح فاس على مرتين "سنة ٤٥٥هـ ، ٤٦٢هـ" .
- ٤- القلقشندى ذكر سنة ٤٥٥هـ صلحاً ، ٤٦٢هـ عنوة .
- ٥- السلاوى اتفق مع القلقشندى في ذكر سنة ٤٦٢هـ عنوة فقط .
- ٦- ابن عذارى ذكر طلب أبناء حمـامة الأمان من المرابطين .
- ٧- السلاوى ذكر اليوم والشهر (الخميس ثاني جمادى الآخرة) .

٨- السلاوى انفرذ بذكر القتلى بالشوارع وعدد القتلى البالغ ثلاثة آلاف .

٩- القلقشندى والسلاوى اتفقا على هدم الأسوار الفاصلة

بين العدوتين على يد يوسف بن تاشفين .

١٠- السلاوى ذكر الاصلاحات التى قام بها المرابطون من بناء للمساجد

والحمامات والفنادق والإرحاء وترتيب السوق .

دخول المرابطين مدينة فاس

بعد أن ضعفت قبائل زناتة وتفرقت شملها وهي التي تقوم بشئون الحكم في إدارة شؤون فاس والمغرب تحت دعوة الخلافة الأموية بالأندلس التي سقطت وانتهت سنة ٤٢٢هـ فكانت ترسل الإمدادات والتأييد حتى تستمر سيطرتهم على هذه البلاد إلى مقر حكمهم في الأندلس ، وعندما يرى أصحاب الأطماع وخاصة المقرين من الولاى أنه أصبح في وضع من القوة لا يسمح له بالسيطرة على ما تحت يده وعندما تكون الفرصة سانحة للقيام بالتمرد والخروج على الشرعية يفعل ، فبعد وفاة دوناس بن حمامة سنة ٤٥٢هـ خلفه ابنه الفتوح على مدينة فاس فما كاد يستقر أمره بعدوة الأندلس حتى نازعه أخوه الأصغر عجيسة واستولى على الجزء الثاني من مدينة فاس عدوة القرويين وقامت حروب بينهما واستعد الأخوان لها فقام الأمير الفتوح بتحسين عدوة الأندلس وبنى بها مقراً ليسكن به في المكان المعروف بالكلدان وفتح باباً في الجهة القبليّة من العدو سماها باسمه باب الفتوح^(١) أيضاً قام عجيسة بتحسين عدوة القرويين وبنى بها مكاناً ليسكن فيه في المنطقة المعروفة بعقبة الصعتر وفتح باباً في الجهة الشماليّة من العدو سمي باب الجيسة^(٢) .

واستعد الطرفان وصار القتال بينهما يوماً في المكان الذي يسمى كهف الوقادين فكثرت الاضطرابات وقل الأمن والهدوء واشتد الغلاء وانتشرت المجاعة بالمدينة حتى تمكن الأمير الفتوح بن دوناس من الاستيلاء

١- الفلقشندى : صبح الأعشى ١٨٧/٥ ، الجزنائي : زهرة الأس ص ٣٠ ،

السلوى : الاستقصا ٢٠٤/١ .

٢- الفلقشندى : صبح الأعشى ١٨٧/٥ ، الجزنائي : زهرة الأس ص ٣٠ ،

ابن القاضي : جذوة الاقتباس ٤٠/١ .

على عدوة القرويين وقتل أخاه فأصبحت العدوتين تحت سيطرته هذا التراع القائم بين الأخوين داخل المدينة نتج عنه ضعف في القوة التي تدافع عن المدينة هذا الضعف جعل الأمير الفتوح بن دوناس يتخلى عن إدارة مدينة فاس لأحد أقاربه^(١) وذلك عندما علم بظهور المرابطين على أطراف البلاد وتمكن عبد الله بن ياسين من دخول مدينة أغمات وما يليها^(٢) .

ومن الجدير بالذكر أن هروب الفتوح بن دوناس من مدينة فاس شجع صاحب قلعة بني حماد^(٣) من الزحف والاستيلاء على المدينة وذلك سنة ٤٥٤هـ^(٤) واصطحب عدداً من أشرف المدينة رهائن لديه ثم عاد إلى قلعته مرة أخرى تاركاً أحد قادته ويدعى معنصر بن حماد الذي بايعته قبائل البربر مغراوة الموجودة بالمدينة وبالمناطق المجاورة بها وذلك في رمضان سنة ٤٥٥هـ^(٥) .

استطاع معنصر بن حماد بشجاعته وحزمه من الدفاع عن مدينة فاس وهزم الجيش التابع للمرابطين، ومع إصرار المرابطين على فتح مدينة فاس ، وبالفعل فتحت صلحاً سنة ٤٥٥هـ وهذا هو الفتح الأول لمدينة فاس ، أما الفتح الثاني فقد استغل معنصر فرصة انشغال المرابطين بالفتوح ودخل مدينة فاس وقتل عاملها^(٦) من قبل المرابطين ومن معه فما كان منهم إلا أن أعدوا

١- ابن عذارى : البيان ٢٥٤/١ ويدعى معنصر بن حماد بن المنصور بن المعز بن زيري

٢- ابن عذارى : البيان ٢٥٤/١ .

٣- ويدعى بلكين بن محمد بن حماد .

٤- القلقشندى : صبح الأعشى ١٨٧/٥ .

٥- السلاوى : الاستقصا ٢٠٥/١ .

٦- لم تذكر المصادر اسم هذا العامل .

جيشاً كبيراً بقيادة أمير مدينة مكناسة^(١) للقضاء على **معنصر** وضم مدينة فاس إلى سيادة دولة المرابطين ، لكن **معنصر** لم ينتظر وصول الجيش إلى مدينة فاس فقام بمهاجمة هذا الجيش في الطريق واستطاع هزيمة جيش المرابطين وقتل قائده سنة ٤٥٦هـ فوجه المرابطون وجهتهم إلى مدينة فاس للقضاء على **معنصر بن حماد** فتمكن الجنود من قطع المياه عن المدينة واشتد الأمر عليها فخرج **معنصر** إليهم واشتبك مع جنود المرابطين فانتهت هذه المواجهة بهزيمة **معنصر بن حماد** ومقتله سنة ٤٦٠هـ^(٢) .

لكن أهل مدينة فاس لم يسلموا مدينتهم بسهولة فبايعوا **تميم بن معنصر بن حماد** فقام المرابطون بحصار شديد لمدينة فاس عانى فيها أهلها من الفتن والغلاء وسوء المعيشة وعندما اكتمل الحصار بعد انتهاء المرابطين من فتح بلاد غمارة سنة ٤٦٢هـ تم الزحف إلى مدينة فاس والاستيلاء عليها وفتحت هذه المرة بالقوة وذلك للمرة الثانية في عصر المرابطين في تاريخ المدينة وضمت نهائياً إلى المرابطين بعد أن قضوا على المعارضين لهم داخل المدينة من قبائل البربر المتعددة فقتلوا حوالي ثلاثة آلاف من قبائل زناتة ومغراوة وبنى يفرن ومكناسة وهلك **تميم بن معنصر** في جملتهم^(٣) .

١- ابن الخطيب : أعمال الأعلام ٣ / ٢٣٥ . السلاوى : الاستقصا ١/ ٢٠٥ . يدعى

مهدي بن يوسف الكزنائي "الجزنائي"

٢- السلاوى : الاستقصا ١/ ٢٠٤ .

٣- المصدر السابق ١/ ١٨٨ .

وقيل أن عدد القتلى حوالي سبعة آلاف نسمة من جملة ثلاث وأربعين انظر

ابن الخطيب : أعمال الأعلام ٣/ ٢٣٦ .

أعمال المرابطين بمدينة فاس

مدينة فاس يشقها نهر سبو وبها منطقتان عدوة القرويين على الضفة الغربية ، وعدوة الأندلس على الضفة الشرقية لكل منطقة أمير خاص بها يدير شئونها ، وقبل مجيء المرابطين كانت هاتان المدينتان في معظم الأحيان تتحاربان إحداهما ضد الأخرى لدرجة أن المؤرخين كانوا يحددون ويصفون المكان الثابت الذي كانت ترى فيه عادةً هذه الصدامات بكهف الوقادين^(١) أو بكدية الفول^(٢) .

ومن سنة ٤٥١ : ٤٥٣ هـ استقر كل من الأخويين الفتوح بعدوة الأندلس وعجيسة بعدوة القرويين ، وقد لعب التنافر بينهما دوراً في إذكاء روح الصراع على سيطرة الآخر على طرفي المدينة على الرغم من الأوضاع الاجتماعية السيئة التي تمر بها مدينة فاس مما جعل مسئولوا المدينة يتخذون إجراءات قاسية وشديدة على أهل مدينة فاس "فكان رؤساء مغراوة وبنى يفرن يدخلون على الناس في ديارهم فيأخذون ما يجدون فيها من الطعام ويتعرضون لنسائهم وصبيانهم ويأخذون أموال التجار فلا يقدر أحد أن يصددهم عن ذلك ، ولا يجروء أن يكلمهم فيه ومن لم يوافقهم في شيء من ذلك أو صددهم عنه قتلوه ، وكان سفهاؤهم وعبيدهم يصعدون على قمة جبل العرض فينظرون إلى الديار التي بالمدينة ، فأى دار رأوا فيها دخاناً قصدوا إليها فدخلوها وأخذوا ما يجدون بها من الطعام ... فاتخذ أهل مدينة فاس المطامير في ديارهم وبيوتهم للخزن والطحن والطبخ لئلا يسمع دوى الرحاء فيها أيضاً اتخذوا غرفاً لا أدراج لها إذا كان عشى النهار طلع

١- الجزنائي : زهرة الأس ص ٣١ .

٢- البكري : المغرب ص ١١٦ .

رجل فيها بسلم هو وعياله وأولاده ، ثم يرفع السلم معه لئلا يدخل عليه فجأة" (١) .

وفي الغالب ما ينتج عن القتال بين الطرفين من خسائر سواء كانت بشرية أو مادية ، ويتضح من خلال النصوص أن حجم الخسائر المادية بين الطرفين كانت ضعيفة ولم تصل إلى درجة تشويه المدينة ولكن هذا الصدام المتكرر المعتاد بين الطرفين جعل إمكانية الوحدة الهشة بين الطرفين بعيدة المنال .

وفي منتصف القرن الخامس الهجري تقريباً خرج المرابطون من الصحراء ومن الجنوب و انتشروا في معظم بلاد المغرب وفي سنة ٤٥٤هـ أسسوا مدينة مراكش وبعد محاولة غير موفقة تمكن يوسف بن تاشفين من الاستيلاء على مدينة فاس سنة ٤٦٢هـ (٢) .

هذا وقد "حمل يوسف بن تاشفين ملك لتونة على الأميرين بجيش عظيم فتمكن منهما وقتلهما شر قتلة وهلك معظم سكان المدينتين حينئذ ونهبت العدوتان وبلغ عدد القتلى ثلاثين ألفاً وقرر الملك يوسف جمع السكان في مدينة واحدة وهدم الأسوار التي كانت تفصل المدينتين إحداهما عن الأخرى وهكذا أصبحت المدينتان مدينة واحدة قسمت إلى عشرة أحياء وتعبير أدق عشر نواح" (٣) .

١- ابن زرع : روض القرطاس ١٧٦/١ : ١٧٧ .

٢- القلقشندي : صبح الأعشى ١٩٠/٢٤ . السلاوي : الاستقصا ٢٧/٢ .

الصعوبة التي واجهت المرابطين في فتح مدينة فاس تدل على أنها كانت مدينة حصينة انظر يوسف أشباخ : تاريخ الأندلس في عصر المرابطين والموحدين ، القاهرة ١٩٤٠ ص ٦٦ .

٣- الحسن الوزان : وصف إفريقيا ٢٢١/١ .

وقد تناول نص آخر أعمال المرابطين في مدينة فاس بطريقة مفصلة ودقيقة ومكاملة للنص السابق حين يذكر "وفي أيام لمتونة هدمت الأسوار التي بأعلى الوادى الكبير بقرب حوض السفرجل والصور الذى أسفله حيث الرمييلة الذى بناه دوناس حين أدار الأسوار على سائر أرباضها ... وكان قد جعل بين العدوتين قناطر للمجاز لمن فى كل عدوة إلى الأخرى الأولى قنطرة أبى طوبة ، الثانية قنطرة أبى برقوق ، الثالثة قنطرة باب السلسلة ، الرابعة قنطرة الصباغين ، الخامسة قنطرة كهف الوقادين السادسة قنطرة الرمييلة"^(١)

وما كاد يستقر بالمدينة حتى تأثر بوضع المدينة الغريب والمتناقض فأمر بإزالة الأسوار والحواجز والأسوار بسهولة ولكن إزالة الخلافت المتراكمة منذ فترة طويلة بين العدوتين أرى أنه ليس بسهولة هدم الأسوار . على الرغم من الجهود الكبيرة التى بذلها المرابطون لتوحيد المدينة وجعلها نسيجاً واحداً إلا أن المدينتين الموحدين احتفظتا بذاتهما وأسلوب عيشهما يؤكد هذا الجغرافى الإدريسى فى منتصف القرن السادس الهجرى أى بعد قرابة قرن من قرار يوسف بن تاشفين بتوحيد المدينة "وفى كل مدينة منهما جامع ومنبر وإمام وبين المدينتين أبداً فتن ومقاتلات بالجملة ، إن أهل مدينتى فاس يقتل فتياهم بعضهم بعضاً"^(٢) .

حاول يوسف بن تاشفين إجراء عدة إصلاحات مختلفة بمدينة فاس حتى تستطيع أن تمضى فى رقيها مما يساعدها على إتمام وحدتها هذه الإصلاحات لم يستطع أحد قبله القيام بها .

١- الجزنائى : زهرة الأس ص ٣١ .

٢- صفة بلاد المغرب ص ٢٦٥ .

- ١- جمع سكان العدوتين في مدينة واحدة على الرغم من التناقض الواضح والقديم بينهما .
- ٢- إزالة الفواصل سواء كانت حواجزاً أو أسواراً .
- ٣- بناء ستة قناطر للربط بين العدوتين حتى تسهل عملية الاتحاد والاندماج .
- ٤- تقسيم المدينة إلى عشر نواح وللأسف لم أعثر على أسماء هذه النواحي لهذا نرى أن القناطر التي بنيت والتي تبلغ حوالى ستة قناطر أن تكون مقابل النواحي المقسمة ...
- ٥- عملية الإزالة نفذها بطريقة تخدم المصلحة العامة للمدينة حسب تصوره الخاص بالوحدة .
- ٦- زاد يوسف بن تاشفين في السقايات والحمامات والفنادق والمساجد في أحياء المدينة التي لم تكن فيها مساجد^(١) .
- ٧- جلب إلى مدينة فاس صناعات من مدينة قرطبة زيادة على الذين جاءوها على عهد إدريس الثاني^(٢) .
- ٨- عمل على تحويل مدينة فاس إلى قاعدة عسكرية وكانت على ما يتضح لا يوجد بها وسائل الدفاع عنها إلا الأسوار والبرجين اللذين شيدهما الفتوح وعجيسة في القسم الأعلى من المدينة خلال الصراع بينهما بالإضافة إلى بعض قوة الحماية الصغيرة الباقية بعد التخلص من الأميرين السابقين .
- ٩- استخدم يوسف بن تاشفين مدينة فاس كقاعدة رئيسية يعتمد عليها في التحرك نحو الشرق كما حدث أن تحرك نحو "تازا - ملوية - تلمسان" في سنة ٦٨٤^(٣)

١- ابن أبي زرع : روض القرطاس ٦٩/١ ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ٥٠/١ .
٢- الجزنائي : زهرة الأس ص ٣٢ ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ٥٠/١ .
٣- ابن عذارى : البيان ٢٩/٤ .

هذا إلى جانب إخضاع منطقة الريف^(١) وما حولها إلى سلطته وذهابه إلى الشمال لمساعدة المسلمين في بلاد الأندلس من تجاوزات النصارى ولهذا الغرض بنى له مقراً خاصاً يسمى "القصبة" بعيداً عن حدود المدينة وتشرف عليها إشرافاً مباشراً وبلغ حجم هذه القصبة أن "كان بإمكانها أن تضاهي مدينة أخرى في الكبر"^(٢).

١٠- أمر يوسف بن تاشفين ببناء طاحونات وحمامات وفنادق الأمر الذي يصعب فعله دون إعداد مسبق لمجاري المياه وكان أمراء زناتة وخاصة دوناس بن حماسة ٤٣١ : ٤٥١ هـ قد شرعوا في الاستفادة من الموارد الضخمة للمياه التي كانت تمتلكها مدينة فاس فقد بنى دوناس المساجد والحمامات والفنادق^(٣) فآتم المرابطون ما قام به أمراء زناتة في هذا المجال حتى تحافظ مدينة فاس على ما بها من منشآت هامة قديمة وحديثة في عهدهم .

اهتم المرابطون أيضاً بالمنشآت الدينية وخاصة جامع القرويين فنجد العاهل المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين عندما ضاق الجامع بالمصلين حيث كانوا يصلون بخارجه في الشوارع والأسواق ، أمر بشراء الأملاك التي كانت مجاورة للجامع وحين كمل لهم الشراء تم البناء في هذه الزيادة سنة ٥٢٩ هـ والتي كانت عبارة عن عشر بلاطات من صحنه إلى قبلته التي بأعلى المحراب وما يحاذيها من وسط البلاطين ، ثم بدأ العمل في مقام القبلة حيث يدخل على مصلى الجنائز ولم يكمل هذا البناء إلا في سنة ٥٣٧ هـ^(٤).

كما أقام علي بن يوسف إلى جانب هذه الزيادة باباً للجامع يسمى "الباب الأكبر بسماط الموثقين"^(٥).

١- منطقة الريف تقع بين سبتة ومليلة انظر الصديق بن عربي : المغرب ص ١٤٥ .
 ٢- الحسن الوزان : وصف إفريقيا ١ / ٢٤٨ .
 ٣- ابن أبي زرع : روض القرطاس ١ / ١٧٢ : ١٧٣ .
 ٤- الجزنائي : زهرة الأس ص ٥٧ : ٥٨ .
 ٥- الجزنائي : زهرة الأس ص ٥٤ . ابن القاضي : جذوة الاقتباس ١ / ٦٩ .

أستطيع إذن القول إن المرابطين قد أرسوا قواعد جديدة لتنمية مدينة فاس على الرغم من أنهم لم يتخذوها عاصمة لهم حيث فقدت المكانة السياسية في المغرب لكن بموقعها جذبت إليها المكانة الحربية الرئيسية في المغرب الأقصى وأسهمت بنصيب كبير مستفيدة من إمكانياتها في إعداد الحملات المتجهة إلى الشرق والشمال هذا مع تزايد تأثيرها الديني بعد توحيدها مما جعل منها مدينة واعدة في المستقبل .

فتح مدينة طنجة

أدرك يوسف بن تاشفين أهمية الساحل الشمالي لحدود دولته وكان بهذا الساحل مدينتان على درجة كبيرة من الأهمية كان لا بد له من السيطرة عليهما وهما مدينتا سبتة وطنجة وكانتا تحت حكم سكوت البرغواطي^(١) فوجه إليهما المرابطون جيشاً كبيراً^(٢) استطاع أن يهزمهم وقتل سكوت وتفرق جيشه وذلك سنة ٤٧٠هـ .

وفي سنة ٤٧٣هـ استولى على مدينة مليلة ومدينة وجدة كما استطاع السيطرة على مدينة تلمسان وقتل أميرها^(٣) ثم استكمل يوسف بعد ذلك إخضاع المغرب الأوسط فاستولى على مناطق تنس ووهران وجبال ونشريس حتى وصل إلى مدينة الجزائر^(٤) .

وبذلك أصبح يوسف مجاوراً لقبائل صنهاجة بعدما قضى فترة طويلة في تثبيت أركان دولته في المغرب الأقصى وجزء من المغرب الأوسط هذا النجاح

١- السلاوي : الاستقصا ٢٦/٢ . سكوت "سكوت" البرغواطي من قلوب البرغواطين الذين قاتلهم عبد الله بن ياسين تمكن سكوت من السيطرة على مدينة سبتة وتلقب بالمنصور حكم مدن سبتة وطنجة وأصيلا تمكن يوسف بن تاشفين من قتله ودخول مدينة طنجة انظر السلاوي : الاستقصا ٢٦/٢ : ٢٧ .

٢- قاد هذا الجيش صالح بن مران . السلاوي : الاستقصا ٢٩/٢ .

٣- مجهول : الحلل الموشية ص ٢١ العباس بن بختي .

٤- ابن زرع : روض القرطاس ٦٥/٢ . القلقشندى : صبح الأعشى ١٩٠/٥ .

الذى حققه يوسف بن تاشفين فى توحيد هذه المناطق تحت راية واحدة للمرة الأولى منذ دخول الإسلام فقام بضرب السكة وتقسيم بلاد المغرب إلى عملات جعل عليها رجالاً أكفاء بالإضافة إلى تنظيمه للجيش وإنشائه للأسطول^(١) لهذا يعتبر الأمير^(٢) يوسف بن تاشفين المؤسس الحقيقى للدولة المرابطين . هذا وقد تولى الأمر من بعده ابنه على بن يوسف فأخذ ما كان بيد أبيه وسار بأحسن السيرة إلى أن توفى سنة سبع وثلاثين وخمسمائة ثم قام بالأمر بعد ولده تاشفين بن على الذى قتل فى المغرب الأوسط سنة إحدى وأربعين وخمسمائة ثم بويع ابنه إبراهيم بن تاشفين بن على فعجز عن إدارة شؤون الدولة فخلع وتولى عمه اسحاق بن على الذى قتل سنة إحدى وخمسين وخمسمائة وفر أمراء المرابطين فى كل وجه^(٣) .

- ١- مجهول : الحلل الموشية ص ١٧ . ابن عذارى : البيان ٤ / ٢٧ . ٢٨ .
- ٢- لقب "الأمير" كان يوسف بن تاشفين يسمى بالأمير ولما اتسع ملكه وعظم شأنه . أشار عليه كبار رجال دولته بأن يتلقب بأمير المؤمنين فعارضهم وقال إنما يتسمى بهذا الاسم الخلفاء لأنهم ملوك الحرمين الشريفين إلا أنهم ألحوا عليه بضرورة أن يتسمى بلقب يتميز به فأشار عليهم "بأمير المسلمين وناصر الدين" فاتفقوا على ذلك وكتب به إلى الأقاليم كما قام بتوزيع عماله على نواحي المغرب فولى سير بن . أبى بكر على مكناسة وفازاز وعمر بن سليمان مدينة فاس وداود بن عائشة على سجلماسة ودرعة وابنه تميماً على مدينة مراکش وأغمات وبلاد السوس انظر مجهول : الحلل الموشية ص ١٧ ، ابن عذارى : البيان ٤ / ٢٧ : ٢٨ ، السلاوى : الاستقصا ٢ / ٣٠ .
- ٣- القلقشندى : صبح الأعشى ١٩٠/٥ .

لمحة عن الموحدين

ترك يوسف بن تاشفين لابنه على دولة كبرى مترامية لها جيش قوى ونظم في الحياة واستقرار في المدن وهذا الاستقرار جعل الاهتمام بالثقافة والحضارة وحياة الترف مبالغاً فيه وهذا من شأنه أن يضعف من صفات المرابطين عند خروجهم من الصحراء كالخشونة والشدة ، وسرعان ما نسي هؤلاء في ظل الحياة الجديدة واتبع الجنود الذين هم عصب الجيش سياسة الاهتمام بملذات الحياة وفقدوا ما جعل منهم رجال حرب من الطراز الأول وفي هذا يقول المراكشي "واختل حال أمير المسلمين رحمه الله بعد الخمسمائة اختلالاً شديداً فظهرت في بلاده مناكر - منكرات - كثيرة وذلك لاستيلاء أكابر المرابطين على البلاد ودعواهم للاستبداد وانتهوا في ذلك إلى التصريح وصار كل منهم يصرح بأنه خير من علي أمير المسلمين وأحق بالأمر منه واستولى النساء على الأحوال وأسندت إليهن الأمور وصارت كل امرأة من أكابر لمتونة ومسوفة مشتملة على مفسد وشرير وقاطع سبيل وصاحب خمر وماخور وأمير المسلمين في ذلك كله يتزايد تغافله ويقوى ضعفه وقنع باسم امارة المسلمين وبما رفع إليه من الخراج وعكف على العبادة والتبتل فكان يقوم الليل ويصوم النهار مشتهراً بذلك ، وأهمل أمور الرعية غاية الإهمال فاختل لذلك عليه كثير من بلاد الأندلس وكادت تعود إلى حالها الأول"^(١) .

بدأ سلطان دولة المرابطين في الضعف منذ عهد علي بن يوسف ٥٠٣ هـ في المغرب وقد أغرى هذا الضعف ممن حوله والمقربين منه في أطماع ليست

ليست من حقهم وخاصة كبار المرابطين ذوى المناصب الهامة فى دولته فاستبدوا بأماكنهم ولم يعودوا يقرون له بحق إمارة المسلمين ، **النقطة الثانية** هى إحراق كتاب الإمام الغزالي^(١) وما أحدث وجود هذا الكتاب لدى فقهاء المغرب فى كتابه "إحياء علوم الدين" رأى أن العلم ليس حرفة كالحرف الأخرى أو مهنة دنيوية تعود على صاحبها بالربح السريع والقريب لكنه عبادة القلب وصلاة السر وقربة الباطن إلى الله تعالى وهو ما كان يناقض رغبة ونزعة هؤلاء الفقهاء فى دراساتهم الفقهية وحرصهم على الدنيا وطمعهم فى الحصول على المناصب الكبرى وحسدهم للعلماء الزهاد هذا وقد بلغ نفوذهم فى عصر على بن يوسف مبلغاً عظيماً فكثرت أمواهم واتسعت مكاسبهم فأحدث كتاب "إحياء علوم الدين" موجة من الغضب عند هؤلاء الفقهاء لما له من تحد يد لنفوذهم الكبير فاتخذوا فيما بينهم موقفاً أقنعوا به الأمير على بن يوسف وهو حرق كتاب الإمام الغزالي فى أنحاء دولة المرابطين باعتبار أن مؤلفه خارج عن الدين^(٢) .

وكان من الطبيعى أن يثور الناس على ذلك وكان أحد الثائرين عالمياً من البربر من قبيلة هرغة^(٣) من بلاد السوس درس بالمشرق وتأثر بالإمام الغزالي فى التفكير وعاد لينشر أفكاره فى معظم مدن المغرب وجذب الناس

١- الإمام أبو حامد الغزالي :صاحب كتاب "إحياء علوم الدين" قام بالتدريس ببغداد فى المدرسة النظامية بين سنتى ٤٨٤ . ٤٨٨ ثم غادر بغداد فى رحلة حتى سنة ٤٩٩هـ زار خلالها دمشق وبيت المقدس والإسكندرية توفى سنة ٥٠٥هـ انظر مجهول : الحلل الموشية ص ٨٦ ، ابن عذارى : البيان ٥٩/٤ ، السلاوى : الاستقصا ١٨٦/٢ ، محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، مكتبة الأسرة ، ٢٠٠١ م ١٦١/٤ .

٢- ابن عذارى : البيان ٥٩ / ٤ .

٣- السمللى : الأعلام ٥٨ / ٤ : ٥٩ هرغة اسمها الحقيقى "أرغن" ثم حرف إلى هرغة . وهرغة من قبائل المصامدة كانت تحتل المنطقة الواقعة جنوب مدينة مراكش عند السفح الشمالى لجبل الأطلسى فيما وراء الجزء الأعلى من وادى السوس انظر ابن الخطيب : أعمال الأعلام ٣ / ٢٦٦ .

إليه بخطبه البليغة القوية التي شدد فيها على النقد على مساوئ عصر المرابطين وشن حملة على الأغنياء والفقهاء ذلك هو محمد بن تومرت الذي استطاع أن يقوض دولة المرابطين ويضع الأساس لدولة جديدة هي دولة الموحدين .

محمد بن تومرت بضم التاء وسكون الواو وفتح الميم^(١) محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن صفوان بن جابر بن يحيى بن عطار بن رباح بن أصار بن العباس بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب^(٢) ولد سنة ٤٨٥^(٣) في منطقة السوس بالمغرب الأقصى من قبيلة هرغة كانت تسكن جبل يعرف بـ "إجليز"^(٤) .

نشأ ابن تومرت بين قومه نشأة كريمة حيث كان أبوه يحمل لقب "أمغار" أي الرئيس، حفظ القرآن الكريم في طفولته ثم اشتغل بالعلوم الدينية وفضل التقشف والحشونة عن حياة الترف اشتهر بالذكاء والنشاط كان يحلم بالذهاب إلى المشرق الإسلامي رغبة في تحصيل الدروس العلمية باعتباره مصدراً للعلوم ومنبعاً للحضارات فما إن بلغ سن السادسة عشرة حتى خرج من قبيلته عام ٥٠١ هـ فانتهدت به الرحلة إلى مدينة بغداد وأخذ عن علمائها ثم قصد الشام وقابل أبا حامد الغزالي الذي علم ما فعله علي بن يوسف بكتبه التي وصلت المغرب من إحراقها وإفسادها ومطاردة وعقاب من حازها وكان ابن تومرت حاضراً في ذلك المجلس فقال الغزالي حين بلغه ذلك

١- القلقشندي : صبح الأعشى ١٩١/٥ .
٢- ابن الخطيب : أعمال الأعلام ٣ / ٢٦٦ .
٣- السملالي : الأعلام ٥٨/٤ يذكر سنة ٤٨٥ هـ ، ٤٨٦ هـ ، ٤٧١ هـ ، ٤٩١ هـ .
٤- إجليز : جبل عند مدخل مدينة مراكش يطل على النخيل المحيط بها ، بدأ ابن تومرت دعوته منه لمدة ثلاث سنوات انظر ابن الخطيب : أعمال الأعلام ٣ / ٢٧٠ .

"ليذهبن عن قليل ملكه وليقتلن ولده وما أحب المتولى لذلك إلا حاضراً
مجلسنا" (١) .

كان إحساس ابن تومرت أن الإمام الغزالي يشير إليه بهذه العبارة رحل
ابن تومرت إلى مصر وأقام بالإسكندرية ولم يرق له المقام بها حيث إنه كان
ساخطاً على مظاهر حياة الترف التي أقبل عليها أهل الإسكندرية فحاول نشر
فكره وإصلاح ما رآه مفسدة ولكن ذلك أدى إلى نفيه عن المدينة فتوجه إلى
المغرب ونزل بمدينة المهديّة (٢) ثم قصد مدينة بجاية (٣) ومنها إلى ملالة (٤) .

وكان هدفه من زيارة هذه المناطق نشر تعاليمه في التوحيد والأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر فكان يخرج إلى المدن والأسواق والميادين
وينهى الناس عن التشبه بأفعال الجاهلية (٥) كما أضاف ابن تومرت
آراء في الفقه إذ عقد أن الشريعة الإسلامية يجب أن تقوم مباشرة
على دراسة القرآن والأحاديث واستبعد في ذلك تعاليم الفقهاء
القائمة على القياس والإجماع مما أثار عليه فقهاء المغرب فأشاروا إلى
الولاء بطرده من المدن التي يترها في المغرب خشية إفساد عقول العوام (٦) .

١- المراكشي : المعجب ص ١٧٨ .

٢- السلاوي : الاستقصا ٢ / ٧٢ .

٣- بجاية : مدينة حسنة البناء لها نهر تدخله المراكب بناها الناصر بن علناص أحد
وجهاء بنى حماد سنة ٤٥٧هـ بناحيثها جبال الرحمن تعمرها قبائل كتامة انظر
أبوطالب الأنصاري : نخبة الدهر ص ٢٣٥ .

٤- البيهقي : أخبار المهدي بن تومرت ص ٦٣ . ملالة إحدى قرى مدينة بجاية وهي على
بعد فرسخ منها انظر ياقوت : معجم البلدان ١٨٩/٥ .

٥- البيهقي : أخبار المهدي ص ٦٣ .

٦- السنوبري : نهاية الأرب ٢٤ / ٢٨٠ . ولما وصل ابن تومرت إلى مراكش حدثت
مناظرة بينه وبين علمائهم فتغلب عليهم فأمر على بن يوسف بدخوله السجن لكن
الحكم خفف بعد تدخل بعض المقربين من المرابطين حيث أقنعوه ألا يسجن رجلاً
يعرف كتاب الله بل هو من أعرف أهل الأرض بالله تعالى فخلى سبيله وخرج من =

عمل ابن تومرت جاهداً على تكوين أتباع حتى يستطيع أن يعتمد عليهم في إصلاح ما فسد في المغرب ، اتجه إلى التدريس والتعليم وألف كتاباً سماه "أعز ما يطلب"^(١) ثم رفع نسبه إلى النبي (ﷺ) فأقبل عليه الأتباع من معظم قبائل المغرب وبايعوه حتى بلغ منهم مبلغاً عظيماً لدرجة أنه لو أمر أحدهم بقتل أبيه أو أخيه أو ابنه لبادر إلى ذلك من غير ابطاء^(٢) .

ومن الجدير بالذكر أن أول لقاء تم بين ابن تومرت وعبد المؤمن بن علي الكومي^(٣) حيث كان عبد المؤمن متوجهاً إلى المشرق لطلب العلم فلما وصل إلى مدينة بجاية نزل في مسجدها فلما صلى الصبح سمع الناس يقولون سيروا بنا نحو الفقيه السوسى ولما سمعهم عبد المؤمن يذكرون صلاح دينه وكثرة علمه وإدراكه وتعمقه لكتاب الله ذهب لرؤيته وسماعه مع هؤلاء الذاهبين^(٤) وما إن رآه ابن تومرت وقرأ على وجهه علامات الذكاء والنبوغ والمعرفة حتى ميزه عن بقية القوم يقول البيدق "فرغ المعصوم رأسه فواقفه أمامه فقال ادخل يا شاب فدخل فأراد أن يقعد في جملة الناس فقال له الإمام المعصوم إدن يا شاب فلم يزل يدنو من الإمام والمعصوم يقربه حتى

مراكش إلى أغمات انظر البيدق : أخبار المهدي ص ٦٨ : ٧٠ ، النويري : نهاية الأرب ٢٤ / ٢٨٠ .

١- أعز ما يطلب حققه جولدزبيره وطبع بالجزائر سنة ١٩٠٣م ، انظر هوبكنز : النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى ، ترجمة الدكتور أمين توفيق الطيب ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا - تونس ١٩٨٠م .

٢- المراكشي : المعجب ص ١٩١ .

٣- عبد المؤمن بن علي بن علوي ينتمي إلى قبيلة كومية وهي بطن من بطون زناتة فهو بربري الأصل تلقب بأمير المؤمنين كان عاملاً حازماً سديد الرأي حسن السياسة للأمر جمع الناس على مذهب الإمام مالك وكان الغالب على مجلسه أهل العلم والدين أول خلفاء الموحدين كانت ولايته بعد وفاة المهدي بن تومرت في سنة ٥٢٤هـ وكانت وفاته سنة ٥٥٨هـ انظر النويري : نهاية الأرب ٢٤ / ٢٨٩ : ٣١٨ ، مجهول : الحلل الموشية ص ١١٧ .

٤- البيدق : المهدي بن تومرت ص ٥٤ .

دنا منه فقال له المعصوم ما اسمك يا فتى؟ فقال عبد المؤمن فقال له المعصوم وأبوك علي؟ فقال نعم فتعجب الناس من ذلك فقال له يا شاب من أين إقبالك قال له من تلمسان من ساحل كومية فقال له المعصوم من تاجر أم لا فقال له نعم فزاد الناس تعجباً فقال له المعصوم أين تريد يا فتى؟ فقال يا سيدي نحو المشرق ألتمس فيه العلم فقال له المعصوم : العلم الذي تريد اقتباسه بالمشرق وجدته بالمغرب^(١) فضل عبد المؤمن البقاء مع ابن تومرت فقضى عدة أشهر يقرأ عليه وكان أكثر الطلبة فهماً وإدراكاً يقول فسماه بسراج الموحدين^(٢) ثم اتجه إلى مدينة فاس فترل بمسجد ابن الغنام ثم انتقل منه إلى مسجد ابن الملجوم فمسجد بطريانه حيث اتخذ ابن تومرت مكاناً لإلقاء الدروس وفي أثناء إقامته بمدينة فاس قام بمهاجمة حوانيت الآلات الموسيقية بزقاق برقالة وكانت هذه الحوانيت مملوءة بالدفوف والقرقر والمزامير والعيدان والروط والأربية والكيترات فتولى طلبته كسر هذه الآلات^(٣)

ولما بلغ والى المدينة أمره ، جمعه مع عدة فقهاء من المدينة للمناظرة فظهر عليهم فما كان من الفقهاء إلا أن أشاروا إلى الوالى بإخراجه من المدينة فخرج^(٤) متجهاً هو وأتباعه إلى مدينة مراكش عاصمة المرابطين وكانت قد تحضرت وانتقلت إليها أسباب الترف من الأندلس وأقبل أهلها ينغمسون فيه فتهياً لابن تومرت المجال لنشر تعاليمه ولكنه طرد منها فخرج ومعه أتباعه مهاجراً إلى السوس وقام بتعليم البربر فانتشرت أفكاره بين قبائل البربر

١- البيهقي : المهدي بن تومرت ص ٥٥ : ٥٦ . السلاوى : الاستقصا ٢ / ٧٤ .
 ٢- البيهقي : أخبار المهدي ص ٥٦ : ٥٧ .
 ٣- المصدر السابق ص ٦٥ .
 ٤- المراكشى : المعجب ص ١٨٤ .

واستقر بتنملل^(١) وجعلها دار هجرته وسمى المهدي أول أتباعه بالجماعة ثم أطلق على طبقة أخرى من أتباعه سماهم بالمؤمنين والموحدين^(٢) .
 وفي سنة ٥١٧ هـ - أعد ابن تومرت جيشاً كبيراً من المصامدة معظمهم من أهل تنملل مع من انضم إليهم من أهل السوس وقال لهم "اقصدوا هؤلاء المارقين المبدلين الدين تسموا بالمرابطين فادعوهم إلى إمامة المنكر وإحياء المعروف وإزالة البدع والإقرار بالإمام المعصوم فإن أجابوكم فهم إخوانكم لهم ما لكم وعليهم ما عليكم وإن لم يفعلوا فقاتلوهم فقد أباحت لكم السنة قتالهم"^(٣) .

وكان هذا الخطاب بمثابة دعوة للحرب والجهاد ضد المرابطين وولى المهدي على قيادة الجيش عبد المؤمن بن علي وقال لهم أنتم المؤمنون وهذا أميركم فتوجه عبد المؤمن ومن معه وانطلقوا إلى مدينة مراكش عاصمة المرابطين فلقبهم المرابطون بالقرب من موضع يعرف "بالبحيرة"^(٤) بجيش ضخم "فلما تراءى الجمعان أرسل إليهم المصامدة يدعوتهم إلى ما أمرهم به ابن تومرت فردوا عليهم أسوأ رد" وكتب عبد المؤمن إلى أمير المسلمين علي بن يوسف بما عهد إليه محمد بن تومرت فرد عليه أمير المسلمين يحذره عاقبة مفارقة الجماعة ويذكره الله في سفك الدماء وإثارة الفتنة فلم يردع هذا الرد عبد المؤمن بل زاده طمعاً في المرابطين والتقت الفئتان فانهزم وأتباعه وقتل

١- السلاوي : الاستقصا ٧٨/٢ . تنملل أو تنمال "أى ذات السطوح المزروعة" تقع في الطريق المؤدية من مراكش إلى تارودانت عبر الأطلسى انظر

الصديق بن عربى : المغرب ص ١١١ .

٢- النويرى : نهاية الأرب ٢٤ / ٢٨٠ . القلقشندى : صبح الأعشى ١٩١/٥ .

٣- السملالى : الإعلام ٧١/٢٤ : ٧٢ .

٤- البيذق : المهدي بن تومرت ص ٢٨ . ابن الأثير : الكامل ١٠ / ٥٧٧ البستان يسمى عندهم "البحيرة" .

منهم خلق كثير ونجا عبد المؤمن مع بعض أصحابه فلما علم ابن تومرت بالخبر قال "أليس قد نجا عبد المؤمن؟ قالوا نعم قال لم يفقد أحد" (١) .

ولما عادت فلول جيش عبد المؤمن إلى تنملل أخذ يهون عليهم الهزيمة وأخبرهم بأن أمواتهم شهداء وهم يدافعون عن دين الله مظهرين للسنة ، فازداد حماسهم لذلك حرصوا على مقاتلة أعدائهم المرابطين ومضوا منذ ذلك الحين يشنون الغارات على ضواحي مراكش ويقطعون عليها طريق الإمدادات التي تصل إلى المدينة ، وكثرت أنصارهم والداخلون في طاعتهم وفي سنة ٥٢٤هـ مرض ابن تومرت وعندما أحس بدنو أجله استدعى أتباعه ، فلما حضروا بين يديه قام وكان متكئاً فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله وصلى على نبيه (ﷺ) وعلى الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم ويذكر ما كانوا عليه من الثبات في دينهم والعزيمة في أمرهم وأن أحدهم كان لا تأخذه في الله لومة لائم وذكر من حد عمر رضى الله عنه ابنه في الخمر وتصميمه على الحق" (٢) ثم نصحهم بالاتحاد وعدم الفرقة واتباع الرأفة مع الغلظة في معاملاتهم ثم أعلن أمامهم اختياره لعبد المؤمن وطلب منهم مبايعتهم له وقال لهم "اخترنا لكم رجلاً منكم وجعلناه أميراً عليكم هذا بعد أن بلوناه في جميع أحواله من ليله ونهاره ومدخله ومخرجه واختبرنا سريره وعلايته فرأيناه في ذلك ثباً في دينه متبصراً أمره" (٣)

١- مجهول : الحلل الموشية ص ٩٥ .

٢- ابن أبي زرع : روض القرطاس ٤٧/٢ ، السلاوى : الاستقصا ٩١/٢ .

٣- السلاوى : الاستقصا ٩١/٢ .

ووصى أصحابه بتقديمه واتباعه وتسلم الأمر إليه والانتقاده^(١) .
توفي محمد بن تومرت في شهر رمضان سنة ٥٢٤هـ^(٢) .

تولى عبد المؤمن بن علي خلافة الموحدين بعد وفاة ابن تومرت وكانت مهمة عبد المؤمن صعبة حيث إنه في مفترق الطرق فكان لابد له من إكمال إعلان الدولة الذي لم يكتمل وهذا لن يحدث إلا بالقضاء على دولة المرابطين ويضم إفريقييا إلى المغرب ولم يكن هذا بالأمر السهل وخاصة أنه ذاق مرارة الهزيمة من قبل حين أقدم على مهاجمة مدينة مراكش عاصمة المرابطين .

وكان لدخول عدة قبائل في طاعة الموحدين أثر كبير في دعم مركزه الحربي حيث زاد أتباعهم فانضمت إليهم قبيلتي هسكورة^(٣) وصنهاجة بالمغرب الأقصى وزناتة بالمغرب الأوسط وخرج في سنة ٥٣٥هـ بجيش ضخم متوجهاً إلى المغرب الأوسط فأطاعته قبيلة غمارة الواقعة بشمال المغرب وفي هذه الأثناء توفي علي بن يوسف ٥٣٧هـ^(٤) فخلفه ابنه تاشفين وقد مضى عبد المؤمن بجيوشه نحو تلمسان دخلها في سنة ٥٣٩هـ وتراجع تاشفين بن علي تجاه مدينة وهران^(٥) فحاصره الموحدون بها وحاول تاشفين الخروج من مدينة وهران إلا أنه سقط من

١- النويري : نهاية الأرب ٢٤ / ٢٨٩ .

٢- المصدر السابق .

٣- البيهقي : المهدي بن تومرت ص ٤٤ .

٤- مجهول : الحلل الموشية ص ٩٩ .

٥- وهران : مدينة حصينة ذات مياه وبساتين لها جامع ومرسى كبير على الساحل قريب من بر الأندلس انظر ابن حوقل : صورة الأرض ص ٧٩ ، البكري : المغرب ص ٧٠ : ٨١ .

مكان مرتفع على صخرة في البحر وقتل سنة ٥٢٩^(١) واستولى الموحدون على مدينة وهران وقتلوا من كان بها من المرابطين بالسيف^(٢) .

١- النويرى : نهاية الأرب ٢٩٢/٢٤ : ٢٩٣ .
٢- مجهول : الحلل الموشية ص ١١١ ، النويرى : نهاية الأرب ٢٩٣/٢٤ .

دخول الموحدين مدينة فاس

بعد أن تبت عبد المؤمن بن علي أقدامه واطمأن إلى وجوده في
وهران بعد أن ضمها إليه ، نظم جيشه وتوجه إلى مدينة فاس
وقد تناولت فتح مدينة فاس عدة مصادر نذكرها كالاتي :-

١- ابن الأثير يذكر بعد أن انتهى عبد المؤمن من الاستيلاء على مدينة
تاهرت فيقول "وسار إلى مدينة فاس سنة أربعين وخمسمائة فترل على جبل
مطل عليها وحاصرها تسعة أشهر ... فلما طال مقام عبد المؤمن عمد إلى
نهر يدخل إلى البلد فسكروه بالأخشاب والتراب وغير ذلك فمنعه من
دخول البلد وصار بحيرة تسير فيها السفن ثم هدم السور فجاء الماء دفعة
واحدة فخرّب سور البلد ... وكل ما يجاور النهر من البلد وأراد عبد
المؤمن أن يدخل فقاتله أهلها خارج السور فتعذر عليه ما قدره من دخوله
، وكان بفاس عبد الله بن خيار الجيلاني عاملاً عليها وعلى جميع أعمالها
فاتفق هو وجماعة من أعيان البلد وكاتبوا عبد المؤمن في طلب الأمان لأهل
فاس فأجابهم إليه ففتحوا له باباً من أبوابها فدخلها عسكره وكان فتحها
آخر سنة أربعين وخمسمائة ... ورتب عبد المؤمن أمر مدينة فاس
وأمر فنودي في أهلها من ترك عنده سلاحاً وعدة قتال حل دمه
فحمل كل من البلد ما عندهم من سلاح إليه فأخذه منهم"^(١)

٢- النويري يقول " لما وصل عبد المؤمن إلى مدينة فاس نزل على جبل
القرض المطل عليها وعمل حول مخيمه سوراً وخذقاً وحاصرها تسعة أشهر
... فعمد عبد المؤمن إلى نهر يدخل البلد فسكروه حتى صار بحيرة تسير

السفن فيها ثم هدم السكر فجاء الماء دفعة واحدة فخرّب سور البلد فأراد الدخول فقاتله أهلها خارج السور وكان القائد عبد الله بن خيار الجياني عاملاً على جميع أعمالها فاتفق هو وجماعة أعيان البلد وكتبوا عبد المؤمن سيراً في طلب الأمان لأهل فاس فأجابهم عبد المؤمن إلى ذلك ففتحوا له باباً من أبواب المدينة فدخلها عسكريه ... وكان فتحها في أواخر سنة أربعين وخمسمائة ورتب عبد المؤمن أمرها وأخذ جميع ما فيها من سلاح^(١) ٣- يقول صاحب الحلل الموشية "فتزل على مدينة فاس وبها أحد أولاد علي بن يوسف والمدبر لها ومشرفها أبو محمد الجياني فاجتمعت عليه بما الوفود من كل جهة ومكان وبالغ في حصارها وأقام محاصراً لها ستة أشهر وأهلها يقاتلونه خارج البلاد ومن أشد ما دهاهم به أن الوادي الذي يشق مدينة فاس سده عليهم وأمر الناس أن يسووا الحطب والخشب ويرفعوا التراب على ذلك سداً بعد آخر حتى احتبس الماء وخسر الوادي فسار الفحص كله بجرأً وأقام الماء يرتفع إلى أن صار بجرأً تجرى فيه السفن استعان على ذلك بكثرة الآلات والعالم واتساع الفحص ثم هدم السد بمره فوقع عليهم السور وكان عبد المؤمن يريد أن يدخلها فوقف له أهل فاس على متهدم السور وقاتلوه من خارجها ولما طال عليهم الحصار وجه الجياني مشرفها في خفية لعبد المؤمن فأمنه وأدخله من باب الفتوح وذلك أن واليها من المرابطين طلبه في مال وضيق فيه عليه فلم يكن في وسعه من أين يعطيه له فحينئذ عمل الحيلة في دخول عبد المؤمن وخروج صاحبها عنها واستولى الموحدون على فاس^(٢).

١- نهاية الأرب ٢٤ / ٢٩٥ : ٢٩٦ .

٢- مجهول ص ١١١ : ١١٢ .

٤- يذكر السلوى روايتين لفتح المدينة على يد عبد المؤمن فيقول في الأولى : "وقصد مدينة فاس سنة إحدى وأربعين وخمسمائة ... فحاصروها سبعة أشهر ثم داخلهم ابن الجياني فسرب البلد وأدخل الموحدين ليلاً ... وانتهى خبر فتح فاس إلى عبد المؤمن وهو بمكانه من حصار مكناسة فرجع إليها ودخلها" الرواية الثانية يقول فيها : "وفي سنة أربعين وخمسمائة فتح عبد المؤمن فاساً بعد حصار شديد قطع عنها ماء النهر الداخل إليها وسده بالبناء والخشب حتى انحبس الماء فوق بسيط الأرض وانتهى إلى مراكزه منها ثم خرق السد فانحدر الماء على المدينة دفعة واحدة وهدم سورها ثم هدم من دورها ما يزيد على ألفي دار بالثنية وهلك بها خلق كثير وكاد الماء يأتي على أكثرها ثم دخلها عبد المؤمن وأمن أهلها إلا من كان بها من المرابطين ... ثم أمر بسور المدينة فهدم منه ثلث -جزء- كبير ... وقال إنا لا نحتاج إلى سور وإنما أسوارنا سيوفنا وعدلنا فلم تزل فاس لا سور لها إلى أن تداركها حافده يعقوب المنصور فابتدأ ببناءه ومات فأتمه ابنه الناصر سنة ستمائة"^(١) .

هذه المصادر تناولت فتح مدينة فاس فيها اتفاق وبها خلاف وبهم تكملة لبعض كالاتى :-

- ١- اتفقت المصادر الأربعة أن عبد المؤمن هو الذى اتجه بجيشه إلى مدينة فاس ليفتحها بعد أن انتهى من مدن بالمغرب الأوسط كتلمسان ووهران .
- ٢- نزل عبد المؤمن بجنوده على جبل مطل على مدينة فاس الوحيد الذى سماه هو النويرى "جبل الفرض" .

- ٣- مدة الحصار الذى ضربه عبد المؤمن على مدينة فاس بها اختلاف بين هذه المصادر بين ستة أشهر وسبعة اشهر وتسعة أشهر اتفق ابن الأثير والنويرى على مدة الحصار وهى تسعة أشهر .
- ٤- سنة الفتح اختلاف أيضاً ابن الأثير والنويرى يذكر سنة ٥٤٠هـ .
والسلاوى سنة ٥٤٩هـ ولم يذكر صاحب الحلل سنة الفتح .
- ٥- استعصى فتح المدينة على عبد المؤمن فلجأ إلى حيلة وهى إغلاق النهر الذى يمد مدينة فاس بالماء وسده .
- ٦- اختلف فى طريقة السد مرة أقيم بالخشب والخطب وفوقه التراب ومرة أخرى بالبناء والخشب ومرة بالأخشاب والتراب والنويرى لم يذكر طريقة السد .
- ٧- صاحب الحلل يذكر أن عبد المؤمن قد أقام أكثر من سد داخل النهر .
- ٨- أزال عبد المؤمن هذا السد فجأة فاندفع الماء مرة واحدة فخرّب سور المدينة .
- ٩- السلاوى يذكر أن عبد المؤمن لم يزل السد وإنما خرّقه .
- ١٠- السلاوى الوحيد الذى ذكر قدر الدمار الذى سببه هذا العمل الذى قدره بحوالى ما يزيد على ألفى دار .
- ١١- عند محاولة عبد المؤمن دخول المدينة تصدى له أهلها خارج سور المدينة كما يذكر ابن الأثير والنويرى ، لكن يذكر صاحب الحلل أن أهل مدينة فاس تصدوا لعبد المؤمن على متهدم السور .
- ١٢- المسئول عن المدينة هو عبد الله بن خيار الجياني على اختلاف فى عمله بالمدينة :
أ- عاملاً عليها وعلى جميع أعمالها .

ب- المشرف على المدينة .

ج- ابن الأثير والنويرى ذكرا المهنة والاسم كاملاً وصاحب الحلل يذكر "الجيايى" فقط والسلاوى يذكر "ابن الجيايى" بدون ذكر أى مهنة له .

١٣- طريقة دخول عبد المؤمن مدينة فاس على اختلاف :-

أ- اتفق الجيايى وجماعة من أعيان مدينة فاس فى طلب الأمان من عبد المؤمن مقابل السماح له بدخول المدينة .

ب- صاحب الحلل له رأى آخر حيث ذكر أن الجيايى راسل عبد المؤمن خفية فأمنه .

ج- السلاوى يذكر رأياً مشابهاً حيث إن الجيايى سرب البلد وأدخل الموحدين ليلاً .

د- عندما وعد عبد المؤمن سكان مدينة فاس بالأمان لأهلها فتحوا له باباً من أبواب المدينة لم يذكر اسم هذا الباب إلا صاحب الحلل وهو باب الفتوح .

وعلى ضوء هذا التحليل أستطيع أن أقول :

١- إن مدينة فاس قاومت الموحدين ولم تستسلم على الرغم من الطريقة القاسية التى استعملها معهم عبد المؤمن من قطع الماء الذى هو عصب هذه المدينة .

٢- فتحت مدينة فاس فى عهد الموحدين فى سنة ٥٤٠هـ — لما اتفق على هذا التاريخ أكثر من مصدر .

٣- مدة الحصار الذى ضرب حول المدينة حوالى تسعة أشهر على الرغم من طول هذه المدة مدعمة من أكثر من مصدر .

٤- السد أو أكثر الذى أقيم داخل النهر أقيم بالمكونات المحلية الحجارة والتراب والأخشاب .

٥- تحطم السور نتيجة اندفاع الماء عند إزالة السد لا يسمح بخروج أهل مدينة فاس للقتال خارجها وإنما داخل سور المدينة أو على آثار تهدم السور.

٦- المشرف على مدينة فاس يكون غير تابع للمرابطين وبما أن أبا من المصادر لم تذكر أى صلة للجيايى بالمرابطين يكون هو المشرف عليها .

استطاع الموحدون فتح مدينة فاس والاستيلاء عليها بعد تسعة أشهر من الحصار ثم دخل عبد المؤمن المدينة ومكث بها فترة من الزمن هدم فيها سور المدينة وقال إننا لا نحتاج إلى سور إنما الأسوار سيوفنا وعدلنا فظلت مدينة فاس بلا سور حتى عصر "محمد الناصر ٥٩٥ : ٦١٠هـ" الذى أقام لها سوراً جديداً فى سنة ٦٠٠هـ وأقام قسبة الوادى وبنى باب الشريعة^(١) ومضى عبد المؤمن بعد ذلك تجاه مدينة مراكش عن طريق مدينة تادلا^(٢) فهاجم المدينة واستولى عليها سنة ٥٤١هـ^(٣) وباستيلاء عبد المؤمن على مراكش عاصمة دولة المرابطين فقد أسدل الستار على هذه الدولة وبدأت دولة الموحدين تمارس نشاطها فى بلاد المغرب ثم فى الأندلس^(٤) .

وعلى هذا يعتبر عبد المؤمن بن على الكومى هو المؤسس الحقيقى لدولة الموحدين ٥٢٤ - ٥٥٨هـ وبعد وفاة عبد المؤمن اجتمعت الآراء على أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن ٥٥٨ : ٥٨٠م له من صفات جعلته مرشحاً لهذا المكان فقد كان حسن السيرة فقيهاً عالماً حافظاً يجب

١- الجزنائى : زهرة الأس ص ٣٢ .
٢- ابن الخطيب : أعمال الأعلام ٣ / ١٩١ : ١٩٢ .
٣- ابن الأثير : الكامل ١٠ / ٥٨٣ . السلاوى : الاستقصا ٩٨/٢ ، لكن النويرى فى نهاية الأرب ٢٩٨/٢٤ يذكر أن استيلاء عبد المؤمن على مدينة مراكش سنة ٥٤٢ : ٥٤٣هـ .
٤- السلاوى : الاستقصا ٩٨/١ .

العلماء ويقربهم ويشاورهم ويعتبرهم أهل خاصته وفي عهده استطاع تسيير أمور الدولة بمهارة وشجاعة وعزم ، فساد السلم معظم أنحاء المغرب وعم الأمان والأمن في سائر نواحي البلاد وزاد الخراج وكثرت الخيرات توفى في شهر رجب سنة ٥٨٠هـ ودفن بتتمل مع أبيه وابن تومرت^(١) .

ثم تولى أبو يوسف يعقوب بن أبي يعقوب يوسف الملقب "بالمصور" ٥٨٠ : ٥٩٥هـ — بعد أن اتفقت آراء مشايخ الموحدين وأولاد عبد المؤمن عليه فبايعوه ودعوه بأمر المؤمنين^(٢) وقد واجهت أبا يوسف كثير من المهام الصعبة في المغرب والأندلس^(٣) .

توفى المنصور سنة ٥٩٥هـ وخلفه ولى عهده أبو عبد الله محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الملقب "بالناصر" لدين الله وكان آخر خلفاء الموحدين الأقوياء وفي عهده بدأت أسباب انهيار دولة الموحدين تظهر وتتضح كالآتي:-

- ١- فوضى الإدارة وتفكك وحدة القبائل الموحدية .
- ٢- ضعف الخلفاء الذين تولوا بعد "الناصر" وتفكك المغرب في ظل هؤلاء الخلفاء الضعاف^(٤) .

١- النويري : نهاية الأرب ٢٤ / ٣٢٧ .

٢- مجهول : الحلل الموشية ص ١٣١ .

٣- للمزيد في هذا يمكن الرجوع إلى السلاوي : الاستقصا ٢ / ٩٨ : ٩٩ .

٤- هذا إلى جانب الاضطراب الذي أحدثته العرب الهلالية في الدولة وغاراتهم المستمرة بالإضافة إلى التوسع المسيحي في بلاد الأندلس بعد هزيمة العقاب وهذه الهزيمة كان من نتائجها ضعف حربي وسياسي كبير لحق بالموحدين انظر النويري : نهاية الأرب ٢٤ / ٣٤٩ .

أعمال الموحدين في مدينة فاس

تمتعت مدينة فاس في عصر المرابطين بالهدوء والسلم والنمو السريع والمنظم لكن هذه الصفات بدأت تضعف عندما قاربت دولة المرابطين من نهايتها وقيام دولة الموحدين وسيطرتها على بلاد المغرب بعد أقل من قرن من الزمان من دخول يوسف بن تاشفين مدينة فاس المدينة التي تميزت بالقوة الحربية التي يعتمد عليها أمراء لمتونة وبهذه القوة استطاعت مدينة فاس أن تقاوم الموحدين على الرغم من الحصار الشديد الذي تعرضت له من جانبهم .

ففى عام ٥٤٠هـ حضر عبد المؤمن قائد الموحدين إلى مدينة فاس لفتحها لكن قوات المرابطين كان لها رأى آخر فحاصرها عبد المؤمن على أمل استسلام المدينة ولما طال به الأمر عمد إلى الوسيلة التالية "في سنة أربعين وخمسمائة فتح عبد المؤمن مدينة فاس بعد الحصار الشديد وقطع عنها النهر الداخلى إليها بالألواح والخشب والبناء حتى انحصر الماء فوقها فى الوطاء فوصل إلى مستواه الأسمى ثم خرقة فهبط الماء عليهم دفعة واحدة فهدم سورها وهدم من دورها ما يزيد على ألفى دار وهلك به خلق كثير وكاد الماء أن يأتى على أكثرها"^(١) .

غضب عبد المؤمن من المقاومة الصلبة التي وجدها داخل المدينة فأمر بتخريب قصبة المرابطين وسور المدينة وهو يردد هذه العبارات "إنا لا نحتاج إلى سور وإنما الأسوار سيوفنا وعدلنا"^(٢) .

حدث تدمير كبير لمدينة فاس على يد الموحدين الذين لم يتخذوها عاصمة لهم وإنما جعلوا من مدينة مراکش قاعدة لهم ولدولتهم الناشئة ،

١- السلاوى : الاستقصا ٩٦/٢ .
٢- المصدر السابق.

ولكنهم كانوا مثل المرابطين في احتياج لمدينة فاس ليجعلوا منها قاعدة رئيسية يعتمدون عليها في أعمالهم الحربية وخاصة في بلاد الأندلس فاضطروا إلى إعادة بناء ما حطموه فقام محمد الناصر الخليفة الرابع للموحدين ٥٩٥ : ٦١٣ هـ بإحاطة مدينة فاس بأسوار قوية ومتينة وجعل لها أبواباً أشهرها الذي كان يعرف من قبل بباب الشريعة . لكنه ما كاد يتم بناءه حتى أطلق عليه الناس باب المحروق^(١)

هذا ويعتبر الخليفة الناصر الموحدى أكثر خلفاء الموحدين اهتماماً بمدينة فاس ونالت من رعايته الكثير فقد طلب منه أهل مدينة فاس إقامة دار للوضوء بجامع الأندلس فأجابهم إلى هذا وأقام دار الوضوء وجعل لها خمسة عشر بيتاً في سقف كل بيت فتحة لدخول الضوء نهاراً وعلق في وسطها ثريا بها قوارير زجاجية تضيء أول الليل وآخره ، وفي كل بيت أنبوبة من نحاس ينصب فيه الماء ثم فرش بالرخام الأبيض وكتب على حجر منقوش بخط جميل "بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء ، وإن منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون كمل في شهر جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وخمسمائة"^(٢)

اهتم الموحدون بجامع الأندلس بمدينة فاس اهتماماً يفوق جامع القرويين فقد أمر الخليفة الناصر سنة ٦٠٠ هـ ببناء الباب الكبير الجوفى وصنع

١- الجزنائي : زهرة الأس ص ٣٣ .

سمى بذلك لأنه في نفس اليوم الذى ركب فيه مصراعي الباب جىء إليه بثائر من ناحية وزان يدعى العبيدى أسر أخيراً فعلق رأسه فى أعلى الباب وأحرقت جنته تحت الباب نفسه ثم أطلق عليه هذا الاسم وأصبح فى العادة أن تجرى هناك العقوبات والإعدامات انظر ابن القاضى : جذوة الاقتباس ٥٠/١ : ٥١ .

٢- الجزنائي : زهرة الأس ص ٦٣ : ٦٤ ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ٦٧/١ .

بأعلاه قبتين إحداهما مصنوعة من جص مقوس من داخله والثانية من خشب الأرز من خارجها بالإضافة إلى سقاية ومدخل لبيت الصلاة^(١).

مدينة فاس تحت حكم المرابطين والموحدين

شهدت مدينة فاس تحت حكم المرابطين والموحدين على حد سواء فترة طويلة من الازدهار والنمو والاستقرار ، لم تعترض هذه الفترة سوى مجاعة قاسية مصحوبة بعدم استقرار بين سنة ٦١٨ : ٦٣٧هـ عندما قاربت دولة الموحدين من نهايتها يشهد لهذا الاستقرار والازدهار النص الآتي للجغرافي الإدريسي : "ومدينة فاس ضياع ومعايش ومبان سامية ودور وقصور ، لأهلها اهتمام بجوائجهم ومبانيهم وجميع آلائهم ونعمها كثيرة ، والحنطة بها رخيصة الأسعار جداً دون غيرها من البلاد القريبة منها وفواكهها كثيرة وخصبها زائد وبها في كل مكان منها عيون نابعة ، ومياه جارية ، وعليها قباب مبنية ، ودواميس محنية ونقوش وضروب من الزينة وبخارجها الماء مطرد نابع من عيون غزيرة وجهاً مخضرة موفقة وبساتينها عامرة وحدائقها ملتفة وفي أهلها عزة ومنعة ... ومدينة فاس قطب ومدار لمدن المغرب الأقصى ... ومدينة فاس هي حضرتهما الكبرى ، ومقصدها الأشهر ، وإليها تشد الركائب وإليها تقصد القوافل ، ويجلب إلى حضرتهما كل غريبة من الثياب والبضائع والأمتعة الحسنة ، وأهلها مياسير ولها من كل حسن أكبر نصيب وأوفر حظ"^(٢).

١- السلاوي: الاستقصا ٢/٩٦، ٩٧.

٢- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، مكتبة الثقافة الدينية ص ٢٤٦ .

يؤيد هذا الوصف الأرقام الموجودة في روض القرطاس وزهرة الآس ويذكر صاحبها الكتاين أن المشرف على المالية ذكر نفسه أنه نقل هذه الأرقام من زمام مشرف المدينة في أيام الناصر الموحدى الخليفة الرابع^(١).

جدول إحصاء لأماكن الخدمات ودور العبادة

النوع	ابن أبي ذرع	الجزائري	النوع	ابن أبي ذرع	الجزائري
المساجد	٧٨٢	٧٨٥	معمل صابون	٤٧	٤٧
دار الوضوء	٤٢	٤٢	الدباغة	٨٦	٨٦
أماكن سقاية	٨٠	٨٠	الصباغة	١١٦	١١٦
حمامات	٧٣	٧٣	سبك الحديد النحاس	١٢	١٢
رحى ماء	٤٧٢	٤٧٢	كوشة خبز	١١٧٠	١١٧٠
مساكن	٨٩.٢٣٦	٨٩.٢٣٦	حجر عمل الكاغيد	٤٠٠	٤٠٠
مصارى	١٩٠٤١	١٧٠٤١	سك العملة	--	٢
فنادق	٤٦٧	٤٦١	معمل الزجاج	١١	١١
حانوت	٩٠٨٢	٩٠٨٢	دار الضخار	١٨٨	١٨٠
قيسارية	٢	٢	كوشة جير	--	١٣٥
أطرزة وحياسة	٣٠٩٤	٣٠٦٤			

١- ابن أبي ذرع ٦٥/١ : ٦٧ . الجزائري ص ٣٣ .
المشرف على المالية يدعى أبو الحسن على بن عمر الأوسى نقلها من خط مشرف المدينة ويدعى القويقي انظر المصدران السابقان .

هذه الأرقام التي ذكرت متشابهة ماعدا القليل منها تدل دلالة واضحة على مدى ما وصلت إليه مدينة فاس في هذين العصرين على الرغم من المبالغة في بعض الأرقام التي لا نستطيع تحديدها بدقة لقلة هذه الإحصائيات من هذا النوع سواء كانت قبل عصر المرابطين أو أثنائه حتى نستطيع تتبع هذه الأرقام ومقارنتها حتى تتضح المبالغة من عدمها .

كل هذه الأماكن بداخل المدينة إلا دار الفخار التي تحتاج إلى كميات من المياه وخوفاً من التلوث مع وجود أنشطة أخرى خارج المدينة كدار الصباغين وحوانيتهم ودور الدباغ والصابون وحوانيت الخياطين والقصايين والأماكن المعدة لطبخ الغزل والفوالين وكل من يحتاج الماء^(١) .

والذي لاشك فيه أن مدينة فاس قد شهدت في بداية القرن السابع الهجري نشاطاً قوياً في كافة المجالات وأن الازدهار المذكور ليس من الغلو في شيء والنظرة الأولى تقول عكس ذلك لأن فاساً ليست عاصمة للموحدين وإنما هي أحد المراكز الرئيسية الهامة لدولة تضم منطقة جغرافية ضخمة (بلاد الأندلس وإفريقيا الشمالية) ويرجع الفضل في هذا الازدهار العظيم إلى الأمير يوسف بن تاشفين الذي دلها على طريقه منذ دخوله إليها سنة ٤٦٢ هـ .

١- ابن أبي زرع : روض القرطاس ٦٧/١ . الجزنائي : زهرة الآس ص ٣٤ .
ابن القاضي : جذوة الاقتباس ٥١/١ .

مخلفاء المرابطين^(١)

٤٤٧ أو ٤٤٨	١ « يحيى بن إسماعيل بن عمر
٤٥١	٢ « عبد الله بن يحيى بن يحيى
٤٨٠ مجاهد في السودان	٣ « أبو بكر بن إسماعيل بن عمر
٤٥٢: ٥٠٠	٤ « يوسف بن يحيى بن تاشفين
٥٢٧: ٥٠٠	٥ « علي بن إسماعيل بن يوسف
٥٢٩: ٥٢٧	٦ « تاشفين بن إسماعيل بن علي
٥٤٠: ٥٢٩	٧ « إبراهيم بن تاشفين
٥٤١: ٤٥٠	٨ « إسحاق بن يحيى بن تاشفين

١- السلاوي : الاستقصا ٢/٢ : ٦٩ ، د . حسين مؤنس : المغرب وحصارته من قبيل الفتح الى الغزو الفرنسي ٧/٢ .

خلفاء الوحديين (١)

٥٢٤ : ٥١٥	١ « محمد بن محمد بن تومرت (المصنعي)
٥٥٨ : ٥٢٤	٢ « عبد المؤمن بن محمد بن عيسى الكومي
٥٨٠ : ٥٥٨	٣ « أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن علي
		٤ « أبو يوسف يعقوب بن أبي يعقوب بن
٥٩٥ : ٥٨٠	عبد المؤمن (المنصور)
		٥ « أبو عبد الله محمد بن أبي يوسف يعقوب
٦١٠ : ٥٩٥	يوسف بن عبد المؤمن بن علي (الناصر)
		٦ « أبو يوسف بن محمد بن يعقوب بن يوسف بن
٦٢٠ : ٦١٠	عبد المؤمن بن عيسى (المستنصر)
		٧ « عبد الواحد بن أبي يعقوب يوسف بن
٦٢١ : ٦٢٠	عبد المؤمن (المخلص)
		٨ « أبو محمد عبد الله بن المنصور أبو يوسف
٦٢٤ : ٦٢١	يعقوب بن أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن (العادل)

- ٩- أبو زكريا يحيى بن الناصر أبو عبد الله محمد بن
أبي يوسف يعقوب بسنن أبي يعقوب يوسف بن
عبيد المؤمن (المعتمد) ٦٢٤ : ٦٢٦
- ١٠- أبو العلاء إدريس بسنن أبي يوسف
يعقوب بسنن أبي يعقوب بسنن عبد المؤمن ٦٢٦ : ٦٣٠
- ١١- عبد الواحد بسنن المأمون إدريس بن
أبي يوسف يعقوب بسنن أبي يعقوب يوسف بن
عبيد المؤمن (السرخسي) ٦٣٠ : ٦٤٠
- ١٢- أبو الحسن علي بن المأمون إدريس (السعيد) ٦٤٠ : ٦٤٦
- ١٣- أبو حفص عمر بسنن أبي إبراهيم
اسحاق (المرتضى) ٦٤٦ : ٦٦٥
- ١٤- أبو العلاء إدريس بن أبي عبد الله محمد بن
عمر بن عبد المؤمن لله الوائق (أبو دبوس) ٦٦٥ : ٦٦٦
- ١٥- ابن الواثق أبو مالك عبد الواحد بن
أبي العسلاء إدريس قتل سنة ٦٦٦

أولاً: الحياة الاقتصادية

تمهيد :

يعتبر الاقتصاد أحد دعائم القوة التي تفرض نفسها على الأفراد والمدن والدول بماله من أفرع متعددة تساهم في تطوير ورفاهية المجتمع .

فالاهتمام بنواحي الاقتصاد هو هدف رئيسي لإنماء الموارد الطبيعية المختلفة سواء كانت هذه الموارد زراعية أو صناعية .

فاستغلال الإنسان لهذه الموارد يختلف من مكان لآخر ، وعلى قدر هذا الاستغلال تكون النتيجة .

فالمكان المتوفرة به إمكانيات تؤهله للقيام بأعمال قد تساعد في الزيادة والعمران يعطى دافعا قويا للإنشاء والتخطيط والتنفيذ والإقامة ثم التوسع والانتشار ، فوجود الأرض الخصبة والماء العذب والجو المناسب كلها عوامل تساعد على قيام مجتمعات جديدة تكتسب قوة دفع ذاتية بمجرد البدء في إعمار المكان وهذا ما حدث بالنسبة لمدينة فاس والذي سوف أتناوله بشيء من التفصيل .

١- ملكية الأرض وأوضاع الفلاحين

بدأت ملكية الأرض الزراعية في مدينة فاس مع بداية إنشائها فبعد أن اختطت عدوة القرويين وبني فيها المساكن ومكان خاص بالسوق فقد أمر الإمام إدريس الثاني بالبناء والتملك "من بني موضعاً أو اغترسه قبل تمام السور فهو له ، فبني الناس من ذلك شيئاً كثيراً واغترسوا ووفد عليه جماعة من الفرس من أرض العراق فأنزلهم بغيضة هناك كانت على العين المعروفة بعين علوان"^(١) .

ومدينة فاس مكونة من منطقتين الأولى تملكها حوالي ثلاثمائة أهل بيت من الوافدين العرب بالقيروان فسميت باسم "القرويين أو القيروانيين" بينما تملك المنطقة الثانية الوافدون من الأندلس وعددهم حوالي أربعة آلاف بيت وسميت باسم "الأندلسيين"^(٢) .

وتملك البربر أيضاً في مدينة فاس أرضاً فقد كان موضع الجامع الذى أنشئ فيه مسجد القرويين أرضاً لرجل من هواره كان والده قد تملكها منذ إنشاء مدينة فاس^(٣) .

هذا وتعتبر ملكية الأرض في مدينة فاس للقبائل التي سكنتها واستقرت فيها سواء كانوا عرباً أو بربراً وقد حول المرابطون هذه السياسة في بداية دولتهم حيث حكموا على من عارض دعوتهم ووقف في وجههم بالخروج على الشرعية فوجب قتالهم واعتبر ما لهم غنيمة وفيئاً^(٤)

١- ابن أبي زرع : روض القرطاس ٧٦/١ . الجزنائي : زهرة الأس ص ٢١ .
٢- السلاوى : الاستقصا ١٥١/١ .
٣- ابن أبي زرع : روض القرطاس ٧٦/١ ، لم تذكر المصادر اسم هذا الرجل .
٤- مجهول : الحلل الموشية ص ١١ .

هذا وقد آلت أرض زناتة الموجودة بمدينة فاس إلى ملكية الدولة الجديدة بينما أقروا عامة أهل مدينة فاس عليها حتى يضمنوا ولائهم وخاصة أن الدولة في بداية نشأتها^(١).

والمرابطون لهم سياسة في تملك الدولة للأراضي ، فقبل خروجهم من الصحراء كانوا يأخذون ثلث أموال من ينضم إليهم من صنهاجة الصحراء لتطبيب أموالهم^(٢) ولم تؤثر هذه السياسة على ملكية الأراضي إذ لم يكن لهم أموال إلا الجمال^(٣) وبعد خروجهم من الصحراء وبداية الفتح بدأوا التعدي على أراضي بيت المال والتخمس وتوزيع المغنم على الفاتحين^(٤) وفي الغالب أن هذه السياسة قد بدأت تتوقف^(٥) بعد إنشاء عاصمة لهم واستقرارهم بها فتحول المرابطون من حركة نائرة إلى دولة وخاصة بعد أن ضم الجيش المرابطي عناصر جديدة غير صنهاجية كقبائل مصمودة وزناتة ومرترقة من العبيد السود والروم^(٦) وقد ورث الموحدون هذه الملكيات عن المرابطين ولكنهم اتبعوا سياسة مختلفة عن المرابطين في ملكية الأراضي ، فقد استاء ابن تومرت من كل من لم يؤمن بأفكاره فأحل دمه وماله واسترقاق نسائه وأطفاله^(٧) وخاصة أمراء المرابطين والفقهاء المالكين المتعاونين

١- ابن عذارى : البيان ٣ / ٢٤٣ ، ٢٦٥ ، مجهول : الحلل الموشية ص ١٢-٢١ ، ابن القاضي : جذوة الاقتباس ١ / ٥٢ .

٢- البكري : المغرب ص ١٦٩ .

٣- ابن عذارى : البيان ٢ / ١٠ : ١٦ .

٤- المصدر السابق ٤ / ١٢ .

٥- التوقف سببه أن الدولة فقدت كثيراً من الأراضي وحاول الأمير علي بن يوسف في سنة ٥١٥هـ وقف مصادرة أملاك الأمراء المرابطين المغضوب عليهم أو المتهمين بالثورة على السلطان أو العمال الخائنين **انظر** ابن عذارى : البيان ٤ / ٧٧ وقد أثر هذا الإجراء على زيادة رقعة ملكية الدولة .

٦- السلاوي : الاستقصا ٢ / ٢٥ .

٧- المراكشي : المعجب ص ١٩٥ .

معهم وقسم ابن تومرت أموال المخالفين بعد تخميسها على الموحدين^(١) الذين وجدوا معارضة شديدة في معظم البلاد والمدن التي استولوا عليها في المغرب فمعظمها كانت قبائل تسكن المناطق الزراعية وعلى الرغم من هذه المعارضة إلا أن مدينة فاس لم تشارك في الثورة على الموحدين لما لهم من نفوذ وسيطرة كبيرة داخل هذه المدينة يدل على هذا عندما أرادوا أن يفتحوا مدينة فاس امتنعت عليهم سبعة أشهر حتى تمكن الموحدون من دخول مدينة فاس ليلاً بواسطة أتباعهم^(٢).

ومن الجدير بالذكر أن الموحدين حتى عام ٥٤١هـ وهو عام فتح مدينة مراكش لم يقوموا بفرض ضرائب جديدة بل أسقطوا ما فرضه المرابطون فألت ملكية أراضي دولة المرابطين إلى الموحدين وخاصة أراضي الأمراء المرابطين وأتباعهم واعتبار ما فتح عنوة أرضاً خراجية أو ملكاً للدولة هذا إلى جانب مصادرة أملاك المعارضين لهم تأديباً وعقاباً ووراثه من لا وريث له واستصفاة عمال مغضوب عليهم^(٣).

أما إدارة هذه الأراضي التابعة للدولة فقد أخذ الموحدون النظم عن المرابطين حيث تركوا إدارة أراضي الدولة للمشرف فقد حدث هذا في مدينة فاس حين فتحها عبد المؤمن الموحدي فقد أقر أحد المشرفين عليها عندما نفى زعماء قبائل هرغة وتضمنل عندما خالفته إلى مدينة فاس^(٤).

١- ابن عذارى : البيان ١٨/٤ ، النويرى : نهاية الأرب ١٩١/٢٤ .

٢- السلاوى : الاستقصا ٩٦/٢ .

٣- المراكشى : المعجب ص ١٩٨ ، ٢٤٤ .

٤- البيذق : أخبار المهدي ص ١٦٦ ، الجياني هو المشرف على مدينة فاس في عهد عبد المؤمن فعندما نفى زعماء هذه القبائل أقطعهم فيها والجياني هو المسئول عن مناطق أقطاعهم انظر البيذق : أخبار المهدي ص ١٦٦ .

أما عن الأقطاع فقد كانت مدينة فاس محط أنظار الموحدين الذين اتبعوا سياسة مختلفة عن المرابطين مع الحكام السابقين أو أبنائهم الثوار المستسلمين أو زعماء القبائل المخالفين لهم فحاولوا نقل نشاطهم من مناطق تواجدهم وإقامتهم إلى مناطق أخرى حتى يضمنوا ولاءهم وبتأثير إثارة أية اضطرابات لهم وهذا ما فعله عبد المؤمن مع بني أمغار إذ ابن تومرت لما خالفت عليه قبيلة هرغة فأقطعهم في مدينة فاس بدلاً من أقطاعهم التي كان موجودة في مدينة مراكش قرب موطن قبيلة هرغة^(١).

هذا وقد ساعد الاستقرار السياسي في المغرب على ظهور ملكيات كبيرة في عصر المرابطين والموحدين فنجد أن حسان القضاعي له ملكية كبيرة في مدينة فاس^(٢) وقد تتفاوت ملكية الشخص الواحد من الإرحاء والمعاصر بين الواحدة والعشرة^(٣) وينتمي كثير من الملاك إلى فئة الفقهاء أو أصحاب النفوذ الإداري ويبدو أن دخلهم من هذه الملكيات كان كبيراً ، فقد التزم أحدهم بجراية معلم للحديث في جامع القرويين بمدينة فاس تسعة أعين وهي أربعمائة دينار سنوياً بالإضافة إلى ما كان يحتاجه من كسوة ومؤون^(٤).

الأحباس "الأوقاف" : لم تكن الأحباس منتشرة في المغرب في عصر المرابطين أو الموحدين ، ولكن هناك إشارة إلى وجودها في مدينة فاس ، وحيث وجدت فهي من الملكيات الخاصة أو أراضي الدولة

١- البيذق . أخبار المهدي ص ١١٦ ، ١١٨ .

٢- ابن عبد الملك المراكشي : الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٤-١٩٦٥م ٩٠/١ .

٣- ابن الأبار : الحلة السيرة ٢٦٠/٢ .

٤- ابن عبد الملك المراكشي : الذيل والتكملة ٢٤٠/١ ، ٢٤١ .

ويبدو أن مساحتها كانت واسعة فكان دخل أحباس مسجد القرويين في سنة ٥٢٨هـ أكثر من ثمانين ألف دينار مرابطي^(١) .

السياسة الزراعية : توجد سياسة طويلة وأخرى قصيرة لكل دولة من دول العالم سواء في الاقتصاد أو التجارة أو الزراعة ... إلخ فالسياسة القصيرة هي إصلاح ما لا يمكن الاستغناء عنه حيث إن توقفه يحدث شللاً بهذا المرفق ، أما السياسة الطويلة فهي وضع خطط تنفذ على مراحل لتطوير الجهة المراد تطويرها مثلاً الناحية الزراعية حتى تفي بالغذاء اللازم للسكان والباقي إذا وجد يستخدم في التبادل التجاري ولتنفيذ هذا لابد من توفر الأمن والرى ومراعاة حالة السكان في فرض الضرائب التي تحصل عليها الدولة من سكان المدن^(٢)

الأمن : استقرت الأوضاع في مدينة فاس في بداية عصر المرابطين حيث ساد الهدوء والنماء ، فعندما يشعر السكان بثقة هؤلاء الفاتحين الجدد ينتظم الزراع ويتابعون المحاصيل مما يؤدي إلى زيادة وتنوع في الحبوب والفواكه ، أما إذا لم تتوفر الهدوء والأمن والاطمئنان على الأرواح وبالتالي على الزراعة فقد يأتي بنتيجة غير مشجعة وقد تأثرت الزراعة بمدينة فاس عندما قام الأمير عبد المؤمن في حملته الطويلة سنة ٥٢٩هـ والتي انتهت بسقوط المرابطين فكثرت المجاعات وعم الغلاء^(٣) .

١- ابن أبي زرع : روض القرطاس ٣١/٢ .

٢- عز الدين موسى : النشيط الاقتصادي في المغرب ، دار الشروق ، بيروت ، القاهرة ١٩٨٣م ص ١٨٠ .

٣- ابن القطان : نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان ، المطبعة المهدية ، تطوان ص ١٨٣ .

ولما قامت دولة الموحدين اهتم أهلها بالزراعة اهتماماً كبيراً خاصة بالمدن الزراعية ومنها مدينة فاس حيث أمر عبد المؤمن أهل هذه البلاد الفلاحين الفارين من الحرب بين المرابطين والموحدين بالعودة إلى أوطانهم وفلاحتها^(١).

وكانت تعليمات الموحدين لجنودهم بأن يتجنبوا السير في الأراضى المزروعة وردع أهل الفساد عن السزوع "حتى كانوا يسيرون بين الزروع فلا تآذى بهم سنبلة واحدة" هذا الحرص من جانب الموحدين جعل الزراعة مصدر اهتمام لهم مما يساعد على الرخاء في المغرب كله وخاصة في خلافة عبد المؤمن ويوسف والمنصور^(٢).

١- ابن القطان : نظم الجمان ص ١٧٥

٢- النويرى : نهاية الأرب ٣١١/٢٤ .

٣- الأرض الزراعية وحاصلاتها

تعد الأرض أحد عوامل قيام حرفة الزراعة فهي عنصر هام لذا نجد ارتباطاً قوياً بين التربة الخصبة ودرجة كثافة السكان وعلى هذا يوجد بعض الأوصاف لتحديد نوعية الأرض .

النوع الأول : الأرض الخصبة الزكية الحرث إذا أصابتها أمطار يكثرت نبتها .

النوع الثاني : الأرض المتوسطة يكون النبت فيها رقيقاً متوسط الغلظة .

النوع الثالث : الأرض الرديئة نبتها قليل وشجرها عبارة عن حشائش رقيقة ضعيفة^(١) .

تنقسم التربة في المغرب لثلاثة أقسام :

القسم الأول : الأرض السوداء التي تعد أفضل الأنواع وأجودها وتوجد هذه الأرض في السهول الفيضية المحيطة بالأهوار مما جعلها من المناطق الرئيسية للزراعة من هذه المناطق سهول وادي سبو بمدينة فاس وسهول السوس الأقصى جنوب مدينة فاس وسهول منطقة الريف بشمال منطقة فاس هذه السهول تنمو بها أنواع مختلفة من الحبوب مثل القمح وسائر البقول^(٢) .

القسم الثاني : التربة الرملية وتعتبر هذه التربة أقل خصوبة من الأرض السابقة لأنها أرض فقيرة تحتاج إلى كثير من العمارة والمجهود فيضاف إليها زبل "سماد" مخدوم ليقوم بتضييق مسام الأرض فتتحسن وتجدد بها زراعة الفواكه كالتين والرمان والمشمش وتوجد هذه التربة في المنطقة الواقعة من شمال مدينة فاس

١- الحكيم غسطوس : كتاب الفلاحة الرومية ، مخطوطة بدار الكتب القومية رقم ٣ ، ميكروفيلم ٤٢١٧٤ ٢/الباب الرابع .

٢- ابن حوقل : صورة الأرض ص ٩٢ .

وحتى ساحل البحر المتوسط وبخاصة في الزوايا والتلول الموجودة بجبال الريف^(١) .

القسم الثالث : الأرض الجبلية وهي أرض يابسة مائلة إلى الخشونة المسام مفتوحة مما يجعلها أرضاً مقصورة على زراعات معينة يغلب عليها تحمل درجات الحرارة العالية والمنخفضة ، تحتاج إلى تقوية مستمرة وماء كثير ، هذه الأرض يوجد فيها زراعة أشجار اللوز والبلوط والنخيل والزيتون^(٢) توجد هذه الأرض في جبل زالغ المطل على مدينة فاس من الجهة الشمالية وهو جبل به خصوبة ينبت فيه الزيتون والعنب والتين^(٣) .

وأياً كان نوع الأرض فقد تميزت أراضي مدينة فاس بصفة عامة بأنها سهول زراعية خصبة فوجود مزارع خارج نهر سبو^(٤) يدل على وجود السهول والأرض الخصبة التي تنتج المحاصيل الزراعية المختلفة .

فتجهز الأرض قبل الزراعة فتعدل وتسوى بحيث يؤخذ التراب من المكان المرتفع إلى المكان المنخفض حتى إذا جرى عليه الماء وصل إلى جميع أجزاء الأرض المراد ربيها فإذا سويت الأرض يتم تقسيمها ثم تزرع بالمحاصيل المراد زراعتها وقبل إجراء عملية الزراعة لا بد من تقوية الأرض ورفع درجة خصوبتها فكان الزراع يستخدمون مقوى الأرض السماد العضوى سواء كان من البقر أو الغنم أو الخيل أو الحمير بالإضافة إلى الكناسات ورماد الحمامات وزبل الحمام^(٥) وقد أسهمت عدة قبائل بربرية كزناتة وأوربة

١- رضى الدين الغزى : كتاب الفلاحة ، مخطوطة بدار الكتب القومية رقم ٢٤٢

ميكروفيلم ٤٢١٩ ص ١٩ ، ١٠٨ .

٢- ابن حوقل : صورة الأرض ص ٧٩ .

٣- ابن القاضى : جذوة الاقتباس ٢٧/١ .

٤- مجهول : الاستبصار ص ١٥٠ .

٥- الغزى : كتاب الفلاحة ص ٢٢،٢١ .

وغمارة إلى جانب العرب من القيسيين والأزد والخزرج وغيرهم بعد استقرار الأوضاع السياسية في مدينة فاس وخاصة في عهد إدريس الثاني بقسط كبير في استصلاح مناطق وتمهيدها وخاصة المناطق التي بسطوا عليها سيطرتهم إلى تربة صالحة للزراعة فكان جل اهتمام السكان إلى مزاوله الزراعة والاهتمام بمتطلباتها^(١) .

أما الحاصلات الزراعية فإن نظام الأراضي وسياسة الدولة الزراعية وأوضاع الزراع كلها عوامل تؤثر على المساحات المزروعة وكمية الحاصلات وأنواعها، فقد كانت الحاصلات في المناطق والمدن الزراعية قبيل عصر المرابطين غير ثابتة وقليلة في المغرب الأقصى وبتوجيه اهتمام المرابطين ثم من بعدهم الموحدين إلى شئون الزراعة جعل هذه الناحية الاقتصادية تنمو وتزدهر^(٢)

فنجد أن المرابطين قد أدخلوا نباتات محاصيل جديدة كنبات الزيتون في مدينة مراكش ومدينة فاس كما ازدهرت زراعة التين والعنب في جبل درن ومدينة مكناس ومدينة فاس التي وجدت بها الأخشاب التي يستفاد بها على نطاق كبير^(٣) .

ومن الجدير بالذكر أن الموحدين قد حافظوا على مستوى الإنتاج المرابطي وضاعفوا إنتاج بعض المحاصيل بأن شجعوا وحثوا على زراعته في مناطق جديدة كالذى فعلوه بالنسبة لزراعة الحبوب والفواكه في مراكش ومدينة فاس كما ضاعف الموحدون من إنتاج الزيتون خاصة

١- البكري : المغرب ص ١١٥ .

٢- عز الدين موسى : النشاط الاقتصادي ص ١٩٤ .

٣- المرجع السابق ص ١٩٥ .

في مدن مكناسة ومراكش ومدينة فاس بعد أن كانت هذه المدن لا تعرف سوى زيت المهرجان فأصبحوا لا يستطيعون غير زيت الزيتون^(١) .

٣- الري ومصادره

استفاد المرابطون من التجارب السابقة للعهد الروماني في الكشف عن آثار الري القديمة وتجديدها أو تقليدها في مناطق أخرى وهذا ما حدث لمدينة سبتة^(٢) .

ويعتبر عصر الموحدين امتداداً لجهود المرابطين في تطوير مصادره وقد بذلوا جهوداً كبيرة لتوفير المياه سواء للشرب أو الزراعة فاستنبطوها من باطن الأرض^(٣) وجلبوها من أماكن توفرها إلى مناطق الزراعة فلقد أجرى الخليفة عبد المؤمن المياه إلى عدة مدن كمراكش وسلا والرباط^(٤)

كما أجرى الخليفة يوسف المياه إلى مدن كسبتة والرباط وفاس^(٥) كما فعل المنصور وقام بنقل المياه إلى مدينة مراكش ومدينة فاس^(٦) ، أيضاً فعل الخليفة الناصر نفس الشيء وأجرى المياه إلى مدينة فاس^(٧) بالإضافة إلى حفر الآبار على الطرق^(٨) .

١- مجهول : الاستبصار ص ٢١٠ .

٢- المصدر السابق : ص ١٣٨/١٣٧ .

٣- الحميري : الروض المعطار في خبر الاقطار ، لبنان ، ١٩٨٤م ص ١٢١ .

٤- البيذق : أخبار المهدي ص ١١٣ .

٥- مجهول : الاستبصار ص ١٣٧، ١٤٠، ١٨٠ .

٦- المراكشي : المعجب ص ٢٨٧ ، مجهول : الاستبصار ص ١٨٠، ١٨١، ٢١٠ .

٧- ابن أبي زرع : روض القرطاس ٥١/٢ .

٨- النويري : نهاية الأرب ٣١/٢٤ .

وكانت المياه تحفظ في آبار وصهاريج وهذه الأخيرة كانت أكثر شيوعاً في المغرب ، فقد بنى الخليفة عبد المؤمن عدداً منها في مدينة مراكش^(١) وشيد الخليفة يوسف عدداً آخر في مدينة الرباط ومراكش^(٢) وأقام الخليفة المنصور عدداً آخر في كل من مراكش ومكناسة ومدينة فاس^(٣) .

والظاهر أن هذه الصهاريج كانت كبيرة حيث بلغ طول أحد صهاريج المنصور في مدينة فاس حوالي مائتين وستة عشر ذراعاً وهناك ما هو أطول من ذلك^(٤) .

وكان الموحدون يحرصون على زرع أشجار كثيرة حول هذه الصهاريج للتقليل من درجة تبخر المياه المتفرغة في جداول للسقى^(٥) ويسقى الجدول الواحد عشرة فراسخ تقريباً^(٦)

ويبدو أن هذه الجهود شجعت السكان فكثر اهتمام الناس بالرى والزراعة فشيّدوا النواعير وحفروا الآبار وفرعوا النهيرات جداول^(٧) .

ساعدت هذه الجهود على زيادة الأراضي المزروعة ولا سيما المدن الزراعية كمدينة فاس ، وأيضاً على استصلاح الأراضي وزراعتها ولم ترد إشارات عن جهود المرابطين في استصلاح الأراضي وزراعتها داخل مدينة فاس .

أما في عصر الموحدين فقد بذلوا جهوداً كبيرة في هذا المجال فعلى قدر

١- مجهول : الاستبصار ص ٢١٠ .

٢- المصدر السابق ص ١٤٠، ٢١٠ .

٣- القلقشندى : صبح الأعشى ١٥٧/٥ .

٤- المصدر السابق .

٥- المراكشي : المعجب ص ٢٨٧ ، الحميري : الروض المعطار ص ١٢١ .

٦- الحميري : الروض المعطار ص ١٧٢ .

٧- ابن الأبار : الحلة السراء ٢٦٧/٢ .

مساحة الأراضي المستصلحة يكون الجهد المبذول ، ويظهر في أعمال الخليفة يوسف استصلاح أراضي للزراعة في عدة مدن كمراكش ومكناسة ومدينة فاس مما شجع الناس على الزراعة ففي سهل مدينة فاس انتشرت الزراعة حتى الأماكن المالحة بعد إصلاحها^(١) .

مصادر الري

مصادر الري في المغرب تعتمد على ثلاثة موارد رئيسية المورد الأول مياه الأمطار ، المورد الثاني مياه الأنهار ، المورد الثالث العيون .

أولاً : المورد الأول "مياه الأمطار" :

تهب على المغرب الأقصى الذي تقع في نطاقه مدينة فاس رياح محملة بالأمطار من جهات مختلفة كالآتي :-

الجهة الأولى : من ناحية الغرب تهب رياح محملة بالأمطار تعبر المحيط الأطلسي في فصل الشتاء .

الجهة الثانية : من ناحية الشمال الغربي تهب رياح شمالية تعبر البحر المتوسط فتحدث نفس الأثر ، والأمطار قد تسقط في أوائل فصل الربيع حتى نهاية شهر إبريل ولكن في الغالب تكون كمية المطر الرئيسية في شهر ديسمبر وتبلغ أمطار مدينة فاس حوالي ٦٣٥ مم تقريباً^(٢) .

هذا وقد ساعد امتداد جبال أطلس من الجنوب إلى الشمال الشرقي على غزارة الأمطار في المناطق المحيطة بمدينة فاس والمغذية لنهرها بمنطقة الريف

١- ابن أبي زرع : روض القرطاس ٤١/٢ .

٢- محمد رياض : إفريقيا ص ٣٧٦ .

ومنطقة غمارة مما أدى إلى تنوع الزراعات وكثرتها^(١).

ثانياً : المورد الثاني " الأنهار " :

تعتمد الأنهار التي تغذى منطقة المغرب الأقصى على جبال أطلس المتوسط وأهم هذه الأنهار "نهر سبو" الذي يمد مدينة فاس بالمياه اللازمة للزراعة والحياة اليومية^(٢) وهذا النهر مأؤه غزير، يستمد مياهه من ستين نبعاً ، ويجرى في أرض سهلية حيث يتشعب في داخل مدينة فاس إلى جداول من المياه تذهب إلى المساجد والدور والحمامات ثم تتجمع هذه الجداول بعد خروجها من المدينة في مجرى واحد يصب في وادي سبو على بعد ميلين منها^(٣) ونهر سبو مياهه صافية عذبة باردة في الصيف ودافئة في الشتاء بها أنواع من الحوت "السماك" كاللبيس والبورى والسلباخ والبوقة^(٤) مما يوفر غذاء هاماً لسكان المدينة بالإضافة إلى أن هذا النهر صالح للملاحة النهرية حيث نجد القوارب والسفن الصغيرة تسير فيه بجرية إلى البحر^(٥).

أما عن تكوين هذه الأنهار فقد أدى سقوط الأمطار الغزيرة في فصل الشتاء وتكوين الثلج على قمم الجبال وبقائها في فصل الشتاء إلى تكوين هذه الأنهار حيث يذوب الثلج بعد انتهاء فصل الشتاء حيث يجرى الماء في روافد صغيرة فتلتقى هذه الروافد بعضها مع بعض فيؤدى ذلك إلى تكوين الأنهار

١- ابن سعيد : كتاب الجغرافيا ص ١٤٠ .

٢- مياه نهر سبو لا تنقطع حيث تضمن له المياه في فصل الصيف بعض العيون الجبلية فإن تصريفه لا يقارن بتصريفه في الشتاء والربيع انظر د. محمد سعودى : معالم جغرافية الوطن العربى ص ٦٨٩ .

٣- الجزنائى : زهرة الأس ص ٣٤ .

٤- ابن أبى زرع : روض القرطاس ٤٦/١ .

٥- ابن القاضى : جذوة الاقتباس ٤٧/١ .

والأودية^(١) .

ومن الجدير بالذكر أن جبال المغرب بصفة عامة تعتبر منابع شبه دائمة لمعظم الأنهار بالمنطقة وخاصة مدينة فاس وتظهر قيمة هذه الأنهار حينما نعلم أنه كلما اتجهنا إلى الداخل والبعد عن الساحل قلت الأمطار يتضح هذا في المنطقة الواقعة جنوب مدينة فاس "السوس الأقصى" الذى يعتمد فى الزراعة على مياه الأنهار التى تنبع من جبال أطلس وأهم هذه الأنهار نهر درن الذى يفيض فى فصل الشتاء^(٢) .

ومن جانب آخر تم استغلال مياه الأنهار^(٣) وتوصيلها إلى السهول الزراعية فى المغرب كسهل وادى سبو الذى أعطى أهمية زراعية متنوعة لمدينة فاس^(٤) هذا الاستغلال الجيد لمياه الأنهار أضاف مساحة كبيرة بلا شك لمدينة فاس تستغل فى إنتاج محاصيل جديدة ومتنوعة يكون عائدها راجعاً بالفائدة على سكانها فقد أدخل المرابطون محاصيل تجارية فى مدينة فاس كالزيتون وازدهرت زراعة الفواكه خاصة التين والعنب كما حافظ الموحدون على نفس مستوى الإنتاج المرابطى بل ضاعفوا إنتاج بعض المحاصيل بأن عملوا على تشجيع زراعته فى مناطق جديدة داخل مدينة فاس كالحبوب والفواكه^(٥) وقد ساهم الأندلسيون فى تطوير بعض تقنيات الري بالمغرب ،

١- ابن الوردي : خريدة العجائب وفريدة الغرائب ص ١١٢، ١١٣ ، مخطوطة بدار الكتب رقم ١٩٥٢١ جغرافيا .

٢- ابن الوردي : خريدة العجائب ص ١٦ .

٣- استغلال مياه الأنهار يتم عن طريق تفريغ الأنهار إلى جداول حتى يستفاد بهذه المياه لرى مساحات إضافية وكذلك لتسهيل عملية الري التى تعتمد فى الغالب على السروافع والسواقي *انظر التجانى* : رحلته ، المطبعة الرسمية ، تونس ، ١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م ص ١١٨ .

٤- محمد رياض : إفريقيا ص ٣٧٤ .

٥- عز الدين موسى : النشاط الاقتصادى ص ١٩٥ .

إذ ساهموا في هذا المجال في تركيب عدة نواعير خاصة بفاس مما ساعد على الزيادة والنمو^(١)

ثالثاً : المورد الثالث "العيون" :

تمثل العيون مصدراً طبيعياً لا دخل للإنسان فيه وهي تمد الأهمار بالمياه اللازمة بعد انتهاء فصل المطر وتستخدم أيضاً للزراعة والشرب في حالة عدم سقوط الأمطار وجفاف الأهمار ، وقد تمتعت مدينة فاس بالعيون الساخنة التي تنبع بالقرب منها كحمة خولان^(٢) وحمة وشتاة وحمة أبي يعقوب التي تقع إلى الشمال الغربي من مدينة فاس على بعد خمسة كيلو مترات ومياها ساخنة وغنية بالكبريت^(٣) .

هذا إلى جانب وجود عين ماء في منطقة فحص سايس سميت بعين "عمير" بن مصعب الأزدي مكتشفها كما توجد العيون التي ينبع منها وادي فاس التي تبلغ أكثر من ستين عيناً^(٤) .

بالإضافة إلى عين علوان الموجود بها غيضة داخل مدينة فاس والتي وفد عليها جماعة من الفرس^(٥) .

١- د. محمد رزوق : التأثيرات الحضارية بين العرب وأسبانيا، دراسات أقيت في ندوة الثقافة العربية الأسبانية عبر التاريخ ، دمشق ١٩٩٠ م ص ٨٢ .

٢- الجزنائي : زهرة الأس ص ٣٦ ، السلاوي : الاستقصا ١/١٤٩
والحمة : هي كل عين فيها ماء حار ينبع منها ويستشفى بالاعتسال من مائها انظر : المعجم الوسيط ١/٢٠٠ .

٣- السلاوي : الاستقصا ١/١٤٩ .

٤- ابن أبي زرع : روض القرطاس ١/٣٨ ، الجزنائي : زهرة الأس ص ١٤ .

٥- ابن أبي زرع : المصدر السابق/٥١ ، وعلوان هو عبد أسود كان يسكن في غيطة في مدينة فاس أثناء القيام بإنشائها فكان يقطع الطريق بها على المارة فقبض عليه إدريس الثاني وقتله وصلبه على شجرة كانت على العين فأطلق اسم علوان على هذه العين انظر السلاوي : الاستقصا ١/١٥٠ .

٤-الرعى

أحد فروع الناحية الاقتصادية الهامة والتي يقوم عليها جزء من سكان المدن ويختلف من مدينة إلى أخرى حسب وجود مقومات هذه الحرفة في أى منطقة من عدمه ، فتحديد كمية العشب الموجود هي التي تتحكم في كمية وحجم الحيوانات التي تتغذى عليه .

هذا وتعتبر تربية الحيوان من الأعمال القائمة بذاتها ولكن في الغالب ما تكون متصلة بالزراعة سواء من حيث المناطق والأشخاص القائمين بها أو لاعتماد الواحدة على الأخرى .

والرعى نوعان الأول : الرعى المختلط بمناطق الزراعة وعادةً ما يكون صاحب الماشية هو المزارع أو صاحب الأرض .

الثاني الرعى شبه الصحراوي وعادةً ما يكون صاحب الماشية هو القائم بعملية الرعى أو من ينوب عنه .

النوع الأول من الرعى هو القائم والموجود بمدينة فاس ففيها لا يقتصر الرعى على نوع واحد من الحيوانات وكثيراً ما تربى الأبقار والأغنام والخيول والجمال في المدينة حيث وجود السهول المنتشرة في المدينة بشكل واسع^(١) .

وتختلف ملكية حيوانات الرعى من شخص لآخر ففي وجود ملكيات كبيرة تقدر الرؤوس بألف رأس أو ألفين وقد توجد بأعداد متفاوتة قد تصل إلى أربعمئة رأس أو مائتي شاة أو عشرين بقرة حتى يستطيع صاحبها حين يمتلك جزءاً منها أو تكون له بكاملها أن يقوم برعايتها أو بمساعدة زوجته التي قد تساعده أيضاً في بيع اللبن ومستخرجاته^(٢) .

١- د. محمد سعودى : معالم جغرافية الوطن العربى ص ٦٨٨، ٦٨٩ .

٢- المراكشى : المعجب ص ٣٣٩ . البيذق : أخبار المهدي ص ٦١ .

هذا وقد يجمع عدد من الزراع مواشيهم فيتبادلون العمل في الرعى والحراسة أو يستأجرون راعياً أو حارساً مثلما يصنع كبار الملاك^(١) وقبيل عصر المرابطين ظهرت مشكلات للرعى المختلط بمناطق الزراعة في بلاد المغرب ومدينة فاس ألا وهي كثرة ضياع الماشية أو اختلاطها في أيام الفتن والقتال والاضطرابات وعدم الاستقرار بالإضافة إلى إفساد الماشية للزرع حتى أن بعض الصالحين تحرز في مكسب ما يرعى في أرض الغير^(٢) .

أما في عصر المرابطين والموحدين فنرى أن مدينة فاس قد ساد فيها الأمن والهدوء والاستقرار والنماء وخاصة بعد أن أزيلت الفوارق بين العدوتين وهدم الأسوار الفاصلة بينهما وأصبحت مدينة فاس مدينة واحدة على يد يوسف بن تاشفين^(٣) .

وعلى الرغم من نقل مقر العاصمة في عصر المرابطين والموحدين من مدينة فاس إلى مدينة مراكش فقد مارست المدينة دوراً مهماً في التنمية الاقتصادية والحربية والتجارية وظهر هذا الدور بصورة أوضح لمدينة فاس في عصر الموحدين .

١- البيذق : أخبار المهدي ص ١١٨ .

٢- التادلي : التشوف إلى معرفة رجال التصوف ، الرباط ، ١٩٥٨م ص ١١٥ .

٣- الجزنائي : زهرة الأس ص ٣٢ . السلاوي : الاستقصا ٢/٢٧ .

٥- الضرائب

الضرائب كلمة ثقيلة على الغنى والفقير وهى فى الواقع سبب كثير من المشاكل بين السلطة والشعب وخاصة عندما تكون هذه الضرائب جائرة أو القائمين عليها يستخدمون أساليب سيئة فى تحصيلها ، وقد شاع عن المرابطين رد المظالم وقطع المغارم وأنهم كانوا لا يأخذون إلا زكاة العشر^(١) .

وعندما زادت الضرائب المفروضة فى ولاية على بن يوسف (٥٠٠ : ٥٣٧هـ) واشتدت قسوة الجباة ثار عليه أحد الفقهاء والمتطوعين للسلطة "محمد بن تومرت" الذى شبه المرابطين بأنهم ذوو "أسياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ليس عند أحد سواهم"^(٢)

وقد عانت مدينة فاس فى عصر المرابطين منذ بداية حكم على بن يوسف من مشكلة الضرائب التى أثرت على أوضاع الملاك والزراع وما قلة ما يجمع من ضرائب إلا نتيجة لانخفاض الأراضى الخاصة بالزراعة أو التهرب من دفع هذه الضرائب لكن طريقة استخدام تحصيل هذه الضرائب ترك الفلاحين بين أمرين ترك ما يزرعون أو الثورة على الدولة أو الأمرين معاً فقد اتخذت قبائل المصامدة السبيين فى الثورة على المرابطين^(٣) .

أما الموحدون فيبدو أنهم اقتصروا فى الضرائب على الزكاة والعشور وأخماس المعادن والغنائم والخراج ولم يفرض الموحدون ضرائب جديدة فقد كانت تجمع نقداً وعيناً^(٤) والعين من الزرع كان يحفظ فى مواضع خاصة بالجيش لوقت الحاجة^(٥) بالإضافة إلى أن دخل الدولة قد اتسع من الأراضى

١- ابن الخطيب : أعمال الأعلام ٢٣٠/٣ .

٢- ابن القطان : نظم الجمان ص ٢٦ .

٣- عز الدين موسى : النشاط الاقتصادى ص ١٧٢ .

٤- البيهقي : أخبار المهدي ص ٩٤ .

٥- النويرى : نهاية الأرب ٣١١/٢٤ .

الواسعة التي تم استصلاحها وزراعتها في عدة مدن ومنها مدينة فاس^(١) حتى لقد بلغ ثمن زيتون بحيرة "بستان" بمدينة فاس بعد استصلاحها حوالى خمسين ألف دينار^(٢) .

ومن الجدير بالذكر أن تنظيم النواحي المالية أوضح عند الموحدين منه عند المرابطين وهذا راجع بطبيعة الحال إلى اعتماد المرابطين على الجيش في الجباية بينما حرص الموحدون على حماية الزراع وحفظ الأموال ونقل عمال الجباية من مكان إلى آخر حتى لا يتمكنون من الاستفادة من أى مال يجنى بطريقة غير شرعية بالإضافة إلى نضوج المعاملة المالية والتعلم من التجربة المرابطية التي عملت في هذا المجال بشكل لم يسبق كدولة تضم مساحات واسعة تحت سيطرتها في المغرب والأندلس ، كما عمل الموحدون أيضاً على تنقية هذه المعاملات من الأخطاء التي قد يرونها ، فكان التطوير والتنقية هدفها الاستفادة من زيادة النشاط الاقتصادي والمالى^(٣) .

هذا ويعتبر نظام ملكية الأرض والضرائب المفروضة على الأرض والسياسة التي اتبعتها دولتا المرابطين والموحدين دافعاً كبيراً للمدن الزراعية وخاصة مدينة فاس مما جعلها مركزاً من مراكز الزراعة المهمة والأساسية في المغرب يؤكد هذا ، الاهتمام باستصلاح الأراضى وزراعتها ونظرة المرابطين والموحدين للزراع بالإضافة إلى اهتمامهم بالرى .

١- المنونى : العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين ، المطبعة المهدية ، تطوان ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م ص ٢٤٠، ٢٤١ .

٢- ابن غازى : الروض الهتون فى أخبار مكناسة الزيتون ، فاس ص ٧ .

٣- عز الدين موسى : النشاط الاقتصادي ص ١٧٩ .

٦- الصناعة ومظاهر تقدمها في مدينة فاس

تعتبر الصناعة أحد أسس النشاط الاقتصادي الهامة وللصناعة شروط يجب توافرها حتى تستمر بنجاح منها :-

المواد الخام سواء كانت زراعية كالحبوب أو الأشجار أو الغابات أو مواد خام حيوانية كالصوف والجلود أو مواد خام معدنية كالحديد والنحاس هذا إلى جانب الأيدي العاملة ورأس المال والسوق الذي يتم فيه توزيع المنتجات وكان الغالب على سكان مدينة فاس أنهم مهتمون بالصناعة ويحبون تعلم حرفها ويكرهون التقصير فيها بدليل وجود ثلاثة آلاف رحي تقوم بعملية طحن الحبوب كالحنطة^(١) وهي مقامة على نهر مدينة فاس الذي تقع عليه المدينة^(٢) فوجود مثل هذا العدد من الرحي في المدينة يدل على انتشار المهن ، وهذا الانتشار يولد التنافس الذي ينتج عنه الإتقان والمهارة ، والمهن لا تدم إلا لقلّة عائدها أو لعدم إتقان المهنة أو قصور القائم عليها بسبب فسادها أو انهيارها وفي عصر المرابطين والموحدين شهدت مدينة فاس نهضة زراعية متميزة بالإضافة إلى استتباب حالة الأمن باستثناء فترات قليلة في نهاية دولة المرابطين وبداية دولة الموحدين الذين سيطروا على زمام الأمور وبدأ التأقلم والانتشار السريع للحضارة الأندلسية في مدينة فاس وقد ساعد هذا الهدوء على قيام صناعات جديدة وتطوير الصناعات القديمة القائمة بما خاصة أن الدولة كانت بحاجة كبيرة إلى الصناعات الحربية ومواد المعمار وأدواته هذا فضلاً عما احتاجه الترف الذي انتشر في حياة المرابطين من متطلبات^(٣) .

١- الإدريسي : نزهة المشتاق ص ٧٥ .

٢- اليعقوبي : البلدان ص ٣٥٨ .

٣- عز الدين موسى : النشاط الاقتصادي ص ٢٠٩ .

وعندما انتقل مركز الحكم إلى مدينة مراكش ظلت مدينة فاس مركزاً وسطاً بين العاصمة وبلاد الأندلس واعتبرت مركزاً للصناعات الجديدة فقد نقلت الدولة الخبرات الأندلسية إلى مدينة فاس وشجعته في كافة المجالات^(١) فقد هاجرت من الأندلس إلى مدينة فاس أسرة بني جامع الذين كانوا يمتازون بالدقة في الصناعات النحاسية كما انتقلت أيضاً الخبرات الأندلسية في البناء والهندسة على يد عرفاء البنائين مثل أبي يحيى العتاد ، وصخر بن مسعود وأبي عبد الله محمد الخولاني^(٢) .

ومن الجدير بالذكر أن الصناعة في ظل عصر الموحدين قد شهدت تطوراً ملموساً في ظل ازدياد حاجة الدولة للصناعات المختلفة وخاصة الصناعات العسكرية بالإضافة إلى اتساع نطاق البناء داخل مدينة فاس هذا التطور كان من تأثير امتداد تأثير الحضارة الأندلسية إلى جميع فئات المجتمع المغربي بصفة عامة حتى أن قصور الخاصة أصبحت مكثفة ذاتياً في كل نواحي الحياة^(٣) فأكمل الموحدون ما بدأه المرابطون من إرسالهم خبرات أندلسية صناعية إلى مدينة فاس خاصة وإلى بلاد المغرب الأقصى بصفة عامة في مختلف الصنائع^(٤) .

وقد استفادت مدينة فاس في العصر الموحدى من الموهوبين في كل صناعة مثل أحمد بن باسة^(٥) وابن الليث الصقلي^(٦)

١- المراكشي : المعجب ص ٣١٠ .

٢- ابن أبي زرع : روض القرطاس ٣٦،٣٥/٢ .

٣- القلقشندي : صبح الأعشى ١١١/٥ .

٤- المقرئ : نفع الطيب ١٥٣/٣ .

٥- ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الوارثين ، دار الأندلس ، بيروت ، ١٩٦٤م ص ١٣٩ ، ٣٠٦ ، ٤٧٤ .

٦- الجزنائي : زهرة الأس ص ١٤ ، ابن القاضي : جذوة الاقتباس ٤٥/١ .

وعمر بن مرجى الأشبيلي في فن الزخرفة^(١) والحاج يعيس المالقى المعروف بالأخوص في فن المساحة والهندسة^(٢).

هذا وقد بلغت مدينة فاس مستوى كبيراً في الصناعات المختلفة في عصر الموحدين ولم تعد تقصر على الأندلسيين فقط فقد برع عدد من أهل المغرب الأقصى في مختلف الصنائع حتى إن الموحدين كانوا يستدعون عرفاء البنائين في مراكش ومدينة فاس لتشييد بعض العمائر في الأندلس^(٣) هذا إلى جانب قدرة أهل مدينة فاس على تغطية زخارف منبر جامع القرويين خوفاً من عبد المؤمن عندما دخلها فغطوه بالكاغد ولبسوه بالحص وغسلوه على البياض فلم يظهر منه شيء ولا تأثرت صنعة المنبر بشيء^(٤).

الصناعات الزراعية وما يتصل بها : التغيير الذي طرأ على مناطق

زراعة الكتان والقطن في عصر المرابطين والموحدين في المغرب أثر على مراكز المنسوجات القطنية والكتانية تأثيراً كبيراً فظهرت بصورة ضخمة في مدينة فاس التي كانت تمتلك وحدها ٣٤٩٠ داراً معدة للحياكة والأطرزة^(٥).

صناعة الورق والوراقة : تتصل صناعة الورق بالمنسوجات

لأن الورق قد يصنع في المغرب من القطن والكتان فظهرت مراكز جديدة لصناعة الورق في العصر الموحدى كمدينة سبتة ومدينة فاس^(٦). وكان يوجد في مدينة فاس وحدها أيام المنصور والناصر " ٥٨٠ : ٦٠٩ هـ " أربعمائة بيت متخذة لصناعة الورق هذا العدد الكبير يدل على انتشار

١- ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة ص ٤٤٠ .

٢- مجهول : رسائل موحدية من انشاء الدولة الموحدية ، الرباط ، ١٩٤١م ص ٧٩ .

٣- ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة ص ٤٧٤ .

٤- ابن أبي زرع : روض القرطاس ٢/٢٥ .

٥- الجزنائي : زهرة الأس ص ٣٣ .

٦- ابن أبي زرع : روض القرطاس ٢/٢٦ .

وازدهار صناعة الورق في عصر المرابطين والموحدين وخاصة في المغرب الأقصى والأندلس بصفة عامة وهذا راجع إلى تمتع المدن الكبيرة بمركز القيادة الأساسية والإدارية والدولة تحتاج إلى الورق لتسجيل شئون الإدارة وخاصة المالية منها كما أن القيادتين المرابطية والموحدية قامتتا على رسالتين دينيتين فكثيراً ما استخدمت الرسائل للدعاية السياسية إلى جانب الاهتمام بالكتب والعناية بها مما جعل لها سوقاً جديدة^(١).

الصناعات الجلدية : كان من نتيجة وجود الرعي المختلط بالزراعة في مدينة فاس ازدهار هذه الصناعة على الرغم من تأسيس مدينة مراكش التي جذبت إليها الصناعات الجلدية فقد وجد في مدينة فاس أيام المنصور الموحدى حوالى ٨٦ داراً للدباغة^(٢) وكانوا في العادة يستخدمون القرمز في الدباغة^(٣) هذا وقد برع أهل عدة مدن مثل بجاية ومدينة فاس في صناعة الأحذية^(٤).

الصبغة : عرفت معظم الألوان التي كانت تستخدم في الصباغة كاللون الأحمر والأخضر والأبيض والأسود والأصفر والجوزى وهو عبارة عن اللون الأخضر والأسود^(٥) والصبغة بألوانها المختلفة تستخدم في النسيج والأحذية وقد بلغت الصباغة مبلغاً لا بأس به حيث إن الحياطين كانوا يأخذون الملاحق البالية فيصنعونها ويكمدونها فتظهر كالجلدية^(٦). وقد بلغت مدينة فاس

١- عز الدين موسى : النشاط الاقتصادي ص ٢٢٥ .

٢- ابن زرع : روض القرطاس ٢٧/٢ .

٣- المقرئ : نفح الطيب ١٤١/١ .

٤- البيذق : أخبار المهدي ص ٦٥ .

٥- ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة ص ٤٤٥ ، ٤٨٦ ، القلقشندى : صبح الأعشى ١٤٢/٥ .

٦- الونشريسي : المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٨١ م ١٤٢/٦ .

شأناً كبيراً في العصر الموحدى في هذا المجال حيث كان يوجد بها ١١٦ داراً للصبغة وعادة ما تكون دور الصباغة على الأنهار^(١) .

الصناعات الخشبية : شهد عصر المرابطين والموحدين انتشاراً واسعاً في الصناعات الخشبية وظهرت مناطق جديدة لإنتاجها إلى جانب مدينة فاس وقد اشتد الطلب عليها من جانب الموحدين لاستخدامه في أغراض متعددة منها الأغراض العسكرية كإقامة الجسور وبناء السفن فعلى الرغم من جعل مدينة سبتة قاعدة لأسطولهم فقد قاموا بتوسيع قواعد أخرى لهم على السواحل كتونس ووهران هذا إلى جانب تأسيس دور جديدة كمنطقة الحبالات قرب مدينة فاس^(٢) .

ومن هنا أيضاً النهضة المعمارية التي شهدها هذا العصر فعمارة المساجد وبناء القصور والمباني التابعة للدولة تحتاج إلى سقوف وشبابيك وأبواب ومنابر ومقصورات وأثاثات وتحف زخرفية فعمل على تطوير الصناعات الخشبية كالموجود في مدينة فاس التي اشتهرت بالمخروطات الخشبية فقد كان يدخل مدينة فاس من خشب الأرز الذي يستخدم في هذا الفن من الصناعة كل يوم ما لا يحصى^(٣) .

المطاحن : كانت الحبوب في مدينة فاس تطحن بواسطة الأرحاء والتي تديرها المياه أو الحيوانات أو الرياح ويبدو أن كثرة إنتاج الحنطة والشعير والقمح في مدينة فاس والمغرب الأقصى وازدياد السكان ووفرة المياه دفعت المرابطين إلى إدخال الأرحاء المائية بأعداد كبيرة واستمرت هذه الزيادة في

١- ابن أبى زرع : روض القرطاس ٣٤/٢ .

٢- الجزنائى : زهرة الأس ص ١٠ .

٣- مجهول : الاستبصار ص ١٨٧ .

عصر الموحدين حتى بلغت هذه الرحي في خلافة المنصور الموحدى حوالى ٤٧٢ رحي داخل أسوارها سوى ما بخارجها^(١) .

صناعة الخمر : كانت الخمر تباع فى الأسواق فى المغرب على الرغم من محاولة المرابطين منع ذلك فى البداية إلا أنه قد انتشر شرب هذه الخمر بين بعض أمراء المرابطين وكثير من عامتهم^(٢) ولم تبذل الدولة المرابطية جهوداً حقيقية لمنع تداول الخمر إلا بعد أن اشتعلت الثورة الموحدية^(٣) فهذا يدعو إلى الظن بأن المرابطين قد تغاضوا بعض الشيء عن صناعة الخمر ، وفى عصر الموحدين كان كثير من السكان يصنع خمره فى منزله وخاصة الفلاحين منهم الذين يملكون فواكه تدخل فى صناعة الخمر كالتين والعنب وكانت مدينة فاس من مدن الإنتاج المشهورة فى المغرب^(٤) .

ومن المواد التى تدخل فى الصناعة بمدينة فاس "الملح والصدف" :

أولاً : الملح : وهو من المواد الغير معدنية وتوجد بمدينة فاس ملاحه على مقربة منها طولها حوالى ١٨ ميلاً وفيها من الأنواع ما لا يشبه بعضه بعضاً غير أن ملحها بدأ بالتناقص فبعد أن كان الحمل منه يباع فى مدينة فاس بدرهم أصبح يباع كل عشرة أصوع بدرهم^(٥)

١- ابن أبى زرع : روض القرطاس ٢/٢٦ ، يقال أن عدد الرحي ٦٠٠ /نظر القلقشندى : صبح الأعشى ٥/١٥٥ ، ويقال ٣٠٠ /نظر المراكشى : المعجب ص ٤٤٤ .

٢- المراكشى : المعجب ص ١٩٤ .

٣- ابن القطان : نظم الجمان ص ٢٢٣ ، د. حسين مؤنس : نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين ٥٤٠ : ٥٤٠ هـ ، مدريد ١٩٥٣ م ص ١١٣ .

٤- الإدريسي : نزهة المشتاق ص ٦٢ ، ٦٣ ، ٢١١ ، مجهول : الاستبصار ص ٢١٢ .

٥- ابن القطان : نظم الجمان ص ٢٢٣ بالإضافة إلى مدن مراكش ، درن ، السوس .

ولعل هذا النقص هو الذى أدى إلى ظهور ملاحظتين جديدتين فى عصر الموحدين فى المغرب بجوار مدينة فاس^(١) .

ثانياً : الصدف : كان يستخرج من نهر مدينة فاس وكان هذا الصدف يقوم مقام الجواهر النفيس فكانت تباع الحبة منه بمثل حال لحسن صفائه وعظم جرمه^(٢) .

ومن الجدير بالذكر أن هذه الصناعات قد بدأت بشكل واضح فى عصر المرابطين وبلغت كامل نموها وازدهارها فى عصر الموحدين خاصة المعادن المكتشفة التى أدت إلى مضاعفة الإنتاج حتى أصبحت مدينة فاس مركزاً للصناعات المعدنية فقد برع أهلها فى صناعة المخروطات النحاسية بشكل خاص حتى وجد فى هذا العصر فى مدينة فاس حوالى ١٢ داراً لصناعة النحاس والحديد^(٣) .

ومن جانب آخر نجد أن المعمار قد وجد عناية خاصة من المرابطين وبلغ شأنها عظيماً فى عصر الموحدين فالصناعات المعدنية تدخل فى مجال البناء وتأثيث المساجد والقصور والمنازل وتزيينها فكثير الطلب على أدوات الترف والزينة فنجد المرابطين والموحدين قد بنوا كثيراً من المنازل للعساكر وموظفى الدولة فى عدة مدن منها مدينة فاس^(٤) هذا وقد أصبحت الصناعة المعدنية منتشرة فى مجال المعمار بالحديد والرصاص يستخدم كأنايب لجر المياه إلى المدن أو توزيعها فيها كالذى أقامه الخليفة الناصر فى مدينة فاس^(٥)

١- الأولى فى بلاد حاحة /نظر ابن سعيد : كتاب الجغرافيا ، بيروت ١٩٧٥م

ص ١٢٥ ، الثانية فى جبل تاجموت قرب مراكش .

٢- ابن أبى زرع : روض القرطاس ١ / ٤٥ .

٣- المصدر السابق ١ / ٦٦ .

٤- المراكشى : المعجب ص ٢٤٨ ، ومدن أخرى كقرطبة وسبتة .

٥- الجزنائى : زهرة الأس ص ٨٢ .

وقد حفز هذا النشاط الصناعي كثيراً من أمراء المرابطين وسادة الموحدين ومياسير الناس على بناء القصور وخاصة في المدن الكبيرة كمراكش ومدينة فاس^(١).

كما اتخذت ثريات لتزيين المساجد كالتى زين بها جامع الأندلسيين بمدينة فاس^(٢) بالإضافة على ثريا جامع القرويين المؤلفة من ٥٠٩ قنديلاً تزن ١٧,٥ قنطاراً و ١٣ رطلاً من النحاس وتحمل هذه القناديل قنطاراً وسبع تلال من الزيت^(٣).

صناعة العملة : ضرب المرابطون العملة من الذهب والفضة واختصت مدينة فاس بضرب وصناعة العملة في العصر المرابطى وقد انتهج الموحدون هذا النهج حيث توجد في مدينة فاس دارين لسك العملة وقد أقدم الناصر الموحدى على جعل مقرهما في دار واحدة^(٤).

الصناعات الفخارية : كانت مدينة فاس مركزاً هاماً لصناعة الفخار حيث كان يوجد بها في أيام المنصور والناصر حوالى ١٨٨ معملًا للفخار خارج سورها^(٥) إلى جانب الأواني الفخارية المذهبة كان الصناع المهرة يصنعون نوعاً من الفيسفساء المدهون بالألوان المختلفة ويفرشون به البيوت ويقيمونه مقام الرخام^(٦).

-
- ١- ابن عذارى : البيان ٢٠٠،١٩/٤ .
 - ٢- الجزنائى : زهرة الأس ص ٥٩ .
 - ٣- ابن أبى زرع : روض القرطاس ٣٩،٣٨/٢ .
 - ٤- أبو الحسن الحكيم : الدوحة المشتبكة فى ضوابط دار السكة طبعة مدريد ١٩٥٨م ص ٥١ .
 - ٥- ابن أبى زرع : روض القرطاس ٢٦/٢ .
 - ٦- القلقشندى : صبح الأعشى ١٥٦/٥ ، المقرى : نفح الطيب ٢٠٢/١ .

النشاط التجاري لمدينة فاس

مكانة فاس التجارية

يتحكم الموقع بصفة أساسية في ازدياد أهمية المكانة التجارية لأية دولة من الدول أو أية مدينة من المدن فإذا نظرنا إلى موقع مدينة فاس نجدها تقع في ملتقى طرق هامة في المغرب ، فهي تشغل الطرق السهلة الممتدة بين ساحل المغرب المطل على المحيط الأطلنطي ووسطه ، كما يوجد طريق جنوب مدينة فاس يمر بوسط جبال أطلس "وعورته قليلة" إلى الجنوب ،

هذا إلى جانب طرق الاتصال بين مدينة فاس وكل من ساحل البحر المتوسط أو مضيق جبل طارق على قدر كبير من السهولة ، من هذا أستنتج أن مدينة فاس تقع على نقطة تقاطع بين محورين كبيرين للاتصالات ..

الأول : يمتد من الشمال إلى الجنوب بين ساحل البحر المتوسط إلى ما وراء بلاد الزنج .

الثاني : يمتد من الغرب إلى الشرق بين ساحل المحيط الأطلنطي ووسط المغرب^(١) .

هذا الموقع جعل مدينة فاس على علاقة تجارية بين مدن أغمات وسجلماسة وتاهرت ولكنها على نطاق محدود فيشير ابن حوقل إلى انتظام القوافل بين مدينة سجلماسة وفاس^(٢) ، فتوجه كثير من أهل فاس إلى سجلماسة طلباً للتجارة كما كان لبني مدرار^(٣)

١- هنري تراس : موجز دائرة المعارف الإسلامية "فاس" ، مركز الشارقة للإبداع الفكري ١٩٩٨م ٧٦٨٥/٢٥ .

٢- صورة الأرض ص ١٩،٩٠ .

٣- بنو مدرار : أبا القاسم سمغون بن واسول المكناسي الملقب بمدرار كان حداداً من جالية الريض بقرطبة خرج من الأندلس بعد واقعة الريض ونزل بالقرب من مدينة سجلماسة فأنشأ بها خيمة وسكنها فبنى الناس حوله تولى رئاسة البربر =

نشاط في أسواق مدينة فاس^(١) .

وكان طبيعياً أن تتوثق العلاقة بين سجلماسة وفاس من جهة ومن جهة أخرى بين الأمويين في الأندلس بتبادل السلع والمتاجر ، فكانوا يصدرون القمح والسكر والكرم والتمر والفواكه في مقابل الثياب القطنية والثياب الكتانية والحريرية التي اشتهرت بها مدن الأندلس "قرطبة" ، وكثيراً ما آثر بعض التجار والحرفيين الأندلسيين الإقامة بمدن تاهرت وفاس والعمل في أسواقهما بينما كان البعض الآخر يعمل في نقل المتاجر بينهم^(٢) .

التجارة الداخلية :

هى نقل السلع داخل المدينة من الأسواق إلى الفروع ومن مناطق الإنتاج إلى أماكن التوزيع ويذكر أن "أهل عدوة الأندلس .. أكثرهم ينتحل الحراثة والفلاحة وأهل عدوة القرويين .. أكثرهم تجار وسوقه"^(٣) .

معنى هذا أن سكان عدوة القرويين يقومون بالعمل بمهنة التجارة فمنهم التجار الذين يعتمدون على نقل المحاصيل الزراعية بمدينة فاس والتي تعتمد في معظمها على المحاصيل الزراعية بمدينة فاس وخاصة محاصيل الفواكه والأزهار ، أما المحاصيل الرئيسية كالقمح والشعير فيبدوا أنهم يجلبونها من المناطق المجاورة لمدينة فاس كسجلماسة إلى السوق الرئيسي للمدينة بجوار

سنة ١٥٥هـ وتوفى سنة ١٦٧هـ /نظر ابن الخطيب : أعمال الأعلام ١٤٠/٣ ، السلاوى : الاستقصا ١٢٥/١ .

١- الحسن السائح : الحضارة الإسلامية في المغرب ص ١٧٢ .

٢- ابن حوقل : صورة الأرض ص ٩٠ ، الحسن السائح : الحضارة الإسلامية ص ١٧٢ .

وتعتبر سياسة إسقاط المكوس ، والقضاء على المغارم السلطانية قد ساهمت في تنشيط الحركة التجارية وانخفاض الأسعار ، وظهور فترة من الأمن الاقتصادي والرخاء /نظر د. الحبيب الجناحاني : دراسات فى التاريخ الاقتصادى والاجتماعى ، دار الغرب الإسلامى ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٦م ص ٩٦ .

٣- ابن أبى زرع : روض القرطاس ٥٨/١ .

المسجد الجامع^(١) حتى يتم توزيعه على الأسواق الصغيرة داخل المدينة .

التجارة الخارجية :

استطاع المرابطون لأول مرة في تاريخ المغرب توحيد المناطق الساحلية المغربية والأندلسية إلى جانب المناطق الداخلية إلى بلاد السودان مما أثر بقوة في نشاط التجارة المغربية ، فأصبح في الإمكان أن تنتقل القوافل من أقصى السودان إلى أقصى بلاد الأندلس ثم إلى العالم العربي شرقاً والعالم الأوربي شمالاً ونشطت مراكز جديدة في المغرب "فاس - سلجماسة" للتبادل التجاري بين هذه المناطق^(٢) .

وفي العصر الموحدى كانت الأندلس تمد المغرب بالخشب والزرع والمنتجات الصناعية ، كما تبادل المغرب مع تونس وبجاية وقسنطينة ووهران وتلمسان المنتجات والواردات الشرقية^(٣) .

ومدينة فاس تعتبر من أهم المراكز التجارية في بلاد المغرب الأقصى لأنها قرية من وادي سبو الذي تسيل منه القوارب والسفن إلى البحر المتوسط وتطلع منه إلى ملتقى واديها^(٤) .

وتحتوى مدينة فاس على أكثر من ثلاثمائة رحى^(٥) كما تحتوى على نحو عشرين حماماً^(٦) كما حوت مدينة فاس عدداً كبيراً من الحانات التي يتزل بها التجار الغرباء^(٧) .

- ١- ابن حوقل : صورة الأرض ص ٩٠ ، ابن أبي زرع : روض القرطاس ٥١/١ .
- ٢- الحسن السائح : الحضارة الإسلامية في المغرب ، دار الثقافة، الدار البيضاء ، ص ١٩٩ .
- ٣- المرجع السابق ص ٢٤٧، ٢٤٨ .
- ٤- الجزنائي : زهرة الأس ص ٣٣ .
- ٥- البكري : المغرب ص ١١٥، ١١٦ .
- ٦- المصدر السابق ص ١١٦ .
- ٧- ابن حوقل : صورة الأرض ص ٨٩ .

ومدينة فاس كثيرة الخصب والرخاء ، كثيرة البساتين
والمزروعات والفواكه وجميع الثمار^(١) والمياه تجري بأسواقها^(٢) .
وأخيراً ترجع أهمية مدينة فاس كمركز تجارى هام إلى وفرة المحاصيل
الزراعية والصناعات المختلفة ، فقد عرفت بإنتاج عدة أصناف من الفاكهة
أهمها التفاح فى عدوة الأندلسيين ، حسن طيب الطعم يعرف بالإطرابلسي^(٣)
كما اشتهرت بإنتاج التين والزيتون^(٤) ويصف الإدريسي التجارة بها فيقول
"وإليها تقصد القوافل ، ويجلب إلى حاضرتها كل غريب من الثياب
والبضائع والأمتعة"^(٥) .

-
- ١- مجهول : الاستبصار ص ١٨١ .
 - ٢- أبو الفداء : تقويم البلدان ، طبعة باريس ، ١٨٥٠م ص ١٣٢ ، القزويني :
أثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، بيروت ص ١٠٣ ، الحميري :
الروض المعطار ص ٤٣٥ .
 - ٣- القلقشندي : صبح الأعشى ١٥٤/٥ .
 - ٤- المقدسي : أحسن التقاسم فى معرفة الأقاليم ، القاهرة ١٩٣٦م ص ٢٢٩ .
 - ٥- صفة المغرب ص ٧٩ ، الحميري : الروض المعطار ص ٣٤٣

ثانياً : الحياة الاجتماعية لمدينة فاس

تمهيد :

يمثل قيام مدينة فاس في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري اتجاهاً من الناحية الاجتماعية يعتبر جديداً لأنه ذو طابع عربي يقوم على أكتاف غير عربية "البربر" .

اختر البربر برغبتهم الوقوف بجانب آل البيت من منطلق أحقيتهم بالخلافة لأنهم ورثوا كما يرون أسس الحكم الناتج عن نبوة الرسول (ﷺ) ، هذا الاختيار كانت له آثار مهمة في كيان المجتمع والفرد فتحوّلت حياة القبائل البربرية إلى الاستقرار الاجتماعي والبشرى داخل المدن ، بالإضافة إلى حدوث تغييرات واضحة في التقاليد والعادات .

هذا وقد تحتاج المدينة في بداية إنشائها إلى بعض الوقت قد يطول أو يقصر حسب إمكانيات ونشاط المدينة ونموها الذي قد يمكث عدة أجيال حتى تستطيع أن تتجاوز فترتها الأولى وتكون قادرة على استيعاب أى مجموعة بشرية تفد إليها وقد مرت مدينة فاس بهذه المرحلة بسهولة ويسر .

الوضع الاجتماعي لمدينة فاس

اتسم الوضع الاجتماعي بمدينة فاس بعدوتها عدوة الأندلس وعدوة القرويين بعدم الاستقرار لفترات بسيطة في القرن الرابع الهجري مما أدى إلى الاستقرار والأمن وانصراف الناس إلى مزاولة أعمالهم فأدى ذلك إلى العمران والنمو والازدهار مما شجع كثيراً من بطون القبائل والوافدين إلى الرحيل إليها والإقامة بها . ولعل إرساء الحكم على أسس قوية ومتمينة شجع كثيراً من هؤلاء وغيرهم على الاستيطان في المدينة و"استقامة الأمر لإدريس بن إدريس في المغرب الأقصى وتوطد ملكه وعظم سلطانه وقوة عسكره جعل وفود الناس إليه من سائر البلدان"^(١) . وإلى جانب القبائل البربرية من زناتة وأوربة وصنهاجة وغمارة فقد وفد نحو من خمسمائة فارس من إفريقية والأندلس وهم من العرب وأغلبهم من القيسيين والأزد والخزرج ومدلج وبنى يحصب وقد سر بهم الإمام إدريس الثاني لوفادتهم عليه ونزولهم إلى بلاده فأجزل لهم وقربهم منه وجعلهم بطانته واستوزر منهم^(٢) . ولم تنزل الوفود تقدم عليه من العرب والبربر من جميع الأماكن وفي الوقت الذي كان فيه إدريس يوثق صلته بالعرب ويقربهم من نفسه كان من الطبيعي أن تفتت علاقته بزعماء البربر الذين أخذوا يفقدون بعض ما كان لهم من سلطان شيئاً فشيئاً لذلك نجد زعيم قبيلة^(٣) أوربة إسحاق بن محمد يتصل

١- الجزنائي : زهرة الأس ص ١٣ .

٢- ابن خلدون : العبر ٢٦/٤ . الجزنائي : زهرة الأس ص ١٣ .

٣- القبيلة : هي جماعة من الناس ينتمون إلى أصل مشترك تجمعهم وحدة الجماعة وترابطهم رابطة العصبية للأهل والعشيرة ورابطة الدم التي تقوم أساساً على النسب وتعتبر القبيلة دولة صغيرة لها مقومات الدولة باستثناء الأرض التي تحدد منطقة-

بوالى إفريقيا العباسى "إبراهيم بن الأغلب" فكان جزاؤه القتل بأمر الإمام^(١).

ازدهار العمران

نزل الإمام إدريس بعدوة الأندلس وضرب قبابه بالموضع المعروف بجرواوة^(٢) وأحاطه بسياج من الخشب والقصب^(٣) وابتدأ البناء بسور من جهة القبلة وفتح باباً سماه باب القبلة^(٤) وتلاه بباب آخر بين الفوارة وزيتون ابن عطية سماه باب الفوارة^(٥) الذى يؤدى إلى مدينة سحلماسة ثم مر بالسور على منطقة المخفية فإلى الوادى الكبير وفتح باباً هناك سماه باب المخفية^(٦) ثم سار بالسور إلى الشيبوبة ففتح باب الشيبوية^(٧) وتابع بناء السور فترك فى منطقة رأس حجر الفرع باب أبى سفيان^(٨) ومنه كان طريق إلى منطقة الريف فى الشمال وفى جرواوة فتح باب الكنيسة^(٩) إلى جهة الشرق وعرف فيما بعد بباب الخوخة^(١٠).

نفوذها ، وتضم القبيلة طبقات اجتماعية متعددة كالعلماء والتجار والزراع والصناع والرعاة ، والبربر والعرب أشبه ما يكون بعضهم إلى بعض فى معظم النواحي الاجتماعية *انظر* د. عبد العزيز سالم : التاريخ السياسى والحضارى ، بيروت ص ٩٠ ، محمد عابد الجابرى : العصبية والدولة ، الدار البيضاء ١٩٧١م ص ٢٥٣، ٢٥٤ .

- ١- البكرى : المغرب ص ١٢٣ . ابن عذارى : البيان ١/٢١٠ .
- ٢- ابن أبى زرع : روض القرطاس ١/٥١ . الجزنائى : زهرة الأس ص ١٩ ، السلوى : الاستقصا ١/١٦٦ "جرواوة" .
- ٣- الجزنائى : زهرة الأس ص ١٩ .
- ٤- المصدر السابق ص ٢٤ .
- ٥- ابن القاضى : جذوة الاقتباس ١/٣٤ .
- ٦- الجزنائى : زهرة الأس ص ٢٤ ، ابن أبى زرع : روض القرطاس ١/٥٣ لم يسم الباب .
- ٧- الجزنائى : زهرة الأس ص ٢٤ .
- ٨- الجزنائى : زهرة الأس ص ٢٢ ، ويعرف بباب بوجيدة .
- ٩- ابن أبى زرع : روض القرطاس ١/٥٣ .
- ١٠- الجزنائى : زهرة الأس ص ٢٤ .

خصص الإمام المكان الواقع خارج باب الكنيسة لإقامة المرضى حيث الهواء الغربي الذي يهب كثيراً على المنطقة يحمل روائحهم بعيداً فلا يصل إلى سكان المدينة شئ من ذلك وليكون تصريف الماء الناجم عن غسلهم خارج البلد^(١) وقد استمر الإمام ببناء السور حتى وصل إلى باب القبلة .

وبعد أن أتم بناء السور انصرف لبناء الجامع فأقامه قرب رحبة البير وسماه "جامع الأشياخ"^(٢) وأقام به الخطبة^(٣) .

استمر الإمام إدريس مقيماً بجرواوة واستقبل فيها الوافدين العرب الذين شرعوا بالبناء في كافة الاتجاهات من ناحية الكدان ومصمودة إلى الغورة وحارة الكنيف والرميلة^(٤) .

أما عدوة القرويين فقد شهدت أيضاً ازدهاراً اجتماعياً ملموساً ساعد في توطئهم مجموعات كبيرة من الوافدين عليها فقد شرع الإمام إدريس في التزول والإقامة بمنطقة المقرمدة^(٥) وبدأ بناء الجامع "جامع الشرفا" وأقام به الخطبة ثم بنى داره المعروفة "بدار القيطون"^(٦) بجانب المسجد وتبع ذلك بناء القسارية على محاذة المسجد^(٧) كما أدار الأسواق حوله من كل جانب^(٨) ثم قام ببناء سور المدينة الجديدة وبدأ به من رأس عقبة عين علوان حيث ترك

١- البكري : المغرب ص ١١٦ . ابن أبي زرع : روض القرطاس ٥٣/١ .

٢- الجزنائي : زهرة الأس ص ٢٥ .

٣- ابن القاضي : جذوة الاقتباس ٣٢/١ .

٤- ابن أبي زرع : روض القرطاس ٦٠/١ . ابن القاضي : جذوة الاقتباس ٣٨/١ .

٥- الجزنائي : زهرة الأس ص ٢٥ . السلوى : الاستقصا ١٦٦/١ .

٦- الجزنائي : زهرة الأس ص ٢٥ .

٧- ابن أبي زرع : روض القرطاس ٥١/١ .

٨- الاستقصا ١٦٦/١ .

هناك باباً سماه باب إفريقية فكان أول باب بالمدينة^(١) ثم فتح باباً آخر في عقبة السعتر سماه باب حصن سعدون^(٢) وفي منطقة أول إغلان فتح باب الفرس^(٣) وفي مكان الوادى الكبير الفاصل بين العدوتين فتح باب الفضيل وهو الباب الذى يؤدى إلى العدو الأولى^(٤) وبعد أن جاز الوادى خمس مسافات فتح باب الفرغ^(٥) ثم جاز النهر عائداً إلى العدو وعلى مقربة من عيون ابن اللصاد فتح باب الحديد ثم سار بالسور حتى وصل باب إفريقية فجاءت العدو متوسطة كثيرة الأنهار والعيون والبساتين لها ستة أبواب^(٦) .

وهكذا جاءت المدينة مؤلفة من منطقتين حصينتين مسورتين منيعة مرتفعة يفصل بينهما نهرسبو الذى يدخل عدوة القرويين من ناحية باب الحديد ويخرج منها من موضع الرميطة بواسطة بايين كبيرين على شكل شبابيك من خشب الأرز مزودة بسلاسل حديدية^(٧) .

وعندما فرغ الإمام من بناء المدينة أنزل القبائل كل قبيلة بناحية فتزل العرب القيسية فى عدوة القرويين من باب إفريقية إلى باب الحديد ونزل الأزد على حدهم إلى ناحية باب الحديد واليحصيون والفرس على حدهم إلى ناحية باب إفريقية^(٨) ووفدت على مدينة فاس جماعة من اليهود رغبت فى

-
- ١- ابن أبى زرع : روض القرطاس ٥٢/١ ، الجزنائى : زهرة الأس ص ٢٥ .
 - ٢- الجزنائى : زهرة الأس ص ٢٥ ويسميه باب القوس ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ٧٣/١ .
 - ٣- ابن أبى زرع : روض القرطاس ٥٢/١ ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ٣٧/١ .
 - ٤- الجزنائى : زهرة الأس ص ٢٥ .
 - ٥- ابن أبى زرع : روض القرطاس ٥٢/١ ، الجزنائى : زهرة الأس ص ٢٥ .
 - ٦- ابن أبى زرع : روض القرطاس ٥٣/١ .
 - ٧- المصدر السابق ٥٥/١ .
 - ٨- المصدر السابق ٦١/١ .

الإقامة بالمدينة الجديدة فأنزلهم الإمام إدريس ناحية أغلان إلى باب حصن سعدون^(١) .

وفي عدوة الأندلس فبالإضافة إلى الأندلسيين الذين أنزلهم الإمام في الأماكن التي أعدها لهم^(٢) فقد نزلت بها قبائل البربر من صنهاجة ولواتة ومصمودة كل قبيلة في المكان المخصص لها^(٣) وقصد المدينة الناس من أنحاء المغرب للاستقرار بها وأمر الإمام القاطنين في المدينة بزيادة البناء وباستغلال الأرض فغرسوا جانبي الوادي من منبعه بفحص سايس إلى مصبه في نهر سبو بأنواع الأشجار المختلفة كالكرم والزيتون^(٤) .

وبعد التقسيم الاجتماعي للمدينة فقد اختار الإمام عدوة القرويين للإقامة بها مع حاشيته ومواليه وكذلك أصحاب الحرف من الصناعات والتجار^(٥) وأنزل جيشه بعدوة الأندلسيين وجعل بها مواشيه من الخيل والبقر والإبل والغنم وكلف ثقاته بالإشراف عليها^(٦) .

وضع الإمام إدريس الثاني أسس التنظيم الاجتماعي لمدينة فاس بهذه الطريقة مما أدى إلى ازدهار العمران في عهد الإمام يحيى بن محمد بن إدريس فبنيت فيها الحمامات والفنادق للتجار وبنيت الأرباض وأسست أم البنين فاطمة بنت محمد الفهري المسجد الجامع بعدوة القرويين^(٧) .

١- ابن القاضى : جذوة الاقتباس ٣٩/١ .

٢- السلاوى : الاستقصا ١٦٧/١ .

٣- ابن أبى زرع : روض القرطاس ٦١/١ .

٤- ابن القاضى : جذوة الاقتباس ٣٨/١ .

٥- المصدر السابق : ٣٩/١ .

٦- المصدر السابق .

٧- السلاوى : الاستقصا ١٥٩/١ .

ويلقى بعض الجغرافيين ضوءاً مفيداً على الحياة الاجتماعية في مدينة فاس فيصفها اليعقوبي أنها كثيرة العمارة والمنازل^(١) ويشير ابن حوقل إلى الفتن الدائمة والقتل الذريع المتصل بين أهل العدوتين^(٢) ولعل هذه الفتن وقعت في مدينة فاس نتيجة تدخل أجنبي كان له مصلحة في استعداد الطرفين ضد بعض كالفاطميين والأمويين بالأندلس الذين تبادلوا السيطرة على مدينة فاس وما ينتج عن هذا الصراع من قتل للأفراد وهدم للمنشآت والأسوار أضف إلى هذا قبيلة زناتة وخاصة "مغراوة وبنى يفرن" والصراع الدائر بينهما على السيطرة على الرياسة والسلطان بالمغرب "فكان يدو بن يعلى اليفرني إذا تغلب على زيروى بن عطية المغراوى دخل مدينة فاس واستولى عليها . وإذا تغلب عليه زيروى أخرجه عنها وملكها وكانت الحرب بينهما سجلاً ، سئمت الرعية بفاس كثرة تعاقبهم عليها ، وعندما سافر زيروى بن عطية إلى الأندلس انتهز يدو بن يعلى الفرصة في غيبته فزحف إلى فاس ودخل منها عدوة الأندلس بالسيف في ذى القعدة سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة وقتل بها خلقاً كثيراً من مغراوة ، فلما نزل زيروى بن عطية بطنجة وصل إليه خبر يدو بن يعلى واستيلائه على فاس ... فكانت بينهما حرب شديدة هلك فيها خلق كثير من القبيلتين مغراوة وبنى يفرن"^(٣) .

بعد انتهاء القرن الثالث الهجرى وضعف حال مدينة فاس مما شجع كثيراً من الطامعين فيها فعدم وجود إدارة قوية تسيطر على مقاليد الأمور بمدينة فاس والمغرب جعل حالة عدم الاستقرار وقلّة الأمن إلى عدم الاهتمام بتطوير المدينة وقلّة في نموها وزيادتها وهذا أكبر دليل على هذا الوضع

١- البلدان ص ٣٥٧ .

٢- صورة الأرض ص ٩٠ .

٣- السلاوى : اللاسقصا ١/١٩٤، ١٩٥ .

ففى نهاية القرن الرابع الهجرى كان هذا الحال الذى يعبر عنه هذا النص فعدم استقرار المدينة تحت راية واحدة لمدة طويلة يجعل من الصعب وجود تنمية وبناء فى ظل ولاية مدة حكمهم قصيرة وحتى إذا تمتع هذا الحاكم بصفات قوية ومؤثرة ولكن الفيصل هنا هو مدة السيطرة التى تتمتع بها المدينة لكن الانتماءات المتعددة والعلوات الدائمة بين القبائل التى جعلت مدينة فاس وأهلها يسأمون الحرب والقائمين عليها .

قبل عصر المرابطين وبعد القضاء على بنى يفرن من قبل حمامة بن المعز بن عطية سنة ٤٢٩هـ وحماية ابنه دوناس لها "وفى أيامه عظمت فاس وعمرت وكثرت أرباضها وقصدها الناس والتجار من جميع السواحي فأدار دوناس السور على أرباضها بالبناء والتشييد حتى وفاته سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة" (١) .

ومن الجدير بالذكر أن الاستقرار السياسى يصاحبه أمن وأمان على النفس والأموال مما يساعد على :-

- ١- جذب وفود جديدة إلى المدينة مما يثرى المجتمع داخل المدينة .
- ٢- توسع فى المرافق والمنشآت التى تخدم المدينة .
- ٣- إضافة للعادات والتقاليد والتبادل الثقافى والاجتماعى والتجارى .
- ٤- النماء الاقتصادى الذى يصاحبه تنشيط اجتماعى يعود بالفائدة على سكان المدينة .

مجتمع مدينة فاس

تمهيد: -

بدأت الحياة الاجتماعية بمدينة فاس منذ تأسيسها فاتخذت في بداية أمرها كمقر رئيسي ودائم للمسلمين حينت تتوجه منها الحملات لبسط السيادة الإسلامية على المناطق المجاورة ، ولنشر تعاليم الإسلام السامية التي تدعو إلى إقامة مجتمع جديد قوى الصلة بالله تعالى ، قائم على الحرية والمساواة والتعاون بين أفرادهِ ونرى هذا واضحاً عندما استقام الأمر لإدريس ابن عبد الله "فاستقام أمره بالمغرب وأخذ جيشاً عظيماً من وجوه زناتة وأوربة وصنهاجة وهوارة وغيرهم ، فخرج لهم غازياً إلى بلاد تامسنا ثم سار إلى بلاد تادلا ففتح معاقلها وحصونها وكان أكثر هذه البلاد على دين النصرانية ودين اليهودية والإسلام بها قليل"^(١) .

فالإسلام بهذه المناطق قليل ولعل بعض هؤلاء اليهود والنصارى والمجوس قد هاجر إلى مدينة فاس واستوطنوها ولم تؤكد المصادر وجود أصحاب هذه المعتقدات بطريقة مباشرة ، فقد جاء أن هناك قوماً من قبيلة زواغة يعرفون ببني الخير وقوم من قبيلة زناتة يعرفون ببني يرعش ، كانوا يدينون بالمجوسية وبعضهم باليهودية وبعضهم بالنصرانية يستوطنون المناطق القريبة من مدينة فاس وقد نزل بنو الخير في عدوة القرويين وبنو يرعش في عدوة الأندلسيين مما يؤكد أنهم كانوا على خلاف دائم لتباين أديانهم واختلاف نزعاتهم"^(٢) .

١- ابن زرع : روض القرطاس ١٩/١ : ٢١ .

٢- د. عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب الكبير ٤٩٠/٢ .

عناصر المجتمع في مدينة فاس

يتكون مجتمع مدينة فاس من عدة عناصر البربر والعرب واليهود والنصارى :

أولاً : البربر :

هم الغالبية العظمى التي يتكون منها سكان مدينة فاس^(١) وكان لعدة قبائل بربرية دور كبير في إنشاء المدينة مثل أوربة^(٢)

١- البربر : تطلق على جماعات مختلفة في خصائصها ولا علاقة لها بلون البشرة ، وقد أطلقها أهل اليونان على كل من لا يتكلم الإغريقية وانتقلت إلى الرومان ثم أخذها العرب عنهم وعلى هذا فالتسمية بالبربر لا علاقة لها بالجنس وإنما علاقتها باللغة *انظر* د. حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، مصر ١٩٨٠م ص ٢٣ . د. أحمد شلبي : موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية ، القاهرة ١٩٧٩م ٤/١٢١ .

ينقسم البربر إلى قسمين برانس "حضر" ، بتر "وبر" : البرانس : تتكون من عشرة قبائل هي صنهاجة وأوربة وعجيسة ومصمودة وكاتامة وأوريغة وازداجة ولمطة وهكسورة وجزولة ويسكنون المناطق الخصبة في المناطق الشمالية .

البتر : تتكون من أربعة قبائل رئيسية هي أداسة ونفوسة وضريسة وبنو لوا الأكبر ويسكنون في السهول المرتفعة والمنخفضة وعلى الهضاب التي تمتد من طرابلس إلى السوس الأقصى كما ينتشرون على سفوح جبال أوراس *انظر* ابن حوقل : صورة الأرض ص ٩٩ : ١٠١ ، ابن خلدون : العبر ٦/١٩٣ : ٢٠٤ .

٢- قبيلة أوربة : من البربر البرانس كانت تسكن منطقة جبال الأرواس ونواحي تلمسان ثم نزلت صوب المغرب الأقصى حيث استطاعت أن تقيم في مدينة ويلي وما حولها فإرضة سلطانها السياسي على من جاورها من القبائل استقبلت مؤسس مدينة فاس إدريس بن عبد الله ومولاه راشد وأيدته وساعدت في العمل على نشر دعوته ولم يكتف زعيم قبيلة أوربة "إسحاق بن محمد بن عبد المجيد الأوربي" بل دعا قبيلته لمبايعة الإمام إدريس فقالوا الحمد لله الذي أتانا به وشرفنا بجواره فهو سيدنا ونحن عبده نموت بين يديه كما وجه دعوة إلى القبائل الأخرى المجاورة للانضمام إليه . فمن الشمال قبيلة غمارة ومن الجنوب قبيلة لمطة ومن الشرق قبيلة مغيرة بالإضافة إلى هذه الوفود جاء ت أخرى من زناتة وصنهاجة وهوارة ومكناسة وزواغة وزواوة وسدراته وغياثه ومعظم البربر بالمغرب الأقصى *انظر* ابن حوقل : صورة الأرض ص ٩٩ : ١٠١ ، ابن خلدون : العبر ٦/١٩٣ : ٢٠٤ ، السلاوي : الاستقصا ١/١٣٨ : ١٤١ .

وصنهاجة^(١) وقبيلة زناتة^(٢) ومصمودة^(٣) هذا بالإضافة إلى أنهم قاموا بالسيطرة على مقاليد الأمور وحكم مدينة فاس لفترات متقطعة في البداية بعدما ضعف حكم الأدارسة وانتهى في نهاية القرن الثالث الهجري واستقر الأمر بالنسبة للبربر في حكم مدينة فاس من منتصف القرن الرابع الهجري مروراً بالزناتيين والمرابطين "لمتونة" والموحدين "مصمودة".

وقد خصص الإمام إدريس الثاني عدوة الأندلس لتسكين وإقامة قبائل البربر التي أيدته ودخلت في طاعته "ولما فرغ الإمام إدريس رضى الله عنه من بناء المدينة وأدار السور على جميعها ورتب الأبواب وأنزل القبائل كل قبيلة بناحية .. ونزلت صنهاجة ولواتة ومصمودة

١- قبيلة صنهاجة : هم شعب كبير تزيد قبائله على السبعين ولا يكاد يخلو منها جبل ولا سهل وقبائل صنهاجة منها التي لا تزال تحمل اسمها الأصلي معرباً ومبربراً "صنهاجة أو زناكة" ومنها التي صارت تحمل أسماء فرعية مثل بجاية وبقوية وبنى زروال وجزولة ومليانة وهسكورة أما التي تحمل الاسم الأصلي بالمغرب الأقصى فتوجد بالأقاليم الشمالية وهي منقسمة إلى ثلاث قبائل كبيرة ١- صنهاجة مصباح المشتملة على عمارتين كبيرتين "صنهاجة الظل ، صنهاجة الشمس" وهي تابعة لقيادة بنى وليد بإقليم فاس . ٢- صنهاجة غدو وهي تابعة لقيادة كهف الغار بإقليم تازة ٣- صنهاجة السراير المشتملة على عمائر كتامة ، بنى سدات ، بنى خنوس ، الزرقات ، تاغزوت ، بنى أحمد ، بنى بشير وهي موجودة بإقليم الحسيمة للمزيد انظر عبد الوهاب بن منصور : قبائل المغرب ، الرباط ١٩٦٨م ٣٢٨/١ ، السلاوى : الاستقصا ٥٨/١ .

٢- قبيلة زناتة : تضم قبائل كثيرة منتشرة بأقطار المغرب العربي مثل مغراوة وبنى يفرن وبنى واسين ، وجرأوة ، وبنى ورنيد ، ووركلة ، وبنى يفتت كانت مواطنهم الأصلية تمتد من جبال طرابلس إلى السوس الأقصى إلا أن أكثرهم كان بالمغرب الأوسط حتى سمي وطن زناتة بسبب ذلك ، سادت منهم أسر عديدة بمناطق مختلفة كبنى خزر أمراء تلمسان وبنى يفرن أمراء سلا ، ومغراوة أمراء مدينة فاس وبنى حزرورن، ملوك سجلماسة ، وبنى عبد الواد سلاطين تلمسان وبنى مريين سلاطين فاس انظر ابن خلدون : العبر ١٩٠/٦ ، السلاوى : الاستقصا ٦٣:٥٣/١ .

٣- قبيلة مصمودة : وموطنهم في المغرب الأقصى ومنهم أهل جبل درن القائمون بدعوة محمد بن تومرت مهدي الموحدين يحتلون المسافة من سبتة إلى طنجة كان منهم يليان النصراني صاحب سبتة وطنجة في عهد عقبة بن نافع للمغرب ومن بطونها قبيلة برغواطة وغمارة انظر ابن خلدون : العبر ٢٠١/٦ ، ٢٠٦ ، ٢١١ ، السلاوى : الاستقصا ٥٨/١ .

كل قبيلة بناحيثها"^(١) بالإضافة إلى "القبائل من زناتة ولواتة ومغيلة وجراوة وأوربة وهوراة وغيرهم ، واقتطعوا الجهات ، فترلت كل قبيلة جهة مثل حارة لواتة وحارة الربط وأعلان الطريانة وحارة ابن أبي برقوقة وحارة ابن عامر ومجز الأحمر"^(٢) .

تركزت القبائل البربرية في عدوة الأندلس ووجود أماكن "حارات" بأسمائهم يدل على أنهم موجودون من بداية نشأتها وبعد أن زادت قبائل البربر بعدوة الأندلس بُنى بها عدة حمامات تدل أسمائها على أنها أسماء بربرية "وبنى بعدوة الأندلس حمام جرواوة وحمام الكدان ، وحمام الشليخان ، وحمام الجزيرة"^(٣) .

ثانياً : العرب :

وهم العنصر الثاني في مدينة فاس بعد البربر ، وقد جاء العرب إلى بلاد المغرب في عهد عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضى الله عنهما وذلك لنشر الدين الإسلامى ، فبعد الانتهاء من فتح مصر سنة ٢٢هـ استمر هذا الفتح يسير من بلد إلى آخر حتى تم فتح بلاد المغرب على يد موسى بن نصير^(٤) سنة ٩٢هـ ونشر الإسلام واللغة العربية مع هذا الفتح استقر عدد من الأسر العربية في أنحاء المغرب وقد قدر عدد العرب الذين استبقوا في المغرب بين البربر منذ الفتح وحتى إتمامه بحوالى ربع مليون^(٥) .

١- ابن أبي زرع : روض القرطاس ٦٣/١ .

٢- المصدر السابق .

٣- المصدر السابق ٦٤/١ .

٤- موسى بن نصير : تولى عدة مناصب بالمشرق لعبد الملك بن مروان ، اتهم فى أموال البصرة ونجا من القتل بعد أن تدخل أخو الخليفة عبد العزيز بن مروان الذى ولاه إفريقيًا سنة ٨٦هـ عزل عنها سنة ٩٦هـ /نظر . ابن عذارى : البيان ٦٣٩/١ .
الباجى : الخلاصة النقية ص ١٢، ١١ .

٥- باذل دافدس : إفريقيًا تحت أضواء جديدة ، دار الثقافة ، مصر ص ٢٠ .

فما كاد ينتهي القرن الأول الهجري حتى ضمت بلاد المغرب إلى الدولة الإسلامية ، وقد قام العرب بدور هام ومؤثر في نشر الإسلام واللغة العربية بصورة صحيحة حتى إذا انحرف أى مسئول كان يجد مقاومة وتصد له هذا يدل على انتشار الإسلام بصورة جيدة ونجد هذا واضحاً عندما اندلعت ثورة سنة ١٢٢هـ بقيادة ميسرة المطغرى^(١) . والثورة تعتبر عمل اجتماعي رافض لأوضاع سيئة وأصحاب هذه الثورة يدركون ما يفعلون ويريدون تصحيح الأوضاع ووضعها في مكانها الصحيح كما تعلموها هذا من ناحية ومن ناحية أخرى نبهت العرب إلى أهمية بلاد المغرب وأن العرب الموجودين بها أصحاب شأن وتأثير بالغ ولهذا عندما وقع اضطهاد العلويين من جانب العباسيين لجأ أحد العلويين "إدريس بن عبد الله" إلى بلاد المغرب البعيدة عن مقر الخلافة العباسية في بغداد^(٢) .

عمل إدريس بن إدريس (١٧٥-٢١٣هـ) على جذب العرب إلى مدينة فاس فوفدت عليه الوفود العربية من كل مكان ، فقد قصد مدينة فاس كثير من العرب سواء من القيروان أو من الأندلس فأكرمهم وجذب القادة منهم إليه وكان إحساسه بالغربة بين قبائل البربر جعلته يسعد بالوفود العربية ففي سنة ١٨٩هـ وفد عليه من عرب إفريقيا والأندلس مسرعين إليه ملتفتين حوله حتى بلغ عددهم حوالي خمسمائة فارس من عدة قبائل عربية مختلفة

١- السلاوي : الاستقصا ٩٦، ٩٧ . ميسرة المطغرى من البربر الخوارج قام بثورة ضد العرب سنة ١٢٢هـ قتل في نفس السنة على يد أصحابه لخلاف بينهما انظر ابن عذاري : البيان ٥٢/١ ، ٥٣ .

٢- البكري : المغرب ص ١١٨ . ابن عذاري : البيان ٢١٠/١ . بغداد : بوسط العراق بناها أبو جعفر المنصور على نهر دجلة سنة ١٤٥هـ انظر الحميري : الروض المعطار ص ١٠٩ ، ١١٠ .

وُسِر إدريس بقدمهم إليه وقربهم منه وأحسن مقامهم^(١) .
هذا إلى جانب وصول وفد من القيروان سنة ٢١٠هـ يقدر
بحوالي ثلاثمائة أهل بيت فاحتفل بهم إدريس الثاني فأسكنهم في أحد جزئي
المدينة باسم القرويين تكريماً لهم^(٢) كما جاء عرب آخرون من سوء المعاملة
في الأندلس سنة ٢٠٢هـ وكانوا جمعاً غفيراً يقدر بحوالي أربعة آلاف
أهل بيت^(٣) فاستقبلهم إدريس الثاني وسعد بهم وأعطاهم الجزء الثاني
في المدينة وأطلق عليها اسم الأندلسيين احتفاءً بهم وحباً لهم وغمرت العدة
بالسكان بفضل هؤلاء الوافدين وتمدينت بهم^(٤) .

ثالثاً : اليهود :

دخلت الأفكار اليهودية إلى بلاد المغرب على يد يهود اليمن
والمهاجرين الشوام خوفاً من الاضطهاد الروماني^(٥) .
سكن يهود اليمن في العادة في الجبال وسكن يهود الشام جزيرة جربة
حيث توجد بقاياهم إلى الآن^(٦) كما استقروا في مدينة جادوا^(٧) كما
وجدوا أيضاً في مدينة أغمات حيث كان لهم نشاط كبير في التجارة الخارجية

١- ابن أبي زرع : روض القرطاس ٣٥/١ ، العرب من قبائل قيس والأزد ومذحج
ويحصب والصدف اتخذ له وزيراً من قيس كان رجلاً صالحاً ورعاً فقيهاً سمع عن
مالك وسفيان الثوري "عمير بن مصعب الأزدي" ، كما اتخذ قاضياً "عامر بن سعيد
القيسي" ، واتخذ كاتباً "أبو الحسن عبد الله بن مالك الخزرجي" انظر
ابن القاضي : جذوة الاقتباس ٢٧/١ : ٢٩ ، السلاوي : الاستقصا ١٤٨/١ : ١٥١ .

٢- السلاوي : الاستقصا ١٥١/١ .

٣- الجزنائي : زهرة الأس ص ١٣ .

٤- ابن أبي زرع : روض القرطاس ٦٣/١ .

٥- د. سعد زغلول : تاريخ المغرب العربي ١١٦/١ .

٦- الكعك : البربر ، الطبعة الثانية ، تونس ص ٥٠ .

٧- البكري : المغرب ص ٩ ، جادوا من مدن جبل نقوسه .

والداخلية^(١) كما انتشروا في مدينة القيروان وكان لهم سوق خاص بهم^(٢) .

وفي مدينة فاس فقد سمح الإمام إدريس الثاني لليهود بالإقامة والبناء في الجزء الشمالى من عدوة القرويين وبلغت نسبة الضريبة التي كانت تحصل منهم سنوياً تقدر بحوالى ثلاثين ألف دينار^(٣) .

كان نشاط اليهود مركزاً في بلاد المغرب بمدينة فاس التي تعتبر مقراً رئيسياً لليهود ينتشرون منها إلى معظم البلدان المجاورة ويذكر البكرى أن مدينة فاس أكثر بلاد المغرب سكاناً باليهود ينتشرون منها إلى جميع الآفاق^(٤) . وفي عهد حكم قبيلة زناتة على مدينة فاس استطاعت التخلص من حوالى ستة آلاف يهودى فيذكر ابن زرع عندما سيطر تميم بن زيرى الزناتى على مدينة فاس "وذلك في شهر جمادى الآخرة سنة أربع وعشرين وأربعمائة فأوقع فيها اليهود ، وقتل منهم خلقاً كثيراً يزيد على الستة آلاف يهودى ، وأخذ أموالهم وسبى نسائهم"^(٥) .

في عصر الخليفة على بن يوسف بن تاشفين وعندما أراد توسيع جامع القرويين أمر بشراء الأملاك التي كانت بقبلة الجامع فاشترها بأحسن شراء كانت أكثرها لليهود^(٦) .

١- الحميرى : الروض المعطار ص ٤٦،٣٧ .

٢- الرقيق : تاريخ إفريقيا والمغرب ص ١٩٨ .

٣- ابن أبى زرع : روض القرطاس ٦٢/١ .

٤- المغرب ص ١١٥ .

٥- روض القرطاس ١٧١/١ ، السلاوى : الاستقصا ٢٠٢/١ .

٦- الجزنائى : زهرة الأس ص ٥٧ ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ٦٦/١ .

وقد نعم اليهود في المغرب الأقصى بأزمة سعيدة في ظل الأدارسة حتى عهد المرابطين^(١) .

رابعاً : النصراني :

انتشر النصراني في معظم بلاد المغرب وخاصة في المدن الساحلية حيث كانوا يشتغلون بتجارة الزيتون^(٢) وقد اشتهرت مدينة تطوان بأنها كانت عامرة بالنصارى قبل دخول الإسلام إليها^(٣) .

وفي مدينة فاس توجد بعض الإشارات التي تدل على وجودهم بإطلاق اسم "الكنيسة" على أحد أبواب مدينة فاس "عدوة الأندلس" فسر أو دل على وجود الراهب المسيحي الذي تنبأ لإدريس بنبوذة خاصة به^(٤) .

-
- ١- فيليب فارغ ، يوسف كريباج : المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي والعربي والتركي ، سينا للنشر ، ١٩٩٤م ص ٦٨ .
 - ٢- أبو العرب : طبقات علماء إفريقيا ص ١٣١ .
 - ٣- المصدر السابق ص ٩٩، ١١٤ .
 - ٤- بروفنسال : الإسلام في المغرب والأندلس ص ٤٦ .
- النبوذة هي "أن حاكماً اسمه إدريس سوف يقيم المدينة التي كانت مهذمة منذ زمن طويل وكانت قائمة في نفس المكان من قبل أن يطلق عليها ساف" .

(مناطق الخدمات) الحمامات والفنادق والاستشفاء :

لقد حظيت فاس كمدينة رئيسية بالمغرب الأقصى بالحمامات والفنادق هذا يدل على التغلب على مشكلة وصول المياه بصفة دائمة إلى المناطق المتعددة ، منها تزود الفنادق بالمياه اللازمة ، وأيضاً المناطق التي لا تصل إليها المياه بسهولة ساعد على هذا وجود نهر دائم يشق المدينة نصفين كانت النتيجة أن بنيت بها الحمامات والفنادق المتعددة والمنتشرة في كل أرجاء المدينة "ففى عهد زناتة بنى بعدوة القرويين حمام فرقف وحمام الأمين وحمام الرشاشة وحمام الرباض ، وبنى بعدوة الأندلس حمام جرواوة وحمام الكدان وحمام الشليخان وحمام الجزيرة"^(١) .

وبعد أن اتحدت المدينة في عصر المرابطين والموحدين زاد عدد الحمامات إلى ثلاثة وتسعين والفنادق حوالى أربعمئة وسبعة وستين^(٢) .

الحمامات :

يوجد بمدينة فاس في عصر المرابطين والموحدين حوالى ثلاثة وتسعين حماماً بعضها صغير وبعضها كبير ومعظمها على شكل واحد وهو عبارة عن ثلاث حجرات أو ثلاث قاعات وفي خارج هذه القاعات غرفة صغيرة مرتفعة يصعد إليها بخمس أو بست درجات حيث يخلع الناس ملابسهم ثم يتوجه للاستحمام بالماء الساخن جداً حيث وجود صهاريج لتبريد الماء ويقوم الخدم بغسل الجسم وتنظيفه ، ولكل مستحم الحق في دلوين من الماء الساخن ومن

١- ابن زرع : روض القرطاس ٦٤/١ .

٢- الجزنائي : زهرة الأس ص ٣٢ .

أراد المزيد دفع للخادم مقابل الزيادة ويعطى صاحب الحمام مقابل اثنين فقط^(١) .

الفنادق :

في الغالب تتكون الفنادق بمدينة فاس من ثلاث طبقات منها ما يشتمل على مائة وعشرين غرفة أو أكثر ، بكل فندق صهريج وميضاة ببالوعاتهما لاستفراغ القاذورات وتفتح كل أبواب الغرف على ممر وقد بلغ عدد هذه الفنادق حوالي أربعمائة واثنين وسبعين بها حوالي مائتين بنياها متقن بعضها فسيح كالتى تقع بجوار الجامع الكبير "الأندلس" ويستخدم هذه الفنادق التجار والمسافرون والغرباء ومعظم الرجال الأرامل ومن أهل المدينة الذين لا نزل لهم ولا أهل ، والغرفة قد يسكنها واحد و اثنين والخدمة بهذه الفنادق سيئة لخلوها من الأسرة والفرش فصاحب الفندق يقدم للتزيل غطاء وحصيماً ينام عليه أما الطعام فعليه أن يشتريه ويقدمه للطبخ بنفسه هذه النوعية من الفنادق تعتبر سكناً كريهاً ، أما الفنادق القريبة من المساجد فيسكنها تجار من درجة سامية^(٢) .

المساجد :

هى بيوت الله ومواضع الذكر والعبادة ولا يجتمع فيها للمغامر ولا للخصومات ولا لشيء من أعمال الدنيا والمساجد بمدينة فاس معظمها صغير باستثناء جامع القرويين وجامع الأندلسيين وجامع طريانه الذى نزل به

١- ابن أبى زرع : روض القرطاس ٦٥/١ ، الحسن الوزان : وصف إفريقيا ٢٢٩/١ .

٢- ابن أبى زرع : روض القرطاس ٦٥/١ ، الحسن الوزان : وصف إفريقيا ٢٣١/١ : ٢٣٣ .

المهدى بن تومرت لأن هذا الجامع كان فى صومعته بيته للسكن وإلقاء الدروس^(١) .

وقد بلغ عدد مساجد مدينة فاس فى عهد الناصر الموحدى حوالى سبعمائة واثنين وثمانين مسجداً جزءاً من هذه المساجد حسن البناء بما أعمدة من رخام والحجر وخشب منقوش بدقة وسقوف من الألواح والأرض مفروشة بالزليج والحصر المخيط بعضه ببعض يغطى الأرض وجزء من الحوائط بقدر قامة الإنسان^(٢) .

لكل جامع صومعة تستخدم فى رفع الأذان وإمام واحد للجامع يقيم فيه للصلاة ويشرف على المداخل ويمسك الحساب ويوزع على الذين يخدمون به كالمكلفين بتعهد المصاييح الموقدة ليلاً والقائمين بحراسة الأبواب والمؤذنين الذين يؤذنون للصلاة ليلاً من أعلى الصومعة^(٣). (انظر شكل رقم ٨)

منطقة الاستشفاء :

تقع هذه المنطقة بجوار باب الخوخة بعدوة الأندلس وكانت تسمى "حارة المرضى" وجودها بخارج هذا الباب ليكون هؤلاء المرضى تحت مهب الريح الغربية فيحمل الهواء روايحهم خارج المدينة حتى لا يؤذى ذلك السكان

١- ابن عبدون : رسالته فى القضاء والحسية ، مطبعة المعهد الفرنسى للأثار الشرقية ، القاهرة ١٩٥٥م ص ٦٤ . البيهقي : أخبار المهدي ص ٦٣ ، ٦٤ ، بالإضافة إلى مسجد طريانه يوجد مسجد ابن الغنم وابن الملجوم .

٢- ابن أبى زرع : روض القرطاس ٦٥/١ . الحسن الوزان : وصف إفريقييا ٢٢٥/١ .

٣- الحسن الوزان : وصف إفريقييا ٢٢٥/١ .

الموجودين بداخل المدينة ، بالإضافة إلى عدم تلوث الماء نتيجة لعملية الغسيل بعد خروج الماء من المدينة^(١)

مشاريع المياه والعيون :

تمتعت مدينة فاس بمياه كثيرة ودائمة من النهر الذى يشقها نصفين فوجود هذا النهر كان سبباً فى إنشائها فماء "مدينة فاس من أفضل المياه .. وأعدبها وأخفها مما جعل الإمام يأمر بغرس الأرض وعمارتها على جانبي الوادى من منبعه بفحص سايس إلى مصبه بنهر سبو بالشجر والكرم والزيتون وضروب الثمار فعمرت الأرض بالحرثة والغراسة فزادت العمارات وقصدها الناس من جميع الجهات"^(٢) .

أيضاً "وعلى باب الرجل فيها رحاه وبستان بأنواع الثمر وجداول الماء تخرق داره"^(٣) .

هذا إلى جانب إقامة مشاريع لخدمة أهل مدينة فاس على جانبي الوادى خاصة حرف الصباغين والدباغين والصبانين والقصابين والكوش والأفران المعدة لصناعة الغزل وغيرها من الحرف التى تحتاج إلى الماء^(٤) .

العيون :

مياه العيون بمدينة فاس باردة فى الصيف وساخنة فى الشتاء وتختص عدوة القرويين بكثرة العيون والآبار القريبة^(٥)

١- ابن أبى زرع : روض القرطاس ٥٤/١ . الجزنائى : زهرة الأس ص ١٩ ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ٣٤/١ . وللأسف لم نعثر على أى تصميم لدور الاستشفاء .

٢- ابن أبى زرع : روض القرطاس ٦٢/١ .

٣- البكرى : المغرب ص ١١٥ .

٤- ابن أبى زرع : روض القرطاس ٦٧/١ .

٥- ابن القاضى : جذوة الاقتباس ٤٣/١ .

فكثرت بها البساتين^(١) وأشهر هذه العيون حمة خولان^(٢) وحمة وشتاته^(٣) وعين عمير^(٤) وسهل سايس^(٥) هذه العيون أضافت بعداً اجتماعياً لمدينة فاس .

الأسواق

السوق هو المكان المخصص لعملية البيع والشراء ويقع السوق بمدينة فاس حول المعالم الرئيسية التي يعتادها الناس بصفة دائمة كل يوم كالجوامع وخاصة جامع "القرويين والأندلس" وأحياناً تكون متفرقة ومنتشرة داخل أنحاء المدينة فنجد تجمعاً رئيسياً لسوق المدينة حول جامع القرويين "أهل عدوة القرويين .. أكثرهم صناع وتجار وسوقه"^(٦) .

ففي غرب الجامع وأمام الباب الرئيسي يوجد باعة الفواكه ثم سوق الشماعين والليمون واللبن وإلى الشمال منهم بائعو مصنوعات القنب كالحبال والخيوط ثم المصنوعات الجلدية كأغمدة السيوف ثم بائعي الملح ،

- ١- ابن أبي زرع : روض القرطاس ٥٣/١ .
- ٢- حمة خولان "حمة سيد حرازم" : تقع إلى الجنوب الشرقي لمدينة فاس . تتبع منها مياه تبلغ حرارتها ٣٥ درجة تقريباً *انظر* ابن القاضى : جذوة الاقتباس ٢٨/١ ، الجزنائى : زهرة الأس ص ٢٦ .
- ٣- حمة وشتاته : تقع بجوار جبل زالغ من الجهة الشمالية لمدينة فاس يزرع بها زيتون وعنب وتين ولوز *انظر* ابن القاضى : جذوة الاقتباس ٢٧/١ .
- ٤- عين عمير : تقع بسهل زواغة *انظر* السلاوى : الاستقصا ١٥٠/١ .
- ٥- سهل سايس : به عدة عيون تنبعث منها وادى فاس ، تقع هذه العيون التي يبتدىئ منها وادى فاس على بعد ٢٠ كم إلى الجنوب الغربى من مدينة فاس . *انظر* الجزنائى : زهرة الأس ص ١٤، ١٣ ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ٢٩/١ .
- ٦- ابن أبي زرع : روض القرطاس ٥٨/١ .

ثم توجد منطقة أخرى بجوارهم باتجاه الشمال من الجامع يقع سوق الجزارين وبه حوالي أربعين دكاناً^(١)

ولا تذبح البهائم في دكاكين الجزارين بل في مجزرة بجوار النهرو ويؤمنون أن

يتولى الذبح من يوثق به^(٢) حيث تسلخ وتحمل إلى الدكاكين .

ثم يقع بجوارهم سوق الأقمشة وبه حوالي مائة دكان أما بائعو الصابون فدكاكينهم قليلة وبعيدة عن الجامع لأنها موزعة بأحياء المدينة وبلغ عدد أماكن صناعة الصابون في عصر الموحدين حوالي سبع وأربعين داراً^(٣) ثم يوجد سوق الدقيق والتين الذي يضم حوالي عشرة دكاكين وبجواره سوق الكتان والدخان^(٤) .

أما الجزء الجنوبي من الجامع به أسواق الأقمشة الحريرية والصوفية التي تستخدم لكل طوائف المجتمع^(٥) .

أما القسم الشرقي بالمدينة "عدوة الأندلس سابقاً" يوجد به سوق صغير للعطارين حوالي ثلاثين دكاناً ، ويقرب أسوار المدينة سوق الفخار بالإضافة إلى سوق آخر أمام باب الجامع الكبير به دكاكين مختلفة ومتعددة لكافة المهن^(٦) .

ومن الجدير بالذكر أن الأسواق في العصر المرابطي على ثلاثة أنواع :

١- أسواق المدن وهي ثابتة ودائمة .

١- الحسن الوزان : وصف إفريقيا ١/٢٣٣ .

٢- أحمد بن عبد الله بن عبد الرؤف : رسالته في آداب الحسبة والمحتسب ، القاهرة ١٩٥٥م ص ٩٢ .

٣- ابن أبي زرع : روض القرطاس ١/٦٥ .

٤- حسن الوزان : وصف إفريقيا ١/٢٣٩ .

٥- المصدر السابق ١/٢٤٠:٢٤١ .

٦- المصدر السابق ١/٢٤٦ .

- ٢- أسواق أسبوعية يبدو أنها كانت تضم كثيراً من التجار المتحولين .
- ٣- الأسواق التي تصحب الجيوش في غزواتها حيث يقيم التجار أسواقهم قرب العمليات العسكرية^(١) .
- تنظيمها :

أسواق المدينة لا يختلف تنظيمها عن باقى أسواق المدن الإسلامية بصفة عامة من اختصاص كل جانب من السوق بنوع معين من السلع حتى تسهل عملية الرقابة والإشراف من الدولة على هذه الأسواق^(٢) .

إدارتها :

كانت إدارة أسواق المدن تعرف بالحسبة ويسمى المشرف عليها "المحتسب"^(٣) وكان القاضى فى العصر المرابطى يولى محتسب السوق وكان يعتمد على ذوى الكفاءة والسمعة الطيبة^(٤) .

ويشرف المحتسب على نواح عدة منها :

- ١- التعامل فى الأسواق ، وسلامة السلع وتوافرها ، وصحة المكاييل والموازين - حماية للمستهلك ، ومنع الإحتكار ، وتأمين حراسة الأسواق ونظافتها^(٥) .
- ويبدو أن محتسبى الأسواق تركوا العمل لأعاونهم ولم يراقبهم مما جعل المنصور يجتمع بأمناء الصناعات لتفقد سيرتهم فى أسواقهم مرتين

١- عز الدين موسى : النشاط الاقتصادى ص ٢٩٣ .

٢- د. محمد فضل : الجماعات الحرفية والاسواق المتخصصة فى المدينة الإسلامية خلال العصر العباسى الاول ، ١٤١١هـ - ص ٢٦ .

٣- رسالة ابن عبدون : ص ٢٠ ، مصطلح الحسبة لم يعرف إلا فى العصر العباسى وخاصة فى عهد "المهدى" ولم تتحدد معالمها إلا فى نهاية القرن الثانى الهجرى *انظر* د.حسن الباشا : دراسات فى الحضارة الإسلامية ، القاهرة ١٩٧٥م ص ٧٥ .

٤- الحسن الوزان : وصف إفريقيا ٢٥١/١ .

٥- السقطى : كتاب فى آداب الحسبة نشر كولان وبروفنسال ، بدون تاريخ ، القاهرة ، ص ٣٤، ٣١، ١١ . رسالة ابن عبدون ص ٤٢ .

كل شهر مما ساعد الموحدين على ضبط أسواقهم بالإضافة على أنهم أوكلوا للأمناء جمع ضرائب أسواقهم^(١) وهذا هو الفرق الوحيد في واجبات صاحب السوق المرابطى والموحدى^(٢).

العملة

كانت العملة المستخدمة في المغرب في عصر المرابطين والموحدين تقوم على أساس المعدنين الدينار أو المثقال الذهبى ، والدرهم الفضى ومن الدرهم قد يضربون أنصافاً وأرباعاً وأثماناً ، أو تضرب من وحدات تعرف بالقراريط والخراريب^(٣).

تبلغ قيمة الدينار ٢٤ قيراطاً والقيراط ٧٢ حبة شعير / ووزن الدرهم إلى وزن الدينار ٣ : ٢ أى أن كل ثلاثة دراهم فضة تزن دينارين من الذهب^(٤).

ضرب يوسف بن تاشفين في سنة ٤٦٤هـ الدينار باسم أبي بكر بن عمر وبعد موقعة الزلاقة^(٥) ضرب يوسف العملة باسمه وحده^(٦) أما في عصر الموحدين فقد كانت الدراهم تضرب في جميع عواصم الولايات مختلفة الأوزان^(٧) ويبدو أن الموحدين قد أكثروا من ضرب الدراهم وأجزائها خاصة في خلافة يوسف وفي خلافة المنصور لم يعد اختلاف العملة

١- المراكشى : المعجب ص ٢٨٥ .

٢- عز الدين موسى : النشاط الاقتصادى ص ٢٩٥ .

٣- المراكشى : المعجب ص ٢٠٧ ، ابن الأبار : الحلة السـيراء ٢/٢٤٨ ، ابن عذارى : البيان ٤/٤٣ .

٤- أبو الحسن على بن يوسف : الدوحة المشتبكة ص ٨١ .

٥- فحص الزلاقة : اسم المعركة الذى انتصر فيها يوسف بن تاشفين على الفونسو السادس سنة ٤٧٩هـ / انظر مجهول : الحلل الموشية ص ٥٣،٥١ .

٦- ابن عذارى : البيان ٤/٢٢،٤٦ .

٧- عز الدين موسى : النشاط الاقتصادى ص ٢٩٩ .

وقفاً على الدرهم وتعداه إلى الدينار ، إذ أن المنصور ضعف وزن الدينار الموحدى حيث كان يساوى ٢,٣٥ جراماً ، فأصبح ٤,٧٠ جراماً^(١) .

الموازين والمكاييل

أولاً: الموازين :- أكثر ما يستعمل في المغرب من الموازين ...

الأوقية - الرطل - القنطار - الربع

ثانياً: المكاييل :

المدد - الوشقة - القلة - القفيز - الصفحة - القفة

وهى مقادير اصطلاحية تختلف من بلد إلى آخر^(٢) لكنها تقوم على العرف السائد في كل منطقة فمثلاً الرطل يختلف في مدينة أشيلية عن مدينة تلمسان عن مدينة فاس^(٣) .

استغل التجار اختلاف المكاييل والموازين في العصر المرابطى استغلالاً أضر بمصلحة المستهلك فكانوا يغشون في مقاديرهم أو يستعملون الحجارة بدلاً من صنج الحديد وأساليب التجار في هذا كثيرة ومتعددة^(٤) .

١- أبو الحسن على بن يوسف : الدوحة المشتبكة ص ٤٩ .
٢- البكرى : المغرب ص ٢٧ ، ٨٩ ، ٩١ ، السقطى : كتاب فى آداب الحسبة ص ٢٧ ، ٣٧ ، مجهول : الاستبصار ١٨٤-١٨٥ .
٣- أبو الحسن على بن يوسف : الدوحة المشتبكة ص ٨١ .
٤- رسالة ابن عبدون ص ٣٧،٤٢ ، ٥٩ ، السقطى : كتاب فى آداب الحسبة ص ١٢،١٠،١٣،١٦،٢٨ .

المنازل والملابس ووضع الأسورة أولاً: المنازل

شجع الإمام إدريس الثاني سكان مدينة فاس على البناء وأعطاهم الأرض مجاناً لفترة محدودة "من بنى موضعاً .. قبل إتمام السور فهو له"^(١) .
اعتمدت مدينة فاس في بناء منازلها على الخامات الموجودة بها وأهمها الحجارة المعروفة بالطايبية والكدان ، والرمل الأصفر والتراب هذا بالإضافة إلى خشب الأرز الموجود بكثرة حول المدينة^(٢) .

ويتم البناء بمدينة فاس على الأرض الصلبة التي تصلح لهذا الغرض وتتكون الدار في الغالب من طابقين بالأعلى والأسفل وقد تكون على ثلاثة أو أربعة طوابق^(٣) .

طريقة البناء وهى عبارة عن بناء جدارين متوازيين يملأ ما بينهما بالحصى فيصير جداراً واحداً مرصوباً هذه الطريقة غير مكلفة بالإضافة إلى أنها تقاوم الحر والبرد^(٤) .

وفي عدوة الأندلس حيث نزلت معظم القبائل البربرية كل في المكان المخصص له بالبناء والتعمير على الطراز الخاص بهم ، وهو عبارة عن جدران من الطوب اللبن سقوفه شبه مستوية مكونة من أخشاب الأشجار كخشب الأرز فعلى مسافة ثلاثين ميلاً حيث يوجد خشب الأرز فيقطع ويجلب إلى المدينة منه في كل يوم ما لا يحصى^(٥) .

١- السلاوى : الاستقصا ١/١٥٧ .

٢- ابن أبى زرع : روض القرطاس ١/٧٦ .

٣- المصدر السابق ١/٥٧ .

٤- دبور : تاريخ المغرب الكبير ، القاهرة ١٩٦٣م ١/٤١ .

٥- ابن أبى زرع : روض القرطاس ١/٤٧ .

اختار إدريس الثاني عدوة القرويين للإقامة بها مع مجموعة من القبائل العربية ، وكان من الطبيعي أن يتخذ مكاناً للإقامة به فوق اختياره على "دار الضيطن" لتكون نواة للقصر المخصص له ، بالإضافة إلى منازل الطبقة الحاكمة والمقربين منهم والقادة سواء من العرب أو البربر والقادمين من القيروان والأندلس كانت تحتوى على حجرات عديدة منها للخدم والمؤن وأماكن الماشية وتحيط بالمتزل الحدائق والبساتين^(١) .

وقبل عصر المرابطين وفي عهد الفتوح بن حمامة قام ببناء قصر له بعدوة الأندلس يسمى "بالكدان" كما فعل عجيصة بن حمامة في العدوة الثانية "القرويين" وبني قصرأ له بها في منطقة عقبة السعتر^(٢) .

وفي عصر المرابطين ثم الموحيدين وبعد اتحاد مدينة فاس اتخذ يوسف بن تاشفين قسبة لإدارة مدينة فاس تقع خارج المدينة^(٣) .

ومن ناحية أخرى تصنع أبواب المنازل من أخشاب مسمرة في إطار فوقه عوارض عمودية وقد نقش عليها رسوم بدائية وتتوسطها مطرقة من حديد على أنماط شتى^(٤) وتفرش الأرض بالحصير الناعم ويستخدمون أغطية طويلة من الصوف يبلغ طوله من عشرة إلى عشرين ذراعاً^(٥) .

تحتوى المنازل على الأدوات المتزلية مثل القصعات المصنوعة من الخشب محفورة بالسكين والمغارف والملاعق الخشبية والقدور من الفخار^(٦) .

١- عبد العزيز بنعبد الله : الآثار الإسلامية في المغرب ، فاس ١٩٥٧ ص ٣٦١ .

٢- ابن القاضى : جذوة الاقتباس ١/٤٨، ٤٩ .

٣- الحسن الوزان : وصف إفريقيا ١/٢٤٨ .

٤- عبد العزيز بنعبد الله : الآثار الإسلامية في المغرب ص ٣٦٢ .

٥- الحسن الوزان : وصف إفريقيا ١/١٠٩ .

٦- المصدر السابق .

ويصف لنا أحد الباحثين مباني المدينة بقوله
"بنيت المدينة على شكل صدفة تحيط بها الأسوار ، ويوقها مرصوفة
فوق بعضها على المنحنيات .. حيث يتولى كل رب منزل العناية بالجزء
الخاص به دون اللجوء إلى السلطات الرسمية"^(١) .

ثانيا الملبس

من المظاهر الاجتماعية الهامة التي تظهر على الشخص من أول وهله
فنوعية الثياب وطريقة الملبس والمناسبات العامة تظهر الثياب الجيد من الردىء
وأهمية صاحب الملبس من عدمه ، والملبس يتنوع ويختلف باختلاف طبقات
المجتمع ، وهناك من الملابس المشتركة أو السائدة في داخل المجتمع التي تصنع
عادةً من الأقمشة الصوفية التي يشتهر بها سكان المغرب الأقصى ويتكون
المجتمع من عدة طبقات على رأسهم :-

طبقة الأعيان والخاصة :

يرتدون في الغالب ملابسهم من الصوف ويتكون من سترة ضيقة لها
نصف أكماس توضع فوق القميص ، وفوقها عباءة واسعة مخيطة من أمام
ويغطون كل ذلك بيرنس بدون ما يغطي الأذنين ويلفون حول القلنسوة
عمامة من كتان تدور مرتين حول الرأس وتمر من تحت الذقن^(٢) . وكانوا
يرتدون الأقمشة الرفيعة المصنوعة من الكتان والقطن معاً أو من الكتان وحده
وهذا النوع من القماش يعتبر من أجل أنواع الملابس في المجتمع^(٣) .

١- غوتيه : ماضى شمال إفريقيا ، ص ٢١٨ .

٢- الحسن الوزان : وصف إفريقيا ص ٢٥١-٢٥٢ .

٣- العمرى : مسالك الأمصار ، مخطوطة بدار الكتب المصرية ، معارف عامة ٥٦٠
ميكروفيلم ٥٢٦٥٠ ، ص ٨ .

الطبقة الثانية :

وهى طبقة العلماء والأعيان المتقدمين في السن فيتكون لبسهم من سترة عريضة الأكمام ، ويشتهر المغرب الأقصى بالأقمشة المتعددة منها الصوف والجوج "ويجلب إلى حضرهما -فاس- كل غريبة من الثياب والبضائع والأمتعة الحسنة"^(١) .

الطبقة الثالثة :

عامة الناس فيلبسون السترة والبرنس فقط ولا يضعون على رؤوسهم سوى طاوية بسيطة^(٢) ففي سنة ستمائة استعار أحد خطباء جامع القرويين برنساً من أحد العامة لإلقاء الخطبة "فلما جاءت الخطبة لبس ثياب أبيه التي كان يخطب بها وأعطاه ... برنساً أبيض فطلع به المنبر"^(٣) .

الطبقة الرابعة :

فقراء العامة يرتدون ثوباً أبيض وعادةً ما يكون من الصوف الرديء وبرانسهم من نفس النسيج^(٤) .

ومن الجدير بالذكر أن الأقمشة المتعددة الموجودة بمدينة فاس والتي تأتي إليها سواء كانت صوفاً أو جوجاً أو قطناً أو كتاناً بالإضافة إلى قماش "النفسارى" وهو نوع من القماش يصنع من الحرير والقطن ونوع آخر من القماش يعرف "بالجزرى" ويصنع من الصوف الرفيع جداً هذا التنوع والاختلاف في أنواع الأقمشة جعل صناعة الحياكة تزدهر وتنشط في المدينة

١- الإدريسي : نزهة المشتاق ٢٤٦/١ .

٢- الحسن الوزان : وصف إفريقيا ٢٥٢/١ .

٣- ابن أبي زرع : روض القرطاس ١٠٥/١ ، الخطيب يدعى أبو عبد الله المعلم بن موسى ، أبو حيان صاحب البرنس .

٤- الحسن الوزان : وصف إفريقيا ٢٥٢/١ .

وبلغ عدد هذه الدور في عهد الناصر الموحدى حوالى ثلاثة آلاف موضع وأربعة وستين^(١) ساهمت فى صناعة عدة أزياء من هذه الأقمشة منها : القشابة : وهو رداء من الصوف مقفل من أمام وبه كمان وغطاء للرأس موصول به من خلف يقى من برد الشتاء ولا يعوق الحركة ويستتر الجسم كله حتى الرأس يفضل لبسها أهل الجبال كجبل زالغ الذى يحيط بمدينة فاس من ناحية الشمال^(٢) .

البرنس : يصنع من الحرير أو الصوف أو القطن أو خليط منهم ويلبس فوق الثياب وينسج قطعة واحدة مفتوحاً من الأمام لا يحاط إلا ما يقابل الصدر ليشده إلى الجسم ، وللبرنس غطاء للرأس موصول به من خلف يقى الرأس من البرد والأمطار والعواصف^(٣) .
السراويل : نوعان :-

الأول : ينتهى إلى أسفل الركبة .

الثانى : يصل إلى الكعبين ويلبس بخيط يدخل فى حواشيه من أعلى فيشد به إلى الخصر تسمى "التكة"^(٤) .

أما غطاء الرأس فقد يجعلون على رؤوسهم قنسوة^(٥) تسمى "الفتور" وهى من الصوف عالية ملبدة مدورة توضع على الرأس ويلبس فوقها لحاف صغير من الصوف رهيف ينسج خاصة ليوضع على الرأس وتوضع من

١- ابن أبى زرع : روض القرطاس ٦٥/١ .

٢- دبوز : تاريخ المغرب الكبير ٤٣، ٤٢/٢ ، د. سعدون عباس : دولة الأدارسة فى المغرب، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ص ١٦٢ .

٣- الحسن الوزان : وصف إفريقيا ٢٥٢/١ ، دبوز : مرجع سابق ٤٢/٢ .

٤- دبوز : مرجع سابق ٤٣/٢ .

٥- الحسن الوزان : وصف إفريقيا ٢٥١/١ .

البربر وتدعى كثرة وهذا راجع لفضله وشرفه ولكنه توفي قبل أن تلد ابنة إدريس^(١) .

وقد سكنت مدينة فاس فاطمة بنت محمد الفهري صاحبة إنجاز بناء مسجد القرويين^(٢) كذلك أختها مريم بنت محمد الفهري صاحبة إنشاء مسجد الأندلس سنة ٢٤٥هـ^(٣) وهما نموذجان مشرفان للمرأة الفاسية كما بلغت المرأة شأنًا هاماً في عصر الموحدين مما جعل الخليفة الناصر يأمر ببناء سقاية بيت لصلاة النساء وذلك سنة ٦٠٤هـ^(٤) .

ويذكر ابن أبي زرع أن لجامع القرويين باين صغيرين للنساء^(٥) ومن الجدير بالذكر أن القاعدة المتبعة في الزواج هي التزوج بامرأة واحدة^(٦) وللمرأة الحق في اختيار شريكها^(٧) .

طريقة الزواج :

في البداية لابد من الاتفاق بين الطرفين ، ثم حضور أصحابهم إلى المسجد مع وجود شاهدي عدل يكتبان العقد ويجرران الصداق ، وبعد إتمام العقد برضا الطرفين يستدعى الخاطب جميع مدعويه لتناول طعام الغداء معه ، كذلك يفعل أبو المخطوبة مع أصحابه ثم يتم تجهيز الطرفين وإعدادهما للزواج ثم يذهب الزوج ليأخذ زوجته إلى منزله في موكب من أصدقاء الزوج وأصدقاء والدها ثم ينتظر أهل العروسة حتى يطمئنوا عليها ، فإذا لم تكن بكرًا

١- البكري : المغرب ص ١٢٢ .

٢- السلاوي : الاستقصا ١/١٥٩ .

٣- ابن أبي زرع : روض القرطاس ١/٧٧ .

٤- ابن القاضي : جذوة الاقتباس ١/٧٩ .

٥- روض القرطاس ١/٩٣ .

٦- الحسن الوزان : وصف إفريقيا ١/٢٥٤ .

٧- المصدر السابق .

ردها الزوج إلى أبيها وأمها وفي ذلك عار كبير عليهما فينصرف المدعوون دون تناول الطعام^(١) .

ومن العادات الاجتماعية في الزواج إقامة ولائم لمدة ثلاث ليال الأولى تقام ليلة الزفاف والثانية تقام في الليلة التالية وهي خاصة بالنساء فقط والثالثة بعد أسبوع ويحضرها والد الزوجة وأمها وجميع أقاربها وبعدها مباشرة يخرج العريس من بيته بعد سبعة أيام لشراء كمية من السمك يحملها إلى بيته ويسلمها إلى أمه أو إلى امرأة أخرى لترميها على قدم العروس ويعتبرون ذلك من أسباب اليمن^(٢) .

وقد تمتع النساء بمدينة فاس بالجمال وتميزت نساء عدوة الأندلس بأهن أجمل من نساء عدوة القرويين^(٣) .

ومن ناحية أخرى نجد أن النساء لا تكرهن على وضع الحجاب^(٤) لذلك كانت تعتنى بزيتها وتأنق في ملابسها فمثلاً نجد نساء المغرب الأقصى بصفة عامة اشتهرن بجمالهن الفائق وحسنهن البارع ونشاطهن للعمل وطاعتهم لأزواجهن وبصفة خاصة نساء المصامدة لهن اهتمام بشعرهن فكن يصبغنه بالحنة ويغسلنه برفيق البيض والطيب الأندلسي^(٥) .

-
- ١- دائرة المعارف الإسلامية ، دار الشعب ، القاهرة ١٩٣٣م ٥١٢/١٦ .
 - ٢- الحسن الوزان : وصف إفريقيا ٢٥٤/١ .
 - ٣- ابن أبي زرع : روض القرطاس ٥٨/١ .
 - ٤- دائرة المعارف الإسلامية ٥١٢/٦ .
 - ٥- الحميري : الروض المعطار ص ٣٣٠ .

العادات والتقاليد

الطعام والشراب :

عندما أقام العرب بمدينة فاس بعد إنشائها مباشرة كانوا يتناولون طعامهم المعروف بالثريد والعصيد والبسيس ، ثم اقتبسوا من البربر المقيمين معهم طعام الكسكسي^(١) وهو الغذاء الرئيسي للسكان وبازدهار المدينة ومجيء عرب الأندلس إلى مدينة فاس وتعمق التجارب بين سكانها تنوعت الأطعمة وتحدت فإعداد الطعام يستوجب تنظيف الأواني المستخدمة في الطهي مع نظافة من يقوم بعملية الطبخ^(٢) .

وسكان المغرب بصفة عامة لهم بعض العادات المتعلقة بالأكل وهي استخدام التوابل بكثرة في معظم وجبات الطعام بالإضافة إلى وجود الخبز المكون من القمح والشعير المتوفر بالمنطقة^(٣) .

ومن حسن الطالع وجود نص صاحبه مجهول^(٤) عن الطبخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين .

أهم ما جاء في هذا النص^(٥) حيث يوجد بعض أنواع الأطعمة التي تخص بلاد المغرب بصفة عامة ومدينة فاس بصفة خاصة :-

١- أحمد صقر : مدينة المغرب العربي، تونس ١٩٥٩ م ٦٢/١ .
الكسكسي : عبارة عن دقيق من القمح ينضج بالبخار ثم يوضع في القدر مع الحليب والسمن أو مرق اللحم *انظر* دبور : تاريخ المغرب الكبير ٤٦/٢ .

٢- مجهول : الطبخ في المغرب ص ٧٩ .

٣- الحميري : الروض المعطار ص ٣٣٠ .

٤- مجهول : الطبخ في المغرب والأندلس ، تحقيق أمبروزيو أديني ميراندا ، منشورات معهد الدراسات الإسلامية ، المجلد التاسع والعاشر سنة ١٩٦١ ، ١٩٦٢ م طبعة مدريد .

٥- في هذا النص يبلغ عدد ألوان الطعام المذكورة حوالي أكثر من خمسمائة لون يبدأ باللحم المدقوق مثل "المركاس" ثم يتحدث عن الشواء بالتفصيل، عن شواء الدجاج ولحم الضأن والبقرة والطيور ، ثم عن الألوان المطهورة التي تبلغ حوالي ثلاثة وستين لوناً ، ثم يتكلم عن التفايا والمعجنات والمخبوزات ثم ينتقل إلى الخبز المورق =

أولاً : طعام يسمى "تارفست" وهو خاص بأهل المدينة .. يعجن من السميد ، ويصنع منه أرغفة رقيقة ثم يخبز في فرن معتدل النار ، ثم يفتت بدقة ثم يوضع عليه عسل منقى وزعفران ثم يحرك حتى يصبح معجوناً ثم ينثر عليه لوز مقسوم بكثرة ثم يحرك مرة ثانية حتى يصبح معجوناً مخلوطاً ثم يصنع في وسطه حفرة تملأ بسمن أو زبد ويذر عليه سكر وقرفه وهو من أطعمة أهل مدينة فاس^(١) .

ثانياً : خروف مشوى .. عبارة عن خروف مسلوخ تترع أحشائه وينظف جوفه الذى يملأ بالدجاج والسمان والحمام والعصافير ثم يخاط ويوضع في طاجين كبير يسعه ثم يدخل الفرن من فتحة أعلاه لئلا تحترق الأيدي فينضج بطريقة جيدة ولون جميل وطعم لذيذ لا يصيبه دخان لأن النار معتدلة ومستمرة طوال الليل كله حتى الصباح فيخرج للبيع بالمدينة^(٢) .

ثالثاً : طعام نوع من الأحرش يسمى "اسفيريا" وهو عبارة عن لحم غنم أحمر يدق جيداً ويوضع عليه التوابل ويسير من البيض قدر ما يلتف به الجميع ثم يصنع منه قرص على قدر الكف ويقلى في الزيت حتى يحمر ثم يضاف له مرقة بالخلل والزيت والثوم^(٣)

والقطائف والسكريات ، ثم عن ألوان من الباذنجان والبيض المحشو ثم عن أنواع الحلوى ثم يعود ويتحدث مرة أخرى عن اللحم المطهو والمشوى والخضر المختلفة ، ثم يخصص فصلاً جديداً عن ألوان الطعام التي كانت تقدم في مدينة قرطبة وأشبيلية وغرب الأندلس ، وفصلاً آخر للأسماك والثرائد والكسكسي والأرز والهرايس والخبيز ثم يعود للكلام عن الحلوى والكعك هذا النص معظمه كان لألوان الطعام بالأندلس في عصر الموحدين ويوجد به بعض الإشارات إلى بعض أطعمة موجودة بالمغرب وبفاس .

١- مجهول : الطبخ في المغرب والأندلس ص ١٩٣ .

٢- مجهول : المصدر السابق ص ١٧ . الحسن الوزان : وصف إفريقيا ١/٢٣٦ .

٣- مجهول : مصدر سابق ص ٨ .

كان يستعمله السيد أبو الحسن وغيره بمراكش^(١) .

رابعاً : صنعة البلاجة .. عبارة عن لحم الغنم بعد نزع العظم والعصب ثم يقطع اللحم والشحم والأمعاء والكبد والقلب قطعاً صغيرة جداً ويوضع عليه ملح وبصل وكزبرة يابسة وقليل من الزيت ثم يوضع على نار معتدلة ثم يصفى ويقلى ويضاف عليه مرق وبيض وتوابل ويدخل الفرن ويترك حتى يجف ويحمر أعلاه ويخرج وكان يستعمل في مدينة قرطبة ومراكش وما بينهما^(٢) .

خامساً : حرفة الرعى والقائمون يعتمدون في غذائهم على ألبان الأغنام والإبل ومن الحيوانات على اللحوم المقددة فجزء من سكان مدينة فاس يعتمد في غذائه على الجانب النباتي المتوفر لديهم بالإضافة إلى بعض اللحوم^(٣) .

سادساً : السنبوسك وهو نوعان :-

الأول : سنبوسك الملوك .. وهو عبارة عن سكر وماء ورد ولوز مدقوق كالعجين يحرك حتى يلتف ثم يوضع على النار ويضاف عليه سنبل وقرنفل ويسير من زنجبيل وجزء من كافور ومسك ولوز مقسوم ثم يضرب الجميع ويصنع منه قرص على قدر الكعك وكان هذا يصنع بمراكش بدار أمين المؤمنين أبي يوسف المنصور^(٤) .

الثاني : سنبوسك العامة : على ثلاثة أنواع :-

١- مجهول : الطبخ في المغرب ص ٥ . أبو الحسن : حفيد عبد المؤمن بن علي ولاء الخليفة يعقوب المنصور على مدينة مراكش سنة ٥٨٢هـ .
٢- مجهول : المصدر السابق ص ٣٥ .
٣- أحمد صقر : مدينة المغرب العربي ، ١/٦٢ .
٤- مجهول : الطبخ في المغرب ص ١٩٩ .

١- حشو الرقاق بالثوم المدقوق والتوابل وتلف على شكل مثلث وتقلي في الزيت .

٢- يصنع من العجين المخلوط باللحم المدقوق والتوابل والبيض ثم يقلى .

٣- يعمل من العجين المضاف إليه السمن أو الشحم المذاب يترك نياً^(١) .

سابعاً : السويق .. وهو عبارة عن خليط من الشعير أو القمح ثم يقلى بالزيت أو السمن ثم يضاف إليه العسل وقد تطور فصار يحلى بالسكر والتمر ويصنع منه نوع من الكعك في الأعياد والمناسبات وهو زاد في السفر ويقدم للضيوف حيث إنه غذاء صحي لا يفسد بطول الوقت لائق لكل الفصول^(٢)

عادات وتقاليد اجتماعية :

يتكون سكان مدينة فاس من قبائل "عربية - بربرية" هذا في الغالب ، وكان الأدارسة أول أمرهم شيعة زيدية ثم غلب مذهب الإمام مالك على سكان مدينة فاس^(٣) .

ولم تذكر المصادر أى مظهر من مظاهر احتفالات طائفة الشيعة بفاس هذا وقد ساد مدينة فاس الاحتفال بالمناسبات الدينية والتقاليد الاجتماعية المتبعة في كافة المدن الإسلامية .

فالاحتفالات الدينية من أهم مناسباتها صلاة الجمعة إذ يخرج الأمير أو الوالى الحاكم فى موكب من كبار رجاله إلى المسجد الرئيسى بالمدينة

١- مجهول : الطبخ فى المغرب ص ١٩٩ .

٢- دبور : تاريخ المغرب الكبير ٤٦/١ .

٣- الحسن السائح : الحضارة الإسلامية ص ١٥٤ .

جامع القرويين ويمنع الناس في هذا اليوم عن السير في الطرق والأفنية المؤدية إلى الجامع^(١) .

والاحتفال برؤية ومراقبة هلال شهر رمضان في أول الشهر وآخره ولا يُصام ولا يُفطر إلا بشهادة شاهدين عدلين^(٢) .

وكان يتم إحياء رمضان بالخروج إلى المساجد وتتصاعد أعداد قاصديه ، ويحرص المسلمون على أداء صلاة التراويح وقيام ليليه^(٣) فتكثر الاجتماعات لسماع القرآن والذكر ، ويتم قراءة جزء من القرآن ^{كل يوم} وكان يحتفل في هذا الشهر الكريم بليلة القدر في السابع والعشرين منه فيقرأ القرآن بأكمله خلال الليل في المساجد ، وكان يتناوب في هذا رجال نذروا أنفسهم لذلك^(٤) وكانت وجبات الطعام تؤخذ عند الغروب ، ثم في آخر الليل وكانت تكثر الدعوات عند تناول الإفطار^(٥) .

أيضاً الاحتفال بعيد الفطر بعد مشاهدة هلال شهر شوال ، فيخرج الناس إلى المسجد لصلاة العيد ويحرص أهل مدينة فاس على تقديم زكاة رمضان بيومين أو ثلاثة أو تأخيرها قبل صلاة العيد^(٦) .

أما عيد الأضحى فبعد الصلاة يتم نحر الأضاحي وتوزيعها على من يستحقها وعلى الأقارب أيضاً^(٧) .

هذا ويحتفل المغاربة بمولد الرسول ^{صلى الله عليه وسلم} بتلاوة القرآن والأحاديث

١- ابن عبد الرؤف : رسالته في آداب الحسبة والمحتسب ص ٧٥ .

٢- المصدر السابق ص ٧٧ .

٣- الونشريسي : المعيار المغرب ١/١٤٧ .

٤- المصدر السابق ٨/١٥٥ . ١١/٢٨٠ : ٢٨٣ .

٥- التادلي : التشوف إلى معرفة رجال التصوف ص ١١٧ .

٦- الونشريسي : المعيار المغرب ١/٣٧٣ .

٧- المصدر السابق : ٨/٢٥٤ .

النبوية وذكر آثار الرسول الكريم ومعجزاته بالإضافة إلى التزين بأفضل الملابس عندهم فهو يوم فرح وسرور^(١) .

ولكن هناك رصد لبعض العادات الاجتماعية الخاصة المتبعة بالمغرب :

١- نظم الشعر والقصائد في مدح الرسول أمام الجمهور في الاحتفال بالمولد النبوي^(٢) .

٢- طائفة من عامة الناس لهم طريقة في البكاء على الميت وهي عبارة عن اجتماع النساء مرتديات لباساً خشناً ويلطنحن وجوهن بسواد القدور ثم تأتي جماعة من ضاربي الدفوف ينشدون أنظماً حزينة في رثاء الميت يدوم في ذلك سبعة أيام ، وبعد أربعين يوماً يستأنفن نحيبهن لمدة ثلاثة أيام^(٣) يحدث هذا إذا فقدت المرأة الزوج أو الأب أو الأم أو الأخ^(٤) .

٣- عندما ألقى إدريس بن إدريس أول خطبة له ونزل من على المنبر "سارع الناس لبيعته ، وازدحموا عليه يقبلون يديه"^(٥) ، وأرى أنها عادة ما زالت متبعة إلى الآن .

٤- انتشار حرفة السحر والعرافين وهي على أنواع متعددة :

- ١- الونشريسي : المعيار المغرب ٣٢/٢ .
- ٢- الحسن الوزان : وصف إفريقيا ٢٦٠/١ .
- ٣- هذه العادات السيئة ليس لها أصل في الدين الإسلامي وليست من آدابه السمحة فقد ورد عن سيدنا رسول الله (ﷺ) أنه قال "ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوة الجاهلية" انظر ابن حجر العسقلاني : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، تحقيق محب الدين الخطيب ، مطبعة دار الريان للتراث ، القاهرة ١٩٨٦م ١٩٥/٣ ، أحمد بن حنبل : المسند تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار الحديث ، القاهرة ١٩٩٥م ٢٥٦/٤ ، السننوى : صحيح مسلم ، مطبعة دار الشعب ١٣٩٠هـ - ٢٩٩/١ ، ابن الجوزي : كتاب أحكام النساء ، تحقيق علي محمد المحمدي ، بيروت ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م ص ٣٩٠ .
- ٤- الحسن الوزان : مصدر سابق ٢٥٩،٢٥٨/١ .
- ٥- ابن أبي زرع : روض القرطاس ٣٤/١ .

أ- السحرة ويعرفون بالمعزّمين ، ويعتبرون أنفسهم قادرين على إنقاذ من اعتراهم مس من الشيطان ، قد يوفقون أحياناً وإذا فشلوا زعموا أن الشيطان كافر أو أن الأمر يتعلق بروح سماوية لهم كثيرة ومختلفة^(١) .

ب- العرافين وهم ثلاثة أنواع :-

النوع الأول : الذين يضربون الرمل ، ويرسمون عليه أشكالاً ، فيخرج لهم عن كل رسم بحسب الموارد المتوفرة للشخص ووفقاً للعادة^(٢) .

النوع الثاني : الذين يجعلون الماء في قدر لماع ثم يرمون فيه قطرة زيت فيصير شفافاً يزعمون أنهم يرون فيه كما يرون في المرآة^(٣) .

النوع الثالث : صنف من النساء يوهمن العامة أنهن يرتبطن بصداقة مع الشياطين من أنواع مختلفة وعندما يطلب منهن أن يتنبأن بشيء من الأشياء يتطين بعطور مختلفة ... إلخ^(٤) .

يقول المولى عز وجل بعد موت سيدنا سليمان ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتْ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾^(٥) صدق الله العظيم . وعن النبي (ﷺ) "من أتى كاهناً أو عرافاً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد" (ﷺ)^(٦) .

١- حسن الوزان : وصف إفريقييا ٢٦٤/١ للمزيد في هذا المجال يمكن الرجوع إلى هذا المصدر .

٢- حسن الوزان : وصف إفريقييا ٢٦٢/١ .

٣- المصدر السابق ٢٦٣/١ .

٤- المصدر السابق ٢٦٣/١ .

٥- سورة سبأ الآية ١٤ .

٦- السحر : هو حذف الشيء عن وجهه وهو معدود من الكبائر فقد روى مسلم في صحيحه في الجزء ٣٢٦/١٣ من حديث صفية بنت أبي عبيد عن بعض أزواج النبي (ﷺ) أنه قال "من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة" =

وسائل التسلية

في عهد عبد الرحمن الأوسط^(١) دخل الأندلس "زرياب"^(٢) المغني فحمل إلى القصور الأندلسية الموسيقى والغناء وغير جانباً من التقاليد الاجتماعية من الحياة الخشنة إلى حياة الرقة والانحلال ، ولاشك أن القليل منها قد وصل إلى مدينة فاس ، لكن الفقهاء في قرطبة وفاس كانوا ضد هذه البدع والمظاهر المختلفة ولذلك فما كانت العادات الاجتماعية في المغرب تتسرب إليها عوامل اللهو والطرب حتى كان الفقهاء والحكام يقاومون ذلك بكل السبل^(٣) .

وقد استخدم المرابطون الطبول والدفوف في الحروب حتى إذا ضربت اهتزت لها الأرض وتجاوزت الآفاق وتحدث عنها أهل الأندلس لأنهم لم يكونوا قد اعتادوا أن يروا جيوشهم تستخدم مثل هذه العادة^(٤) .

أما الموسيقى أو الآلات المستخدمة في العزف فقد كانت منتشرة بسائر الأمصار المغربية وقد حاول المهدي بن تومرت القضاء على اللهو وتكسير

وروى أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة عن النبي (ﷺ) أنه قال "من أتى كاهناً أو عرافاً فصدقه بما يقول فقد برىء مما أنزل على محمد (ﷺ)" *انظر ابن الجوزي : أحكام النساء ص ٢٧٢ . أحمد بن حنبل : المسند الجزء التاسع شرحه ووضع فهرسه حمزة أحمد الزين ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م ٢٤٠/٩ .*

١- عبد الرحمن بن الحكم بن هشام "أبو المطرف" رابع خلفاء بني أمية بالأندلس بويغ له في سنة ٢٠٦هـ ت ٢٣٨هـ *انظر ابن الأبار : الحلة السيرة ١/١١٣ ، ابن عذاري : البيان ٢/٨٠، ٨١ .*

٢- زرياب : أبو الحسن علي بن نافع الملقب بزرياب مولى الخليفة المهدي تعلم على يد إبراهيم الموصلي صناعة الغناء بالأندلس *انظر ابن دحية : المطرب ص ١٤٧ . المقرئ : نفح الطيب ١/٣٤٤ .*

٣- الحسن السائح : الحضارة الإسلامية ص ١٦١ .

٤- د. حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين صفحة مشرفة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، القاهرة ١٩٥٧م ص ٣٨٣ .

آلات الطرب المعروضة في الدكاكين^(١) واشتهرت آلات للطرب كالدفوف والمزامير والقراقير والعيدان والكيثارات وأبي قرون واليرا^(٢) . وعلى الرغم من أن مؤسس دولتي المرابطين والموحدين يوسف بن تاشفين وعبد المؤمن بن علي كانا من العزوفين عن متع الحياة إلا أن الناس على اختلاف فئاتهم بمدينة فاس وغيرها من المدن المغربية شغفوا بالغناء والموسيقى ، وتأثروا في ذلك بالحياة الأندلسية فأصبحت مجالس الغناء والموسيقى تعقد في قصور الولاة والأمراء مما دفع الخليفة عبد المؤمن بن علي إلى إصدار تعليمات سنة ٥٥٦هـ تتضمن عدة أوامر لمحاربة أصحاب الملاهي ومصادرة آلاتهم^(٣) .

١- البيذق : أخبار المهدي ص ٦٠ .

٢- البيذق : المصدر السابق ص ٦٥ . الحسن السائح : الحضارة الإسلامية ص ١٩٥ .

٣- البيذق : مصدر سابق ص ٦٥ . ابن القطان : نظم الجمان ص ٤١، ١٣٧ .

دور المدينة في الإسلام

منذ أن بدأت شمس الإسلام تسطع على شبه الجزيرة العربية والدولة الإسلامية تعمل على تأكيد وجودها في المناطق التي تضمها إليها فتقوم بإنشاء المدن في البلاد المفتوحة حديثاً ، ولم يكدمر قرن على وفاة الرسول (ﷺ) حتى استطاع العرب والمسلمون ضم بلاد كثيرة مختلفة عن بعضها وخاصة من النواحي الجغرافية والتاريخية ولها أصول سابقة وتجارب في النواحي الإدارية والتجارب الحضارية الشيء الذي كان مفتقداً عند العرب الذين وجدوا أنفسهم يسيطرون على ملك واسع متعدد الثقافات والأجواء فكان عليهم إيجاد وسيلة لإدارة هذا النظام الجديد ، حدث هذا بالتحديد على يد الأمويين واتخذوا من مبادئ القرآن الكريم والسنة النبوية طريقاً لهم كما استعانوا ببعض النظم التي كانت متبعة في هذه البلاد بحيث لا تتعارض مع مبادئ وأصول الإسلام ، فقد احتفظ الأمويون بالسجلات في كل من العراق وإيران وبلاد الشام ومصر باللغة التي كانت شائعة قبل الفتح وهي اللغات الفارسية واليونانية والقبطية إلى أن تم تعريب هذه السجلات والدواوين إلى اللغة العربية ، والتعريب أصبح له مستقبل هام في مختلف أرجاء الدولة الإسلامية^(١) .

فسيادة اللغة على البلاد والمدن من مظاهر قوة الدولة وكل مدينة تنشأ لها

مهمة رئيسية تقام من أجلها :-

١ - أن تكون مركزاً للملك أو الإدارة مثل دمشق وبغداد .

١- نقولا زيادة : إفريقياات ، يناير ، ١٩٩١م ، ص ٩٩ : ١٠٠ .

- ٢- أن تكون مركزاً لإعداد الجيش ليقوم بتنفيذ مهام الفتوح ثم يريح فيها ويستعد لمواصلة الفتوح مرة أخرى بالإضافة إلى وجود المخازن لتدبير المؤن والإمدادات للجيش مثل القيروان والبصرة .
- ٣- أن تكون مركزاً لإدارة محلية مثل تونس وقرطبة .
- ٤- أن تكون مركزاً لنشر الإسلام فى المنطقة والدفاع عنها وقد يفرض عليها موقعها أن تقوم بنشر الإسلام فى دول الجوار^(١) مثل القاهرة^(٢) .
- من هذا أستطيع أن أقول أن مدينة فاس تضم كل هذه الوظائف الخاصة والمتعددة بهذه المدن ويمكن هنا أن أتساءل عن انتشار الإسلام واللغة العربية فى إفريقيا والمغرب ومدى تحول هذه المناطق إليهما مما قد يساعد ويسهل فى عملية إنشاء وإقامة مدن متعددة بها ومنها مدينة فاس .

١- نقولا زيادة : إفريقياات ص ٩٩ .

٢- القاهرة : مدينة بجانب الفسطاط يجمعها سور واحد أسست سنة ٣٥٨هـ على يد جوهر غلام المعز بن أبى تميم معد بن إسماعيل انظر ياقوت : معجم البلدان ٣٠١/٤ .

عوامل ازدهار الحياة العلمية بالمغرب

تمهيد

بدأ ازدهار الحياة العلمية فى المغرب بانتشار الإسلام وتعلم سكانه مبادئ اللغة العربية ، وظهرت جهود العلماء والبعثات العربية منذ بداية الفتح فأقبل أهل المغرب على العلم واهتموا به فظهرت مجموعة كبيرة من علماء المغرب ومدينة فاس قدرهم كل من الولاة الحكام وعامة الناس و ساعد فى هذا الازدهار سهولة الدين الإسلامى فهو دين بسيط غير معقد بحيث إنه لا يستطيع أن يجبر أحداً على الالتحاق به والانتساب إليه بل هو دين يوفر الحرية بين الناس عامةً وقد اتخذ الإسلام الحرية الدينية أسساً نبيلةً سمحة وهى أقصى ما يمكن أن يهدف أو يصل إليه تشريع فى حرية الأديان فالإسلام فى جوهره دين عقلى فكل ما يطلب ممن يدخل فى الإسلام قول الشهادتين

أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله

ثم تأتى بقية الأركان^(١) هذا إلى جانب :-

١- أنه لا يجبر أحداً على ترك دينه ليعتنق الإسلام إذ "لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغي"^(٢) بالإضافة إلى أن الناس أحراراً فيما يعتقدون "لكم دينكم ولى دين"^(٣) وقد أمر الله رسوله (ﷺ) أن يدعو الناس إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة واحترام الإسلام معتقدات مخالفيه ودور عبادتهم والأكثر من هذا أن الإسلام عُلِّى من القوامه التى هى للرجل على المرأة .

١- أرنولد : الدعوة إلى الإسلام ، الطبعة الثالثة ، ص ٣٤١ .

٢- سورة البقرة : آية ٢٥٦ .

٣- سورة الكافرين : آية ٦ .

فسيما يخص مصلحة الأسرة والصالح العام فلم يجز للمسلم المتزوج من
كتابية أن يمنعها من أداء عبادتها وشعائر دينها^(١) .

٢- الإسلام ينظر إلى الإيمان الصحيح على أنه ما كان منبعثاً عن يقين واقتناع لا
عن تقليد واتباع ، لأن التقليد بغير عقل ولا هداية شأن الكافرين وأن المرء
لا يكون مؤمناً إلا إذا عقل دينه وعرف بنفسه حتى يقتنع به فمن تربى على
التسليم بغير عقل وعلى العمل ولو صالحاً بغير فقه غير مؤمن^(٢)

٣- باب الاجتهاد أباحه الإسلام فى فروع الشريعة لكل قادر ومن المتمكن من
الكتب والسنة واللغة العربية وقواعد الاستنباط فمن المقرر شرعاً أن المجتهد
ولو أخطأ مشكور مأجور^(٣) .

١- على عبد الواحد : حقوق الإنسان فى الإسلام ، دار النيل للطباعة

نشر إدارة الثقافة بوزارة الأوقاف ١٩٥٦م ص ٣٢١ .

٢- المرجع السابق ص ١٢٣ .

٣- المرجع السابق

أولاً : انتشار الإسلام

خرج العرب من شبه الجزيرة العربية للجهاد فى سبيل الله ونشر الإسلام واللغة العربية فى كل منطقة يفتحونها فنجد أن عمرو بن العاص بدأ نشر الإسلام عقب فتح مدينة برقة سنة ٢٢هـ على الساحل وأرسل عقبة بن نافع الفهري إلى الصحراء جنوب مدينة برقة التى لم يجد صعوبة فى فتحها كذلك مدينة زويلة^(١) التى بينها وبين مدينة برقة كلهم طاعتهم حسنة^(٢) .

بذل عقبة جهوداً كبيرة استمرت حوالى ربع قرن من الزمان يدعوسكان هذه المناطق إلى الإسلام الذى يكفل لهم سلامة الدارين حيث نجح فى هداية أكثرهم حتى إنه شكل منهم جيشاً كان له دور هام فى حروب إفريقيا^(٣) .

ولا شك أن عقبة قد ترك فى المناطق التى يفتحها مجموعة من الفقهاء ولا سيما التى يتم إسلامها لتعليم السكان أمور الدين ونشر كتاب الله بينهم وتعلمهم العربية وليزيدهم ارتباطاً بالدولة الإسلامية^(٤) .

هذا ويعتبر بناء مدينة القيروان وإنشاء مسجدها من الأعمال الهامة التى ساعدت على نشر الإسلام وتثبيت أقدام المسلمين فى إفريقيا لأنها أصبحت حصناً لهم ومركزاً دائماً لإعداد الجيش والمؤن ومواصلة الفتوح ، من جهة أخرى يعد إنشاء مدينة عربية فى هذه المنطقة "القيروان" حدثاً غريباً من حيث النشأة والتكوين لأن هذه البلاد لم تعرف قبل العرب إلا المدن الفينيقية قرطاجنة وطنجة^(٥) ، التى تختلف عن المدن العربية القابلة للتطوير والتعديل بحسب حاجات

١- زويلة : مدينة من مدن فزان القديمة ، تقع إلى الجنوب الشرقى من مدينة مرزوق بحوالى ١٥٠ كم وتبعد عن مدينة طرابلس إلى الجنوب الشرقى بحوالى ٧٧٠ كم انظر ياقوت : معجم البلدان ٣/ ١٥٩ ، ١٦٠ . الزاوى : تاريخ الفتح العربى فى ليبيا ، دار المعارف ، مصر ١٩٦٣م ص ٣٥ .

٢- البلاذرى : فتوح البلدان ص ٢٦٤ .

٣- محمود ناجى : تاريخ طرابلس الغرب ، منشورات الجامعة الليبية ص ١٢٨ .

٤- دبوز : تاريخ المغرب الكبير ٢/ ١٤٧ .

٥- الأندلسى : تاريخ المغرب ص ١٠٧ .

البلاد فعلى هذا النمط صارت قرى المغرب وبدأت تتحول إلى مدن إسلامية كما
المساجد والمكاتب لتدريس اللغة العربية ونشر مبادئ الإسلام^(١) .

وفى سبيل نشر الإسلام اتجه عقبة بن نافع إلى المغرب الأقصى خاصة فى
ولايته الثانية ٦٢ : ٦٤ هـ وقد استجابت عدة قبائل من البربر لدعوة عقبة
كقبيلة المصامدة الذين لم يعرفوا عقبة بن نافع حتى أسلم
أكثرهم طوعاً على يديه^(٢) .

وقد وجه عقبة معظم جهوده فى هذه الفترة لمحاربة الروم والبربر
والأفارقة واستطاع فى النهاية من القضاء على الحكم الرومانى فى
شمال إفريقيا جملة واحدة^(٣) .

ويعتبر عقبة بن نافع أول قائد عربى مسلم يصل إلى مناطق المغرب
الأقصى ويفرض نفوذه ويستقطب ويسيطر على بعض القبائل فكان هذا بمثابة
وضع اللبنة الأولى لقواعد الإسلام فى هذه المنطقة البعيدة عن مقر الإسلام .

أما القائد الثانى الذى كان له دور بارز ومؤثر فى نشر الإسلام واللغة
فى المغرب فهو موسى بن نصير وهو من الولاة النشطين فى إعلاء شأن الإسلام
فقد تمكن من نشره وتوسيع قاعدته فى معظم أرجاء المغرب وخاصة بلاد المصامدة
الذين دخلوا فى الدين الإسلامى طواعية وكان لسياسة موسى بن نصير الداعية إلى
دخول عدد كبير من الموالى فى الإسلام أثر كبير فى تجميع أعداد من حوله مما جعله
يشترى عدداً كبيراً من الأسرى والرقيق وجعلهم مسلمين وتعليمهم اللغة العربية
وفى سبيل ذلك خصص جزءاً كبيراً من المال الذى يعطيه للخليفة لهذا الأمر وكان
يأخذ على هؤلاء العهد والميثاق بأن يكونوا جنوداً أوفياء للإسلام وكان يختارهم
من الرقيق المعروض للبيع عقب أى انتصار من انتصاراته من خلال فتوحاته فى

١- د. حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، مصر ، ١٩٨٠م ، ص ٨٥ .

٢- ابن عذارى : البيان ٤٢/١ .

٣- بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، الطبعة الأولى ، بيروت ص ١٥٢ .

المغرب ومن كل من توسم فيه الرغبة في اعتناق الإسلام وخاصة ما ينحدرون من بيوتات كريمة فقد كان يختار من يظهر بمظهر الشاب النشيط وكان أول الأمر يعرض عليهم أن يعتنقوا الإسلام ثم يستخدمهم على سبيل التجربة فإذا ثبت أن لديهم المقدرة وظهرت منهم بوادر مشجعة أعتقهم وضمهم إلى جيشه فكان هؤلاء البربر مستعربون انكبوا على تعلم اللغة العربية فتجد أن موسى بن نصير قد ترك طارق بن زياد^(١) على طنجة وما والاها ومعه عدة آلاف من العرب وأمرهم أن يعلموا البربر وأن يفقهوهم في الدين أما إذا كانت الثانية أعادهم إلى بقية الأسرى مرة أخرى^(٢) .

أصر موسى بن نصير على استكمال فتوحاته في المغرب الأقصى وضم معظم مناطقه إلى رقعة الدولة الإسلامية وبعد أن اطمأن موسى على ما فتحه وشرع في ضم طنجة وما بقي من هذه البلاد التي لم تفتح فأخذ سكان هذه المناطق في الهرب فتتبعهم وألحق بهم الهزائم حتى بلغ منطقة المغرب الأقصى لا يدافعه أحد^(٣) .

وقد نتج عن ذلك أن طلب سكان هذه البلاد من موسى بن نصير الأمان على أن يلزموا الطاعة فأعطاهم الأمان وأقام على هذا الإقليم وما والاد طارق بن زياد وترك له حامية كبيرة قدرت بسبعة عشر ألفاً من العرب واثني عشر ألفاً من البربر^(٤) ، وقد ترك معه مجموعة من أشرف المسلمين وفقهائهم

١- طارق بن زياد : يقال من العرب من قبيلة صدف أو من البربر من قبيلة نفرة وهو الراجح انظر البلاذري : فتوح البلدان ص ٢٧٢ ، السلاوي : الاستقصا ١/٨٦ .
٢- بروفنسال : نخب تاريخية ص ١١ ، أرنولد : الدعوة إلى الإسلام ص ٢٦٦ عبد العزيز بن عبد الله : مظاهر الحضارة الإسلامية ، الدار البيضاء ١٩٧٠م ص ٦٣ .
٣- ابن عذاري : البيان ١/٤٢ .
٤- المصدر السابق ١/٤٣ .

لتعليم السكان قواعد الإسلام وخاصة سكان مدينة طنجة ومنطقة السوس الأدنى
والانضمام إلى جموع المسلمين الموجودين هناك^(١) .
هذا إلى جانب إرسال موسى بن نصير قائده طريف بن زرعة^(٢) إلى قبائل
المصامدة الذين أعلنوا خضوعهم له وقدموا إليه رهائنهم وتعتبر هذه المرة الثانية التي
يصل إليها المسلمون أرض مصمودة بعد دخول عقبة بن نافع وتأكد انتشار
الإسلام في بلاد المصامدة الذين دخلوا فيه طوعاً^(٣) .

١- الرقيق القيرواني : تاريخ إفريقيا والمغرب ص ٦٦ ، ابن عذارى : البيان ٢٣/١ .
٣- طريف بن مالك أو ملوك ويكنى بأبي زرعة ، أحد قواد موسى بن نصير
المشاركين في فتح الأندلس يراه البعض عربياً يمينياً ويسمونه بالمعافري ،
وإن كانت الغالبية العظمى ترى أنه من البربر انظر د. حسين مؤنس : معالم تاريخ
المغرب والأندلس ص ٥٤ . د. أحمد مختار العبادي : دراسات في تاريخ المغرب
والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، اسكندرية ص ٥٧
٣- ابن عذارى : البيان ٤٣/١ .

ثانياً : انتشار اللغة العربية

أما اللغة العربية فقد ساعدها على الانتشار استقرار القبائل العربية واختلاطهم بالسكان الذين اتخذوا اللغة العربية لساناً لهم وقد قدر عدد العرب الذين استقروا في المغرب منذ الفتح الإسلامي وحتى إتمامه بربع مليون عربي^(١) ويذكر الإدريسي "أن قبائل العرب نزلت على قبائل البربر فنقلوهم إلى لسانهم بطول المجاورة لهم حتى صاروا جنساً واحداً"^(٢) وقد أدى تحول القبائل البربرية في المغرب إلى الإسلام إلى استعراب الكثير منهم أي اتخذهم اللغة العربية أداة لهم في الحديث والخطابة والكتابة وأخذهم بالثقافة العربية في شتى صورها إذ يكفي أن تكون اللغة العربية أداة هذا الدين ولغة كتابته^(٣).

بالإضافة إلى ١ - انضمام أعداد كبيرة من سكان البلاد إلى الجيش العربي للعمل والمساعدة في الإدارة العربية .

٢ - إقامة مدن عربية خالصة بصفة دائمة في إفريقية مثل القيروان وتونس وفاس

٣ - وجود عمليات البيع والشراء والمعاملات التي تتم في الأسواق أدى هذا إلى احتكاك متبادل بين العرب والبربر في كثير من المجالات.

٤ - التشابه الموجود بين العرب والبربر في نمط الحياة القبلية والنشاط الاقتصادي والاجتماعي على سهولة الاندماج بينهما .

٥ - كثرة السبي المتمثل في الخدم والجواري والإماء والزوجات اللاتي دخلن بيوت العرب أدى إلى ازدياد الاحتكاك اليومي والتداخل والزواج بينهما مما يسرع بحركة التعريب وخلق جيل جديد النشأة والتكوين تتفاعل فيه الأفكار....

١- باذل دافدس : إفريقية تحت أضواء جديدة ص ٢٠ .

٢- نزهة المشتاق ٢/٢١٣ .

٣- محمد بن تاويت : الأدب المغربي، بيروت ١٩٦٠م ص ٤٧ .

والآراء بهذا يبلغ التعريب أسمى غاياته ويستكمل كل أطرافه ونواحيه^(١).

ومن الجدير بالذكر أن أى لغة إذا التقت بلغة أخرى ذات تراث حضارى متفوق وكان حظها من ذلك التراث قليلا ينتهى الأمر بتغلب هذه اللغة وكانت أغلب اللغات الإفريقية قليلة الحضارة فلم تستطع أن تصمد طويلاً أمام العرب وثقافتهم ودينهم فخضعت لهذه المؤثرات خضوعاً تاماً^(٢).

هذا وتعتبر اللغة البربرية لغة فقيرة فلقد كانت دون معظم اللغات حظاً من الاتساع والغنى وهى لا تكاد تعدو الحياة اليومية دون أن يكون وراءها الكثير من الثقافة والفكر وعلى الرغم من فقر اللغة البربرية الثقافى إلا أنها صمدت أمام اللغة العربية بصفة خاصة فى المناطق الصحراوية وفى الواحات وفى المناطق الجبلية الوعرة حيث كانت لغة السكان الأصليين فى المغرب^(٣).

ففقر اللغة البربرية ساعد اللغة العربية على الانتشار حيث إن :-

أولاً : نجد أن طبيعة لغة البربر لم تف بالتطور الثقافى والاجتماعى وقد وصفها أحد الباحثين "فهذه اللغة البربرية وإن كانت ولم تزل لغة أقوام كثيرين إلا أنها لم تسبلغ عمرها درجة البيان ولم تسمُ إلى مستوى الأدب وهى قليلة المفردات ضيقة النطاق فى التعبير وهى لم تجار سواها من اللغات المستعملة البسيطة إلا بما كانت تقتبسه على مر القرون الأخرى كاليونانية والفينيقية واللاتينية"^(٤) ، أما اللغة العربية التى هى لغة القرآن والدين والحضارة العربية فهى التى تستطيع أن تفى بحاجة السكان فى كافة الميادين .

١- على اليمنى دردير : الحياة الأدبية والنقدية فى الفسطاط ومسجدها

الجامع ص ٢٧ ، ٢٨ ، رسالة ماجستير بكلية اللغة العربية بالقاهرة رقم ٢١٧٩ .

٢- د. حسن أحمد محمود : الإسلام والثقافة العربية بإفريقية دار النهضة العربية ١٩٦٣م ص ٥٢ .

٣- د. شكري فيصل : المجتمعات الإسلامية فى القرن الأول الهجرى القاهرة ١٩٥٢م ، ص ١٨١ ، ١٨٢ .

٤- عثمان الكعك : المجتمع التونسى على عهد الأغالبة ، مطبعة العرب ، تونس ص ٣٧ .

ثانياً : اتخذ إدريس بن إدريس إدارة عربية تمثل الحضارة العربية بالإضافة إلى إنشاء مدينة فاس وجعلها عاصمة عربية حيث أصبحت مركزاً حضارياً عربياً إسلامياً لهذا نجد أن الفترة الأولى من عمر مدينة فاس تمثل مرحلة هامة فى المغرب الأقصى وخاصة فى الميدان الحضارى فعن طريق مدينة فاس بدأ الإسلام واللغة العربية فى هذه المنطقة ينتشران وكانت مدينة فاس تمثل مركزاً هاماً من مراكز الحضارة بجانب القيروان وقرطبة^(١) .

ثالثاً : كان نشر الإسلام وتعليم اللغة العربية من أهم أهداف نشأة مدينة فاس على يد الأدارسة الذين نجحوا فى توحيد البلاد تحت حكمهم وشجعوا الثقافة العربية .

رابعاً : شاركت المجلات العربية إلى مدينة فاس فى التكوين الثقافى للمجتمع المغربى وذلك عن طريق الاختلاط والاحتكاك بسكان البلاد الأصليين فساعد نشر اللغة العربية على تدعيم أركانها .

خامساً : توجه كثير من البربر إلى المشرق للإغتراف من ينباع العربية والتزود بالثقافة الإسلامية وعودتهم إلى أوطانهم وقيامهم بنشر هذه الثقافة وتعليم اللغة العربية لغة القرآن الكريم والإسلام .

ثالثاً : البيوت والأسر العلمية

تعقد في البيوت العريقة مجالس للعلم والعلماء وكانت معظم هذه المجالس تعقد في المساجد بمدينة فاس وخاصةً جامع القرويين^(١).

١- ومن البيوت العلمية بمدينة فاس بيت يعرف ببيت **بني الحاج** منه أسرة **غفجوم** وهي أحد فروع قبيلة **زناة** هذا البيت كانت له من النباهة والعلم حيث استطاع أن يكون له أحد العلماء ذات الشهرة الواسعة في كافة أنحاء المغرب وإفريقيا الفقيه **أبو عمران الفاسي**^(٢).

٢- بيت **بني الملجوم** من بيوتات المجد والعلم والثقافة بمدينة فاس نبغ منهم عدة أفراد في الفقه والحديث والأدب نذكر منهم **عيسى بن الملجوم** الذي يرجع نسبه إلى **المهلب بن أبي صفرة** وكان **عيسى** عارفاً بعدد من العلوم المختلفة^(٣).

٣- بيت **بكار بن برهون بن الغرديس** وهو من البيوت الشهيرة بمدينة فاس وهو من رجال الأدب والحديث والرواية^(٤).

١- عبد الله كنون : النبوغ المغربي ١/٩١ .

٢- السلاوي : الاستقصا ٢/١٨٤ .

٣- النباهي : تاريخ قضاة الأندلس ص ١٠٢ . عبد الله كنون : النبوغ المغربي ١/٨٩ : ٩٠ .
والملجوم : لقب جرى على أحد أجداده في شبيبته لحبسه كانت في لسانه.

٤- عبد الله كنون : النبوغ المغربي ١/٧٦ .

رابعاً : إقبال أهل المغرب على العلم وجهود العرب فى نشره

بذل العرب جهداً كبيراً فى تحويل أبناء المغرب إلى الإسلام فقد ظهر هذا
المجهود قبل تأسيس مدينة فاس سنة ١٧٢هـ وخاصة فى فترة ولاية كل من
عقبة بن نافع إلى ولاية موسى بن نصير ٨٦هـ ثم ولاية إسماعيل بن عبيد
الله بن أبى المهاجر سنة ١٠٠هـ ثم ولاية عبيد الله بن الحبحاب سنة ١١٦هـ ثم
حنظلة بن صفوان ١٢٤هـ إلى ولاية عبد الرحمن بن الفهري ١٣٦هـ
الذى وحد المغرب من جديد تحت راية الخلافة الأموية ثم الخلافة العباسية .

فقد كان لمجهود هؤلاء القادة أثر كبير فى تدعيم أصول الدين ونشر اللغة
العربية واستطاعوا أن يجعلوا من سكان المغرب مسلمين بالدرجة الأولى بغض
النظر عن جنس هؤلاء الداخلين فى الإسلام بالإضافة إلى أنهم جعلوا الانتماء
والتمسك بالدين الإسلامى لا يقل بأى حال من الأحوال عن أى مسلم فى أى
قطر آخر هذا الانتماء والحب تمثل فى الاستقبال الجميل الذى حظى به
إدريس بن عبد الله على يد أحد زعماء البربر "قبيلة أوربة" فى منطقة ولىلى الذى
فرح به غاية الفرح وأسرى له ابنته كثره^(١) لم يكتمف
اسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوربي شيخ قبيلة أوربة بهذا بل دعا قبيلته إلى
مبايعة إدريس بن عبد الله هذا إلى جانب قيامه بإرسال وفود إلى
القبائل الأخرى^(٢) يدعوها للإقبال على مدينة ولىلى ومبايعة إدريس بن عبد الله

١- السيوطى : كتاب فى نسب بعض الصحابة والأشراف الإدريسيين
ص ٣ مخطوطة .

٢- بعد اتمام البيعة وجدنا أبناء قبيلة أوربة ومعهم أبناء القبائل الأخرى كزنانة وصنهاجة
وهوارة يشكلون جيشاً بقيادة إدريس بن عبد الله لإخضاع المناطق التى لم تباعه بعد فضلاً عن
تأمين حدود دولته الجديدة لذا وجدناه يتجه على رأس جيشه إلى مناطق تامسنا حيث فتح شالة
وغيرها من المناطق ثم اتجه بعد ذلك إلى بلاد تادلا واستولى على معانها وحصونها انظر
ابن أبى زرع : روض القرطاس ١٩/١ : ٢٠ .

بالإمامة^(١) فيذكر أنه في سنة ١٧٢هـ "فلما دخل رمضان في السنة المذكورة جمع عبد الحميد إخواته وقبائل أوربة فعرفهم بنسب إدريس وفضله وقرابته من الرسول (ﷺ) وشرفه وعلمه وكمال الفضائل المجتمعة فيه فقالوا الحمد لله الذي أتانا به وشرفنا بجواره فهو سيدنا ونحن عبيده نموت بين يديه فما تريد منا ؟ قال تبايعونه قالوا سمعاً وطاعة وما منا يتوقف عن بيعته"^(٢) .

هذا الدعم الغير محدود ساعد إدريس بن عبد الله في التفكير في إنشاء مدينة فاس لتكون مركزاً للدولة الجديدة في أقصى المغرب وبالفعل استطاع إدريس إقامة المدينة على الرغم من وجود أقلية عربية وأكثرية من سكان البلاد الأصليين "البربر" واستطاع بهذه المعادلة الصعبة بما له من نسب شريف أن يقيم دولة ويحولها من حلم جميل إلى واقع حقيقي ملموس على الرغم من وجود مجتمع به البدو الرحل والمتحضر بالإضافة إلى القبائل التي تعتمد فيها السلطة على العصبية هذا إلى جانب القواعد الراسخة التي أرساها الولاة السابقون في سبيل حب المغاربة للعرب والمسلمين .

بدأت المدينة الجديدة تستقبل ثقافات مختلفة مصدرها الوافدون الجدد من مدينة القيروان الذين يحملون ثقافتها وكان استقرارهم في العدو القروية المنسوبة إليهم "عدوة القرويين" التي لعبت دوراً كبيراً في نشر الثقافة العربية والدراسات الإسلامية كما استقبلت أيضاً الثقافة الأندلسية التي حملها إليهم الفقهاء والعلماء الذين فروا من قرطبة من أمام الحكم بن هشام فلاجأوا إلى مدينة فاس حيث عمروا العدو المنسوبة إليهم "عدوة الأندلس" فقد ظهرت بوضوح المؤثرات الأندلسية واضحة في طريقة البناء والتعمير إذ برز أثر الطابع الشرقي واضحاً على زخرفة المباني في أسبانيا الإسلامية وذلك ما أثر بدوره على بلاد المغرب^(٣) .

١- السلاوي : الاستقصا ١/١٣٨ .

٢- ابن أبي زرع : روض القرطاس ١/١٥ .

٣- بروفنسال : الشرق الإسلامي والحضارة العربية ص ٢٢ .

هذا إلى جانب تأثر مدينة فاس بالمؤثرات الأندلسية والحضارة العربية التي بدأت تشع بنورها على المنطقة عن طريق إقليم الريف الذى كاد يتصل اتصالاً مباشراً بالأندلس نتيجة الصلات القوية التي قامت بين مدن الأندلس وإقليم الريف فانتشرت المؤثرات الحضارية الأندلسية فى هذه المنطقة^(١) وقد تمثل ذلك فى شكل البناء والأسماء التي أطلقت عليها "فيلاحظ أن بعض أسماء الأعلام التي كانت تتردد هى بذاتها فى المدن القائمة بالعدوتين عدوة القرويين وعدوة الأندلس وبخاصة أسماء بوابات الأحياء فى هذه المدن"^(٢) وذلك راجع بالطبع إلى الهجرات العربية من الأندلس والتي جاءت وعمرت الجزء الشرقى من مدينة فاس .

على الجانب الآخر نجد أن اللغة العربية بدأت فى أقصى المغرب فى ولاية عقبة بن نافع الثانية ٦٢ : ٦٤ هـ وقد ظهرت ثمار انتشار هذه اللغة فى ولاية موسى بن نصير حيث وجد قادة من أهل البلاد "البربر" يتكلمون اللغة العربية السليمة مثل طارق بن زياد وطريف بن زرعة وكان لانتشار اللغة العربية فى بلاد المغرب دور كبير فى سهولة تعامل الأدارسة مع قبائل المغرب وسرعة الاتفاق على المساعدة فى تأسيس عاصمة دولة الأدارسة وقد ظهر بوضوح دور الأدارسة فى العمل على انتشار اللغة العربية حيث كانوا يرون أنفسهم كالعرباء المنقطعين بين الأمم البربرية المخيمة بتلك الأوضاع^(٣) فقد كانت لغة التخاطب بين العرب المهاجرين من إفريقية والأندلس وقد كانت لغة البربر هى السائدة فى المنطقة "فاس وما حولها" وهى لغة فقيرة ولا تكاد تمثل حياة البربر اليومية الضيقة وقد وصفها ابن خلدون بقوله "ولغتهم من الرطانة الأعجمية متميزة بنوعها وهى التي اختصوا من أجلها بهذا الاسم"^(٤) .

١- حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين ص ١٩ .

٢- بروفنسال : مرجع سابق ص ٢٢ .

٣- حسن حسنى عبد الوهاب : شهيرات التونسيات، تونس ١٣٥٣هـ ص ٢٠ .

٤- العبر ١٧٦/٦ .

خامساً : اهتمام أهل المغرب بمذهب الإمام مالك وظهور العلماء

فى الواقع أن انتماء مؤسس مدينة فاس إلى العلويين يمكن أن نطلق عليها مدينة علوية وبما أن مؤسسها فر بنفسه من سلطة الدولة العباسية فى بغداد وبعد أن اطمأن إلى نفسه وإلى مقامه بدأ يفكر فى إنشاء مدينة فاس لتكون عاصمة لدولته فى هذه المنطقة معنى هذا أن قيام هذه الدولة وتأسيس مدينة فاس لم يسبقه تمهيد أو إعداد أو دعاية لمذهب دينى معين قام به دعاة سريون يقومون بنشره وترويجه لأحد بعينه أو لفرد من آل البيت العلوى كما حدث بالنسبة لقيام الدولة العباسية أو الدولة الفاطمية وعلى هذا فدولة الأدارسة وعاصمتها مدينة فاس لم تقم على مبادئ سياسية أو دينية معينة بل قامت على أكتاف رجل واحد يمثل هبة الأسرة العلوية الشريفة كما يمثل مناقب أهل البيت^(١) .

إن انتماء إدريس بن عبد الله للأسرة العلوية يمكن أن نعتبره من الزيدية التى تنطبق عليه آراؤهم بالنسبة لشروط الإمامة^(٢) هذه الشروط تنطبق على إدريس بن عبد الله وذلك لانتسابه إلى الحسن بن على بن أبى طالب (رضى الله عنه) واتصافه بصفات العلم والزهد والشجاعة وخروجه مع الحسين بن على فى ثورة فسخ وقاتله للعباسيين ثم هروبه إلى المغرب الأقصى حيث أسس دولته وقد ذكر ابن خلدون فى ذلك حيث قال "وقال آخرون من الزيدية أن الإمام يعد محمد بن عبد الله أخوه إدريس الذى فر إلى المغرب ومات هناك وقام بأمره ابنه إدريس واختط مدينة فاس وكان من بعد عقبه ملوكاً بالمغرب إلى أن انقرضوا"^(٣) .

١- د. سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ٤٠٨/٢ .

٢- الزيدية أتباع زيد بن على بن الحسن بن على بن أبى طالب فقد جعلوا الإمامة فى أولاد فاطمة (رضى الله عنهم) ولم يجوزوا ثبوت الإمامة فى غيرهم إلا أنهم جوزوا أن يكون فاطمياً زاهداً شجاعاً سخياً حرياً بالإمامة وأن يكون إماماً واجب الطاعة سواء أكان من أولاد الحسن أو أولاد الحسين (رضى الله عنهم) انظر الشهرستانى : الملل والنحل ص ٣٠٢ .

٣- ابن خلدون : العبر ٥٢٥/٢ .

هناك وقام بأمره ابنه إدريس واختط مدينة فاس وكان من بعد عقبة ملوكاً بالمغرب إلى أن انقرضوا^(١).

بداية مذهب الإمام مالك بن أنس في مدينة فاس

لقى مذهب الإمام مالك بن أنس لدى العلويين ارتياحاً كبيراً نظراً للتقارب الذي تم بين الإمام مالك وبين النفس الزكية أخ الإمام إدريس بن عبد الله حين ساند النفس الزكية بقوله إنه أحق من أبي جعفر المنصور بالخلافة ويذكر أن سبب اشتها مذهب مالك بالمغرب :

١- "فتياه بخلع أبي جعفر عبد الله بن محمد المنصور العباسي وبيعتة لمحمد النفس الزكية وعهد لأخيه إدريس الأكبر بالخلافة بعده... فقال إدريس نحن أحق باتباع مذهبه وقراءة كتابه يعني الموطأ وأمر بذلك في جميع عمالته"^(٢).

٢- بالإضافة إلى أن الإدارة العربية التي شكلها إدريس بن إدريس لتساعده في الحكم ضمت بين أفرادها القاضي عامر بن محمد بن محمد بن سعيد القيس بن قيس بن عيلان وكان رجلاً صالحاً فقيهاً سمع من الإمام مالك وسفيان الثوري وروى عنهما الكثير^(٣).

قام هذا القاضي بتطبيق الأحكام والفتاوى التي درسها على الإمام مالك فقد "اختار - إدريس بن إدريس - القاضي المذكور - عامر بن محمد - للنيابة عنه في الأحكام والفتاوى المتعلقة بأمر المسلمين والدين كان لما علم من فضل القاضي وعلمه ودينه وتبحره في العلوم التي أخذها وسمعها من أجلاء علماء الأمة كالإمام مالك بن أنس وسفيان الثوري وغيرهما - وكان قد أتى إلى مدينة فاس - من غير تصدر للرياسة فاستقضاه الإمام إدريس بن إدريس"^(٤).

١- ابن خلدون : العبر ٥٢٥/٢ . طبعه الإسماعيلي .

٢- الكتاني : الأزهار العاطرة الأنفاس ص ٣٢ .

٣- ابن أبي زرع : روض القرطاس ٣٥/١ .

٤- الحلبي : الدر النفيس ص ٢٤٨ .

وبذلك كانت الأحكام والفتاوى وغيرها من شئون القضاء تصدر عن رجل مالكي المذهب أخذ عن الإمام مالك بن أنس وسمع منه أحكام الدين .

٣- التيار الذي ساد المغرب عامة من دخول مذهب الإمام مالك بن أنس وذلك عن طريق الحجاج وطالبي العلم من المغاربة الذين توجهوا إلى مراكز العلم في مصر والحجاز ووجدوا بغيتهم في الحجاز حين تتلمذوا على الإمام مالك والذي لا يميل إلى التخريج والتأويل كفقهاء الحنفية على سبيل المثال وكان هؤلاء العلماء قد وجدوا صعوبة من كثرة التأويلات والآراء المذهبية المختلفة التي حملها إليهم الخوارج من صفرية وإباضية وما نتج عن ذلك من فتن وثورات قامت في مناطق متعددة بالمغرب ومن هنا صادف مذهب الإمام مالك هوى في نفوسهم لإقامتهم في المدينة المنورة بجوار سيدنا محمد (ﷺ) هذا إلى جانب شدة تمسك مذهب الإمام مالك بالكتاب والسنة ويصور ذلك أحد الباحثين "في ذلك الحين - في النصف الأول من القرن الثاني الهجري - كان أمر مالك بن أنس قد بدأ يعلو وأخذ مذهبه في الفقه يتحدد بما امتاز به من التزام القرآن والحديث والابتعاد عن التأويل والاقتصاد وفي القياس ما أمكن تعصبهم لمذهبهم المحبب فمن كان مالكيًا قبلوه وأحبوه ومالوا إليه ومن كان غير ذلك حاربوه دون هوادة"^(١) .

هذه العوامل مجتمعة رسخت آراء الإمام مالك وانتشر فقهه في مدينة فاس والمناطق المجاورة من بلدان المغرب الأقصى عامة وكان أثره القوي في ثقافة أهل المغرب حيث سيطرت المالكية على الحياة الثقافية في بلاد المغرب^(٢) .

ولم يمتد أثر المذهب المالكي إلى النواحي الثقافية فقط بل كانت له آثاره الاجتماعية من عادات وتقاليد سار عليها المغاربة تقليدًا للإمام مالك وتلاميذه بل

١- د. حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين ص ٩٩ .

٢- د. حسن أحمد محمود : الإسلام والثقافة في إفريقيا ١/١٥٦ .

وطعامه وكيفية جلوسه للإسراع وطريقته فى الحديث كل ذلك أصبح عند المغاربة
المثل الأعلى الذى ينبغى أن يحتذى به المسلم الصحيح^(١) .

لم يقتصر جهد مؤسسو مدينة فاس على تأييدهم لمذهب الإمام مالك
ونشرهم له بل شجعوا مختلف الثقافات الوافدة إليهم من القيروان وقرطبة تلك
الثقافات التى حملتها إليهم الهجرات العربية المتتالية إلى مدينة فاس عاصمة البلاد
وأخذت مدينة فاس تكون شخصيتها المستقلة وتبنت العلم لنشره فى ربوع ذلك
القطر ، وكان الأدارسة أنفسهم يزكون هذه الحركة المباركة بتأييدهم^(٢) .

"وكان الإمام مالك يلقى درسه فى المدينة دار الرسول (ﷺ) وأقبل على
مجاله الراغبون فى مدارس العلم من المغاربة فوجدوا ضاللتهم التى كانوا
يبحثون عنها"^(٣) .

هذا إلى جانب أن دولة الأمويين فى الأندلس وهى الواجهة لدولة الأدارسة
قد جرت أحكامها على مذهب الإمام مالك فيذكر أنه "فى دولة الحكم بن
هشام بن عبد الرحمن الداخل وهو ثالث الأمراء بالأندلس من الأمويين وانتقلت
الفتوى إلى رأى مالك بن أنس وأهل المدينة فانتشر علم مالك ورأيه بقرطبة
والأندلس جميعاً بل والمغرب وذلك برأى الحكم واختياره"^(٤) .

ولم تكن مدينة فاس عاصمة الأدارسة بمنأى عما يحدث من تيارات مذهبية
وخاصة فى أرض تواجه شواطئها ولا يفصلها عنها سوى مضيق صغير حتى إن
مدينة سبتة وهى تقع على الشاطئ الشمالى لدولة الأدارسة كان يقضى فيها برأى
علماء الأندلس^(٥) .

١- د. حسين مؤنس : مقدمة رياض النفوس ١/١١ .

٢- د. حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين ص ٧٩ .

٣- د. حسين مؤنس : مقدمة رياض النفوس ١/١١ .

٤- المقرئ : نفع الطيب ٢/٢٣٤ .

٥- ابن عذارى : البيان ١/٢٢٨ .

هذا فضلاً عن الهجرات المتوالية لعلماء الأندلس خاصة أولئك الذين فروا من واقعة الربض وحملوا معهم تلك الثقافات العربية المختلفة التي سادت في الأندلس ولا سيما آراء الإمام مالك بن أنس وأحكامه .

٤- ما تصف به مذهب الإمام مالك من ميل إلى الشدة والصلابة والبعد عن أسباب الترف فقد وجدت هذه السمات أثراً في نفوس المغاربة الذين يميلون عادةً إلى التشدد والتمسك بما يؤمنون به ويعتقدونه ، والمغاربة بطبيعتهم معروفون بالتمسك الشديد لما يدينون به فيخلصون في ذلك ويصلون إلى حد التضحية بأنفسهم في سبيل المبدأ الذي يؤمنون به ويتميز المذهب المالكي بالشدة في الحق ، والتزام الجادة فكأنه وافق طبيعة المغاربة ووجد فيهم بيئة صالحة لنشر تعاليمه بينهم بل بالغ المغاربة فيه^(١) وأستطيع أن أتعرف من خلال تراجم العلماء المشهورين في مدينة فاس قبيل عصر المرابطين على الثقافة الإسلامية ومكانتها :

١- **درّاس بن إسماعيل** : أبو ميمونة دراس "لكثرة الدرس" ابن إسماعيل الفاسي من علماء مدينة فاس ، سمع من شيوخها ورحل إلى المشرق والأندلس وإفريقيا روى الحديث وقرأ الفقه لقي جماعة من العلماء^(٢) وكان دراس محدثاً حافظاً من أهل الفضل والدين ولما وصل إلى مدينة فاس قام بتدريس العلوم الدينية بعد رجوعه من المشرق توفي بمسقط رأسه بفاس سنة ٣٥٧هـ ودفن بخارج باب الفتوح منها حيث بنيت عليه قبة جميلة^(٣) .

٢- **أبو جيدة** : أبو جيدة بن أحمد البرنسي "اليزغيني" من أهل مدينة فاس ومن أهل العلم والفقه والصلاح بها ، رحل إلى المشرق وعند رجوعه منها خرج أهل

١- د. حسن علي حسن : دراسات في تاريخ المغرب ص ١٠٩ .
٢- السلاوي : الاستقصا ١/١٨٧ ، سمع دراس بإفريقيا من أبي بكر اللباد ولقي علياً بن أبي مطر بالإسكندرية ودخل الأندلس مجاهداً وتردد بها ، فسمع منه أبو الفرج عبيدوس بن خلف ، خلف بن أبي جعفر انظر السلاوي : الاستقصا ١/١٨٧ ، عبد الله كنون : النبوغ المغربي ٤٩/١ ، ٥٠ .
٣- السلاوي : الاستقصا ١/١٨٧ . عبد الله كنون : النبوغ المغربي ٤٩/١ ، ٥٠ .

مدينة فاس كلهم للقاءه الرجال والنساء وذلك فرحاً وإجلالاً له ، اشتهر بفتواد فى حكم أرض المغرب والتي أنقذ بها هذه المنطقة من سيادة الظلم^(١) .

وكان أبو حيدة راسخ القدم فى فقه مالك والشافعى معاً وله تأليف فى الوثائق على طريقة الشافعية توفى سنة ٣٦٥هـ ودفن خارج أحد أبواب مدينة فاس^(٢) .

٣- أبو عمران الفاسى : موسى بن عيسى بن أبى حاج الغفجومي نسبة إلى غفجوم من قبيلة زناتة كان بيته بفاس معروفاً مشهوراً استوطن القيروان وحصلت له بها رياسة العلم^(٣) .

وكان أبو عمران من أحفظ الناس بكتاب الله ويقرؤه بالقراءات السبع^(٤) هذا إلى جانب حفظه لحديث الرسول (ﷺ) ومعرفة معانيه ، أعلم الناس بالمذهب المالكى مع علمه بالرجال أخذ عنه الناس من أقطار المغرب والأندلس ، ألف كتاب التعاليق استقر بمدينة فاس ثم توفى سنة ٤٣٠هـ وهو ابن ٧٦ سنة^(٥) .

١- عبد الله بن كنون : النبوغ المغربى . ٥٠/١ ، ٥١ فمثلاً عندما تغلب عامل المنصور بن عامر على مدينة فاس قال لهم أخبرونى أصلح هى أم عنوة فقالوا لا جواب عندنا حتى يأتى الفقيه أبو جيدة وكان يعمل فى بستان له خارج المدينة وعندما سئل قال ليست بصلح ولا عنوة وإنما أسلم عليها أهلها فلقبت لهم فقال العامل خلصكم الفقيه انظر السملالى : الإعلام ٢٨٨/١ . عبد الله كنون : النبوغ المغربى ٥٠/١ ، ٥١ .

٢- السلاوى : الاستقصا ٢٠٨/١ .

٣- عبد الله بن كنون : النبوغ المغربى ٥٢/١ ، ٥٣ تفقّه على يد أبى الحسن القابسى ورحل إلى قرطبة فتفقّه على أحد علمائها "الأصلى" وسمع من أبى عثمان وأحمد بن قاسم وغيرهم ثم رحل أبو عمران إلى المشرق ودخل العراق فسمع من الفتح بن أبى الفوارسى ودرس الأصول على يد القاضى أبى بكر الباتلانى انظر السلاوى : الاستقصا ٢٠٨/١ ، عبد الله كنون : النبوغ المغربى ٥٢/١ ، ٥٣ .

٤- القراءات السبع : هذه الطرق فى القراءة نسبت إلى من اشتهر بروايتها وهؤلاء القراء السبعة الذين نسبت قراءاتهم لأسمائهم هم ١- نافع من أهل المدينة ٢- ابن كثير من مكة ٣- ابن عامر من الشام ٤- أبو عمرو من البصرة ٥- حمزة والكسائى من الكوفة ٦- وورش وقد أضيفت ثلاثة قراءات منسوبة لكل من حفص وأبى جعفر ويعقوب فصارت القراءات عشرا وما زاد على ذلك اعتبر شاذاً انظر عبد الواحد وافى : فقه اللغة ص ١١٨ ، د. محمد عادل : التربية الإسلامية فى المغرب ص ٧٨ .

٥- السلاوى : الاستقصا ٢٠٨/١ .

كان العلماء الذين يدرسون بالمغرب أو المهتمين بالعلم يرحلون إلى المشرق ليأخذوا وينهلوا من علماء هذه المنطقة ثم يرحلون ليعطوا من علمهم إلى أقرانهم في المغرب لهذا ظهرت الشخصية العلمية المغربية وخاصة في مدينة فاس فقد كان لعلمائها أسلوب تحليل المدونة على طريقة خاصة تعتمد على المناقشات اللفظية في ضبط الروايات وتصحيحها وخير شاهد على ذلك الازدهار الأدبي في مدينة فاس في عصر الأدارسة و أن إدريس بن إدريس كان من شعراء عصره ليس هذا فقط وإنما يوجد للقاسم بن إدريس آثار أدبية^(١).

وتعتبر أول حركة علمية منظمة بالمغرب وجدت في مدينة فاس مكونة من وفود الأندلسيين القرطبيين القادمين على إدريس بن إدريس بعد واقعة الربض مع الحكم بن هشام^(٢) ويذكر أن الحركة العلمية بدأت بمدينة فاس بعد أن رحل إدريس بن إدريس من القيروان وقرطبة ومن كان فيهما من العلماء والفضلاء من كل طبقة لما حدث فيهما من الفتن والاضطراب ونزل أكثرهم مدينة فاس^(٣).

ومن الجدير بالذكر أن مذهب الإمام استطاع في هذه الفترة الواقعة منذ تأسيس مدينة فاس وحتى قبيل عصر المرابطين والموحدين أن تكون له اليد الطولى ليس بمدينة فاس فقط ولكن في المغرب بالكامل وحتى الأندلس ولم يتوطد أمره في هذا العصر كمذهب فقهي فقط بل كعقيدة أيضاً فإن التلازم بين طريقته في الفقه والاعتقاد وهي اتباع السنة ونبذ الرأي والتأويل^(٤).

يدل على هذا انتصار المالكية في إفريقيا سنة ٤٤٣ هـ حين أعلن ولاية إفريقيا التابعين للفاطميين اسماً العصيان على هذه الدولة وقطعوا الخطبة لهم من

١- ابن الأبار : الحلة السيرة ٥٦/١ .

٢- المقرئ : نفح الطيب ٣٣٩/١ .

٣- المراكشي : المعجب ص ٤٤٣ .

٤- ...

البلاد واخفى نفوذ الشيعة تقريباً وتغلب مذهب مالك نهائياً وطبعت الثقافة العربية
فى المغرب بطابعها المميز عن المشرق^(١) .

ويعتبر تأكيد الثقافة العربية بهذه الطريقة هو انتصار للمذهب المالكي ، فقد
وجدت أسباب هذا النجاح والاستمرار والتميز فى هذه المنطقة يرجع إلى

- ١- انتشار اللغة العربية وتعمق الثقافة الإسلامية فى نفوس الناس .
- ٢- ظهور طبقة من مثقفى البربر وفقهائهم وعلمائهم يطبعون الثقافة الإسلامية
بطابعهم المتشدد^(٢) .
- ٣- اختفاء النفوذ العربى أو الشرقى برحيل الفاطميين وقيام أسرات من البربر
الخلص مثل دولة المرابطين ودولة الموحدىن الذين طبعوا الثقافة الإسلامية بالمغرب
بالطابع الخاص المميز عن الطابع الشرقى فى كل ناحية مثلاً فى الإسلام مذهب
مالكي متشدد وفى الخط العربى قلم مغربى خاص^(٣) .
- ٤- إنشاء مدينة فاس وقيامها بدور هام فى المنطقة من نشر اللغة العربية والإسلام
والمحافظة على عروبة المغرب وحماية المذهب المالكي عندما اجتاحت الغزو الهلالي
مدينة القيروان سنة ٤٤٦هـ فحافظت مدينة فاس على علماء القيروان واستقبلتهم
وأحسنّت إليهم وقدمت لهم كل رعاية واهتمام^(٤) أما عن بقية المذاهب الأخرى
فقد عرفت مدينة فاس جميع المذاهب المعروفة ، فقد ظهر مذهب أبى حنيفة فى
إفريقيا أواخر القرن الرابع الهجرى ، ومنها دخل مدينة فاس والأندلس كما عرف
المغاربة المذهب الشافعى أما المذهب الحنبلى فلم يشتهر بالمغرب^(٥) .

١- د. حسن أحمد محمود : الإسلام والثقافة العربية ١/١٧٣ .

٢- د. حسن على حسن : دراسات فى تاريخ المغرب ص ١٠٩ .

٣- د. سوادى عبد محمد : دراسات فى تاريخ المغرب ص ١٠٢ .

٤- د. حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين ص ١٠٥ .

٥- الحسن السائح : الحضارة الإسلامية بالمغرب ص ١٥٧ .

سادساً : تقدير المجتمع للعلم والعلماء**أ- تقدير الحكام للعلم والعلماء**

العلم له دور كبير ومؤثر في حياة الشعوب ، والطائفة التي تعمل بهذه الحرفة هم مكانة وتقدير عند الحاكم والمحكوم ، وقد تمتع العلماء بامتزجة عظيمة في مدينة فاس وغيرها من المدن الإسلامية ، هذه الامتزجة وضع أساسها إدريس بن إدريس نظراً لفصاحته وطلاقة لسانه وعلمه فقد "كان بليغاً عاملاً بكتاب الله تعالى قائماً بحدوده راوياً لحديث النبي (ﷺ) ، عارفاً بالفقه والسنة والحلال والحرام" (١) هذا إلى جانب نظمه للشعر فهد القائل :-

١- كأنك لم تسمع بمكر ابن غالب ... وما قد رمى بالكيد كل بلاد

٢- ومن دون مامتك نفسك خاليا ... ومناك إبراهيم خرط قتاد (٢)

فالقاسم بن إدريس بن إدريس كان ينظم الشعر أيضاً (٣) فحب الأدارسة للشعر والعلم والعلماء والفقهاء كان الحافز لسكان مدينة فاس للاهتمام بالعلم فخرج منهم العلماء والفقهاء والخطباء وقد أورد ابن أبي زرع أسماء لبعض الفقهاء والخطباء باعتبارهم قمة المسؤولية الدينية بالمدينة فأول خطيب لجامع القرويين بعد أن نقلت إليه من مسجد الشرفاء ٣٢١هـ الشيخ الفقيه الصالح أبو محمد عبد الله ابن علي الفارسي ، وأول خطيب لجامع الأندلس بعد أن نقلت من مسجد الأشياخ الشيخ أبو الحسن محمد الصدفي ، وأول خطيب لجامع القرويين في عهد الموحدين الشيخ محمد مهدي بن عيسى "وكان من أحسن الناس خلقاً وخلقاً وأفصحهم لساناً وأكثرهم بياناً وكانت موعظته تؤثر في القلوب لصدقه

١- ابن أبي زرع : روض القرطاس ٢٩/١ .

٢- ابن الأبار : الحلة السيرة ٥٥/١ . شعر إدريس بن إدريس يخاطب فيه البهلول ابن عبد الواحد المدغري ذاهباً إلى مراجعة طاعته ومحدراً إبراهيم بن الأغلب وهو الذي كان أفسده عليه حتى قاتله انظر الحلة السيرة ٥٥/١ .

٣- للتعرف على شعر القاسم بن إدريس انظر ابن الأبار : الحلة السيرة ١٣٣، ١٣٢/١ .

وإخلاصه ، وكان يخطب كل جمعة خطبة لا تشبه الأخرى" وقد أورد ابن أبى زرع أكثر من ثمانية خطباء لجامع القرويين فى عصر الموحدين بهم من الصفات الحسنة كالسابق ذكرها مع أنه أهمل ذكر الخطباء فى عصر المرابطين^(١) .
ومن الجدير بالذكر أن كلا من دولتى المرابطين والموحدين قد قامت على أساس دينى ودعوة إصلاحية ، فكان المبدأ الدينى هو الأساس الذى قامت عليه دولة المرابطين وبالتالى تمتع العلماء والفقهاء بمكانة رفيعة فى المجتمع هذا فضلاً على التقدير والاحترام من جانب أمراء المرابطين فقد كان يوسف بن تاشفين "مؤثراً لأهل العلم والدين كثير المشورة لهم"^(٢) .

وقد بلغ من نفوذ ومكانة العلماء والفقهاء فى عهد الأمير على بن يوسف أنه نزل على رأيهم فى قضية حرق كتاب إحياء علوم الدين لما رأوا به من الآراء التى تنقص من مهام عملهم^(٣) .

هذه المكانة الخاصة التى أولاها أمراء المرابطين للفقهاء والعلماء جعلت منهم فئة مرهوبة الجانب مسموعة الكلمة فى كافة أنحاء دولة المرابطين وأصبح لهم دور بارز فى السياسة العامة للدولة المرابطية ، ولعل سيطرتهم على مقاليد الأمور هى التى جعلت ابن تومرت يهاجم ويحارب جمودهم الفكرى^(٤) .

واختلف وضع العلماء والفقهاء فى عهد الموحدين ، فقد عمد ابن تومرت إلى محاربة تسلط الفقهاء ، فقد عمد منذ البداية إلى توزيع السلطات والمهام على هيئة طبقات لكل طبقة مهامها ، ولم يدع فرصة للعلماء للسيطرة على الدعوة الموحدية^(٥) .

١- روض القرطاس ١ / ١٠١ : ١٠٩ . هؤلاء الخطباء لم نعثر لهم على تراجم .

٢- السلاوى : الاستقصا ١ / ٥٢ .

٣- ابن عذارى : البيان ١ / ٥٩ : ٦١ .

٤- مختصر دائرة المعارف الإسلامية ٢٥ / ١٧٩ .

٥- البيهقى : أخبار المهدي ص ١٠ . المراكشى : المعجب ص ٢٤٠ .

ب - تقدير العامة للعلماء

الإسلام له قوة دفع كبيرة ولم يدخل شعب أو بلد فيه إلا دفعهما دفعاً إلى العلم والتعلم وكانت أول آيات نزلت منه على الرسول (ﷺ) "أقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق ، أقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم" (١) .

معنى ذلك أن الإسلام والعلم متلازمان وكان المسلمون بمجرد أن يفتحوا بلداً يقيمون فيها مسجداً ويقيمون بجانب المسجد كتاباً لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم بعض الفقه والحديث والعلوم الإسلامية بالإضافة إلى قواعد اللغة العربية ومن ينبغ فى هذه العلوم تصحيح له مخانة بين المجتمع من تقدير واحترام ، هذا وقد عُرف عن أهل المغرب الأقصى حبهم للعلم والعلماء فمثلاً نجد أبا جوده بن أحمد الزينسى من أهل المغرب كانت له جولة علمية بالمشرق الإسلامى لتحصيل المعارف وعند رجوعه منها خرج أهل مدينة فاس بكل طوائفها للقاءه وذلك فرحاً وإجلالاً له ولعلمه (٢) .

كذلك نجد يحيى بن إبراهيم الجدالى "أمير جداله" قد بذل مجهوداً كبيراً للبحث عن فقيه يتولى توجيه قومه لأصول الدين الصحيح دافعه فى حين قال "وفيه أقوام على تعليم العلوم حريصون وعلى التفقه فى الدين من الله يرغبون" (٣)

انتهى الأمير يحيى من رحلة الحج سنة ٤٢٨هـ ثم نزل القيروان وتوجه منها إلى بلاد السوس برسالة من الفقيه أبى عمران موسى بن الحاج الغفجومى إلى أحد

١- سورة العلق : الآيات ١ : ٥ .

٢- السملالى : الإعلام ١/٢٨٨ . عبد الله كنون : النبوغ المغربى ١/٥٠ . اشتهر أبو جوده بفتواه فى حكم أرض المغرب عندما سأل عامل المنصور بن عامر لما تغلب على فاس قال أخبرونى عن أرضكم أصلح هى أم عنوة ؟ فقالوا : لا جواب عندنا حتى يأتى الفقيه أبو جوده وكان يعمل فى بستان خارج المدينة فلما جاء سأله فقال : ليست بصلح ولا عنوة وإنما أسلم عليها أهلها فبقيت لهم فقال العامل : خلصكم الفقيه انظر المرجع السابق

٣- ابن عذارى : البيان ٤/٨ .

تلاميذه هناك فاختار له طالباً من قبيلة جزولة "عبد الله بن ياسين" استقبلوه استقبالاً جميلاً واحتفلوا بقدومه ونال إعجاب شيوخها وأقبلوا عليه للسمع منه ، هذا الفقيه استطاع أن يؤلف القلوب حوله عن اقتناع ومحبة لفضل علمه فاجتمع حوله كثير من الصالحين والراغبين فى تحصيل العلوم الدينية وتسابقوا إليه وأخذوا عنه حتى بلغوا ألف رجل فأطاعوه طاعة عمياء^(١) .

هذه الطاعة تدل على التقدير العالى والحب الكبير من عامة أهل المغرب الأقصى للعلم والعلماء .

نموذج آخر "محمد بن تومرت" ولد سنة ٤٨٥هـ قضى ما يقرب من إحدى عشرة سنة يجوب عواصم المشرق الإسلامى ينهل من منابع العلم والمعرفة هذه الفترة ليست قصيرة من عمر الإنسان يقضيها فى تحصيل العلوم الإسلامية من مراكز الثقافة الموجودة بالعراق والشام ومكة والمدينة بالإضافة إلى مصر^(٢) .

هذه الإرادة إن دلت فإنها تدل على مدى الإصرار والحب الذى لا يعترف بأية مصاعب أو عقبات قد تواجه طلاب العلم بصفة عامة وشغف المغاربة للتحصيل والمعرفة ونشرها بين العامة .

عاد ابن تومرت من رحلته إلى بلاد المغرب يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وكان يقضى يومه فى العبادة والتدريس لطلبته حتى انضم إليه عبد المؤمن الكومى وسائر أتباعه ولم تنزل طاعتهم له تزداد وإعجابهم به يشتد حتى بلغوا فى ذلك إلى حد "لو أمر أحدهم بقتل أبيه أو أخيه لبادر إلى ذلك من غير إبطاء"^(٣) إلى هذه الدرجة تقدر عامة الناس فى المغرب الأقصى العلماء وتأثير العلماء عليهم فاق معظم الحدود هذا التقدير والتأثير للعلماء نتج عنه حدثان كبيران فى المغرب ألا وهما قيام دولة الموحدين ومن قبلها دولة المرابطين .

١- ابن عذارى : البيان ٩/٤ . د. عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ٦٩٥/٢ .

٢- السملالى : الإعلام ٥٩/٤ .

٣- المراكشى : المعجب ص ١٩١ .

سابعاً : تدوين العلوم :

اتسم عصر المرابطين والموحدين فى المغرب بالترمت الشديد تجاه بعض العلوم على الرغم من حبهم للعلم والعلماء فلم يفسحوا المجال لانتشار هذه العلوم تحت تأثير ضغط الفقهاء فى عهد على بن يوسف (٥٠٠ : ٥٣٠هـ) حدثت مناظرة علمية فى علم الاعتقاد لابن تومرت بمدينة فاس "فكان له الشفوف والظهور .. وألقى قوماً صيماً عن جميع العلوم النظرية خلا علم الفروع"^(١) لأن فقهاء أهل المغرب ينفرون من هذه العلوم ويتصدون لها "فلما سمع الفقهاء كلامه أشاروا على والى البلد بإخراجه لئلا يفسد عقول العوام"^(٢). من جانب آخر نجد قضية إحراق كتاب إحياء علوم الدين التى أحدثت أثراً كبيراً وجدلاً واسعاً بين مؤيد ومعارض^(٣).

وفى عصر أبى يوسف الموحدى ٥٨٠ : ٥٩٥هـ — "انقطع علم الفروع وخافه الفقهاء وأمر بإحراق كتب المذهب بعد أن يجرى ما فيها من حديث رسول الله (ﷺ) والقرآن الكريم ففعل ذلك فأحرق منها جملة فى سائر البلاد"^(٤). وقد رأى المراكشى بنفسه وهو شاهد عيان عملية إحراق لكتب متعددة بمدينة فاس "ولقد شاهدت منها وأنا يومئذ بمدينة فاس يؤتى منها بالأحمال فتوضع ويطلق فيها النار"^(٥).

١- المراكشى : المعجب ص ١٨٤ .

٢- المصدر السابق .

٣- مجهول : الحلل الموشية ص ٨٥ . ابن عذارى : البيان ٥٩/٤ .

٤- من هذه الكتب مدونة سحنون وكتاب ابن يونس ونوادى ابن أبى زيد ومختصره وكتاب التهذيب للبرادعى وواضحة ابن حبيب وما جانس هذه الكتب ونحا نحوها انظر

المراكشى : المعجب ص ٢٧٨ .

٥- المراكشى : المعجب ص ٢٧٨ .

هذا الحذر من جانب المرابطين والموحدين تجاه تداول بعض العلوم دون غيرها جعل من الصعب ظهور كثير من الكتب الخاصة بالحياة العلمية داخل هاتين الدولتين لم يبق منها إلا العناوين فقط حتى إن المراكشى "طُلب منه في غربته أن يصف تاريخ بلاده في كتاب فزواج بين الأدب والتاريخ في ذلك الكتاب"^(١).

١- المراكشى : المعجب ص ٩ ، والكتاب هو المعجب في تاريخ أخبار المغرب ، القاهرة ١٩٤٩ م .

العلوم الشرعية

إن من أهم الأعمال التي قام بها الأدارسة في المغرب الأقصى هو تأسيسهم لمدينة جديدة عاصمة لدولتهم وهي مدينة فاس سنة ١٧٢هـ وهو عمل يعتبر فريداً في المنطقة استطاع أن يدعم ويؤكد سلطتهم في المغرب الأقصى ويخلد ذكراهم .

ولقد واجه الأدارسة بعض الصعوبات التي كانت تمثل عائقاً لهم في نشر مبادئ الدين الإسلامي الصحيح فقد كانت تربة المنطقة غير مهياًة لبذل جهودهم حتى تأتي بنتائج مشجعة تساعدهم في إرساء مبادئ الدين الحنيف فكان لابد من تنظيف المنطقة من العقائد الفاسدة التي كان يدين بها بعض قبائل البربر ولم تستطع الحملات الإسلامية المتعددة من محوها من المغرب الأقصى فقد "كان دينهم المجوسية شأن الأعاجم كلهم بالمشرق والمغرب إلا في بعض الأحيان يدينون دين من غلب عليهم من الأمم" (١) . وكانت لهم معتقدات شتى بالإضافة إلى المجوسية كانت اليهودية والنصرانية فكل واحد منهم يعبد ما يشاء من الأديان الفاسدة فمنهم من تنصر ومنهم من قهود ومنهم من تمجس (٢) .

فعلى الرغم من انتشار الإسلام بالمغرب الأقصى إلا أنه ما زال يوجد بعض البقايا لهؤلاء الذين لم يدخلوا في الإسلام فكان لابد من السيطرة عليهم إما بالدخول في الإسلام أو دفع الجزية ، هذا بالإضافة إلى وصول فرقة الخوارج التي وجدت آذاناً صاغية لمبادئها التي تحاول بث بذور الثورة فمثلاً ادعى بعضهم النبوة

١- ابن خلدون : العبر ١٧٦/٦ .

٢- مجهول : نسب البربر ص ٣ مخطوطة بدار الكتب القومية رقم ٥٦٦ تاريخ تيمور ميكروفيلم ١٧٤١٧ .

مثل صالح بن طريف الذى قام فى قبائل برغواطة بمنطقة تامسنا بالمغرب الأقصى وابتدع فيهم مبادئ متطرفة وقواعد تخالف ما جاء به الإسلام^(١) وبعده إنشاء مدينة فاس فى المغرب الأقصى فى منطقة بعيدة عن سيطرة الخلافة العباسية ولم يصل إليها أى تأثير سياسى ولا ثقافى عباسى فبالتالى كان لاسبس من وجود ضعف أو فراغ استطاع الأدارسة أن يملأوا هذا الفراغ فى هذه المنطقة وبدأ تأثيرهم يظهر بوضوح وأثمرت جهودهم عن نتائج جيدة فى هذه المنطقة فإلى جانب توحيد المنطقة سياسياً وجدنا الانتشار الثقافى والفكرى ينمو وذلك فى عهد إدريس بن إدريس (١٨٦ - ٢١٣هـ) وخاصة عندما استقبل وفوداً من الأندلس والقيروان وكان معظم هؤلاء من العلماء المهتمين بالفكر والأدب واللغة والعلوم الشرعية وذلك فى بداية القرن الثالث الهجرى^(٢).

أولاً : علوم القرآن : هو علم يتكون من عدة مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزول له وجمعه وترتيب سوره وبيان الوجوه التى نزل عليها وأسباب هذا النزول وشرح ما غمض منه^(٣).

ويتكون هذا العلم من ثلاثة مصادر ..

المصدر الأول : اللغة العربية حيث يرجع إليها للتعرف على الإعجاز اللغوى والمجاز وغيره مما يرجع إليه فى اللغة .

١- ابن عذارى : البيان ٥٦/١ .

٢- د. سوادى عبد محمد : دراسات فى تاريخ المغرب العربى ص ١٠٢ .

٣- ابن خلدون : المقدمة ص ٣٨٥ ، سمى هذا العلم بصيغة الجمع وليس بصيغة الأفراد نظراً لأن كل مبحث من مباحثه جدير بأن يكون علماً قائماً بذاته إذا جمعت مادته على سبيل الاستيعاب والاستقصاء انظر ابن خلدون : المقدمة ص ٣٨٥ ، عبد الوهاب غزلان : البيان فى مباحث القرآن ، القاهرة ص ٣١ ، ٣٢ .

المصدر الثانى : الوحي من الله تعالى لمعرفة الوجود التى نزل عليها وبيان ما كان يحتاج إلى بيان فى القرآن الكريم فكان ذلك يوحى به إلى النبى (ﷺ) وكان النبى (ﷺ) يبلغه لأصحابه .

المصدر الثالث : الأحداث التى وقعت على مسامع النبى (ﷺ) وأصحابه فتتمثل فيما كان يقع بينهم من أسباب النزول ووقته فالصحابه (رضوان الله عليهم) نقلوه شفويًا بطرق مختلفة فى بعض ألفاظه وكيفيات الحروف فى أدائها لنشرها بين المسلمين وظل هذا الأمر على هذا الحال يتناقله الرواة طبقة عن طبقة دون أن يدونوا شيئاً حتى ظهر خلال القرن الثانى الهجرى عدد قليل من المؤلفات فى هذه الأبحاث كالذى ظهر فى بداية القرن الثانى الهجرى ووصف بأنه مؤلف فى النسخ والمنسوخ^(١) .

ومن الجدير بالذكر أن للمغاربة اهتمام كبير بحفظ نص القرآن الكريم وتعلم كتابته ومن برع منهم فى حفظه تعلم قراءة القرآن بالقراءات المختلفة ودعم هذا التوجه قدوم كثير من علماء مدينة قرطبة بالأندلس "أهل الربض" فى أوائل القرن الثالث الهجرى بالإضافة إلى رحيل مجموعة من أهل مدينة القيروان وكان معظمهم من العلماء إلى مدينة فاس واضعين بذور حركة علمية صحيحة أدت إلى ازدهار وانتشار اللغة العربية و الذى شارك فيه المهاجرون من القيروان والأندلس سواء بالمال أو بالعلم فى نمو النشاط العلمى بمدينة فاس وهذا راجع إلى التراث الذى حملوه معهم فأهل الأندلس ثقافتهم مصرية وشامية وعراقية لكن هذا النمو بالمدينة كان محدوداً^(٢) .

١- عبد الوهاب غزلان : البيان ص ٣٤ . د. محمد عادل عبد العزيز :
التربية الإسلامية فى المغرب ص ٨٦ صاحب مؤلف النسخ والمنسوخ
مقتادة بن دعامة السدوس المتوفى سنة ١١٨ هـ .
٢- د. سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ٥١١/٢ .

وقد بدأت اللغة العربية فى الازدهار وحتى لم يكد يظهر فجر القرن الرابع
الهجرى حتى صار البربر يزاحمون العرب فى دراسة اللغة العربية فى مدينة فاس^(١)
وقد نبغ فى مدينة فاس فى هذا المجال قبيل عصر المرابطين عدد من العلماء منهم :
١- أبو عمران بن عيسى بن أبى حاج الغفجومي الفاسى المتوفى سنة ٤٣٠هـ
عن ٦٥ سنة أخذ القراءات عن أئمتها فى القيروان ومصر ومكة وبغداد^(٢) .
٢- أحمد بن عبد الله بن أحمد بن هشام بن الخطيئة اللخمي بضم الحاء وفتح
الطاء المهملة وسكون الياء المثناه وبعدها همزة وتاء ولد يوم الجمعة ١٧ جمادى
الآخرة سنة ٤٠٨هـ بمدينة فاس كان من أهلها ومع صلاحه ومعرفته بالآداب
كان رأساً فى القراءات السبع وكان جميل الخط حسن الضبط^(٣) .
وفى عصر المرابطين ظهر النبوغ على يد أبى بكر محمد الفلنقى نزيل مدينة
فاس المتوفى سنة ٥٥٣هـ فقد كان إماماً فى صناعة الإقراء وله كتاب فى القراءات
سماه الإجماء^(٤) .
وفى عصر الموحدين ظهر النبوغ على يد على بن أحمد الكتانى المستوطن
مدينة فاس المتوفى سنة ٥٦٩هـ التزم الإمامة بمسجده فى مدينة فاس والإقراء فيه
حوالى ست وستون سنة^(٥) .
أيضاً ابن خير محمد المتوفى سنة ٥٧٥هـ وهو من أئمة المقرئين ولد ونشأ
بمدينة فاس ورحل إلى مدينة أشبيلية وكانت له أسانيد فى القراءات متواترها
وشاذها^(٦) .

١- عبد العزيز بن عبد الله : مظاهر الحضارة المغربية ص ٦٣ ، ٦٥ .
٢- ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ٣٢١/٢ : ٣٢٢ ، عيد الله كنون :
النبوغ المغربى ١ / ٥٢ ، ٥٣ ، د. شوقى ضيف : عصر الدول والإمارات ص ٣٥٤ .
٣- ابن القاضى : جذوة الاقتباس ١ / ١١٦ .
٤- ابن الجزرى "محمد بن محمد بن الجزرى" : غاية النهاية فى طبقات القراء ، عنى بنشره
ح . برجستيراسر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ٢ / ٢٤٢ .
٥- د. شوقى ضيف : عصر الدول والإمارات ص ٣٥٥ . ٦ - المرجع السابق ص ٣٥٥

ثانياً : علم الحديث : هو علم يعرف به أقوال رسول الله (ﷺ)

وأفعاله "قول أو فعل أو تقرير أو صفة" وهو مرادف للسنة كما أنه أصل من أصول التشريع الإسلامى ومرتبته تلى مرتبة القرآن الكريم فى الاستدلال^(١).

وبما أن علم الحديث هو المصدر الثانى من مصادر التشريع الإسلامى فقد

ظهر عدة علماء لهذا العلم فى مدينة فاس نذكر منهم :

١- **دراس بن إسماعيل :** من أهل مدينة فاس روى الحديث ورحل إلى إفريقيا وسمع على عدد من علمائها ، كان محدثاً حافظاً من أهل الفضل والدين توفى سنة ٣٥٧هـ^(٢).

٢- **أبو عمران الفاسى :** كانت له رحلات إلى المشرق والأندلس وكان حافظاً لكتاب الله وحديث النبى (ﷺ) ومعرفة معانيه توفى سنة ٤٣٠هـ^(٣).

٣- **يوسف بن عيسى بن الملجوم :** من أهل مدينة فاس تتلمذ على يد بكار بن برهون بن عيسى السجلماسى ناقل الحديث والراوى المغربى المرابطى الكبير الذى أجاز ليوسف بن تاشفين هذا العلم توفى سنة ٤٨٦هـ وقد حضر ابن الملجوم مع يوسف بن تاشفين موقعة الزلاقة توفى سنة ٤٩٢هـ .

٤- **أبو عبد الله بن الصيقلى محمد بن عبد الله الحسينى :** القاضى كان راوياً للحديث حافظاً لمتونه بصيراً بعلله عارفاً برجاله وطبقاتهم وتوارىخهم درس الحديث

١- ابن خلدون : المقدمة ص ٣٨٩ ، علم الحديث كل ما ورد من قول أو فعل أو تقرير شىء رآه ولذلك تعددت المباحث المتشعبة عن الحديث فكان الناسخ والمنسوخ وهو من أهم علوم الحديث وأصعبها والنظر فى الأسانيد ومعرفة شروط السند ومعرفة رواة الحديث ومراتب الصحابة والتابعين وتفاوتهم فى ذلك ومعرفة الصحيح والحسن والضعيف والمرسل والمنقطع والشاذ والغريب بين أئمة الشأن والوفاق بينهم وطريقة رواة بعضهم عن بعض قراءة أو كتابة أو مناولة أو إجازة وتفاوت رتبها وأحوال النقلة للمزيد انظر ابن خلدون المقدمة ص ٣٨٩ .

٢- الجزائى : زهرة الآس ص ١٩ . د. شوقى ضيف : عصر الدول والإمارات ص ٣٥٨ .

٣- ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ٢/٣٢٢، ٣٢١، السلاوى : الاستقصا ٢/١٨٤ .

ببلده مدينة فاس واستدرك على أحد علماء عصره ويدعى عبد الحق في كتابة الأحكام الكبرى في أحاديث كثيرة توفي سنة ٦٠٨هـ^(١) .

٥- أحمد بن فرتون السلمى : من أهل مدينة فاس انتقل إلى مدينة سبتة ودخل الأندلس ثم رجع إلى مدينة سبتة كان حافظاً لمتون الحديث توفي سنة ٦٦٠هـ^(٢)

ثالثاً : الفقه : بكسر الفاء وسكون القاف

"الفهم والفتنة في علم الشريعة وأصول الدين"^(٣) كان لمذهب الإمام مالك في الفقه نصيب كبير في المغرب بصفة عامة ومدينة فاس بصفة خاصة وأدى اهتمام سكان المدينة بهذا العلم إلى انتشاره بصورة واضحة وظهور مجموعة من العلماء الذين كان لهم دور في تأكيد ومواصلة انتشاره قبل ظهور المرابطين منهم :

١- درّاس بن إسماعيل من علماء الفقه المالكي في مدينة فاس قرأ الفقه في مدينة القيروان ورحل إلى الإسكندرية ودخل الأندلس مجاهداً درس الفقه بمدينة فاس بعد رجوعه من المشرق توفي سنة ٣٥٧هـ بمدينة فاس^(٤) .

٢- أبو جيدة : أحد علماء الفقه اشتهر بفتواه التي أنقذت مدينة فاس من سطوة المحتلين وكان أبو جيدة متمكناً في فقه الإمام مالك والشافعي أيضاً توفي سنة ٣٦٥هـ^(٥) .

وفي عصر المرابطين ١- أبو عبد الله التميمي الفاسي من علماء مذهب مالك بمدينة فاس توفي سنة ٥٠٥هـ^(٦) .

٣- علي بن حرزهم أبو الحسن علي بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن حرزهم يصل نسبه إلى عثمان بن عفان (رضى الله عنه) ولد ونشأ بمدينة فاس

١- النباهي : تأريخ قضاة الأندلس ص ١٠٢ .

٢- ابن القاضي : جذوة الاقتباس ١/١١٧ .

٣- المعجم الوسيط: ٢/٦٩٨ .

٤- عبد الله كنون : النبوغ المغربي ١/٤٩ ، ٥٠ .

٥- ابن القاضي : جذوة الاقتباس ١/١١٧ .

٦- السلاوي : الاستقصا ١/٤٩ .

وكان من كبار فقهاءها ومحدثاً وحافظاً مشاركاً في علوم الشريعة درس بمدينة فاس
وأخذ عنه كثيرون توفى سنة ٥٥٩هـ^(١)

وفي عصر الموحدين ظهر عدد من العلماء أيضاً في هذا العلم منهم :-

١- عبد الرحيم بن عمر الحضرمي الفاسي : كان فقيهاً مالكياً من أهل التقوى ،
ألف كتاباً في المذهب المالكي توفى سنة ٥٨٠هـ^(٢) .

٢- جبر الله بن القاسم الأندلسي الفقيه الصالح الورع نزيل عدوة الأندلس من
مدينة فاس وهو من أقام بها علم مالك وأكده بها فأصبح من مشاهير فقهاءها^(٣) .

٣- محمد بن الرمامة من قلقة بني حماد استوطن مدينة فاس وكان من شيوخها
واشتهر بعلمه وفضله فاستخلصه علي بن يوسف بن تاشفين واستخدمه قاضياً
لنفسه توفى سنة ٥٦٧هـ^(٤) .

٤- أبو الفرج بن المهاجر من أهل مدينة فاس أحد علمائها وقد تفقه في المذهب
المالكي وبرع فيه وقام بتعليمه في مدينة أشبيلية توفى سنة ٦٣٠هـ^(٥) .

رابعاً : النفســـــــــــــــــير : ظل المغرب الأقصى يعتمد في تفسير القرآن الكريم
على مؤلفات علماء الشرق حتى ظهر في عصر الموحدين علماء منهم:

١- ابن أبي زرع : روض القرطاس ٣٠/٢ .
٢- ابن عبد الملك المراكشي : الذيل والتكملة ص ٧٠١ .
٣- ابن القاضي : جذوة الاقتباس ١٧٤/١ .
٤- د. شوقي ضيف : عصر الدول الإمارات ص ٣٦٢ .
٥- ابن القاضي : جذوة الاقتباس ١٠٨/١ .

١- ابن مصالة الفازازى المكناسى المستوطن مدينة فاس وكان طوال حياته

معتنياً بتفسير القرآن الكريم توفى سنة ٦١١هـ^(١) .

٢- محمد بن يوسف المزرغى قام بالتدريس فى مدينة سبتة ومدينة فاس وولى

الخطبة والصلاة بجامع القرويين إلى وفاته وله تفسير قيم مفيد انتهى فيه إلى سورة

الفتح توفى سنة ٦٥٥هـ^(٢) .

هذا إلى جانب علم الكلام والتاريخ وتقويم البلدان " الجغرافيا " :-

أولاً : علم الكلام : هو علم يتضمن الاستدلال على العقائد الإيمانية

بالأدلة العقلية والرد على من خالف طريقة السلف الصالح ومذهب أهل السنة

فى تلك العقائد^(٣) وقد عرف هذا العلم بمدينة فاس فى عصر الموحدين

ومن أشهر علماء هذا العلم :-

١- عثمان بن عبد الله السلاجى : أبو عمرو عثمان بن عبد الله بن عيسى عرف

بالسلاجى نسبة إلى جبل سليلجو بقرب مدينة فاس أخذ عن عدة شيوخ منهم

أبى الحسن بن حرزهم ومحمد بن الرمامة ويعتبر السلاجى من علماء الكلام وله فى

عقيدة الأشعرية منظومة سماها البرهانية فى العقيدة الأشعرية توفى سنة ٥٦٤هـ^(٤)

٢- محمد بن عبد الكريم الفندلاوى الفاسى يعرف بابن الكتانى كان إماماً فى

علم الكلام وله حظ من الأدب وله كتاب فى تفسير الأكيال والأوزان مما يدل على

تنوع موهبته أخذ عن السلاجى توفى سنة ٥٩٦هـ^(٥) .

١- ابن بشكوال: كتاب الصلة ٥٤٥/٢، د. شوقي ضيف : عصر الدول والإمارات
ص ٢٥٦ .

٢- الحسن السائح: الحضارة الإسلامية فى المغرب ص ٢١٨ .

٣- ابن خلدون : المقدمة ص ٤٥٣ .

٤- عبد الله كنون : النبوغ المغربى ١/١٤٩، ١٥٠ .

٥- المرجع السابق ١/١٥٠ .

٣- أبي الحجاج نحوى الفاسي كان مشهوراً في علم الكلام روى عن السلاجلي
توفي سنة ٦١٤هـ^(١) .

ثانياً : علم التاريخ

يعتبر علم التاريخ عزيز المذهب نستطيع من خلاله التعرف على أحوال
الماضين من الأمم في أخلاقهم ، والأنبياء في سيرهم والملوك في دولهم وسياساتهم
حتى تتم فائدة الاقتداء^(٢) .

هذا وقد تأثر أهل المغرب بالكتابة التاريخية الأندلسية بحكم الجوار وقد سلك أهل
الأندلس مسلك المشاركة في كتابة التاريخ على طريقة الحوليات
"الكتابة على ترتيب السنين" بالإضافة إلى تاريخ الخلفاء والملوك التي تعالج دولة
كل منطقة أو قطر منهم على حدة ، وهناك كتب التراجم والطبقات
وما يتبعها من شروح وذيول وصلات هذا إلى جانب تواريخ المدن المحلية التي
تعتمد على المشاهدة العينية وتحري الحقائق في جمع المعلومات أو الاستعانة
بالمخطوطات والوثائق والآثار المادية ، أو على تحليل الأحداث والتعرف على
عللها والنفاذ إلى أسرارها^(٣) وفي العصر المرابطي نذكر من المؤرخين :-

١- أبي الحسن علي بن يسام الشنتري
صاحب كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة المتوفى سنة ٥٤١هـ^(٤) .

١- د. شوقي ضيف : عصر الدول والإمارات ص ٣٦٧ .

٢- ابن خلدون : المقدمة ص ٧ .

٣- د. العبادي : في التاريخ العباسي الأندلسي ص ٣٥٦ .

٤- د. محمد عادل عبد العزيز : تاريخ التربية ص ١١٦ . وهذا الكتاب طبع منه قسمان
الأول والرابع في القاهرة وذلك بلجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٩ - ١٩٤٥م انظر
عز الدين موسى : النشاط الاقتصادي ص ٤١٨ ، ٤١٩ .

أما في عصر الموحدين فقد تعددت عملية التأليف التاريخي بين أبناء المغرب وظهر عدد كبير من المؤلفات التاريخية منها :-

١- المعجب في أخبار المغرب لأبي محمد عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي^(١)

٢- نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان لأبي الحسن علي بن يحيى الكتامي المعروف بابن القطان المتوفى ٦٢٨هـ^(٢)

٣- التشوف إلى معرفة رجال التصوف لأبي يعقوب بن الزيات التادلي شرع في تأليفه سنة ٦١٧هـ^(٣).

٤- المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين لأبي مروان بن صاحب الصلاة^(٤)

٥- أخبار المهدي وابتداء دولة الموحدين للبيذق^(٥).

ثالثا : علم تقويم البلد ان "الجغرافيا" :-

وهي التي تصف البلاد وطبيعتها من أنهار وأشجار وأحوال اجتماعية وطرق خاصة المسالك والممالك والرحلات إلى المشرق للحج والتعليم والتجارة^(٦)

١ - عز الدين موسى : النشاط الاقتصادي ص ٤١٨ .
٢- حققه د. محمود علي مكي وطبع بمطبعة المهدي بمدينة تطون بالمغرب انظر
المرجع السابق ص ٤١٩ .
٣- طبع بالرباط ١٩٥٨م انظر ابن سوداه : دليل مؤرخ المغرب الأقصى ٢٥٧/٣ .
٤ - حققه د. عبد الهادي التازي وطبع ببيروت ١٩٦٤ انظر عز الدين موسى :
النشاط الاقتصادي ص ٤١٨ ، ٤١٩ .
٥ - حققه الأستاذ ليفي بروفنسال وطبع بباريس ١٩٢٨م انظر المرجع السابق ص ٤١٠ .
٦- د. محمد زيتون : القيروان ص ٣٧٤ . وقد ظهر كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار
مؤلفه مجهول كان في خدمة أبي يوسف بن يعقوب بن يوسف المنصور الموحد المتوفى
سنة ٥٩٥هـ طبع مرتين بفيينا سنة ١٨٥٢م وبالإسكندرية سنة ١٩٥٨م انظر ابن سوداه
دليل مؤرخ المغرب الأقصى ٣٤/٢ ، عز الدين موسى النشاط الاقتصادي ص ٤١٠ .

العلوم العربية وآدابها

عبارة عن اللغة والأدب ومعرفتها ضرورة لأهل الشريعة حيث إن الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة وهى بلغة العرب والناقلون لهذه الأحكام من الصحابة والتابعين ومعظمهم من العرب فلا بد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة ويأتى مبحث علم النحو من الأهمية بمكان إذ به يتبين أصول المقاصد بالدلالة فيعرف الفاعل من المفعول والمبتدأ من الخبر ولولاه لجهل أصل الإفادة^(١) وكان من حق علم اللغة التقدم لولا أن أكثر الأوضاع باقية فى موضوعاتها لم تتغير بخلاف الإعراب الدال على الإسناد والمسند والمسند إليه فإنه يتغير بالجملة ولم يبق له أثر فلذلك كان علم النحو أهم من علم اللغة إذ فى جهله الإخلال بالتفاهم جملة وليست كذلك اللغة^(٢).

وقد بذل الأدارسة جهوداً كبيرة لنشر الإسلام وبالطبع صحب ذلك نشر اللغة العربية وقد نجح الأدارسة فى جهودهم وخاصة بعد نشأة مدينة فاس وتوحيد المنطقة سياسياً تحت حكمهم الذى اتسم أيضاً بالنشاط الفكرى يدل على ذلك الشعر الذى كان ينشده إدريس بن إدريس^(٣).

وقد ظهرت مجموعة من العلماء فى مدينة فاس فى هذا التخصص فى عصر الموحدين منهم :

١- أبى ذر مصعب بن محمد بن مسعود الخشنى الجياني
المستوطن بمدينة فاس كان عالماً لا يبارى فى اللغة ونحوها وأديباً
وكفاه شرفاً شرحه لغريب السيرة النبوية^(٤).

١- ابن خلدون : المقدمة ص ٤٩٦ .

٢- المصدر السابق ص ٤٩٦ ، ٤٩٧ .

٣- ابن الأبار : الحلة السيرة ٥٥/١ .

٤- ابن القاضى : جذوة الاقتباس ١٣٦/١ .

٢- أحمد بن الخطيئة الفاسى كان مقرئاً للذكر الحكيم كما كان نحوياً كبيراً توفى سنة ٥٦٠هـ^(١).

٣- أبو الفرج بن المهاجر من أهل مدينة فاس كان نابغة فى الأصول والكلام والنحو أخذ بمدينة فاس كتاب "سيبويه عن ابن خروف" توفى سنة ٦٣٠هـ^(٢).

الشعر والشعراء

بدأت الحركة الثقافية الإسلامية تتضح معالمها فى المغرب الأقصى بعد نشأة مدينة فاس إذ كان من بين أمرائها شعراء متعددون يتقدمهم إدريس بن إدريس (١٨٦ - ٢١٣هـ) وكان فيما كتب إدريس إلى أحد المنشقين عليه قوله :

أبهلول قد حملت نفسك خطة تبدلت منها ضلة برشاد

أضلك إبراهيم مع بعد داره فأصبحت منقاداً بغير قياد^(٣)

كأنك لم تسمع بمكر ابن أغلب وما قد رمى بالكيد كل بلاد

ومن دون مامنتك نفسك خاليا ومناك إبراهيم خرط قتاد^(٤)

وقال شاعر لم يسمه البكرى يصف حسن بن محمد بن القاسم بن إدريس "الحجام"

وسميت حجاما ولست بحاجم ولكن لضرب فى مكان المحاجم^(٥)

عصر المرابطين : تواجد الشعر فى عصر المرابطين بصفة عامة على عكس ما يتهم به المرابطون من مجافاة الأدب وعدم الاهتمام به هذا التواجد عم دولة المرابطين وبالطبع انعكس هذا على مدينة فاس وقد ظهر فى هذا العصر ومن الشعراء منهم :
١- يحيى بن الزيتونى من أهل مدينة فاس كان أدبياً خفيف الروح رقيق الحاشية له شعر بديع وكان حاضر الجواب^(٦).

١- ابن إبراهيم : أنباء الرواة فى طبقات النحاة ٣٩/١ .

٢- ابن القاضى : جذوة الاقتباس ١٠٨/١ .

٣- السلاوى : الاستقصا ١٤٩/١ .

٤- ابن الأبار : الحلة السيرة ٥٥/١ والسلاوى : الاستقصا ١٤٩/١ مع الاختلاف فى بعض الألفاظ .

٥- البكرى : المغرب ص ١٢٧ .

٦- عبد الله كنون : النبوغ المغربى ٩٣/١ .

عصر الموحدين :

ازداد الشعر ازدهاراً وكثر الشعراء فى عصر الموحدين الذين وجدوا اهتماماً كبيراً بهم وكان عبد المؤمن مؤسس الدولة وحفيده يعقوب شاعرين ومن أهم الشعراء البارزين فى هذا العصر ابن حبوس : أبو عبد الله محمد بن حسين بن عبد الله بن حبوس ولد بمدينة فاس سنة ٥٠٠هـ وتوفى سنة ٥٧٠هـ بما نشأ وترى فى الكتاتيب وحلقات العلم ومجالس الأدباء حتى أصبح مميّزاً فى اللغة والبيان والكلام والشعر بدأت موهبته فى الشعر تظهر مبكراً فى صباه ثم رحل إلى مدينة تلمسان وكانت طريقته فى نظم الشعر هى اختيار الألفاظ الرائعة فكان عالماً محققاً وشاعراً قوياً فى أهل زمانه ومن شعره :

- ١- بخليفة المهدي سيدنا اغتدى نهج العلوم معبدا ومذليلا
- ٢- وافيت حضرته القدس ترها فإذا الذى أبصرت لن يتخيلا
- ٣- وسمعت كل مذاهب الحق التى ما إن ترى عن مقتضاها معدلا
- ٤- وبصرت بالطوسى يفهق حوله وأبى المعالى مجملا ومفصلا
- ٥- فالحق بحضرته السنية واستمع للقول واحذر ويل أن تتقولا
- ٦- فيها كمال الدين والدنيا معا وسعادة الأرواح فى أن تكملا^(١)

ومن شعر ابن حبوس فى الوصيا والأمثال وذم الزمان :

- ١- رد الطرف حتى توافى النميرا فرب عسير أتاح اليسيرا
- ٢- وأرسل قلوصلك طورا شمالا وطورا جنوبا وطورا دبورا
- ٣- وشن على غازيات البلاد من النص والرمل جيشا معيرا
- ٤- وفر ماء وجهك حتى تجم وأطف السموم به الهجيرا
- ٥- وطرحين أنت قوى الجنا ح لا عذر عندك أن لا تطيرا

- ٦- ولا تقعن وأنت السليـ م حيث تضاهى المهيض الكسـيرا
٧- فأم الترحل تدعى وليدا وأم الإقامة تدعى نـزورا
٨- وذو العجز يرضع ثديا حدودا وذو العزم يرضع ثديا درورا
٩- يعز على النبل أنى غـدوت أكنى أدبيا وأسمى فقـيرا
١٠- وأنى ثبت لكف الزمان يعرف عظمى عرما هـيرا
١١- وما ذاك أتى هـيابة أضاف الرحيل وأشنا المسـيرا
١٢- ولكن بحكم زمان عدا يحط الجياد ويسمى الحمـيرا^(١)

ومن الجدير بالذكر أنه "بعد انصراف عبد المؤمن من فتح مدينة المهدية سنة ٥٥٤هـ فارقه ابن حبوس وعاد إلى مسقط رأسه مدينة فاس فاستوطنها" وعند هذا الرحيل أنشده مادحا في إحدى قصائده :

- ١- أمير المؤمنين لقد أضاء الـ زمان بنور عدلك واستنـارا
٢- لكم شرقا البلاد ومغرباها وأمركم مع الفلك استـادارا
٣- ومن قد فرعنكم من عدو فنحوكم إذا يبـغى الفرارا
٤- ولو خوفتم أعلام رضوى لما سكنت ولا وجدت قرارا^(٢)

٢- الجراوى : أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجراوى من قبيلة جراوة بتادلة سكن مدينة فاس وتربى بها وسكن مدينة مراکش أيضاً ، كان نهاية في حفظ الأشعار القديمة والحديثة فاعتبر من أبرز الشعراء في دولة الموحدين جمع كتابا يشتمل على فنون الشعر سماه "صفوة الأدب وديوان العرب" مدح بشعره عبد المؤمن وابنه يوسف وحفيده يعقوب المنصور وابنه الناصر توفى شيخاً جاوز الثمانين عاماً سنة ٦٠٩هـ ، اتصل بعبد المؤمن سنة ٥٥٣هـ فكتب على لسانه

١- السملالى : الإعلام بمن حل مراکش ١١٣/٤ .

٢- ابن دحية : المطرب من أشعار المغرب ص ١٩٩ ، ابن الأبار : التكملة رقم ١٠٥٥ .
ابن القطان : نظم الجمان ص ١٧٤ .

قصيدة يحث فيها المسلمين وخاصة "الأعراب الهلالية" تلبية دعوة عبد المؤمن لجهاد
النصارى بالأندلس استهلها بقوله :

أحاطت بغابات العلا والمفاخر على قدم الدنيا هلال بن عامر^(١)

٣- عمر السلمي : أبو جعفر عمر بن عمر السلمي من أهل مدينة أغمات ولد
بها سنة ٥٣٠هـ عني به والده وصحبه معه وهو قاض بمدينة فاس إلى حلقات
العلم ومجالس الفقهاء وكان اهتمام والده به وتوجيهه لدراسة الفقه والحديث
النسبى حتى يكون مؤهلاً ليتولى منصب القضاء الذى شغله فى عدة مدن منها
تلمسان وفاس وأشبيلية بالأندلس فكان مع إحسانه للفقه والفتاوى الدينية أديباً
وشاعراً مجيداً غلب عليه الأدب حتى عرف واشتهر به وله مدائح فى يوسف بن
عبد المؤمن وابنه يعقوب ، واشتهر فى المغرب والأندلس بشعره فى الغزل ويذكر
أنه كان يهتم بمسكنه وملبسه وزينته اهتماماً غير عادى توفى سنة ٦٠٣هـ وقد
جاوز السبعين سنة^(٢) ومن شعره قوله :

- ١- أعيدك يا سليمى من سليم قتلت فتاهم وهو الزعيم
- ٢- قتيل الحب لا يؤدى رعانيه ه لا يفدى ولا فيه الخصوم
- ٣- ومالى طالب بتراث قتلى إذا قتل الغرام فلا غريم
- ٤- فؤادى سار نحوك عن ضلوع بها ياريم حبك لا يرم
- ٥- ودادك صح فى قلب سقيم كطرفك صح ناظره السقيم
- ٦- إذا أعرضت تسود الأمانى وإن أقبلت تبيض الموم
- ٧- وما حى لها عذاب عليه من نضارتها نعيم^(٣)

١- ابن الأبار : التكملة ص ١٥٧ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ١٢/٧ ، عبدالله كنون :
النبوغ المغربى ١٦٩/١ .
٢- ابن دحية : المطرب من أشعار أهل المغرب ص ١٠٣ .
٣- ابن القاضى : درة الحجال ١١٢/٢ ، المقرئ : أزهار الرياض ٣٧٨/٢ ، عبد الله كنون :
النبوغ المغربى، ١٨٠/١ .

٤- **ميمون بن خبارہ الخطابي** : ميمون بن على بن عبد الخالق الصنهاجى الفاسى من أهل مدينة فاس ، يسمى خبارہ نسبة إلى خاله الشاعر المشهور بابن خبارہ لملازمته إياه ، كان أديباً شاعراً متمكناً من الله عليه بسرعة البديهة فى النظم أو النثر مع الإجادة التى لا يجارى فيها ، وكان يشارك فى علم الكلام وأصول الفقه توفى سنة ٦٣٧هـ له قصيدة فى المدح النبوى كان له شهرة فى عصره وبعده يقول فى مطلعها :

- ١- حقيق علينا أن نجيب المعاليا لنفنى فى مدح الحبيب المعافيا
- ٢- ونجمع أشتات الأعاريض حسبة ونحشد فى ذات الإله القوافيا
- ٣- ونقتاد للأشعار كل كتيبة لنصر الهدى والدين تروى الأعاديا
- ٤- لنطلع من أمداح أحمد أنجما تلوح فتحلو من سناه الدياتيا
- ٥- سهوت بمدح الخلق دهرا فهذه سجودى لجبرى كل ما قلت ساهيا
- ٦- رسول براه الله من صفو نوره وألبسه برواز من النور ضافيا
- ٧- وما زال ذاك النور من عهد آدم ينير به الله العصور الخوالي(١)

ثامناً : الرحلات العلمية

كان العلماء الذين يدرسون بالمغرب أو المهتمين بالعلم يرحلون إلى المشرق ليأخذوا وينهلوا من علماء هذه المنطقة ثم يرحلون ليعطوا من علمهم إلى أقرانهم في المغرب لهذا ظهرت الشخصية المغربية وخاصة بمدينة فاس فقد كان لعلمائها أسلوب لتحليل المدونة على طريقة خاصة تعتمد على المناقشات اللفظية فى ضبط الروايات وتصحيحها مما كان له أثر كبير فى انتشار وتوجيه الفقه المالكي فى جميع بلاد المغرب^(١) .

والرحلات العلمية تساعد على استمرار ونمو وازدهار الحركة العلمية حيث تعمل على وصول دم جديد وفكر مختلف من أقطار متعددة مكتملة ومؤكدة ومصححة لأفكار ممتدة بعضها البعض فحب المغاربة للإسلام ولآل بيت الرسول (ﷺ) ظهر منذ وصول إدريس بن عبد الله إلى المغرب وتأسيس مدينة فاس جعلها مركزاً لنشر الدين واللغة محبباً وقريباً للمسلمين إلى الآن وربط هذه المنطقة ببقية العالم الإسلامى ، ففى بداية النشأة كانت مركزاً للاستقبال وحط الرحال للمهاجرين من الأندلس وإفريقية حتى أصبح بها من الأجيال التى أسست على تعلم الثقافة العربية والإسلامية مما جعل الناهيين من هذه الأجيال إلى شد الرحال إلى مراكز الثقافة وانتشار العلوم سواء بالأندلس أو بلاد المشرق ومعظم العلماء المترجم لهم فى هذا البحث سواء سابق أو لاحق إلا وله رحلة أو أكثر إلى هذه المراكز الثقافية المختلفة وفى هذه النقطة نورد تراجم لثلاثة علماء فقط خشية التكرار

١- موسى بن يحيى الصدينى يكنى أبا هارون من أهل مدينة فاس كان فقيهاً حافظاً للمسائل عالماً بالرأى وله رحلة إلى المشرق ورحلة أخرى إلى بلاد الأندلس توفى بمدينة فاس وعمره ٧١ سنة عام ٣٨٨هـ^(٢) .

١- د. محمد زيتون : القيروان ودورها فى الحضارة الإسلامية ص ٢٦٠ .

٢- ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٢٢ .

٢- أبو عبد الله محمد بن عيسى بن حسين التميمي ولد بمدينة فاس سنة ٤٢٩هـ وانتقل به أبوه إلى مدينة سبتة وهو شاب لتلقى العلم ثم رحل إلى بلاد الأندلس ثلاث رحلات الأولى في بداية حياته إلى مدينة إشبيلية ليقراً بها الأدب والثانية إلى مدينة المرية سنة ٤٨٠هـ والثالثة إلى مدينة قرطبة سنة ٤٨٨هـ توفي سنة ٥٠٥هـ^(١).

٣- محمد بن حسن بن محمد بن يوسف "أبو عبد الله الفاسي" ولد بمدينة فاس سنة ٥٨٠هـ ذهب إلى مصر وتعلم من علماءها ثم رحل إلى مدينة حلب وأخذ القراءة بها ونبغ في علم الكلام وحفظ أكثر صحيح مسلم توفي سنة ٦٥٦هـ بحلب^(٢).

١- عبد الله كنون : النبوغ المغربي ١/٨٧ .

٢- ابن الجزري : طبقات القراء ٢/١٢٢ : ١٢٣ .

التعليم بالمغرب فى عصر المرابطين والموحدين

لم يكن التعليم بالمغرب مقيداً بقوانين تفرضها الدولة ، وإنما كان حراً لا قيود عليه غير القيود التي يفرضها العرف والعادة^(١) فكان التدريس أمراً مباحاً لكل راغب فيه وجد فى نفسه الكفاءة لمزاولة مهنة التدريس^(٢) بشرط ألا يكون فى مسجد من تلك المساجد التابعة للدولة وإلا تطلب الأمر بالإذن بالتدريس^(٣) .

مراحل التعليم : يتكون التعليم فى المغرب من مرحلتين :-

المرحلة الأولى : يتلقى فيها التلميذ العلم فى الكتاب أو الزاوية وتشبه هذه المرحلة التعليم الابتدائى فى وقتنا الحاضر وتبدأ هذه المرحلة من سن الإدراك والتمييز أى فى الخامسة أو السنة السادسة من عمره وتنتهى عند البلوغ على وجه التقريب من الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة^(٤) .

المرحلة الثانية : تشمل ما يشبه المرحلتين المتوسطة والعالية فى عصرنا الحديث وتبدأ من سن المراهقة تقريباً وقد يلحق الطالب مبكراً بتلك المرحلة فى الحادية عشرة من عمره حسب نبوغه فلا يوجد فى التعليم فى العصر الإسلامى بالمغرب بصفة عامة مرحلة متوسطة أو ثانوية كما هو متبع الآن ، أما انتهاء هذه المرحلة فهى مبهمه ومع ذلك يذكر ابن خلدون أن المدة المسموح بها للطلبة للسكن فى مساكن الطلبة هى ستة عشر عاماً فى المغرب^(٥) .

التعليم الصناعى : كان يتم عن طريق الممارسة وذلك لأن الممارسة كانت فى نظرهم أتم فائدة من الأحوال الجسمانية المحسوسة وكان الصبية يتدربون على

١- ابن خلدون : المقدمة ص ٣٧٩ .

٢- يقوم بهذه المهنة كل من المدرس والمعلم ، فالمدرس هو الذى يقوم بالتدريس فى المرحلة الثانية ، والمعلم كانت تطلق على من يتصدى لتعليم الصبيان فى المكاتب فى المرحلة الأولى من التعليم انظر محمد عبد الرحيم غنيمه : الجامعات الإسلامية ص ٢٦١ .

٣- ابن خلدون : المقدمة ص ٣٧٩ .

٤- د. محمد عادل عبد العزيز : التربية الإسلامية فى المغرب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧م ص ٨ .

٥- المقدمة ص ٣٨١ .

الحرف بالتدرج من البسيط إلى المركب ، والبسيط هو الذي يختص بالضروريات والمركب هو الذي يكون للكفايات^(١) فأما الضروري مثل الفلاحة والبناء والنجارة والحياكة والتوليد والكتابة والوراقة والغناء والطب^(٢) .

من جانب آخر نجد أن التعليم في المرحلة الأولى كان يقتصر على قراءة القرآن مع حفظ بعض أجزاءه أو حفظه كاملاً بالإضافة إلى التدريب على الكتابة وإتقان التجويد والإمام ببعض أمور اللغة والنحو ويجدد ابن خلدون السبب في ذلك بأن أهل الملة متفقدون في القول بأن القرآن يجب أن يسبق كل شيء إلى قلوب التلاميذ ليرسخ في نفوسهم الإيمان وعقائده على أن يتم هذا في الصغر ولا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم لا من حديث ولا فقه ولا شعر ولا من كلام العرب^(٣) .

أما التعليم في المرحلة الثانية فيضم علوماً دينية مساعدة للمرحلة الأولى كالتفسير والحديث والتوحيد والفقه بالإضافة إلى النحو والبلاغة والمنطق ومبادئ الرياضيات والفلك حيث كانا يستعملان في التوقيت الديني وتقسيم الموارد ولعله من الممكن أن نضيف أيضاً التاريخ الإسلامي والجغرافيا وشيئاً من الكيمياء^(٤) .

نظام الدراسة : لم تشهد المرحلة الأولى في التعليم في المغرب سوى طريقة التلقين والتحفيز^(٥) للقرآن الكريم واللغة وهي علوم لفظية تحتاج إلى الحفظ والاستيعاب^(٦) ويتم التلقين والتحفيز إما بالقراءة في المصحف أو الألواح أو التلقين عن ظهر قلب^(٧) وكان الطلاب يلتفون في الحلقة حول أستاذهم

١- ابن خلدون : المقدمة ص ٣٧٩ .

٢- المصدر السابق ص ٣٨٤ .

٣- المصدر السابق ص ٣٨١ .

٤- د. محمد عادل عبد العزيز : التربية الإسلامية في المغرب ص ١٠ ، ١١ .

٥- المراكشي : المعجب ص ٢٥٤ .

٦- محمد أسعد طلس : التربية والتعليم في الإسلام ص ١٦١ .

٧- المراكشي : المعجب ص ٢٥٤ ، ٢٥٥ .

وهى الطريقة السائدة فى المغرب فى جميع مراحل التعليم^(١) حيث يبدأ الشيخ درسه بالبسملة والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله (ﷺ) ثم يقرأ الدرس و متى فرغ منه ختمه بقراءة الفاتحة ويعين لطلابه الدرس المقبل^(٢) .

وكان المعلمون فى الكتاتيب يحرصون على أن يردد التلاميذ المتعلقون من حولهم القطع المعينة للحفظ بصوت مرتفع ويجودون فيها فكانت أصوات هؤلاء التلاميذ تنبعث من مختلف الكتاتيب وكل جماعة تقرأ من القرآن الكريم جزءاً يختلف عما تقرأه الجماعة الأخرى بالرغم من ذلك فقد كان المعلم يكتشف الغلطة يغلطها التلميذ بين الجماعة كلها فيترل المعلم به عقاباً بقضيب يحتفظ به على مقربة منه أما إذا كان الذنب أكبر من ذلك كإساءة الأدب أو الإساءة إلى النظام فكانت العلقة هى عقاب التلميذ^(٣) .

من جانب آخر نجد أن نظام الدراسة وطريقة تلقى العلم لا تكون بالعنف والقهر لأن الإرهاق فى التأديب يحمل المتعلم على الخبث والكذب ويعلم المكر والخديعة ويذهب بنشاط النفس وهمتها ، وإنما تكون بالمثل الأعلى الذى يجب أن يسعى إليه كل معلم وهو تهذيب الفكر والإدارة^(٤) .

وقد شهدت مدينة فاس فى عصر المرابطين والموحدين نشاطاً للثقافة والدراسة العلمية وخاصة بجامع القرويين الذى استطاع بفضل ما له من شهرة واسعة فى بلاد المغرب أن يجعل من مدينة فاس مقصداً لكثير من العلماء من كل اتجاه وفى تراجم هؤلاء العلماء نستطيع أن نؤكد ما نقول :

١- محمد عبد الرحيم غنيمة : الجامعات الإسلامية الكبرى ص ١٨٧ .

٢- المرجع السابق ص ١٧٩ .

٣- روجيه لاتورنو : فاس فى عصر بنى مرين ، بيروت ١٩٦٧م ص ١٧١ .

٤- الحسن السائح : الحضارة الإسلامية فى المغرب ص ٧٧ .

١- عيسى بن يوسف بن عيسى الأزدي من أعيان مدينة فاس يعرف بابن الملجوم رحل إلى مدينة قرطبة لتلقى العلوم المختلفة سنة ٤٧٥هـ ثم عاد إلى بلده فتولى القضاء بها وكان فقيهاً حجة ظل قاضياً بها إلى أن توفي سنة ٥٤٣هـ^(١).

٢- أحمد بن عبد الصمد بن أبي عبيدة الأنصاري القرطبي الفاسي سكن مدينة فاس ومات بها سنة ٥٨٢هـ "ولما قدم مدينة فاس ألزم سماع الحديث والتكلم على معانيه بجامع القرويين واستمر على ذلك صابراً محتسباً ونفع الله به خلقاً كثيراً"^(٢).

٣- أبو الحجاج يوسف بن عبد الصمد بن يوسف الفاسي من مدينة فاس رحل منها لتلقى العلم "ثم عاد إلى بلده وقعد للإقراء بعد عودته في شرقي جامع القرويين إلى أن توفي في الثاني من رجب عام أربعة عشر وستمائة"^(٣).

واشتهرت مدينة فاس في العصر الموحدى بارتفاع عدد الرحالين إليها لأخذ العلم أو نشره بها عما كان عليه الحال في العصر المرابطي ففي ترجمة :-

١- عبد الله بن محمد بن علي الحجري المري المتوفى سنة ٥٨٩هـ أنه
خرج من مدينة المريّة^(٤)

وجاز البحر إلى مدينة فاس وأقام بها مدة فانتشر صيته وعلا ذكره فكان
الناس يرحلون إلى مدينة فاس للاستفادة والسماع منه^(٥).

١- النباهي : تاريخ قضاة الأندلس ص ١٠٢ .

٢- ابن فرحون : الديباج ص ٥٠ ، ٥١ .

٣- ابن القاضي : جذوة الاقتباس ٧٣/١ .

٤- المريّة: بالفتح ثم بالكسر وتشديد الياء مدينة كبيرة من كورة البيرة من أعمال الأندلس تقع على ساحل البحر بناها عبد الرحمن الناصر بها واد طوله أربعون ميلا انظر ياقوت :

معجم البلدان ١١٩/٥، المقري : نفح الطيب ١٦٢/١

٥- ابن عبد الملك المراكشي : التكملة ص ٧٠٠ .

٢- عبد الرحمن بن يوسف بن الحسن الفاسي المتوفى سنة ٦١٢هـ

كانت تشد إليه الرحال لأخذ العلم وخاصة مذهب الإمام مالك^(١) .

٣- عبد الحق بن خليل بن إسماعيل السكوني من أهل الأندلس

القادمين إلى مدينة فاس للدراسة بها أخذ النحو عن أبي بكر بن طاهر وعلم

الكلام وأصول الفقه عن عثمان بن عبد الله السلاجي ثم عاد إلى الأندلس^(٢) .

٤- أحمد بن عمر بن إبراهيم بن عمر الأنصاري القرطبي

المتوفى سنة ٦٢٦هـ لقي بها أبا القاسم عبد الرحمن بن عيسى بن الملجوم

وسمع منه الحديث^(٣) .

١- ابن القاضى : درة الحجال فى أسماء الرجال ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ٧٧/٢

٢- المقرئ : أزهار الرياض فى أخبار القاضى عياض ، تونس ١٣٥٨ ، ٣٦٠/٢ .

٣- ابن فرحون : الديباج ص ٦٨ : ٧٠ .

وسائل التعليم

كان لكل تلميذ لوح صغير من الخشب وقلم وريشة الأوز ودواة للحبر وكان يكتب على اللوح الدرس اليومي فإذا ما تعلمه التلميذ وحفظه حفظاً مفروضاً أن يظل معه مدى الحياة ، غسل اللوح ليكتب الدرس الجديد^(١) وعلى الصبيان متابعة التمرن على الكتابة حتى في أيام عطلاتهم الأسبوعية وقد اعتاد المعلمون على استخدام الأمثال ومقاطع الشعر كنماذج لتجويد الخط^(٢) ومن سمات هذه المرحلة في التعليم تدريب التلاميذ على اتباع الآداب الإسلامية ولذلك كان المعلم يهتم بتربية التلاميذ على القواعد التي يجب على المسلم الصالح أن يتبعها^(٣) .

أما التعليم في المرحلة الثانية فكان يتبع فيه طرق الإقراء أو السماع والسؤال والمناقشة ، أما الإملاء فهي غير موجودة حيث كانت ذاكرة الطلاب مدربة قوياً على الحفظ^(٤) .

لذلك نجد أن الرواية هي النظام الأساسي الذي يقوم عليه التعليم في المغرب ولا شك أن هذا الاهتمام بالرواية يرجع في الأساس إلى طبيعة العقل العربي وقدرته الفائقة على الحفظ ، وكان الإسناد من لوازم الرواية وهو التحرى في نسبة الأقوال إلى أصحابها بأمانة ودقة ، وكان من عادة من يسمع شيئاً عن أستاذ من الأساتذة ويدون ما سمعه أن يكتب كلمة على ما كتبه يسجل فيها اسم أستاذه واسمه وتاريخ ذلك ويسمى ما يكتبه عندئذ سماعاً^(٥) .

- ١- روجيه لاتونو : فاس في عصر بنى مرين ص ١٧٠ .
- ٢- د. محمد عادل : التربية الإسلامية ص ١٥ .
- ٣- روجيه لاتونو : فاس ص ١٧١ .
- ٤- المرجع السابق : ص ١٧١ .
- ٥- محمد عبد الرحيم غنيمة : الجامعات الإسلامية ص ١٨٢ .

التعليم فى مدينة فاس

استطاع المرابطون السيطرة على بلاد المغرب والأندلس وعندما استقرت لهم الأوضاع السياسية سعوا فى توحيد بلاد المغرب فقاموا برعاية البلاد والمدن واعطائها صبغة علمية جديدة ومميزة تختلف عن الفترة السابقة واستعانوا لتحقيق أهدافهم الدينية والعلمية بجماعة من العلماء القادمين إليهم من منطقتين :-

الأولى : بلاد الأندلس التى كان يسيطر عليها عدد من ملوك الطوائف الذين تفرقت جهودهم ، ولم يعد اهتمامهم قائم على الأمور الرئيسية التى تحافظ على الكيان الموجود بالأندلس مما جعل ثقة العلماء بهم تضعف فما كان من هؤلاء العلماء إلا أن توجهوا إلى بلاد المغرب حيث الأمن والأمان بالإضافة إلى أنهم سيدعمون الدولة الناشئة .

الثانية : مدينة القيروان فقد توجه إلى بلاد المغرب مجموعة كبيرة من علماء القيروان بعد أن قضى "بنو هلال" على مدينة القيروان فهاجر علمائها إلى المغرب الأقصى وخاصة مدينة فاس ناجين بأنفسهم وبعلمهم سنة ٤٤٦ هـ^(١) .

من هنا نعتبر أن بداية القرن الخامس الهجرى قد شهد تطوراً ثقافياً هاماً ألا وهو انتقال مركز الثقافة الإسلامية وتحويل اتجاهها من مدينة القيروان إلى مدينة فاس وهى على أبواب عصر جديد وهو عصر المرابطين .

استقبلت مدينة فاس هؤلاء العلماء الذين كانوا بمثابة دم جديد أضيف إلى قلب وعقل المدينة فكان لاستقرارهم وممارسة نشاطهم بمثابة دعوة للهدوء والأمن فى هذه المدينة مما أضاف عاملاً آخر من عوامل جذب السكان للمدينة حتى لقد

ضاقت المدينة بمن يتجه عليها من الطلاب ورجال العلم ففى أوائل القرن السادس
المجرى حرص العلماء على تشجيع قاضى مدينة فاس^(١) لتحمل مسئولية إصلاح
ما يجب إصلاحه وتوسيع المناطق التى تحتاج إلى ذلك وقد شجعه الأمير على بن
يوسف المرابطى على هذا الإصلاح فقام القاضى بشراء كثير من الأملاك المجاورة
فاتسعت مدينة فاس^(٢) .

كما يوجد بالمدينة "مفتى" وظيفته إرشاد الناس إلى الدين وتثقيفهم للدفاع
عن حقوقهم وكان يسند إلى هذا المفتى جانباً من الأوقاف حتى يستطيع أن
يصرفها فى المشاريع الخيرية التى أدت إلى ازدهار المجال العلمى فى المن فى عصر
المرابطين كمدن فاس ومكناس ومراكش مما أدى إلى وجود طبقة من الفقهاء
والعلماء فى هذه المدن يحظون بمكانة عالية من التقدير والاحترام
فيوسف بن تاشفين كان "محباً للفقهاء والعلماء والصلحاء مقرباً لهم صادراً
عن رأيهم متكرماً لهم أجرى عليهم الأرزاق من بيت المال طول أيامه"^(٣) .

١- الجزنائى : زهرة الأس ص ٤٢ ، القاضى أبو محمد عبد الحق بن عبد الله بن معيش
الغرناطى .
٢- البيذق : أخبار المهدي ص ٦٥ .
٣- ابن أبى زرع : روض القرطاس ٣٧/٢ .

أماكن التعليم في مدينة فاس

بنيت بمدينة فاس أماكن مختلفة للتعليم تكون بعض هذه الأماكن كجزء لإيواء الطلبة والسكن وجزء للدراسة والمطالعة والصلاة .
كان التعليم منتشراً في أنحاء المغرب كله وكاد أن يكون الزامياً عملاً بوصية الرسول (ﷺ) "خيركم من تعلم القرآن وعلمه" فأماكن التعليم أوسع انتشاراً في المدن من غيرها وقد يكون في المسجد أو الكتاب أو الزاوية ...
أولاً المسجد :- يعد المسجد المكان الرئيسي للتعليم ونشر الثقافة الإسلامية وللمسجد دورين رئيسيين : **الأول** ديني فهو بيت الله تقام فيه شعائر الصلاة وتؤدى به الخطب والأعياد وتعقد مجالس الذكر والعبادة ويعتبر المكان المباشر الذي يساعد على انتشار التعليم . **والثاني** تعليمي : حيث تعقد فيه الدروس الدينية التي تشرح تعاليم الدين الإسلامي وتوضح أصوله وأحكامه وأهدافه وقد توسع المسلمون في فهم مهمة المسجد فلم يكن الهدف الأساسي لبناء المسجد إيجاد مكاناً للعبادة فحسب لأن الإسلام جعل الأرض مسجداً للمسلمين وإنما أراد الرسول (ﷺ) أن يكون المسجد عاملاً لا ينتمى لأى القبائل بل هو بيت للجميع يلتقى الرسول (ﷺ) فيه مع المسلمين للعبادة والمشاورة يلتف حوله المسلمون يأخذون عنه مبادئ الدين الحنيف بالإضافة على إلقاء الشعر وشئون التجارة حتى علا صوت المتساوين والتجار أحياناً على صوت المصلين مما جعل **عمر بن الخطاب** (رضى الله عنه) يخصص مكاناً بجانب المسجد لمثل هذه الأحاديث ليظل المسجد مخصصاً للعبادة والتعليم والقضاء وقد ظل المسجد محتفظاً بمظهره الأول واتخذ الخلفاء والولاة بناء المسجد عند فتحهم بلاد جديدة سنة عن الرسول (ﷺ) ^(١) .

١- أحمد فكرى : مسجد القيروان، مطبعة المعارف ، القاهرة ١٣٣٥ / ١٩٣٦م ص ٧ ،
د. أحمد شلبي : المجتمع الإسلامى ص ٥٦

كما اتخذ المسجد داراً للقضاء وساحة تتجمع فيها الجيوش ومترلاً لاستقبال
الغرباء والسفراء^(١) .

وقد أقيمت فى مدينة فاس عدة مساجد بعد الانتهاء من إنشائها فمدينة
فاس كانت عبارة عن جزئين يفصلهما سور حاجز بينهما إلى أن تم هدمه على يد
يوسف بن تاشفين . ففى عدوة القرويين يوجد مسجد الشرفاء الذى ضاق
بالمصلين وفى سنة ٣٠٧هـ انتقلت الصلاة إلى مسجد القرويين الذى بنى سنة
٢٤٥هـ^(٢) .

وفى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى كانت هناك دراسة غير منظمة
فى جامع القرويين كانت تشمل مختلف العلوم وفى أوائل القرن الخامس الهجرى
كانت الدراسة على صورة مباشرة بمستقبل علمى زاهر كما يذكر الأستاذ الدكتور
أحمد البهى الحفناوى فى مقدمة بحثه^(٣) .

ومع اتساع المدينة كان من الطبيعى أن تنتشر المساجد فى المناطق التى تضاف
إلى مساحة المدينة وعندما أزال يوسف بن تاشفين السور الفاصل بين العدوتين
أصبح مسجد القرويين جامعة علمية تشد الرحلة إليه ويدل على ذلك ما جاء فى
ترجمة أبى عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن عيسى بن هشام بن جامع الأنصارى
الجيانى الذى وصف بأنه كان فقيهاً حافظاً مشاوراً عارفاً بأصول الفقه فعندما أتى
من المشرق سنة ٥١٥هـ نزل أول ما نزل بمدينة فاس وجلس بغربى جامع القرويين
يدرس الفقه مدة ثم غادرها سنة ٥٢٩هـ ثم عاد مرة أخرى عام ٥٤٤هـ يواصل

١- ابن عبدون : رسالة فى القضاء والحسبة ص ٢٤ . محمد بن تاويت :
الأدب المغربى ص ٦٠ .

٢- الجزائى : زهرة الأس ص ٣٥ . السلاوى : الاستقصا ١/١٦٠ .

٣- جامعة القرويين ودورها فى ثقافة الإسلام ، رسالة دكتوراة بكلية اللغة العربية تحت رقم
٧٢٧ سنة ١٩٧٣ م .

عملية التدريس في الفقه ومسائل الخلاف ولم يزل بها مقبلاً على نشر العلم إلى أن توفي يوم الجمعة لخمس بقين من ذى الحجة عام ٥٤٦هـ^(١) .

مسجد زقاق الماء بعدوة القرويين فقد كان يقوم بالتدريس فيه

أبو بكر بن عثمان بن مالك من شيوخ **أبي الحسن بن حرزهم**^(٢) .

أما **عدوة الأندلس** فاشهر مساجدها هو جامع الأشياخ الذي استمرت به

الخطبة إلى سنة ٣٢١هـ ثم انتقلت إلى جامع الأندلس الذي بُدئ فيه بالبناء سنة

٢٤٥هـ على يد **مريم بنت محمد بن عبد الله الفهرى** فعندما ضاق جامع

الأشياخ بالمصلين تحولوا إلى جامع الأندلس في ولاية **حامد بن حمدان الهمداني**

عامل الفاطميين حيث تغلب على مدينة فاس سنة ٣٢١هـ وهذا الجامع حدثت

له زيادة كبيرة وخاصة في عصر **الموحدين** على يد **الناصر** سنة ٦٠٠هـ الذي أمر

ببناء **الباب الكبير** وما صحب هذا البناء من زيادة في مساحة المسجد ثم

زوده بماء من وادي **مصمودة** الذي يمر بأسفل هذا الباب للغسيل والوضوء وكان

العلماء والفقهاء يدرسون العلم في مواضع من هذا الجامع ويجلسون للفتوى وتلاوة

القرآن والواضح بهذا المسجد من فنون العلم والمعرفة ما يحتاجه كل طالب ومريد

وممن اشتهر بالعلم في هذا المسجد **الفيقيه الولى الصالح جبر الله بن القاسم**

الأندلسي وهو ممن أدخل علم مالك إلى مدينة فاس^(٣) .

مسجد طريانه و**مسجد ابن الغنام** و**مسجد ابن الملقوم** هذه المساجد هي

التي استقبلت **المهدي بن تومرت** مؤسس الدولة الموحدية عند نزوله مدينة فاس في

الفترة الأولى لدعوته^(٤) .

١- ابن عبد الملك المراكشي : الذيل والتكملة ص ٦٥ .

٢- الحسن السائح : الحضارة الإسلامية في المغرب ص ١٥٢ .

٣- الجزنائي : زهرة الأس ص ٨١ ، ٨٣ ، ٨٤ . السلاوي : الاستقصا ١/١٦٠ .

٤- البيهقي : أخبار المهدي ص ٦٣ ، ٦٤ .

ثانياً الكتاب :-

فى البداية كان عبارة عن خيمة من الخيام الموجودة مع الفاتحين وقبل أن تنشأ المدن العربية وتتطور ويحدث الاستقرار للمسلمين فى إفريقيا ويعملوا على إقامة المدن وبالفعل أنشئت القيروان وتونس وفاس سنة ١٧٢هـ^(١) .

الاستقرار جعل المسلمين حريصين على أن يتخذوا لأبنائهم أماكن صغيرة ملحقة بالمساجد يدرسون فيها الدين واللغة ثم اتخذوا محلاً "كتاباً" بسيط البناء يجتمعون فيه لقراءة القرآن وكان المسلمون فى المغرب يرسلون أبناءهم إلى الكتاب حيث يوجد به المعلم أو المؤدب^(٢) للقيام بمهمة تعليم الصبيان وكانت هذه الكتاتيب منتشرة فى أنحاء المدن الكبرى وأيضاً القرى الصغيرة وعادةً ما تكون بجوار المساجد هذه الكتاتيب بجوار المساجد حيث يقوم على شئونها معلم يستأجر مكاناً للتعليم وقد يشترك معلم أو أكثر فى تعليم أطفال الكتاب حيث يعلمونهم مقابل أجر زهيد وقد يعطى هذا الأجر أسبوعياً أو شهرياً أو سنوياً^(٣) .

ويذكر أحد الباحثين أن الصبى إذا عقل كان يذهب إلى الكتاب مبكراً فكان يحفظ القرآن ثم يتعلم الكتابة ثم يعود إلى المنزل ويرجع بعد الظهر ويظل به إلى آخر النهار ويذهب الأطفال إلى الكتاب طيلة الأسبوع إلا يوم الخميس ظهراً ويوم الجمعة وربما قرأوا مساء يوم الجمعة ، ويتعلم الصبى أثناء الدراسة القرآن الكريم والكتابة ومبادئ النحو ، وقد يتعلم أيضاً الحساب والشعر وأخبار العرب

١- ابن الأبار : الحلة السيرة ٥٦/١ .

٢- د. أحمد شلبى : تاريخ التربية الإسلامية ص ٤٥ ، اشتق اسم المؤدب من الأدب وهو اسم أفصل من لقب معلم صبيان أو معلم كتاب ومعنى التأديب أن يعلم الأولاد حسن الألفاظ فى القراءة بالإضافة على الخط الحسن ويأمر من كان كبيراً بالصلاة ويكتب له التشهد وما يقو له فى الصلاة ويصف ابن عبدون أكثر المؤدبين بأنهم جهال بصناعة التعليم ويسوق السبب حيث يوضح أن حفظ القرآن والتعليم شىء آخر لا يمكن إلا لعالم به ، وللمؤدب شروط منها أن يكون شيخاً خيراً متديناً عفيفاً وربما قليل الكلام والشهوة إلى استماع ما لا يعنيه ولا يهمل الصبيان ولا يتركهم إلا لأخذ الطعام والصلاة وأن يتحلى بالعدالة وأن لا يحضر الجنائز البعيدة انظر ابن عبدون : رسالته فى القضاء والحسبة ص ٢٤ ، ٢٥ ، د. أحمد شلبى : تاريخ التربية الإسلامية ص ٤٥ .

٣- محمد عبد الرحيم غنيمه : الجامعات الإسلامية ص ١٨٣ .

الكريم والكتابة ومبادئ النحو ، وقد يتعلم أيضاً الحساب والشعر وأخبار العرب إذا تطوع المعلم بذلك على أن أهم ما يدرّس في الكتاب هو حفظ القرآن على الطريقة الفردية أو الجماعية ولكل صبي لوح يكتب فيه ما يحفظه وتنتهي مرحلة الحفظ بالختمة وعندئذ إما أن يتوقف عن التعليم ويتجه إلى الصناعة وإما أن ينصرف إلى المسجد والمدرسة للتبحر في التعليم^(١)

هذا وقد تطورت الدراسة بعض الشيء فقد قسمت الدراسة إلى نوعين من المواد :

النوع الأول : مواد إجبارية كالقرآن الكريم والنحو والكتابة وتعلم الصلاة والدعاء

النوع الثاني : مواد اختيارية كالحساب والشعر وأيام العرب وكانت طريقة

التعليم تعتمد على حفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب فكان الطفل يحفظ القرآن ضبطاً وشكلاً وأحياناً إذا تخصص في حفظ القرآن يتلوه بالقراءات السبع .

أما العلوم التي تكتب فتكون بالتلقين عندما يفهمون ما يحصلون فيعلمونه أولاً الخط وتأليف الحروف والمجاء ثم يتعلم القرآن فيحفظه لأن فيه تدريب وتمارين اللسان على التلاوة وتربية الفضائل^(٢)

من ناحية أخرى نجد أن العلوم قد أصبح لها فروع وأصول فالقرآن الكريم ينقسم إلى تلاوة القرآن ومعرفة معانيه وعلم الحديث ينقسم إلى معرفة المتن ومعرفة روايته ، وعلم الكلام ينقسم إلى معرفة مقالاتهم وحججهم وعلم النجوم يشمل على الهيئة والتعديل وعلم الطب ينقسم إلى طب النفوس وطب الأجسام وحفظ الصحة ومعاناة المريض ... إلخ وفي النهاية إن كل ما عُلّم فهو علم ويدخل في ذلك التجارة والخطاطة وتدبير السفن وفلاحة الأرض^(٣) .

١- الحسن السائح : الحضارة الإسلامية في المغرب ص ١٨٠ ، ١٨١ .

٢- المرجع السابق ص ١٨٤ .

٣- الحسن السائح : الحضارة الإسلامية في المغرب ص ١٨٥ .

العلاقات العلمية مع مدينة فاس

بلا شك أن مدينة فاس كانت على صلة قوية بغيرها من مراكز الفكر بحيث تأخذ وتعطى وتؤثر وتتأثر مما أدى إلى النمو المضطرد فى حركة العلم جعلها منارة مشعة فى منطقة المغرب الأقصى فلا يظهر فيها أو فى غيرها أى جديد إلا وكان لها منه أو فيه نصيب هذا جعل العلاقة العلمية بين طلاب العلم والعلماء والمؤلفات العلمية أمراً شائعاً فى المغرب كما هو الحال أيضاً بالمشرق فى العصور الإسلامية^(١) ويعتبر الهدف الرئيسى من التعاون العلمى والزيارة إلى عواصم الثقافة الإسلامية المختلفة هو لقاء الشيوخ المشهورين حيث نجد أن الطالب لا بد أن يجلس إلى الشيخ مباشرة لأمرين أ- السماع منه ومعرفة مؤلفاته ب- كان لا بد أن يقرأ بعضها عليه حتى يعتبر ثقه فى مادته وحجة فى عمله وبدون ذلك لا تصح روايته ولا يوثق به^(٢) .

علاقة مدينة فاس ببلاد الأندلس

ترك الأدارسة أثراً واضحاً فى الحياة العلمية الثقافية فى المغرب بصفة عامة والمغرب الأقصى بصفة خاصة ، ولم يمض وقت طويل من إنشاء المدينة حتى أصبحت مركزاً من مراكز الثقافة والفكر يشدوا إليها من العلماء وطلبة العلم ومريدوه من معظم العالم الإسلامى ، وقد وضع أساس هذه المكآنة إدريس الثانى

١- محمد عبد الرحيم غنيمه : تاريخ الجامعات الإسلامية ص ٢١٥ .

٢- المرجع السابق ص ٢١٢ .

مؤسس المسجد الجامع المعروف "بالشرفاء" سنة ١٩٢ هـ الذى كان بداية لإقامة
جامع القرويين الذى اكتسب صبغة علمية جامعية عالمية^(١) .

لقد تلقت مدينة فاس تأثيرات علمية وفكرية وثقافية وحضارية من بلاد
الأندلس التى لم يمكث على فتحها ثلاثة قرون من الزمان إلا وازدهرت حضارتها
ازدهاراً ملموساً بحيث تركت بصماتها على معظم التاريخ الإسلامى بل والعالمى^(٢)
فى سنة ٢٠٢ هـ وفد إلى مدينة فاس من بلاد الأندلس نحوالى ثمانمائة أهل
بيت نزلوا بعدوة الأندلس فارين من الحكم بن هشام صاحب وقعة الرض ناقلين
كثيراً من تراثهم العلمى والفكرى إلى مستقرهم بمدينة فاس "وغمرت العدو
بالسكان بفضل هؤلاء الوافدين وتمديننت بهم"^(٣) .

وفى تراجم هؤلاء العلماء ما يدل على العلاقة العلمية بين المكانين :

- ١- عبد الله بن ياسين (ت ٤٥١ هـ) ذهب إلى الأندلس فى عهد دويلات ملوك
الطوائف^(٤) حيث مكث هناك ما يقارب سبع سنوات ثم عاد بعدها إلى المغرب^(٥)
- ٢- محمد بن إبراهيم بن عيسى بن هشام بن جراح الخارجى من أهل جيان
بالأندلس درس الفقه بفاس ثم تحول إلى جيان وخرج من بلده فى الفتنة وعاد إلى
فاس فترها سنة ٤٤٤ هـ وتوفى بها سن ٤٥٦ هـ^(٦) .
- ٣- إبراهيم بن أبي الفضل بن صواب الجرى من أهل الأندلس تحول فى البلاد والمدن
الإسلامية معلماً بها ثم نزل طنجة واستقر بمدينة فاس وتوفى سنة ٥٠٦ هـ^(٧)

١- ابن الخطيب : أعمال الأعلام ٢٠١/٣ .

٢- د. محمد عادل : التربية الإسلامية ص ٣ .

٣- عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب الكبير ٤٩٦/٢ .

٣- ملوك الطوائف : بنو عباد وبنو جهور ملوك إشبيلية وقرطبة ، بنو ذى النون بطليطلة ،
بنو هود بسرقسطة ، بنو الأفضس ببطليوس ، قضى المرابطون عليهم بعد استيلائهم على
الأندلس انظر المقرئ : نفح الطيب ٤٣٨/١ : ٤٤٣ .

٥- مجهول : الحلل الموشية ص ٩ ، السلاوى : الاستقصا ١٨/٢ .

٦- المقرئ : نفح الطيب ١٥٦/٢ : ١٥٧ .

٧- ابن الأبار : التكملة ١٧٢ .

- ٤- محمد بن تومرت فى رحلته إلى المشرق مر على الأندلس ودخل مدينة قرطبة
توفى سنة ٥٢٤هـ^(١) .
- ٥- أحمد بن مسعدة العامرى من مدينة غرناطة^(٢) ورحل إلى مدينة فاس من علماء
الفقه واللغة والأدب له رواية بالحديث له منظوم ومنتور توفى سنة ٥٣٩هـ^(٣) .
- ٦- عيسى بن يوسف بن عيسى الأزدي ابن الملحوم من أهل مدينة فاس ذهب
إلى قرطبة سنة ٤٧٥هـ فأخذ بها عن عدة علماء وعاد إلى مدينة فاس قاضيا عدلا
توفى سنة ٥٤٣هـ^(٤) .
- ٧- محمد بن عبد الله بن محمد العربي المعافرى "ابن العربي" من أهل مدينة أشبيلية
طاف معظم المدن الإسلامية ، وتعلم على أيدي كثيرين من الشيوخ تولى قضاء
أشبيلية دفن بمدينة فاس سنة ٥٤٣هـ^(٥) .
- ٨- على بن إسماعيل بن محمد بن حرزهم فقيه كبير ومع ذلك احتار فى الأمر
الذى بعثه الأمير على بن يوسف إلى مدينة فاس بشأن فتوى إحراق كتاب إحياء
علوم الدين ، فلم يتردد فى الذهاب إلى أحد العلماء حتى يفتيه فى هذا الأمر فأفتاه
"بأنها لا تلزم" توفى سنة ٥٥٩هـ^(٦) .
- ٩- إبراهيم بن يوسف المعروف "ابن قرقول" صحب جماعة من علماء الأندلس
له كتاب يعرف "مطالع الأنوار" توفى بمدينة فاس سنة ٥٦٩هـ^(٧) .

١- ابن قنقد : الوفيات ص ٢٧٣ ، ٢٧٤ .
٢- غرناطة : من أعمال الأندلس يشقها نهر بينها وبين البيرة أربع فراسخ وبينها وبين قرطبة
ثلاثة وثلاثون فرسخا انظر ياقوت : معجم البلدان ٤/١٩٥ .
٣- ابن فرحون : الديباج ص ٥٥ : ٥٦ .
٤- النباهى : تاريخ قضاة الأندلس ص ١٠٢ .
٥- ابن بشكوال : كتاب الصلة ٢/٥٣١ . النباهى : المصدر السابق ص ١٠٥ ، ١٠٦ .
المقرى : نفح الطيب ٢/٢٥ .
٦- السلاوى : الاستقصا ٢/٦٦ ، ذهب ابن حرزهم إلى يوسف بن محمد بن يوسف
"ابن النحوى" بقلعة حماد المتوفى سنة ٥١٣هـ انظر السلاوى : الاستقصا ٢/٦٧ ، ١٨٤ .
٧- السلاوى : الاستقصا ٢/١٨٦ .

- ١٠- إبراهيم بن يوسف بن أدهم بن عبد الله كان جوالاً حريصاً على لقاء الشيوخ نزل بمالقة ثم سبتة سنة ٥٦٤هـ وتوفي بمدينة فاس سنة ٥٦٩هـ^(١) .
- ١١- علي بن إبراهيم بن محمد الأنصاري تعلم على يد خاله بمدينة فاس وعقد الشروط ، له كتاب "النهاية والتمام في معرفة الوثائق والأحكام" ثم انتقل إلى مدينة سبتة ، تولى قضاء بشريس توفي سنة ٥٧٠هـ^(٢) .
- ١٢- أحمد بن عبد الصمد بن أبي عبيدة الخزرجي من أهل قرطبة سكن غرناطة رحل إلى مدينة بجاية له مؤلفات كثيرة منها "آفاق الشموس وإعلاق النفوس" ولد سنة ٥١٩هـ وتوفي بمدينة فاس سنة ٥٨٢هـ^(٣) .
- ١٣- إبراهيم بن إبراهيم بن محمد الأنصاري من أهل الأشونة بالأندلس نزل مدينة فاس لتبادل العلم حيث أنه كان أديباً ويعلم القرآن توفي سنة ٥٨٣هـ^(٤) .
- ١٤- شعيب بن الحسن الأنصاري من أشبيلية انتقل إلى مدينة فاس ليأخذ عن ابن حرزهم توفي سنة ٥٩٤هـ^(٥) .
- ١٥- أبو بكر بن خلف الأنصاري من أهل قرطبة توفي بمدينة فاس سنة ٥٩٩هـ^(٦) .
- ١٦- أحمد بن محمد بن مقداد الرعيني من أهل أشبيلية تعلم القراءات وسمع من ابن العربي وصحبه في ذهابه إلى مراکش مات بفاس سنة ٦٠٤هـ^(٧) .
- ١٧- أحمد عمر بن أحمد بن عبد الرحمن من أهل قرطبة نزل مدينة فاس احتاج الناس إليه لعلو روايته وطول عمره ولد ٥٣١هـ ومات ٦١٦هـ^(٨) .

- ١- ابن الأبار : التكملة ص ١٨٥ ، ١٨٦ .
- ٢- السلاوي : الاستقصا ١٨٧/٢ .
- ٣- ابن الأبار : التكملة ص ١٠٤ .
- ٤- المصدر السابق ص ١٩٣ .
- ٥- السلاوي : الاستقصا ١٨٩/٢ .
- ٦- ابن الأبار : التكملة ص ٢٦١ ، ٢٦٢ .
- ٧- المصدر السابق ص ١١٩ .
- ٨- المصدر السابق ص ١٣٤ ، ١٣٥ .

١٨- إبراهيم بن جابر بن عمر بن عبد الرحمن بن عمر المخزومي من أهل مدينة مراكش ونشأ بفاس ودخل الأندلس واستوطن أشبيلية توفي سنة ٦٤١هـ^(١) .

علاقة مدينة فاس بمدينة القيروان

تمثل مدينة القيروان النموذج للمدينة الإسلامية بالمغرب والتي أنشأت سنة ٥٠هـ على يد عقبة بن نافع وبعد مرور أكثر من قرن على قيام مدينة القيروان ، كان لابد لأهل مدينة فاس أن يستفيدوا من التطور العلمي والفكري لمدينة القيروان عاصمة المغرب وأول منبر للقادم من المغرب تجاه المشرق بالتزود بالعلم وحضور حلقات العلم بين يدي العلماء والشيوخ ، وبعد إنشاء مدينة فاس مباشرة وفي سنة ١٨٩هـ وفد على إدريس الثاني وفود من العرب بالقيروان فاجتمع عدد كبير من الفرسان فسر بوفادتهم وأجزل صلتهم وأدنى منزلتهم وجعلهم بطانته^(٢) . وفي سنة ٢٠٢هـ هاجر إلى مدينة فاس وفد من أعيان مدينة القيروان بعيالهم وأرلادهم فأنزلهم إدريس الثاني حوله بعدوة القيروانيين نسبة لهم ثم خففت إلى عدوة القرويين^(٣) .

أما أهل القيروان فقد قاموا بعمل جليل على يد السيدة / فاطمة بنت محمد الفهرى بوضع الأساس لبناء جامع القرويين الذي أصبح أحد القلاع العلمية في مدينة فاس وغيرها من بلدان المغرب الأقصى .

١- ابن الأبار : التكملة ص ٢١٥ .

٢- السلاوي : الاستقصا ١/١٤٨ .

٣- ابن الخطيب : أعمال الأعلام ٣/٢٠٠١ .

وقد جذب بريق العلم أحد الفقهاء النابغين من أهل مدينة فاس إلى الذهاب إلى مدينة القيروان لنقل مدونة الإمام سحنون^(١) إلى مدينة فاس ويعتبر دراس بن إسماعيل أول من أدخل مدونة سحنون إلى مدينة فاس توفي عام ٣٥٧هـ^(٢) .

- أبو عمران موسى بن أبي الحجاج الفاسي من أهل مدينة فاس استوطن مدينة القيروان فقيه مالكي تولى رئاسة العلم بالقيروان دخل الأندلس وزار مصر وبغداد وحج عدة مرات ثم عاد إلى القيروان وأقرأ الناس بها مدة مات سنة ٤٣٠هـ^(٣) .

- وفي سنة ٤٢٧هـ توجه يحيى بن إبراهيم الكدالي شيخ قبيلة صنهاجة إلى المشرق للحج واحتياجه إلى عالم مسلم ليعلم قومه مبادئ الإسلام فلما عاد من الحج سنة ٤٢٨هـ نزل بالقيروان وأتيح له سماع علم من أئمة المالكية وعلوم الدين هو الفقيه أبو عمران الفاسي ويبدو أن يحيى بن إبراهيم تأثر بعلم أبي عمران فطلب منه أن يبعث معه إلى قبيلته من يثق فيه فوقع الاختيار على عبد الله بن ياسين ليقوم بهذه المهمة^(٤) فكان للعلم والعلماء بمدينة القيروان دور هام في اختيار فقيه السوس ليضع اللبنة الأولى لقيام دولة المرابطين بالمغرب .

١- سحنون : محمد بن سحنون التنوخي المغربي المالكي الفقيه المناظر المفتي بالقيروان توفي سنة ٢٥٦هـ له تصانيف كثيرة منها شرح أربع كتب على المدونة انظر حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الفنون ، دار الفكر ، بيروت ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م ١٥/٦ ، له ترجمة مختلفة في كل من النباهي : تاريخ قضاة الأندلس ص ٢٨ ، ٣٠ ابن قنفذ : الوفيات ص ١٧٤ ، ١٧٥ .

٢- السلاوي : الاستقصا ١/١٨٧ .

٣- الحميدي : جذوة المقتبس ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ص ٣١٧ ، ابن قنفذ : الوفيات ص ٢٣٩ .

٤- مجهول : الحلل الموشية ص ١٠ ، ١١ .

علاقة مدينة فاس ببلاد المشرق

(مصر ، مكة والمدينة ، بغداد)

تعتبر بلاد المشرق بالنسبة للمغاربة وخاصة مكة والمدينة المنبع الأصلي للإسلام وشريعته ، فكم تهوى القلوب إلى زيارة هذه الأماكن التي تؤدي فيها الركن الخامس من الدين الإسلامي الحنيف ، فحب هذه الأماكن يزداد كلما كان هناك صعوبة في الوصول وبعده للمسافة ، وهذا الحب تمثل في استقبال أحد الوافدين من مكة إلى بلاد المغرب "إدريس بن عبد الله" الذي وجد ترحيباً كبيراً وتأيداً من الشعب المغربي .

فأبو عمران الفاسي له رحلة إلى المشرق وصل فيها إلى بغداد وسمع من شيوخها وتعلم منهم ونزل بمصر وتعلم من شيوخها ، ومكة أقام بها لفترة ونال قسطاً من العلوم بها توفي سنة ٤٣٠هـ^(١) .

وقبل قيام دولة المرابطين بالمغرب خرج يحيى بن إبراهيم الكدالي متوجهاً إلى المشرق حتى يؤدي مناسك الحج وتحصيل المعارف والوقوف على مبادئ الإسلام الصحيح^(٢) .

وفي عصر الموحدين توجه عيسى الجزولي المتوفى سنة ٦٠٧هـ من المغرب في رحلة حج ومر بالقاهرة وأعجب بعلمائها وخاصة في النحو^(٣) .

١- الحميدى : جذوة المقتبس ص ٣١٧ .

٢- مجهول : الحلل الموشية ص ٩ . يوسف أشباخ : تاريخ المرابطين والموحدين ص ٦٣

٣- انتظم الجزولي في تعلم المسائل النحوية وأثبت كل ما دار في جميع دروسه في "مقدمة" عاد بها إلى المغرب وأخذ يدرسها للطلاب في المغرب والأندلس ويعتبر أحد الباحثين أن هذه المقدمة خير هدية من مصر حملها الجزولي إلى بلاد المغرب بصفة عامة انظر

ابن إبراهيم : أنباء الرواة في طبقات النحاة ٩٨/١ ، د. شوقي ضيف :
عصر الدول والإمارات ص ٣٤٦ .

ومن الجدير بالذكر أن المرابطين والموحدين لم يضعوا أمام حركة العلماء أية عوائق تحول بين التنقل بين المدن داخل حدود الدولة ، كما سمحوا للوافدين من العلماء الإقامة فى ربوع دولتهم والتمتع بكل المميزات التى يتمتع بها أقرانهم من أهل العلم ، فقد ذهب محمد بن تومرت إلى المشرق لتلقى العلم فطاف ببلاده ثم أقام بمكة فترة حصل قدراً من العلوم^(١) .

النظام الإداري لمدينة فاس

إدارة مدينة فاس

أنشئت مدينة فاس على يد إدريس بن عبد الله و استطاع خلفاؤه ضم الشطر الأعظم من بلاد المغرب الأقصى إلى الإسلام ووضعوا سكانه " البربر " تحت سيطرتهم ، فبداية دولة الأدارسة كانت ابتدائية إلى أقصى حد تقتصر على جيش مجند محاباً يجزئ من أسلاب الحرب ومن الفرائض على غير المسلمين و عندما أدخل إدريس بن إدريس في خدمته خمسمائة عربي من الأندلس و أفريقية اتخذ لنفسه منهم حرساً شخصياً و بعد موته سنة ٢١٣ هـ قسم ابنه الأكبر " محمد " الأقاليم التابعة لدولته إدارياً بين أخوته و لم يحتفظ لنفسه إلا بلقب الإمام و إدارة العاصمة " مدينة فاس " و قد اتخذ الأدارسة لقب الإمام حيث كان ينظر إليهم على أنهم رؤساء دينيون وأن واجبهم الأساسي القيام بالدعوة إلى الله ونشرها بين سكان المغرب (١).

وتعتبر سلطة الإمام أعلى سلطة حاكمة في مدينة فاس في عصر الأدارسة فهو المرجع الأول و الأخير في كل كبيرة و صغيرة و يؤم الناس في الصلاة و يقود الجيش للفتوح و ضم مناطق جديدة كما فعل " إدريس بن عبد الله عندما توجه إلى غزو تلمسان (٢).

١ - د. عبد الله العروي : المغرب محاولة التركيب ص ١١١.

٢ - ابن أبي زرع : روض القرطاس ١ / ٢١ ، ٢٢.

أصحاب الإدارة :

تعتبر خصائص إدارة الحكومات الإسلامية في المغرب غير واضحة كما هو الحال في المشرق الذي صبغ على العرب الذين خرجوا من شبه الجزيرة العربية بطرق و نظم مختلفة للحكم ، فضم العرب لبلاد فارس و بلاد الشام و مصر كل هذه مناطق أصحاب حضارات و كل منهم له خصائصه في نظم وإدارة الدولة و المدن التابعة لهم ، و يرجع سبب عدم وضوح خصائص إدارة الحكومات الإسلامية في المغرب إلى ميول الكتاب الذين يبدون اهتماماً بأمور أخر غير "الاقتصاد السياسي" هذا إلى جانب ما يكتنف الموضوع من غموض فالمهام الصحيحة للحكومة و الوسائل التي تتبعها لبلوغ غاياته و الموظفون الإداريون و التنفيذيون الذين يقع على عاتقهم تحقيق هذه الغايات كل هذه الموضوعات تتناولها أفكار غامضة لا تصل إلى درجة نسبية من الوضوح و المنهجية^(١).

الإمام : هو أعلى سلطة حاكمة في إدارة مدينة فاس و قد تلقب الأدارسة فقط بهذا اللقب دون غيرهم من حكام وولاية المدن في المغرب^(٢)، وقد تقلد هذا المنصب بهذا اللقب إمام الموحدين " محمد بن المهدي " ابن تومرت ، فهو الإمام و المعصوم^(٣).

الوزير : يقوم بتعيينه و السيطرة عليه الإمام و تتركز جميع مهام الحكومة في الوزير و الوزارة^(٤) قسماً و وزارة تفويض ووزارة تنفيذ،

١- هوبكتر : النظم الإسلامية ص ٣١.

٢- ابن أبي زرع : روض القرطاس ١ / ١٦.

٣- البيدق : أخبار المهدي ص ٢١.

٤- الوزارة : مأخوذة إما من المؤازرة و هي المعاونة أو من الوزر وهو الثقل انظر ابن خلدون : المقدمة ص ٢٧٠.

وزارة التفويض فهي ضرورة عملية تحتمها على الإمام استحالة القدرة البشرية على القيام بجميع أعمال و شئون و مهام إدارة الدولة و شئون الخلافة من قبل شخص واحد.

ووزير التفويض محول من قبل الإمام للتصرف باسمه في جميع الميادين لهذا يجب أن يكون الوزير من أصحاب الثقة و الخبرة و سلامة الحواس و من أهل الكفاية فيما يوكل إليه من أمر الحرب و جباية الضرائب ، أما وزير التنفيذ فلا يعدو أن يكون منفذاً لتعليمات الإمام(١).

هذه هي مهام الوزير فهو من الناحية النظرية المسئول الرئيسي في الدولة و هو شبيه برؤساء الوزارات في الأزمنة الحديثة و قد منح سلطة مستقلة و هو غير مسئول أمام أحد غير الإمام هذه النظرية الواضحة لم تكن قائمة بصورة أو بأخرى في مدينة فاس و هذا راجع الى العادات و التقاليد و التأثير المتبع للسكان " العرب " فقد كانت الإدارة في كثير من الأحيان أمراً معداً لغرض خاص أو تخضع لتأثير من يكون قادراً في ذلك الوقت على فرض سلطته هذا إلى جانب عدم وجود إجراءات معقدة للتعين و لم يتوفر إلا القليل من التخصص و لم يوجد نظام خاص بالرتب كما لم تكن هناك طرق و أساليب محددة لسير أعمال الحكومة " جدول أعمال " أما الإداريون " الموظفون " فتداخل المهام بعضها ببعض يجعل من الغموض في أداء مهامهم أمراً شائعاً و ذلك لانعدام التدريب الخاص بتنمية المهارات لديهم و قد يعينون أو يعزلون لأسباب شخصية أو سياسية و أخيراً قد يكون المتقلد لمنصب هام كالوزير مجرداً من السلطة الحقيقية بينما قد يتولى زمام السلطة شخص دونه في المنصب اسماً كالحاجب أو شخص لا يشغل أي منصب إطلاقاً(٢).

١- الماوردي : الأحكام السلطانية و الولايات الدينية ، تحقيق انجرس ، بون ، سنة ١٨٥٣ ، ص ٣٣.

٢- هوبكتر : النظم الإسلامية ص ٣٤.

فالوزير من الناحية النظرية هو الموظف الرئيسي في الدولة (١).
و كان الأدارسة طبقة اجتماعية عربية مميزة تحكم أكثرية بربرية و كانوا
يتمتعون بتأييد شعبي و بالرغم من ذلك فإن إدريس وابنه شعرا بمركزهما المنزول
فاستغل إدريس بن إدريس قدوم جماعات لا يستهان بها من العرب من
إفريقيا والأندلس. سنة ١٨٩هـ فرحب بهما ترحيباً حاراً و اتخذهم حاشية له من
دون البربر و اختار من بينهم وزيراً و هو مصعب بن عمير الأزدي (٢).
و بعد وفاة إدريس بن إدريس ٢١٣هـ قسمت الدولة الى أقسام و تولى
أبناؤه الإشراف على أقسامها كما هو موضح بالفصل الثاني و تولى محمد الابن
الأكبر لإدريس الإشراف على أخوته وعلى القيام بإدارة مدينة فاس و بعد ضعف
و نهاية الدولة دب الخلاف بين أطراف المدينة و أصبحتا مستقلتين عن بعضهما
لكل منهما أمير و زادت الخلافات و المنافسات حتى قبيل عصر المرابطين
أما قلة أهمية الوزير في مدينة فاس فترجع إلى نشاط أئمة الأدارسة حتى تولوا هم
أنفسهم الأعمال التي كان يمكن أن تفوض للوزارة و انتشار مذهب الإمام مالك
و كثرة الفقهاء و خطباء المساجد بما لهم من تقدير ديني بين سكان المدينة
بالإضافة الى أن دولة الأدارسة لم تكن بالدولة التي تحتاج إلى ألقاب سلطانية (٣).
إلى جانب العداء بين طرفي المدينة و قصر مدة من يستولي على المدينة
أو على جزء منها سواء الأمويون أو الفاطميون أو البربر (٤).

١- في هذا المعنى نجد مثالين الأول آل برمك في بغداد كادوا يجعلون من الخليفة هارون الرشيد
(١٧٠ - ١٩٣ هـ) مجرد خليفة اسمي إلى أن أدرك الخليفة الخطر الذي يهدده في اللحظة الأخيرة انظر الطبري :
تاريخ الرسل و الملوك ٢٨٧/٨ : ٢٩٤. و في عهد الأغالبة كان الوزير ذا شخصية ضئيلة و كثيراً ما كان لقب
الوزير لا يعدو لقباً شرفياً فقد عين محمد بن الأغلب سنة ٢٢٦هـ أخاه أحمد بن الأغلب وزيراً لمدة سنة و من
الناحية العملية أميراً انظر ابن عذاري : البيان ١/ ١٠٧، ١٠٨.

٢- ابن أبي زرع : روض القرطاس ١/ ٣٥.

٣- ابن خلدون : المقدمة ص ٢٢٠.

٤- انظر الفصل الثاني.

و عقب قيام دولة المرابطين و كذلك دولة الموحدين اتخذوا من مدينة
مراكش عاصمة لدولتهم (١).

و لم يكن منصب الوزير بمدينة فاس في عصر المرابطين أفضل من سابقه
حيث يقوم الوالي بتولي شئون المدينة بعد أن فقدت المدينة مجدها السياسي بإنشاء
مدينة مراكش و اتخاذها عاصمة لهم بالإضافة إلى ازدياد نفوذ الفقهاء وتأثيرهم
الكبير لدى المرابطين و في عصر الموحدين وردت أول إشارة إلى ذكر وزير للوالي
بمدينة فاس ففي سنة ٥٤٩ هـ في عهد الخليفة عبد المؤمن الكومي
" عقد لابنه السيد أبي الحسن علي مدينة فاس و أعمالها و استـوزر
له أبا الحجاج يوسف بن سليمان " (٢).

الوالي " العامل أو صاحب المدينة "

هو مندوب عن الخليفة أو الإمام في منطقة الولاية التي تسند إليه فهو ينفذ
تعليمات الإمام بهذه المنطقة بحيث يكون هو المسئول الأول و صاحب السلطة
المشرفة على القضايا المدنية و الجنائية كما أنه مطالب أن يقدم إلى الملك أيام
الحرب ثلاثمائة فارس يقوم بالإنفاق عليهم ما دامت الحرب قائمة (٣).
و يجب أن يكون الوالي رجلاً عفيفاً فقيهاً شيخاً لأنه في موضع الرشوة
و أخذ أموال الناس و ربما فجر إن كان شاباً شريفاً فإن كانت الأخيرة تحفظ عليه
القاضي و أخبر السلطان بذلك (٤) كما ينبغي للوالي أن يتحرى العدل و أن يتابع
الإشراف على أسواق رعيته و يأمر أوثق من يعرف ببلده أن يتعاهد السوق

١- يذكر الدكتور حسن أحمد محمود أن المرابطين أضافوا إلى مدينة فاس مدينة سبتة إدارياً تحت حكم والي تابع لهم

فأصبحت ولاية فاس و سبتة و ذكر أسماء ثلاثة من هؤلاء الولاة و لم يذكر مدة حكمهم و لا مصادره و هم

" أبو بكر بن إبراهيم - أبو عبد الله محمد - ابن الحاج " انظر قيام دولة المرابطين ص ٤١٠. وفي عصر المرابطين

٢- السلاوي : الاستقصاء ٢ / ١١٠. وفي الخليفة عبد المؤمن علي مدينة فاس كل سنة

٣- الحسن الوزان : وصف أفريقيا ١ / ٢٤٩ ، ٢٥٠. إبراهيم بن جاسم - ابنه السيد أبو أحمد (٥٤٨ هـ) -

٤- ابن عبدون : رسالته في القضاء و الحسبة ص ١٦. يوسف بن سليمان (٥٥٤ هـ) وفي عهد الخليفة عبد المؤمن

ويعير عليهم صنحتهم و موازينهم و مكاييلهم كلها فمن وجده غير من ذلك شيئاً عاقبه على قدر ما يرى من جرمه (١).

و من مهام الوالى أيضاً تفقد السجن فى الشهر مرتين أو ثلاثاً لينظر أحوال المسجونين و يُخرج من كان ذنبه خفيفاً أو ينفذ عليه الحكم الذى يليق به و يلزمه و لا يسجن النساء مع الرجال فى سجن واحد، و لا يكون سجان النساء إلا شيخاً مزوجاً عفيفاً، و لا يترك فى السجن من الأمراء إلا واحداً فبكثرهم يدخل الفساد و إلا يخرج من المدينة كما يجعل لأهل السجن إماماً يدخل إليهم فى أوقات الصلاة فيصلى بهم و يخصص له القاضي أجرة مع الأئمة من بيت المال و لا يُصلب أحداً حتى يشاور السلطان فى أمره ثلاث مرات كما ينهى عن ضرب أحد بالسطوط إلا بأمر السلطان أو الوالى أو القاضي و المحتسب فقط و من يفعل ذلك يُنكر ذلك عليه و يوبخ و يؤدب (٢).

و للوالى أعوان و يجب ألا يسمع منهم إلا ببينة من الجيران فإن الشر أحب إليهم من الخير و لا يخرج منهم فى رسالة بالمدينة أكثر من واحد لئلا يكثر الهرج و الأذى و النهب و عليه أن ينبه أعوانه بألا يدخل أحد منهم دار أحد لا بليل و لا نهار إلا بأمر القاضي أو السلطان و إذا غاب الجاني سمر عليه و لا ينهب ماله و لا تدخل داره إلا إذا حضر (٣). هذا و قد تولى إدريس بن عبد الله بنفسه إدارة شئون دولته الصغيرة و سار ابنه إدريس على طريقه أبيه و قد ظهرت مهام الوالى بوضوح بعد وفاة إدريس بن إدريس سنة ٢١٣ هـ حيث تم تقسيم الدولة الى أجزاء و على كل منطقة و ال من أشقائه و قد اختص الإمام محمد بن إدريس بإدارة مدينة فاس عاصمة الدولة (٤).

١- يحيى بن عمر : كتاب أحكام السوق ص ١٠٣ .

٢- ابن عبدون : رسالته فى القضاء و الحسبة ص ١٩ ، ٢٠ .

٣- المصدر السابق ص ١٦ ، ١٧ .

٤- د. عبد الله العروى : محاول التراكيب ص ١١ .

و تعتبر فترة حكم إدريس الثاني (١٧٥ - ٢١٣ هـ) فترة إدارة حقيقية لدولة الأدارسة التي مارست فيها مدينة فاس دورها كعاصمة سياسية و إدارية و اجتماعية في المغرب الأقصى على الرغم من سكوت المصادر التي تناولت ذكر المدينة بتوضيح مهام الإدارة كما ذكر بالتفصيل و بدأت علامات الضعف و التدهور السياسي و الإداري لدولة الأدارسة عقب نتيجة التجزئة السياسية لها مما جعل الطامعين في مدينة فاس من كل اتجاه للاستيلاء عليها و بدأت بذور الخلاف تتسرب إلى طرفي المدينة " عدوة القرويين و عدة الأندلس " فيذكر ابن حوقل و هو أقدم مصدر تناول ذكر المدينة يصف حاكم مدينة فاس " و هي جانبان يليها أميران مختلفان " (١).

فبعد أن كان الإمام هو الحاكم للمدينة بالكامل أصبح لها " أميران " لكل عدوة أمير ليس هذا فقط فأحد الطامعين فيها و يدعى عبد الرازق الفهري قد استولى على عدوة الأندلس إلى أن طرده الإمام يحيى بن القاسم منها سنة ٢٩٢ هـ (٢).

و في سنة ٣٠٩ هـ استولى مصالة بن حبوس على مدينة فاس و جعلها تابعة لعبيد الله المهدي (٣).

و في سنة ٣١٦ هـ سيطر موسى بن أبي العافية على مدينة فاس بواسطة و اليها حامد بن حمدان و بعد استقرار موسى بن أبي العافية قام بتعيين ابنه مدين والياً على عدوة القرويين (٤).

و في سنة ٣١٧ هـ استولى حميد بن بصال على مدينة فاس وولى عليها حامد بن حمدان بعد فرار مدين بن موسى عنها سنة ٣٢١ هـ و في العام التالي ثار

١- صورة الأرض : ص ٨٩.

٢- البكري : المغرب ص ١٢٥.

٣- ابن أبي زرع : روض القرطاس ١ / ١١٦.

٤- ابن عذارى : البيان ١ / ٢١٤.

أحمد بن بكر بن أبي سهل الجذامي على والي مدينة فاس حامد بن حمدان
فقتله و قتل ولده و بعث بذلك لعبد الرحمن الناصر الأموي بالأندلس(١).

و لست بصدد سرد أحداث و لكن أريد أن أوضح أن الوالي يكون
مندوب الإمام أو الخليفة أما الأمير فيكون في معظم الأحيان مستقلاً بنفسه عن أي
خلافة و يقوم بإدارة شئون الدولة أو المدينة التي يستولي عليها.

و في عصر المرابطين أصبحت مدينة فاس بطرفيها مدينة موحدة تقع تحت
إدارة واحدة بعد أن أزيلت الأسوار و أصبح لها وال يبعث من طرف دولة
المرابطين و كذلك الموحدين.

و من الجدير بالذكر أن مقر إقامة الوالي بمدينة فاس يقع في القسم الغربي
من المدينة حيث توجد القصبة(٢) التي أسسها المرابطون في ساحة كبيرة في أعلى
نقطة بالمدينة يمكن أن تقارن بمساحة مدينة ، و القصبة عبارة عن قصر واحد
يسكنه الوالي و به أماكن خاصة يعقد فيها العامل جلساته للنظر في إدارة شئون
المدينة و الحكم بين الناس كما تضم القصبة كذلك سجناً مبنياً على شكل كهف
سقفه معقود على أعمدة عديدة وهو فسيح جداً و يخترق القصبة جدول ماء
لحاجات العامل و الترفيه عليه(٣).

١- البكري : المغرب ص ١٢٨ ، السلاوي : الاستقصاء ١ / ١٧١ .

٢- هنري تراس : موجز دائرة المعارف الاسلامية ٢٥ / ٧٦٩٨ - المرجع الوحيد الذي سمي القصبة " بوجلود "

٣- الحسن الوزان : وصف إفريقيا ١ / ٢٤٨ ، ٢٤٩ .

القضاء :

القاضي دائماً يسعى إلى العدل و يمنع الظلم و الجور إن قدر على ذلك
يقول ابن عبدون في شأن القاضي " يجب أن يكون ذا حلم و علم و معروفاً
و يجب أن يجلس معه من الفقهاء كل يوم اثنين لتقع المشورة" (١).

كما يجب أن يكون ذكياً فطناً فقيهاً متأنياً غير عجول صارماً في أمره ،
محقاً في حكمه ، مصوفاً عند الناس و عند الرئيس عارفاً بحكم الله لأخذ حق
الضعيف من القوى و إقامة حدود الله على سنها (٢).

هذا إلى جانب التزامه بالمصداقية فلا يخرج مع أحد من حاشيته و لا غيرهم
فتسقط هيئته و ترد أوامره ، و لا يكون كثير البطالة و لا مائل إلى الراحة بل
يكون مجتهداً محتسباً ذلك عند الله كأنه في جهاد و رباط و حج و لا يسد باب
القاضي و لا يحتجب فإنه لا يأتي إليه إلا كل مظلوم (٣).

و القاضي لا يتم تعيينه إلا عن طريق الخليفة حتى يكون مستقلاً
عن الوالي ، فالوالي هو المسئول عن المدينة و القاضي يراقب الوالي في كل تصرفاته
و يستدعيه إذا كانت هناك ضرورة و إن عرف القاضي أن الوالي أو الوزير ذو
وجهين حذر السلطان منهما و إن كان الوالي عاقلاً فطناً خائفاً لله عز و جل اتبع
نصيحته فبصلاح القاضي يكون صلاح الرئيس و بصلاح الرئيس يكون صلاح
العباد و البلاد (٤).

و **القضاة** نوعان : الأول مكلف بالأحكام الشرعية أي بتطبيق القوانين
المستخرجة من الفقه الإسلامى . الثاني : نائب للقاضي السابق و هو مكلف بمسائل

١- رسالته في القضاء و الحسبة ص ٩ .

٢- النباهي : تاريخ قضاة الأندلس ص ٣ ، ابن عبدون : رسالته في القضاء و الحسبة ص ٧ .

٣- ابن عبدون : رسالته في القضاء و الحسبة ص ٨ : ١٠ .

٤- المصدر السابق ص ١٤ .

الزواج و الطلاق و مؤهل كذلك للاطلاع على جميع الأسباب المتعلقة بهذا القضاء
أما القضايا المدنية و الجنائية فخاصة بالوالي (١).

هذا و قد تعدد مهام القاضي فيكون المشرف على تسيير النظام بالمدينة التي
يقيم بها و يسهر على أمنها في غياب صاحبها ، هذا إلى جانب الإشراف على
تخصيص أماكن التدريس للمستحقين من أعلام الفقه و الفتيا و باقي العلوم ثم
يجري امتحاناً للطلبة لاختيار البارز منهم للاستفادة بهم بالإضافة إلى إشرافه على
بيت المال و تفقد أمر العاملين فيه و في أبوابه كل عام و يراقب ما دخل فيه أو ما
خرج منه و في أي باب صرف و أخرج منه لئلا تقع الخيانة و تفسد الأمانة (٢).
إلى جانب القاضي يعمل "المفتي" الذي يستفتى في المسائل الفقهية
و يرجع إليه في الأحكام التي أخطأ فيها (٣).

أما المكان الذي يجلس فيه القاضي فلم تفصح المصادر عن ذلك
هل هو المسجد أم أن الدولة تخصص له مكاناً لذلك أم في القصر أو القصبه
مقر إقامة الوالي ؟

و لا يتقاضى القضاة أي أجر أو مرتب عن عملهم غير أنهم يتعيشون
من موارد أخرى إذ هم مدرسون و أئمة في بعض المساجد
كذلك الحال بالنسبة بالمفتي (٤).

و من القضاة الأوائل الوارد ذكرهم بالمدينة
" عامر بن محمد بن سعيد القيسي " فقد ولاه إدريس بن إدريس
قضاء مدينة فاس (٥).

١- الحسن الوزان : وصف أفريقيا ١ / ٢٤٩ ، ٢٥٠ .

٢- ابن عبدون : رسالته في القضاء و الحسبة ص ١٠ .

٣- الحسن الوزان : وصف أفريقيا ١ / ٢٤٩

٤- المصدر السابق ١ / ٢٥٠

٥- ابن أبي زرع : روض القرطاس ١ / ٣٥ .

و قد اشتهر من القضاة في عصر المرابطين وخاصة عهد " علي بن يوسف " (٥٠٠ : ٥٣٧ هـ) القاضي عبد الحق بن عبد الله بن معيشة الغرناطي و بعده أبو مروان عبد الملك بن بيضاء القيسي (١).
كما اشتهر في عصر الموحدين القاضي عيسى بن الملجوم تولى قضاء مدينة فاس إلى أن توفي سنة ٥٤٣ هـ (٢) و تولى أحمد بن عبد الرحمن اللخمي قضاء مدينة فاس ثم نقل إلى مدينة مراكش إلى أن توفي سنة ٥٩٢ هـ (٣).

المحتسب :

الحسبة : وظيفة دينية يعين فيها من يكون أهلاً لها و لا يتولى هذا المنصب إلا توفرت فيه عدة شروط منها ، أن يكون فقيهاً في الدين عادلاً قائماً مع الحق ، نزيه النفس عالي المهمة ذا أناة و حلم مع الناس مع مراعاة آداب السلوك و المحافظة على الأخلاق العامة (٤).
و يعتبر عمر بن الخطاب أول من وضع نظاماً للحسبة و كان يستخدم الدرّة ، و السوط في معاقبة المخالفين و يتولى هذا المنصب أحياناً الوالي أو القاضي أو صاحب الشرطة و يولى عنه نواب في سائر الأقاليم التابعة له (٥).

و المحتسب : هو رئيس مراقبي المدينة و كثيراً ما يتجول في المدينة على ظهر جواده يصاحبه اثنا عشر رامياً لمراقبة الخبز و تفقد أوزانه فإذا لم يجده بالوزن

١ - الجزنائي : زهرة الآس ص ٤٢ .

٢ - النباهي : تاريخ قضاة الأندلس ص ١٠٢ .

٣ - ابن الآبار : التكملة ص ١١٠ .

٤ - ابن خلدون : المقدمة ص ٣٩٨ ، ٣٣٩ ، حسن الباشا : دراسات في الحضارة الإسلامية ص ٧٥ .

٥ - حسن الباشا : المرجع السابق ص ٧٥ .

المطلوب قام بتفتيته قطعاً صغيرة و نزل على عنق بائعه بلكمة تتركه متورماً متوجعاً و إذا تكررت المخالفة أمر بجلد البائع أمام الجمهور (١).

و من مهامه أيضاً الإشراف على ما يتعلق بمراعاة آداب السلوك و التمسك بالفضيلة و المحافظة على الأخلاق العامة و تأدية العبادات مثل الأمر بتأدية الصلاة و أداء الزكاة و ردع أهل البدع ، و تفقد أوزان الجزارين و ما يبيعون من بضاعة (٢).

يبدأ المحتسب جولته في الأسواق يتفقد نظامها من حيث ترتيبها و مواضعها المخصصة و يحول دون بروز الحوانيت حتى لا تعوق المرور ، كما يطلب من أعوانه الانتشار في الأسواق لمراقبة التجارات بل كان له الحق في أن يدعو الباعة إلى دار الحسبة و يكلفهم بإحضار موازينهم و مكاييلهم لقياسها و معايرتها (٣).

كما كان للمحتسب و أعوانه أن يتأكدوا من أن العملة المتداولة غير مزورة و يؤكد هذا ما ذكره ابن خلدون في قوله " و أما السكة فهي النظر في النقود المتعامل بها بين الناس و حفظها مما يداخلها من الغش أو النقص (٤).

و الاحتساب أخو القضاء و المحتسب هو لسان القاضي و حاجبه و وزيره و خليفته و إن اعتذر القاضي ، فهو يحكم مكانه فيما يليق به و بخطته و يضرب له من بيت المال ، و المحتسب يكفي القاضي أموراً كثيرة فيكفيه التعب و الشغب و الامتهان مع عامة الناس و الجهال و الصناع و العمال (٥).

١- الحسن الوزان : وصف أفريقيا ١ / ٢٥١.

٢- حسن الباشا : دراسات في الحضارة الإسلامية ص ٧٥.

٣- د. حسن إبراهيم حسن : النظم الإسلامية ، مطبعة النهضة المصرية ، القاهرة سنة ١٩٧٠ م ، ص ٢٩٨.

٤- المقدمة ص ٢٢٦.

٥- ابن عبدون : رسالته في القضاء و الحسبة ص ٢٠ ، و المحتسب سبق له ذكر في الفصل الرابع ص ٢٣٢.

الكاتب :

إن أول كاتب في مدينة فاس كان " أبو الحسن عبد الله بن مالك الأنصاري الخزرجي المالكي " كاتب إدريس بن إدريس و هو الذي أعد عقد بيع مدينة فاس بين بني يزغتن و إدريس بن إدريس (١).
و كان كتاب المرابطين أندلسيين (٢) و في الواقع أن على بن يوسف صرف عنايته لجلب الكتاب من الأندلس (٣) كذلك اتبع الموحدون نفس الطريقة (٤).

الحاجب :

الحاجب : يعتبر موظفاً في مقر إقامة السلطان و من الطبيعي أن يكون للسلطان حاجب و مهمته حجب السلطان عن الحاجة (٥) رعاياه و العمل كأذن على الباب و وسيط بين السلطان و رعاياه و يعتبر قرب الحاجب المستمر من السلطان يؤدي إلى سهولة التأثير عليه كما أن الحجابة كثيراً ما تكون شرفية (٦).
هذا و قد قام راشد مولى إدريس بن إدريس بدور الحاجب المسئول عنه حتى قتل راشد (٧) و يقول ابن خلدون إن اسم الحاجب لم يكن معروفاً في دولة الموحدين (٨) و لم يذكر سبب ذلك.

١- ابن أبي زرع : روض القرطاس ١ / ٤٠ .

٢- المراكش : المعجب ص ١٦٤ لديه أسماء من كتاب الأندلس عملوا في بلاط المرابطين.

٣- المصادر السابق ص ١٧٣ .

٤- بروفسال : وثائق لم تنشر عن تاريخ الموحدين ص ٣٣ .

٥- **لجاجة** : احتلاط أصواتهم و لازمة و أبي أن يتصرف عنه انظر: المعجم الوسيط ٢/ ٨١٥ ، ٨١٦ .

٦- هوبكتر : النظم الإسلامية ص ٥٣ .

٧- ابن أبي زرع : روض القرطاس ١ / ٢٨ .

٨- المقدمة ص ١٤٣ .

الشرطة :

هم أصحاب المحافظة على الأمن و تأمين المخازن و المصالح البلدية الحكومية فى مدينة فاس توجد مجموعة من رؤساء الشرطة يراقبون الأمن عن طريق دوريات من منتصف الليل إلى صلاة الفجر و لا يتقاضون أي أجر غير حصيد المغارم المفروضة على من يلقون عليه القبض و تقدر قيمتها بحسب مدة السجن و نوع العقوبة التي بها المقبوض عليهم(١).

الختامة

أكدت الدراسة وأثبتت الآتى :-

١- الضغوط الكبيرة التي تعرض لها العلويون في المشرق أدى إلى فرار "إدريس بن عبد الله" إلى بلاد المغرب حيث وجد بيئة صالحة ساعدته على الإقامة والاستقرار بها .

٢- خروج إدريس بن عبد الله مع أحد مؤيديه الذي رافقه في رحلته الطويلة من مكة إلى بلاد المغرب ماراً بمصر وبرقة مستخدماً طرقاً غير تقليدية في السير وأساليب من الذكاء والتمويه حتى يستطيع أن ينحو بصاحبه من مخاطر العباسيين واستطاع بمساعدة المصريين وهي من أهم المحطات التي كاد يتعرض فيها لإرديس للخطر لذلك أرى العقبان التي تعرض لها والى مصر من نتائج هذه المساعدة التي قدمها لإدريس ومولاه راشد ابن منصفه .

٣- بعد جولة قصيرة في مدن المغرب شملت مدن طنجة ثم ويلي ، لم يرق لإدريس المقام بهما وبعد عدة محاولات غير ناجحة بالمنطقة لوضع حجر أساس المدينة اختار مكاناً مؤهلاً لبناء مقر لإقامته ونواة لمشروع دولة جديدة في المنطقة .

٤- تكليف أحد الموثوق بهم لاختيار المكان وعرض هذا الاختيار على إدريس حتى يعطى مساحة أوسع من الرؤية للاختيار ويشعر أنصاره بالثقة فيهم ، فكان مصعب بن عمير الأزدي عند حسن الاختيار له

٥- لم ينتظر إدريس بن عبد الله طويلاً وقرر وضع حجر أساس المدينة في سنة ١٧٢هـ على الضفة الشرقية للنهر حيث بنى مقراً له ولكنه لم يعمر حتى يرى هذا المشروع النور حتى توفي سنة ١٧٥ هـ .

- ٦- مقتل إدريس بن عبد الله بالسم على يد سليمان بن جرير بواسطة زجاجة عطر .
- ٧- من خلال الفترة القصيرة التي تمتع بها إدريس بن عبد الله في الإقامة بالمغرب استطاع أن يجدد ملامح نشاطه الخارجى بضم مناطق عديدة "تامسنا ، تادلا ، ماسة ثم مدينة تلمسان" .
- ٨- ورث إدريس بن إدريس تركة من أبيه استطاع بمعاونة محبي آل البيت بالمغرب من المحافظة عليها حتى استطاع القيام بمهامه كخليفة لوالده فقام ببناء الجزء الثانى من مدينة فاس على الضفة الغربية للنهر سنة ١٩٢هـ .
- ٩- تعرض إدريس الثانى لمخاطر خارجية بتوصية من العباسيين إلى إبراهيم بن الأغلّب الذى فشل فى المهمة التى كادت تعصف بالعلويين من المغرب لكن سوء التخطيط وقلة الإمدادات أدت إلى هذا الفشل .
- ١٠- بداية النمو الحقيقى لمدينة فاس بهجرة وفود كبيرة وهجرات مؤثرة من مدينة القيروان وبلاد الأندلس الذى تمثل الإعتراف الرسمى بمدينة فاس .
- ١١- ظلت مدينة فاس تنعم بالأمن والاستقرار بين عدوتيهما "القرويين والأندلسيين" من خلال فترة حكم الأدارسة .
- ١٢- ظهور الصراع على مدينة فاس بين كل من الأمويين بالأندلس والفاطميين بالمغرب بعد ضعف الأدارسة بفاس مما نتج عنه وضع بذور الخلاف والعصبية والعداوة بين طرفى المدينة الواحدة .
- ١٣- ساعدت إقامة مدينة فاس فى المغرب الأقصى على سد الفراغ الناتج عن بُعد هذه المنطقة عن سلطة الإسلام فى المشرق "الدولة العباسية" وسلطة الإسلام فى بلاد الأندلس "الدولة الأموية" .

- ١٤- ظهور مدينة فاس كان مقدمة لنشأة وقيام المرابطين والموحدين وهما دولتان ذاتا طابع محلي ما لبث أن أصبح ذا طابع دولي يضم مناطق مختلفة وشاسعة .
- ١٥- قيام مدينة فاس أرسى قواعد وأصول الدين والشريعة الإسلامية في غرب إفريقيا في عصر المرابطين والموحدين .
- ١٦- تمتع مدينة فاس بموقع متميز وفريد من نوعه في المنطقة ووجود لبعض آل البيت بها جعل لها شخصية متميزة ومكانة رفيعة .
- ١٧- أسس إدريس بن عبد الله عدوة القرويين سنة ١٧٢هـ بينما أسس ابنه إدريس بن إدريس عدوة الأندلس سنة ١٩٢هـ .
- ١٨- سميت المدينة الجديدة "فاس" تكريماً للبربر الذين ساندوه ووقفوا بجانبه ، حيث قلبت كلمة "ساف" البربرية إلى "فاس" .
- ١٩- الإختلاف الواضح بين المؤرخين حول عدد أبواب كل عدوة من العدوتين سواء من حيث العدد وتبادل الأسماء بين العدوتين ونظراً لهذا التباين كان لابد من عمل رسم توضيحي يُستخلص من عرض المصادر أسماء الأبواب وأعدادهم .
- ٢٠- أنشئ بكل عدوة من عدوتى المدينة جامع "جامع القرويين" و "جامع الأندلس" ونال الأول شهرة واسعة نظراً لدوره الفعال والمؤثر حتى أصبح أحد رموز مدينة فاس الدينية والمغرب والعالم الإسلامى .
- ٢١- لأهل مدينة فاس حساسية خاصة تجاه الأموال التى تبني بها المساجد حيث كان التركيز والتأكيد على أن هذه الأموال من الحلال وليس بها أى شبهة .

٢٢- على الرغم من وجود صراع سياسى للسيطرة على مقاليد السلطة بمدينة فاس قبل عصر المرابطين إلا أن التطور الحضارى والثقافى كان يسير بخطى ثابتة .

٢٣- بدأ الضعف يتسلل إلى حكام الأدارسة بمدينة فاس فى نهاية القرن الثالث الهجرى ، فقام عبد الرازق الفهرى الخارجى بثورة فى مدينة فاس واستولى على عدوة الأندلس لكنه فشل فى الإستيلاء على عدوة القرويين إلى أن أخرجه يحيى بن القاسم بن إدريس من عدوة الأندلس .

٢٤- لم تتردد المصادر فى ذكر العداوة القائمة بين العدوتين داخل مدينة فاس والى تسهل عملية الاستيلاء عليها وهذا راجع إلى تغيير النظام السياسى داخل المدينة "فاطمى - أموى" .

٢٥- التزاع الدائم بين البربر على حكم مدينة فاس مهد الطريق أمام المرابطين للسيطرة على مدينة فاس ٤٥٥هـ وبعد أن انتهبوا لخطر المرابطين لم يمهلهم الوقت للدفاع عن المدينة فاستولى المرابطون على مدينة فاس سنة ٤٦٢هـ نهائياً .

٢٦- أعمال المرابطين بمدينة فاس كبيرة ومؤثرة على وحدة المدينة وقوتها والملاحظ أن الاهتمام بالتأريخ لمدينة فاس فى عصر المرابطين لم يكتب فى معظمه فى عصر المرابطين وإن ماكتب لم يصل ، ومعظم الإشارات الهامة عن تاريخ مدينة فاس نقلت عن مصادر أندلسية .

٢٧- الزيادات التى قام بها المرابطون لجامع القرويين أكسبته صورته النهائية .

٢٨- أعمال الموحدىن الذين دخلوا مدينة فاس عام ٥٥٤هـ بعد أقل من مائة عام من دخول المرابطين ، هى امتداد لنهضة مدينة فاس فى عصر المرابطين .

- ٢٩- بلغت مدينة فاس قمة ازدهارها في عهد الناصر الموحدى
٥٩٥ : ٦١٣ هـ — هذا الازدهار وضع أساسه عاهل المرابطين
يوسف بن تاشفين .
- ٣٠- الازدهار الصناعى لمدينة فاس تبلور بشكل واسع في عصر المرابطين على
الرغم من نقل النظام السياسى إلى مدينة أخرى "مراكش" .
- ٣١- موقع مدينة فاس فرض أهمية خاصة للمرابطين والموحدين
عندما نظروا إلى بلاد الأندلس .
- ٣٢- تحكّم المدينة في الطرق البرية المؤدية إلى المناطق الهامة في الاتجاهات الأربعة
في المغرب جعلها بمثابة رأس حربة للانطلاق منها
إلى الاتجاه المراد الوصول إليه .
- ٣٣- مقومات المدينة الطبيعية جعل عملية الإقامة والتبادل التجارى
منها وإليها شيئاً مرغوباً فيه .
- ٣٤- الخبرة الطويلة التى تمتع بها سكان مدينة فاس قبل عصر المرابطين والموحدين
وخاصة في المجال الصناعى والتجارى جعلها تقوم بمهام العاصمة الحقيقية
للمرابطين والموحدين حيث إن مراكش مدينة حديثة النشأة .
- ٣٥- تشابه النظام الاجتماعى بين سكان مدينة فاس "عرب - بربر" ساعد على
عملية الإدماج السريع بين الطرفين وتقبل البربر للدين الإسلامى ببساطة .
- ٣٦- ارتبط تطور مدن المغرب بصفة عامة ومدينة فاس خاصة
ببلاد الأندلس ومدنها المختلفة فكان التأثير في كافة مجالات الحياة .
- ٣٧- قامت مدينة فاس بدور فعال وبارز في حفظ الإسلام وانتشار اللغة العربية
واستقبال علماء القيروان والأندلس وأحسنّت وفادتهم .
- ٣٨- دورها البارز في الحركة الثقافية والدينية في المغرب الأقصى بل والمغرب
العربى بعد تخريب مدينة القيروان على يد بنى هلال سنة ٤٦٦ هـ .

٣٩- لم تفصح المصادر عن نظام التعليم في مدينة فاس أو في المغرب في عصر المرابطين ، فاستفدنا بنظام التعليم في الأندلس وبحكم العلاقة بين المغرب والأندلس تحت حكم سياسى واحد أصبح نظام التعليم واحداً أو متقارباً لدرجة كبيرة .

٤٠- تمتع العلماء والفقهاء بدور كبير وفعال ويؤثر في دولتين قامتا على أساس دينى وقومى .

٤١- ظهرت نتائج نهضة مدينة فاس في عصر المرابطين والموحدين في العصور اللاحقة لهما بشكل واضح وجلى لتوفر النصوص التى تنقل هذه الأعمال بصورة كاملة بعد أن عادت مدينة فاس مرة أخرى العاصمة السياسية للمغرب في عصر بنى مرين .

٤٢- نعمت مدينة فاس بحكم سياسى ملكى في ظل الأئمة عندما كانت عاصمة لدولة الأدارسة وفي عصر البحث كان الوالى يرسل إليها من عاصمة المغرب في ذلك الوقت "مراكش" أما الفترة الواقعة بين نهاية حكم الأدارسة وبداية عصر المرابطين فقد كانت لمن يستطيع فرض سيطرة على المدينة .

أولاً: المخطوطات العربية

الحكيم غسطوس "بدون"^(١)

١- كتاب الفلاحة الرومية

مخطوطة بدار الكتب القومية ، رقم ٣٣ ، ميكروفيلم ٤٢١٧٤

الغزى (رضى الدين الغزى) "بدون"

٢- كتاب الفلاحة

مخطوطة بدار الكتب القومية ، رقم ٢٤٢ ، ميكروفيلم ٤٢١٩

السيوطى (عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى المكناسى) "بدون"

٣- كتاب فى نسب بعض الصحابة والأشراف الإدريسين

مخطوطة بدار الكتب القومية رقم ٢٠٢٤ تاريخ ، ميكروفيلم ٣٥٠٢٥

العمرى (شهاب الدين أحمد محى الدين بن فضل الله ت ٧٥٠هـ)

٤- مسالك الأبصار فى أخبار ملوك الأمصار

مخطوطة بدار الكتب القومية ، معارف عامة ٥٦٠ ، ميكروفيلم ٥٢٦٥٠

ابن الوردى (عمر بن مظفر بن عمر المصرى ت ٧٥٠هـ)

٥- خريدة العجائب وفريدة الغرائب

مخطوطة بدار الكتب القومية : رقم ٤٧٥ جغرافيا ، ميكروفيلم ١٩٥٢١

مجهول

٦- نسب البربر

مخطوطة بدار الكتب القومية، رقم ٥٦٦ تاريخ تيمور، ميكروفيلم ١٧٤١٧

ثانياً: المصادر الأصلية المطبوعة

القرآن الكريم

ابن الآبار (محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعى ت ٦٥٨هـ)

٢- التكملة لكتاب الصلة ، القسم الأول

عنى بطبعه وتعليق حواشيه الفريد بل ، ابن أبي شنب ، مجريط ، ١٨٨٦م

٣- الحلة السراء

تحقيق د. حسين مؤنس ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٨٥م

الباجى (محمد الباجى السعودى ت ١٢٥٣هـ)

٤- الخلاصة النقية فى أمراء إفريقية

تونس ، ١٢٨٣هـ

البغدادى (عبد القاهر بن طاهر بن محمد ت ٤٢٩هـ)

٥- الفرق بين الفرق

مكتبة محمد على صبيح وأولاده ، مصر بدون تاريخ

ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن عبد الملك ت ٥٧٨هـ)

٦- كتاب الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثهم وفقهائهم

وأدبائهم ، مجريط ، ١٨٨٣

البكرى (أبو عبيد الله بن عبد العزيز ت ٤٨٧هـ)

٧- المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب

الجزائر ، ١٩١١م

البلاذرى (أحمد بن يحيى بن جابر ت ٢٧٩هـ)

٨- فتوح البلدان

القسم الأول ، تحقيق د. صلاح الدين المنجد ، مطبعة لجنة البيان العربى،

لاظوغلى ، بدون تاريخ

البيدق (أبو بكر الصنهاجى كان حياً زمن المهدي المتوفى ٥٢٤هـ)

٩- أخبار المهدي وابتداء دولة الموحدين

تحقيق ليفى بروفنسال ، باريس ، ١٩٢٨م

التجاني (عبد الله بن محمد بن أحمد ، ت حوالى ٧١٧هـ)

١٠- رحلة التجاني

المطبعة الرسمية ، تونس ، ١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م

التادلى (يوسف بن الزيات ألفه سنة ٦١٧هـ)

١١- التشوف إلى معرفة رجال التصوف

تحقيق أدولف فور ، الرباط ، ١٩٥٨م

ابن الأثير (على بن عبد الكريم الشيباني ت ٦٣٠هـ)

١٢- الكامل فى التاريخ

دار صادر ، بيروت ، بدون تاريخ

١٣- أسد الغابة فى معرفة الصحابة

الجزء الرابع كتاب الشعب ، القاهرة ، بدون تاريخ

ابن حجر العسقلانى (أبو الفضل أحمد بن على ت ٨٥٢هـ)

١٤- فتح البارى بشرح صحيح البخارى

تحقيق محب الدين الخطيب محمد فؤاد عبد الباقي ، مراجعة قصى محب الدين

الخطيب ، مطبعة دار الريان للتراث ، القاهرة ١٩٨٦م

الجزنائى (أبو الحسن على ت ٧٢٠هـ)

١٥- زهرة الآس فى بناء مدينة فاس

نشره الفريد بل ، الجزائر ١٩٢٢م

ابن الجوزي (عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ت ٥٩٧هـ)

١٦- كتاب أحكام النساء

تحقيق علي محمد الحمدي ، بيروت ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م

ابن حزم (الظاهر الأندلسي ت ٤٥٦هـ)

١٧- الفصل في الملل والأهواء والنحل

مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح ، القاهرة ، بدون تاريخ

أبو الحسن الحكيم (علي بن يوسف ، عاش في النصف الثاني من القرن الثامن

الهجري)

١٨- الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة

تحقيق د. حسين مؤنس ، منشورات معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ،

المجلد الثالث ، طبعة مدريد ١٩٥٨م

الحسن الوزان (الحسن بن محمد الوزان الزياني ت ٩٥٧هـ)

١٩- وصف إفريقيا

ترجمة د. عبد الرحمن حميده ، مراجعة د. علي عبد الواحد ،

طبعة الرياض ، ١٣٩٩هـ

الحميدي (محمد بن فتوح بن عبد الله ت ٤٨٨هـ)

٢٠- جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس

تحقيق محمد بن تاويت الطنجي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة بدون تاريخ

الحميري (محمد عبد المنعم ت ٨٦٦هـ)

٢١- الروض المعطار في خبر الأقطار

الطبعة الثانية ، تحقيق د. إحسان عباس ، لبنان ١٩٨٤م

الحلبى (أحمد بن عبد الحى ت ١١٢٠هـ)

٢٢- الدر النفيس والنور الأنيس فى مناقب الإمام إدريس

فاس ١٣١٤هـ / ١٨٩٦م

ابن حوقل (محمد بن على بن حوقل النصيبى البغدادى ت ٣٦٧هـ)

٢٣- صورة الأرض

بيروت ، بدون تاريخ

ابن حنبل (أحمد بن حنبل ت ٢٤٠هـ)

٢٤- المسند

الجزء التاسع، تحقيق محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة ١٩٩٥م

ابن الخطيب (لسان الدين محمد بن عبد الله ت ٧٧٨هـ)

٢٥- تاريخ المغرب العربى

القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام ، تحقيق وتعليق أحمد مختار العبادى ،

محمد إبراهيم الكتانى ، نشر وتوزيع دار الكتاب ، الدار البيضاء ١٩٦٤م

ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد ت ٨٠٨هـ)

٢٦- المقدمة

مطبوعات مكتبة ومطبعة الحاج عبد السلام بن محمد بن شقرون بدون تاريخ

٢٧- العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم ومن عاصرهم

من ذوى السلطان الأكبر

المجلد الرابع ، القسم السابع ، دار الكتاب اللبنانى ، بدون تاريخ

ابن خلكان (أحمد بن إبراهيم ت ٦٨١هـ)

٢٨- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان

نشره محمد محى الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٤٨م

ابن دحية (أبو الخطاب عمر بن حسن ت ٦٢٢هـ)

٢٩- المطرب من أشعار أهل المغرب

تحقيق د. أحمد أحمد بدوى ، د. حامد عبد الحميد ، إبراهيم الإيبارى،

راجعه د. طه حسين ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، ١٩٩٧م

الإدريسى (محمد بن إدريس الحموى ، من علماء القرن السادس الهجرى)

٣٠- وصف المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس

ليدن ، ١٨٩٤م

٣١- نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق

مكتبة الثقافة الدينية ، بدون تاريخ

الرقيقى القيروانى (إبراهيم بن القاسم ت فى النصف الأول من القرن الخامس الهجرى)

٣٢- تاريخ إفريقيا والمغرب

تحقيق المنحى الكعبى ، تونس ١٩٦٨م

ابن أبى زرع (على بن عبد الله بن أبى زرع الفاسى ت ٧٢٠هـ)

٣٣- الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب

وتاريخ مدينة فاس

تحقيق محمد الهاشمى الفيلىلى ، الرباط ، المغرب ١٣٥٥هـ

الزركشى (محمد بن إبراهيم اللؤلؤى كان حياً ٨٨٢هـ)

٣٤- تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية

مطبعة الدولة التونسية ١٢٨٩هـ

السقطى (محمد بن أبى محمد الملقى الأندلسى ، من علماء القرن السادس الهجرى)

٣٥- كتاب فى آداب الحسبة

نشر كولان وبروفنسال ، بدون تاريخ

ابن سعيد (على بن سعيد بن موسى بن عبد الملك ولد ٦١٠هـ)

٣٦- كتاب الجغرافية

تحقيق إسماعيل العربي ، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ،
بيروت ١٩٧٠م

السملالى (العباس بن إبراهيم ت ١٣٧٨هـ)

٣٧- الأعلام بمن حل مراکش وأغمات من الأعلام

المطبعة الملكية ، الرباط ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م

السلوى (أبو عباس أحمد بن خالد "الناصرى" ت ١٣١٥هـ)

٣٨- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى

تحقيق جعفر الناصرى ومحمد الناصرى ، الدار البيضاء ١٩٥٤م

الشهرستانى (محمد بن عبد الكريم ت ٥٤٨هـ)

٣٩- الملل والنحل

مكتبة ومطبعة محمد على صبيح ، القاهرة ، بدون تاريخ

ابن صاحب الصلاة (أبو مروان بن صاحب الصلاة كان حياً ٥٩٤هـ)

٤٠- المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين

تحقيق عبد الهادى التازى ، دار الأندلس ، بيروت ١٩٦٤م

الاصطخرى (إبراهيم بن محمد ت ٣٤٢هـ)

٤١- المسالك والممالك

تحقيق محمد جابر عبدالعال ، القاهرة ، ١٩٦١م

الطبرى (محمد بن جرير ت ٣١٠هـ)

٤٢- تاريخ الرسل والملوك

الجزء الرابع والثامن ، دار المعارف ، مصر ١٩٧٩م

ابن عبد الحكم (عبد الرحمن بن عبد الله ت ٢٥٧هـ)

٤٣- فتوح مصر والمغرب

تحقيق د. على محمد عمر ، مكتبة الثقافة الدينية ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م

ابن عبدون (محمد بن أحمد بن عبدون التجيبي ، كتب أوائل القرن السادس الهجري)

٤٤- رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة

نشرها بروفنسال ، مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة ١٩٥٥م

أبو العرب (محمد بن أحمد بن تميم القيرواني ت ٣٣٣هـ)

٤٥- طبقات علماء إفريقية وتونس

تحقيق على الشابي ، نعيم اليافي ، تونس ١٩٦٨م

عبد الواحد المراكشي (عبد الواحد بن علي ت ٦٦٩هـ)

٤٦- المعجب في تلخيص أخبار المغرب

تحقيق محمد سعيد العريان ، محمد العربي العلمي ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ١٩٤٩م

ابن عذارى (محمد المراكشي ت في أواخر القرن السابع الهجري)

٤٧- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب

تحقيق الجزء الأول ، كولان وبروفنسال ، الجزء الرابع د. إحسان عباس

الدار العربية للكتاب ، بيروت ١٩٨٣م

ابن غازي (أبو عبد الله محمد بن أحمد ت ٩١٩هـ)

٤٨- الروض المتهون في أخبار مكناسة الزيتون

فاس ، بدون تاريخ

أبو الفدا (الملك المؤيد أبو الفدا إسماعيل صاحب حماة ت ٧٣٢هـ)

٤٩- المختصر في أخبار البشر

طبعة باريس ، مكتبة المثنى ، بغداد ، مؤسسة الخارجي ، مصر ١٨٥٠م

ابن الفرضى (أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي ت ٤٠٣هـ)

٥٠- تاريخ علماء الأندلس

الجزء الثاني ، طبع في مدينة مجريط ١٨٩١م

ابن الفقيه (أحمد بن محمد الهمداني ت ٣٦٥هـ)

٥١- مختصر كتاب البلدان

طبعة ليدن ١٨٨٥م

ابن فرحون (برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد ت ٧٩٩هـ)

٥٢- الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب

مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٥١هـ

ابن القطان (علي محمد بن عبد الملك بن يحيى بن إبراهيم ت ٦٢٨)

٥٣- نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان

تحقيق محمود علي مكى ، المطبعة المهدية ، تطوان ، بدون تاريخ

ابن القاضى (أحمد بن محمد المكناسى ت ٩٦٠هـ)

٥٤- جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام على مدينة فاس

دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ، ١٩٧٣م

٥٥- درة الحجال في أسماء الرجال

مكتبة دار التراث ، القاهرة ، بدون تاريخ

القلقشندي (أحمد بن علي ت ٨٢١هـ)

٥٦- صبح الأعشى في صناعة الإنشا

الجزء الخامس ، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية ، وزارة الثقافة والإرشاد

القومى ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، بدون تاريخ

القزويني (زكريا بن محمد بن محمود ت ٧٨٢هـ)

٥٧- آثار البلاد وأخبار العباد

دار صادر ، بيروت ، بدون تاريخ

ابن قنفذ (أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي ت ٨٠٩هـ)

٥٨- الوفيات

تحقيق عادل نويهض ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٧١م

الكتاني (محمد بن الشيخ جعفر ت ١٣٤٥هـ)

٥٩- سلوة الأنفاس ومحادثه الأكياس بمن أقر من العلماء والصلحاء بفاس

فاس ، ١٣١٦هـ

ابن ماجه (الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ت ٢٧٥هـ)

٦٠- سنن ابن ماجه

الجزء الأول ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، المكتبة العلمية ، بيروت ، لبنان

المالكي (عبد الله بن أبي عبد الله ت في منتصف القرن الخامس الهجري)

٦١- رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية

وزهادهم وعبادهم ونسأكلهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم

الجزء الأول ، قام على نشره د حسين مؤنس ، مكتبة النهضة العربية ،

الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٥١م

محي الدين بن عربي (ت ٦٣٨هـ)

٦٢- محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار

الجزء الأول ، تحقيق محمد مرسى الخولى ، دار الكتاب الجديد، القاهرة ١٩٧٢م

الماوردي (على بن محمد بن حبيب ت ٤٥٠هـ)

٦٣- الأحكام السلطانية والولايات الدينية

تحقيق انجرس، بون، ١٨٥٣ م .

مجهول

٦٤- أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بها بينهم

مكتبة المثني ، بغداد ، بدون تاريخ

مجهول

٦٥ - الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية

تحقيق علوش ، الرباط ، ١٩٣٦ م

مجهول (كاتب مراكشي من كتاب القرن السادس الهجري)

٦٦- الاستبصار في عجائب الأمصار

تحقيق د سعد زغلول عبد الحميد ، اسكندرية ، ١٩٥٨ م

مجهول

٦٧- رسائل موحدية من إنشاء الدولة الموحدية

تحقيق ليفي بروفنسال ، المطبعة الاقتصادية ، الرباط ، ١٩٤١ م

مجهول

٦٨- الطبخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين

تحقيق امبروزيو أو بني ميراندا ، منشورات معهد الدراسات الإسلامية بمدريد

طبعة مدريد ١٩٦١ - ١٩٦٢ م

المراكشى (ابن عبد الملك المراكشى) "بدون"

٧٠- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة

تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٤ - ١٩٦٥ م
مسلم (أبو الحسن بن الحجاج القشيري النيسابوري) ٢٦١ هـ -

٧١- صحيح مسلم

مؤسسة قرطبة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م
المقدسى (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر البشارى ت ٣٨٧ أو ٣٩٠ هـ)

٧٢- أحسن التقاسيم فى الأقاليم

الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٠٦ م
المقرى (أحمد بن محمد المقرى التلمسانى ت ١٠٤١ هـ)

٧٣- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب

نشر أحمد الرفاعى ، القاهرة ، ١٩٣٦ م ، وطبعة دار صادر ، بيروت

٧٤- أزهار الرياض فى أخبار القاضى عياض

تونس ، ١٣٥٨ هـ -

النباهى (عبد الله بن الحسن ت ٧١٣ هـ)

٧٥- تاريخ قضاة الأندلس

بيروت ، لبنان ، بدون تاريخ

الأنصارى (أبو عبد الله محمد أبى طالب ت ٧٢٧ هـ)

٧٦- نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر

مطبعة الأكاديمية الامبراطورية ، ١٢٨١ هـ / ١٨٦٥ م

النويرى (أحمد بن عبد الوهاب ت ٧٣٣هـ)

٧٧- نهاية الأرب في فنون العرب

الجزء الرابع والعشرين ، تحقيق د. حسين نصار ، مراجعة د. عبد العزيز الأهواني
المجلس الأعلى للثقافة بالاشتراك مع الهيئة العامة للكتاب القاهرة ، ١٩٨٣ م
الونشريسي (أحمد بن يحيى ت ٩١٤هـ)

٧٨- المعيار في المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء

إفريقية والأندلس والمغرب

تحقيق محمد هجى وآخرون ، دار الغرب الإسلامى ، بيروت ١٩٨١ م
٧٩- أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى
ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر

معهد الدراسات الإسلامية في مدريد ، تقديم د. حسين مؤنس ،
مدريد ، ١٩٥٧ م

ياقوت (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى ت ٦٢٦هـ)

٨٠- معجم البلدان

تحقيق فريد عبد الحميد الجندى ، بيروت ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠ م ،
وطبعة دار صادر ، بيروت ، بدون تاريخ

يحيى بن عمر (ت ٢٨٩هـ)

٨١- كتاب أحكام السوق

تحقيق محمود على مكى ، منشورات المعهد المصرى للدراسات الإسلامية
بمدريد ، مدريد ، ١٩٥٦ م

يحيى بن ماسويه (ت ٢٤٣هـ)

٨٢- كتاب الجواهر وصفاتها وفي أى بلد هي وصفة الغواصين والتجار

تحقيق د. عماد عبد السلام ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧م

اليقوبى (أحمد بن أبى يعقوب بن واضح ت ٢٨٤هـ)

٨٣- كتاب البلدان

ليدن ، ١٨٩٥م

ثالثاً : المراجع العربية الحديثة

د. أحمد شلبي

١- تاريخ التربية الإسلامية

النهضة العربية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٠م

٢- موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية

الجزء الرابع ، الطباعة الخامسة ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٧٩م

أحمد صقر

٣- مدينة المغرب العربى فى التاريخ

تونس ، ١٩٥٩م

د. أحمد مختار العبادى

٤- دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس

مؤسسة شباب الجامعة ، اسكندرية ، بدون تاريخ

٥- فى التاريخ العباسى والأندلسى

مؤسسة شباب الجامعة ، اسكندرية ، بدون تاريخ

د. السيد عبد العزيز سالم

٦- تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس "من الفتح العربى حتى سقوط غرناطة"

اسكندرية ، بدون تاريخ

٧- التاريخ السياسى والحضارى للدولة العربية

بيروت ، بدون تاريخ

٨- المغرب الكبير "العصر الإسلامى"

الجزء الثانى ، الدار القومية للطبع والنشر ، ١٩٦٦م

بازل دافدس

٩- إفريقيا تحت أضواء جديدة

ترجمة جمال محمد ، دار الثقافة ، مصر ، بدون تاريخ

توماس أرنولد

١٠- الدعوة إلى الإسلام

الطبعة الثالثة ، بدون تاريخ

حاجى خليفة (مصطفى بن عبد الله القسطيني الرومي ت ١٠٦٧هـ)

١١- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون

دار الفكر ، بيروت ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م

د. الحبيب الجنحاني

١٢- دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي

دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٦م

د. حسن الباشا

١٣- دراسات في الحضارة الإسلامية

دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٥م

د. حسن ابراهيم حسن

١٤- النظام الاسلامي

مطبعة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٧٠م.

الحسن السائح

١٥- الحضارة الإسلامية في المغرب

دار الثقافة ، الدار البيضاء ، بدون تاريخ

د. حسن محمد أحمد محمود

١٦- قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى

القاهرة ، ١٩٥٧م

١٧- الإسلام والثقافة العربية بإفريقيا

دار النهضة العربية ، ١٩٦٣م

حسن حسنى عبد الوهاب

١٨- شهيرات التونسيات من الفتح الإسلامى إلى الزمان الحاضر

تونس ، ١٣٥٣هـ

د. حسن على حسن

١٩- دراسات فى تاريخ المغرب العربى

مكتبة الشباب ، بدون تاريخ

د. حسين مؤنس

٢٠- تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح الإسلامى إلى الغزو الفرنسى

المجلد الثانى ، الجزء الثانى والثالث ، العصر الحديث للنشر والتوزيع ،

الطبعة الأولى ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م

٢١- نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين ٥٢٠ - ٥٤٠هـ

مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية ، مدريد ، ١٩٥٣م

٢٢- معالم تاريخ المغرب والأندلس

مصر ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٠م

روجى لوطورنو

٢٣- فاس قبل الحماية

ترجمة محمد حجى ، محمد الأخضر ، دار الغرب الإسلامى ، بيروت ، لبنان ،

بدون تاريخ

٢٤- فاس في عصر بني مرين

ترجمة : نقولا زيادة ، بيروت ، ١٩٦٧م

د. سعد زغلول عبد الحميد

٢٥- تاريخ المغرب العربي

الجزء الثاني تاريخ دول الأغالبة والرستميين والأدارسة ، منشأة المعارف ،

اسكندرية ، ١٩٧٩م

د. سعدون عباس نصر الله

٢٦- دولة الأدارسة في المغرب "العصر الذهبي" ١٧٢-٢٢٣هـ

دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، بدون تاريخ

د. سوادى عبد محمد

٢٧- دراسات في تاريخ المغرب العربي

سنة ١٩٨٩م

ابن سودة المرى "عبد السلام بن عبد القادر"

٢٨- دليل مؤرخ المغرب الأقصى

الجزء الثاني ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، ١٩٦٥م

د. شاكر مصطفى

٢٩- دولة بني العباس

الجزء الأول ، الناشر وكالة المطبوعات ، الكويت ١٩٧٣م.

د. شوقي ضيف

٣٠- عصر الدول والإمارات

دار المعارف ، مصر ، ١٩٩٥م

د. شكري فيصل

٣١- المجتمعات الإسلامية في القرن الأول الهجري

القاهرة ، ١٣٣١هـ / ١٩٥٢م

الصديق بن عربي

٣٢- المغرب

الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر ، دار الغرب الإسلامي ، بدون تاريخ

الطاهر الزاوي "الطاهر أحمد الزاوي الطرابلسي"

٣٣- الفتح العربي في ليبيا

الطبعة الثانية ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٣م

عبد العزيز بن عبد الله

٣٤- مظاهر الحضارة المغربية

الطبعة الأولى ، الدار البيضاء ، ١٩٥٧م

٣٥- الآثار الإسلامية في المغرب من أبحاث المؤتمر الثالث للآثار العربية

فاس ، ١٩٥٧م

عبد الله التازي

٣٦- التاريخ الدبلوماسي للمغرب منذ أقدم العصور إلى اليوم

الرباط ، ١٩٨٧م

عبد الله العروي

٣٧- تاريخ المغرب محاولة التراكيب

ترجمة ذوقان قرقوط ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٧م

عبد الله كنون

٣٨- مدخل إلى تاريخ المغرب

الطبعة الأولى ، تطوان ، المغرب ، ١٣٦٣هـ / ١٩٤٤م

٣٩- النبوغ المغربي في الأدب العربي

الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٩٦١م

عبد الوهاب بن منصور

٤٠- قبائل المغرب

الجزء الأولى ، الرباط ، ١٩٦٨م

عبد الوهاب عبد المجيد غزلان

٤١- البيان في مباحث القرآن

القاهرة ، بدون تاريخ

عثمان الكعك

٤٢- المجتمع التونسي في عصر الأغالبة

مطبعة العرب ، تونس ، بدون تاريخ

٤٣- البربر

تونس ، بدون تاريخ

عز الدين أحمد موسى

٤٤- النشاط الاقتصادي الإسلامي في المغرب

الطبعة الأولى ، دار الشروق ، بيروت ، القاهرة ، ١٩٨٣م

د. علي عبد الواحد وافي

٤٥- حقوق الإنسان في الإسلام

دار النيل للطباعة ، نشر إدارة الثقافة بوزارة الأوقاف ، ١٩٥٦م

غوتيه اميل فيليكس

٤٦- ماضي شمال إفريقيا

ترجمة هاشم الحسيني ، الطبعة الأولى ، الناشر الفرجاني ، طرابلس ، ليبيا ، ١٩٧٠م
فرحات الدشراوى

٤٧- الخلافة الفاطمية بالمغرب (٢٩٦ : ٣٦٥هـ)

ترجمة حمادى الساحلى ، الطبعة الأولى ، دار الغرب الإسلامى ، بيروت ، ١٩٩٤م
فؤاد سنزكين

٤٨- تاريخ التراث العربى

المجلد الثانى ، الجزء الخامس ، ترجمة د. عرفة مصطفى ، مراجعة
د. محمود فهمى حجازى ، د. سعيد عبد الرحيم ، مطبوعات وزارة التعليم
العالى المملكة العربية السعودية جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
سنة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م
فليب فارغ ، يوسف كرباج

٤٩- المسيحيون واليهود فى التاريخ الإسلامى العربى والتركى

ترجمة بشير السباعى ، الطبعة الأولى ، سينا للنشر ، ١٩٩٤م
ليفى بروفنسال

٥٠- الإسلام فى المغرب والأندلس

ترجمة د عبد العزيز سالم ، محمد صلاح الدين حلمى
الناشر ، مؤسسة شباب الجامعة ، اسكندرية ، ١٩٩٠م

٥١- نخب تاريخية جامعة لأخبار المغرب الأقصى

المغرب ، ١٣٤٣هـ / ١٩٢٣م

ليوبولد بالباس

٥٢- الفن المربطى والموحدى

ترجمة سيد غازى ، منشأة المعارف ، اسكندرية ، ١٩٧٦م

كارل بروكلمان

٥٣- تاريخ الشعوب الإسلامية

ترجمة أمين نبيه فاس ، منير البعلبكي ، الطبعة الأولى ، بيروت ، بدون تاريخ

د. كوثر عبد الرسول ، د. محمد رياض

٥٤- إفريقيا

دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٦٦م

ناجى محمد حسن الأنصارى

٥٥- عمارة وتوسعة المسجد النبوى الشريف عبر التاريخ

من إصدارات نادى المدينة المنورة الأدبى ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م

محمد أسعد طلس

٥٦- التربية والتعليم فى الإسلام

بيروت ١٩٥٧م

محمد بن تاويت وآخر

٥٧- الأدب المغربى

الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٩٦٠م

د. محمد سعودى

٥٨- معالم جغرافية الوطن العربى

بيروت ، ١٩٩٠م

محمد شفيق غربال

٥٩- الموسوعة العربية الميسرة

دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، بدون تاريخ

محمد عبد الله عنان

٦٠- دولة الإسلام في الأندلس عصر المرابطين وبداية عصر الموحدين

مكتبة الأسرة ، ٢٠٠١م

٦١- تراجم إسلامية شرقية وأندلسية

مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م

محمد عابد الجابري

٦٢- العصبية والدولة

الدار البيضاء ، ١٩٧١م

محمد عبد الرحيم غنيمة

٦٣- تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى

محمد عبد العزيز مرزوق

٦٤- الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس

دار الثقافة ، بيروت ، بدون تاريخ

د. محمد عبد الوهاب فضل

٦٥- التاريخ وتطوره في ديار الإسلام حتى نهاية القرن الثالث الهجري

الطبعة الثانية ، مطبعة الأمانة ، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م

٦٦- الجماعات الحرفية والأسواق المتخصصة في المدينة الإسلامية

خلال العصر العباسي الأول ١٤١١هـ / ١٩١١م

د. محمد عادل عبد العزيز

٦٧- التربية الإسلامية في المغرب أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية
الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٧ م

محمد على دبور

٦٨- تاريخ المغرب الكبير

القاهرة ، ١٩٦٣ م

د. محمد محمد زيتون

٦٩- دراسات في تاريخ مصر الإسلامية

دار الوفاء للطباعة ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣ م

٧٠- القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية

الطبعة الأولى ، دار المنار ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨ م

محمد المنوني

٧١- العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين

المطبعة المهدية ، تطوان ، ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠ م

محمود ناجي

٧٢- تاريخ طرابلس الغرب

ترجمة عبد السلام أدهم وآخر ، منشورات الجامعة الليبية ، بدون تاريخ

مجمع اللغة العربية

٧٣- المعجم الوسيط

اشراف د. ابراهيم مدكور، الطبعة الثانية ، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٢ م

ناصر السيد محمود النقشبندی

٧٤- الدرهم الإسلامی المضروب علی الطراز الساسانی

مطبوعات المجمع العلمی العراقی ، بغداد ، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م

تقولا زیادة

٧٥- إفريقيات دراسات فی المغرب العربی والسودان العربی

الطبعة الأولى ، يناير ١٩٩١م

هنری ترانس

٧٦- فاس

موجز دائرة المعارف الإسلامیة ، الجزء (٢٥) الطبعة الأولى ،

مركز الشارقة للإبداع الفکری ، ١٩٩٨م

موبکتر

٧٧- النظم الإسلامیة فی المغرب فی القرون الوسطی

ترجمة د. أمين توفیق الطیب ، الدار العربیة للكتاب ، ليبيا ، تونس ، ١٩٨٠م

یوسف أشباخ

٧٨- تاریخ الأندلس فی عهد المرابطين والموحدين

ترجمة محمد عبد الله عنان ، القاهرة ، ١٩٤٠م

رابعاً : الرسائل العلمية

د. أحمد البهي الحفناوي

١- جامعة القرويين ودورها في حفظ ثقافة الإسلام
رسالة دكتوراه ، جامعة الأزهر ، كلية اللغة العربية ، رقم ٧٢٧ ،
سنة ١٩٧٣ م

سعيد عبد الجواد إسماعيل أبو زيد

٢- دولة علي بن يوسف بن تاشفين المرابطي بالمغرب والأندلس
رسالة ماجستير ، كلية اللغة العربية ، رقم ١٧٣٤ سنة ١٩٨٩ م
علي اليمنى دردير

٣- الحياة الأدبية والنقدية في الفسطاط ومسجدها الجامع
رسالة ماجستير ، كلية اللغة العربية ، رقم ٢١٧٩
للباحث "علي الجندي"

٤- البربر في إفريقيا في العصر الأموي
رسالة ماجستير بكلية اللغة العربية ١٩٩٧ م

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
التمهيد: الحالة السياسية للمغرب الأقصى قبل تأسيس مدينة فاس	١٩:١
- التعريف بالمغرب وجغرافيته	١١ :١
- المغرب الأقصى تحت السيادة العباسية	١٩:١٢
الفصل الأول: تأسيس مدينة فاس	٨٧:٢٠
- قيام دولة الأدارسة	٢١
- تأسيس مدينة فاس	٤٢
- توقيت الإنشاء	٤٣
- الموقع الجغرافي	٤٥
- اختيار الاسم والمكان	٤٨
- تخطيط المدينة	٥١
- أبواب مدينة فاس	٦٧
- الحركة العمرانية بفاس (١٧٢:٤٤٠)	٧٦
- الفصل الثاني الحالة السياسية لمدينة فاس منذ النشأة وحتى قيام دولة المرابطين	٨٨ :١٢٥
- مدينة فاس والأدارسة	٨٩
- مدينة فاس بين الحجاج وموسى بن أبى العافية.....	١٠٩
- سيطرة الفاطميين على مدينة فاس.....	١١٤
- دور المنصور بن أبى عامر فى دخول مدينة فاس..	١١٧
- دور المرابطين فى حكم مدينة فاس	١٢٣

الفصل الثالث: سيطرة المرابطين والموحدين على مدينة فاس

- ١٢٧ - قيام دولة المرابطين
- ١٣٧ - مناقشة المصادر لدخول المرابطين مدينة فاس ..
- ١٤١ - دخول المرابطين مدينة فاس
- ١٤٤ - أعمال المرابطين بمدينة فاس
- ١٥١ - لمحة عن الموحدين
- ١٦١ - دخول الموحدين مدينة فاس
- ١٦٨ - أعمال الموحدين في مدينة فاس
- ٢٥١:١٧٧ - الفصل الرابع : الحياة الاقتصادية والاجتماعية
- ١٧٨ - ملكية الارض وأوضاع الفلاحين
- ١٨٧ - الرى ومصادره
- ١٩٣ - الرعى
- ١٩٥ - الضرائب
- ١٩٧ - الصناعة ومظاهر تقدمها فى مدينة فاس
- ٢٠٥ - النشاط التجارى لمدينة فاس
- ٢٠٩ - الحياة الاجتماعية لمدينة فاس
- ٢١٧ - عناصر مجتمع مدينة فاس
- ٢١٨ - البربر
- ٢٢٠ - العرب
- ٢٢٢ - اليهود
- ٢٢٤ - النصارى

- ٢٢٥ - مناطق الخدمات
- ٢٣٠ - الأسواق
- ٢٣٣ - العملة
- ٢٣٥ - المنازل
- ٢٣٧ - الملابس
- ٢٤٠ - وضع الأسرة
- - العادات والتقاليد
- ٢٤٣ - الطعام والشراب
- ٢٥١ - وسائل التسلية
- - الفصل الخامس: الحياة العلمية والنظام الإداري
- ٣٢١:٢٥٢ - الحياة العلمية
- ٢٥٣ - دور المدينة في الاسلام
- ٢٥٥ - عوامل ازدهار الحياة العلمية في المغرب
- ٢٥٧ - أولا : انتشار الاسلام
- ٢٦١ - ثانيا: انتشار اللغة العربية
- ٢٦٤ - ثالثا: البيوت والاسر العلمية
- ٢٦٥ - رابعا: اقبال أهل المغرب على العلم وجهود العرب في نشره
- ٢٦٨ - خامسا: اهتمام أهل المغرب بمذهب الامام مالك وظهور العلماء
- - سادسا: تقدير المجتمع للعلم والعلماء
- ٢٧٦ - تقدير الحكام للعلم والعلماء
- ٢٧٨ - تقدير العامة للعلماء

- ٢٨٠ - سابعا :تدوين العلوم
- ٢٨٢ - العلوم الشرعية
- ٢٨٩ - علم الكلام والتاريخ وتقويم البلدان
- ٢٩٢ - العلوم العربية وآدابها
- ٢٩٨ - ثامنا: الرحلات العلمية
- ٣٠٠ - التعليم بالمغرب فى عصر المرابطين والموحدين..
- ٣٠٦ - التعليم فى مدينة فاس
- ٣٠٨ - أماكن التعليم فى مدينة فاس
- ٣١٣ - العلاقات العلمية مع مدينة فاس
- ٣٣٥:٣٢٢ - **النظام الادارى فى مدينة فاس**
- ٣٢٣ - الامام
- ٣٢٣ - الوزير
- ٣٢٦ - الوالى
- ٣٣٠ - القضاء
- ٣٣٢ - المحتسب
- ٣٣٤ - الكاتب
- ٣٣٤ - الحاجب
- ٣٣٥ - الشرطة
- ٣٤٢:٣٣٦ - الخاتمة
- ٣٦٩:٣٤٣ - المصادر والمراجع
- ٣٧٤:٣٧٠ - الفهرس

منتدی سور الازبکیہ

WWW.BOOKS4ALL.NET

[*https://twitter.com/SourAlAzbakya*](https://twitter.com/SourAlAzbakya)

<https://www.facebook.com/books4all.net>